مكتبة مدبولي
Madbouli Bookshop

مركز الدراسات الفلسطينية

33

33 يوم
حرب على لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم

33 يوم
حرب على لبنان

تأليــف
مجموعة من الكتّاب
والمحللين الاستراتيجيين الإسرائيليين

ترجمــة
أحمد أبو هدبة

مركز الدراسات الفلسطينية

الطبعة الأولى
1428 هـ - 2007 م

ردمك 9953-29-191-8

مركز الدراسات الفلسطينية

توزيع



الدار العربية للعلوم ـ ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (961-1)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

المحتويـــات

مقدمة المترجم

سيذكر التاريخ، العدوان الصهيوني الأخير على لبنان، أو الحرب الإسرائيلية السادسة كما سمّاها البعض، على أنها أطول حرب وأكثرها فشلاً وتكلفة في تاريخ الحروب الصهيونية على العرب، كما أنها الحرب الثانية بعد حرب تشرين عام 1973، وخاصة في الأسبوع الأول من تلك الحرب، الذي يظهر فيها "الجيش الإسرائيلي" الذي لا يقهر بأنه قابل للهزيمة. ويظهر فيها المقاتل العربي شجاعة وعقل عسكري يبعث على الإعجاب بالرغم من الميزان العسكري والمختل لصالح الآلة العسكرية الجهنمية الصهيونية، وتواضع الإمكانيات العسكرية الذي استخدمها الطرف العربي في هذه الحرب خاصة وهو المقاومة الإسلامية اللبنانية.لكن ما ميّز هذه الحرب أنها جرت وفق قواعد لعبة ميدانية فرضها الطرف الأضعف، من خلال استخدامه لقوانين حرب الشعب وأساليب الحرب العصابية الأمر الذي أفقد الآلة العسكرية الصهيونية قوتها وجبروتها ومرّغ هيبتها في التراب وحوّل دروعها وجنودها إلى أهداف صيد ثمينة في المعارك البرية، إلى جانب إسقاط مقولة الردع الإسرائيلية إلى الأبد، وانكشاف العمق الإسرائيلي وهو أمر يحدث للمرة الأولى في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي. بمعنى أن هذه الحرب، والمعارك البرية الطاحنة بين الآلة العسكرية الصهيونية ومقاتلي حزب الله، علاوة على إسقاط استراتيجية رئيس أركان هذه الجيش من وراء استخدام سلاح الود بصورة وحشية ضد البنى التحتية المدنية اللبنانية وحجم الدمار الهائل الذي خلّفه القصف المنهجي على المدن والقرى والبلدات اللبنانية. وهي إمكانية حسم المعركة عبر الضربات الجوية المنفلتة واللامحدودة والمجنونة كما وصفها بعض المحللين العسكريين "الإسرائيليين" أنفسهم، فقد أسقطت المقاومة اللبنانية الكثير من المعايير والمقاييس وحتى البديهيات لما سمي "بنظرية الأمن الإسرائيلي" أولها إسقاط مفهوم نقل المعركة إلى أرض العدو، واحتلال الأرض والتمسك بها كورقة مساومة، وحسم المعركة بالسرعة الممكنة من خلال استخدام القوة النارية الجبارة.

ففـــي هذه الحرب وجدت (إسرائيل) نفسها أمام واقع جديد، تخوض خلاله حـــرب غـــير نظامية، فهي لا تواجه دولة بعينها ولا جيشاً نظامياً، ولهذا كان من الـــصعب جـــداً علـــيها تحديد الأهداف، أو تحديد موازين القوى، كما كان من الصعب جداً عليها تحديد مفهوم النصر أو الهزيمة، ولعل هذا هو أحد أهم الأسباب في التخـــبّط والاضـــطراب والتـــناقض السافر بين المستوى السياسي وقادة الآلة العـــسكرية طـــوال أيـــام الحرب. لكن الأهم في هذه الحرب، أن المقاومة اللبنانية استطاعت وبجدارة أن تنقل المعركة إلى داخل "البيت الإسرائيلي" أي عمق الكيان الصهيوني، إذا اضطر ملايين المستوطنين إلى النـــزول إلى الملاجئ لأكثر من شهر. واضطرت القيادة السياسية في الكيان الصهيوني إلى تعديل جدولها الزمني أكثر من مـــرة عندما وجدت نفسها أمام حرب استنـــزاف طويلة وهو أمر دفعها للبحث عن مخرج يحفظ لها ماء وجهها. وهذه طبعاً الحرب "الإسرائيلية" الأولى التي تعجز فـــيها الآلـــة العسكرية الصهيونية عن اجتياح الأراضي بسبب استبسال المقاومين وإرادتهم الخلاقة للمعركة وخاصة تدمير هذا الكمّ الكبير من أحدث الدبابات ليس في إســـرائيل وإنمـــا في العـــالم. ولم تستطع الآلة العسكرية بما تملك من إمكانيات وتقنيات هائلة من أن تسيطر على مصادر النيران، والأهم من ذلك كله، إن حزب الله استطاع أن لا يكوي "الوعي الإسرائيلي" فحسب وإنما أن يؤثر عميقاً على هذا الوعي وكما قال المفكر العسكري البريطاني ليدل هارت: "ليست هزيمة الخصم بما تدمر له من دبابات ووسائل قتالية أو أن تقتل له جنود وإنما بالقدر الذي تؤثّر فيه على وعيه".

نقلـــت صـــحيفة هآرتس على لسان مئير داغان مسؤول الموساد، بأن لجنة الحـــوار الاستراتيجي الإسرائيلي - الأميركي ناقشت في اجتماعها الأخير في نهاية شهر آذار الماضي إمكانية قيام الجيش الإسرائيلي بعملية واسعة ضد أهداف وقواعد ورمـــوز لحزب الله، وإن الجانب الأميركي قد تعهّد بتقديم الغطاء السياسي الكامل لمـــثل هـــذه العملـــية. وأضـــافت الصحيفة ذاتها: "إن عملية اختطاف الجنديين الإســـرائيليين ومقتل أربعة آخرين من قبل مقاتلي حزب الله، كانت الذريعة لشنّ هـــذه الحرب فإذا استبعدنا ما أوردته هآرتس، وناقشنا الطريقة التي شنّت الحكومة

الإسرائيلية الحرب خلالها على لبنان والأهداف المبطنة والمعلنة لهذه الحرب، نجد أنها حـــرب مبيّتة وأن كثيراً من السيناريوهات والخطط قد وضعت لها على نحو مسبق علـــى اعتـــبار أن الجيش الإسرائيلي قد أجرى العديد من المناورات العسكرية في الجبهة الشمالية، تشتمل على سيناريوهات احتلال مواقع وتطهيرها وإحداث منطقة أمنية عازلة في الجنوب اللبناني ومن أجل الحيلولة دون تمكين حزب الله من إطلاق صواريخ الكاتيوشا على شمال إسرائيل إلى جانب ما ذكره إليكس فيشمان، مراسل يديعـــوت أحرنوت العسكري" حول البون الشاسع بين النظرية الأمنية الإسرائيلية وبين استحقاقاتها والذي جاء تغييره من خلال الفارق الكبير بين "خطة الدرج" التي أعدّتها قيادة المنطقة الشمالية للقتال في جنوب لبنان والتي أوصت بها هيئة الأركان، وخـــضعت لتدريبات ومناورات واسعة قبل أسبوعين من عملية خطف الجنديين، وبـــين الواقع في ساحة القتال، إلى جانب الحديث عن ضربات جوية تستغرق مدة أســـبوعين، وبعدها تبدأ المعركة البرية، والهدف منها استنـــزاف حزب الله، لكن النـــتائج كانـــت معروفة ومؤلمة ومحبطة. فعلى المستوى السياسي، كانت أهداف الحـــرب الإســـرائيلية ذات سقوف وتوقعات عالية جداً، بحيث يفهم منها فرض الاستسلام التام على لبنان شعباً ومقاومة وحكومة وبالتالي تغيير الواقع السياسي في لبـــنان عامة والجنوب اللبناني خاصة، فقد لخّص أولمرت في أول خطاب له صبيحة الإعلان عن شنّ حربه على لبنان أهدافها الرئيسية: بإعادة الجنديين المختطفين دون شـــروط مـــسبقة أو القضاء على حزب الله وتدمير بناه العسكرية التحتية ورموزه الـــسياسية، وتنظـــيف الجـــنوب اللبناني حتى الليطاني من مقاتلي حزب الله وبناه التحتـــية، وتغـــيير الواقع الذي كان قائماً على الجبهة الشمالية حتى اندلاع هذه الحـــرب. فقد استوت تصريحات الساسة الإسرائيليين خلال الأسبوع من الحرب بحجم ووحشية القصف الجوي الصهيوني للمنشآت والبنى التحتية المدنية في لبنان، وأخـــذت هذه التصريحات أشكالاً متعددة من المزايدات حول أبشع أساليب القتل والـــتدمير وأكثـــرها وحـــشية لتحقيق "الأهداف السياسية الإسرائيلية غير القابلة للتحقـــيق، إلى جانـــب مـــا كشفته الأيام الأولى للحرب من تناقض صارخ بين تـــصريحات الساسة الإسرائيليين ومستوى الجاهزية القتالية والاستعداد لخوض هذا

النوع من الحروب بالنسبة للجيش الإسرائيلي وقادته الميدانيين. فالمتتبع لإدارة هذه الحرب الإسرائيلية على المستوى السياسي، يلحظ بأن حكومة أولمرت لم تكن تملك رؤية واضحة حول الأهداف الحقيقية التي تسعى إلى تحقيقها من وراء شنّها الحرب، ثم إن محاولة حكومة أولمرت إضفاء طابع من "الشرعية" على هذه الحرب أو كما وصفها بعض المحللين الإسرائيليين على أنها "حرب اللاخيار" يعكس إلى حدّ بعيد المأزق الوجودي الذي وجد الكيان الصهيوني نفسه يعيشه خلال هذه الحرب، على اعتبار أن ساسة ومفكري ومثقفي هذا الكيان يحاولون الإيحاء للعالم ولمستوطنيه بأن "إسرائيل" دولة عادية وأنها تسعى للعيش بصورة عادية في المنطقة، لكن ممارساتها الثأرية والانتقامية ضد لبنان خلال عملية القصف الوحشي لكل ما هو متصل بحياة الإنسان اللبناني، ينفي عنها سعيها لأن تصبح "دولة عادية" ويؤكد طبيعتها العدوانية وجوهرها الاستيطاني، من هنا نرى كيف انخفض سقف الأهداف والتوقعات الإسرائيلية لهذه الحرب، بحيث لم تستطع الآلة العسكرية الجهنمية تحقيق أي من الأهداف التكتيكية أو الاستراتيجية برغم الغطاء السياسي الذي منحته الإدارة الأميركية للحكومة الإسرائيلية، والجدول الزمني الذي حاولت الإدارة ذاتها فرضه على سير هذه الحرب. ولعل فيما طرحه أحد كبار الكتّاب في معهد يافا للدراسات الاستراتيجية، يهودا بن مئير، في مقالته يستعرض فيها عوامل الربح والخسارة الإسرائيلية في هذه الحرب بقوله: "تقاس نتائج الحروب بقدرة الجيوش على تحقيق من أهداف سياسية موضوعة سلفاً من قبل الساسة. وإذا ما سحبنا هذه المنطق على الأهداف الإسرائيلية لهذه الحرب وهي: إعادة الجنديين دون شرط أو قيد، نزع أسلحة حزب الله، تغيير الوضع الذي كان قائماً على الجبهة الشمالية عشية اندلاع الحرب، نرى أن أي من هذه الأهداف لم تحقّقه إسرائيل، ولهذا فإن هذه الحرب، علاوة على كونها أطول الحروب وأكثرها تكلفة وفشلاً، كأنها تعدّ هزيمة نكراء بالنسبة لإسرائيل.

لعل هذه الحرب الأولى التي كانت حرباً إسرائيلية - أميركية مشتركة بامتياز أو كما اصطلح عليها بعض المحللين الإسرائيليين على أنها حرب أميركية بالوكالة. أكّدت إسرائيل ذاتها على أنها مجرد بارجة عسكرية مسلحة أو قاعدة عسكرية

أميركية متقدمة فقد كتب الكثير حول الدور الأميركي في هذه الحرب سواء على صعيد الإعداد والتحضير وخلق شروط تجعل منها حرباً تتطابق والرؤية الأميركية في الحرب على الإرهاب": فقد اعتبر الرئيس بوش هذه الحرب على أنها جبهة جديدة في الحرب على الإرهاب، واعتبر أن إضعاف حزب الله وهزيمته يشكل انتصاراً للرؤيا الاستباقية لإدارة الرئيس بوش وتذهب بعض المصادر الإسرائيلية للقول بأن الإطار العام لهذه الحرب وأهدافها وتسلسلها الزمني قد جرى الإعداد لها في واشنطن وفي إطار لجنة الحوار الاستراتيجي الأميركي - الإسرائيلي. وقد جرى الإعداد والتحضير الكامل لهذه الحرب منذ عدة سنوات أو بمعنى أدق بعد أن اكتشف الإسرائيليون الخسارة الفادحة التي نجمت عن الانسحاب الأحادي المذلّ من جنوب لبنان عام 2000، وتضيف المصادر الإسرائيلية ذاتها: بأنه منذ بضعة أشهر توجّه فريق من الخبراء العسكريين الإسرائيليين العسكريين إلى واشنطن وعقدوا عدة اجتماعات مشتركة وأن الأمر اطلع عليه الرئيس بوش، "وانتهت هذه اللقاءات الأميركية - الإسرائيلية إلى الاتفاق على تحديد ساعة الصفر وشن حرب على لبنان واقتلاع جذور حزب الله وأن يكون التوقيت متزامناً مع أي حادث عابر على الحدود، ومن هذا المنطلق فهذه المعلومات تتناقض تماماً مع ما حاولت الادعاءات الأميركية الإسرائيلية إشاعته بأن "حزب الله" كان البادئ بهذه الحرب، وأن القول بأن حزب الله قدّم الذريعة لإسرائيل أو اتخذ قرار الحرب نيابة عن لبنان ليس صحيحاً أو دقيقاً على الأقل وإنما يتدرج تحت عنوان الخطأ في التقدير والحسابات وعامل المباغتة التي اعتمدته "إسرائيل". فقد كشفت الأيام الأولى للحرب، واستخدام إسرائيل لسلاحها الجوي بمثل تلك الكثافة التي استخدمتها، أن للحرب الإسرائيلية هذه أهداف تتجاوز المنطقة لتتصل بالاستراتيجية الأميركية في كل من العراق وأفغانستان وفلسطين، فقد كان الطموح الأميركي في الحرب الإسرائيلية على لبنان مبالغ فيه، واتضح ذلك جلياً في أول جولة تقوم بها رايس إلى المنطقة والحرب الإسرائيلية على لبنان لم تبلغ بعد ذروتها. وعندما أعلنت على الملأ بأن هناك شرق أوسط جديد سيبرز بعد هذه الحرب "ولسان حالها يقول بأن هذه الحرب جزء من الحرب التي تخوضها أميركا في أجزاء مختلفة من العالم منذ أحداث

الحادي عشر من أيلول تحت يافطة "الحرب على الإرهاب" وأن للأهداف هذه الحرب أبعاداً تتصل باستراتيجية إدارة بوش في العالم وفي المنطقة بشكل خاص. فقد كان إعلان رايس حول الأهداف الحقيقية للحرب "الإسرائيلية" على لبنان بمثابة تفويض أميركي كامل لإسرائيل في هذه الحرب وعدم فرض أي من القيود عليها في استخدام آلتها العسكرية أولاً، وعدم التغيير بجدول زمني بهذه الحرب ثانياً، وإشارة واضحة لجميع القوى الإقليمية سواء الحليفة منها للولايات المتحدة أم المعارضة لسياساتها بأن إسرائيل هي مركز الشرق الأوسط الجدي في المنطقة. لكن مفاجآت "الحرب الإسرائيلية" بعد أن فشل القصف الجوي المتواصل على لبنان في زعزعة اللحمة الوطنية اللبنانية الداخلية، وفشل أول هدف إسرائيلي في تأليب الرأي العام اللبناني على حزب الله. إلى جانب مفاجآت هذه الحرب البرية حين ذهلت هذه القوات من صمود وبسالة مقاتلي حزب الله، وعندما ظهرت الهزائم العسكرية الإسرائيلية على حقيقتها، سارع الرئيس بوش إلى إيفاد وزيرة خارجيته مرة أخرى إلى المنطقة للعمل على ما ينقذ إسرائيل من الخسائر في وقت كان الرئيس بوش نفسه يرفض مجرد الحديث عن وقف إطلاق النار في الأسبوعين الأوليين من الحرب مانحاً بذلك أولمرت وحكومته المزيد من الوقت لإلحاق المزيد من الخسائر ضد البنى المدنية بلبنان، ولما برزت الصدمة العسكرية والسياسية الإسرائيلية وانكشفت على حقيقتها، سعى الرئيس بوش مع خبراء إدارته للبحث علن أفضل الطرق لإنقاذ سمعة إسرائيل التي أصبحت في الميزان، ونشطت الدبلوماسية الأميركية في الأمم المتحدة بتعويض إسرائيل عن الخسائر الفادحة في ميدان المعارك. لذلك حرصت إدارة الرئيس بوش استصدار قرار يلبّي بعض المطالب الإسرائيلية بعد أن تنازلت عن الصيغة الأميركية التي طرحتها هذه الإدارة ورفضت إجراء أي تعديل عليه. على أي حال، مهما كان تقدير قرار مجلس الأمن 1701، الذي أوقفت الحرب على أساسه بالنسبة إلى لبنان أو حزب الله إلا أنه ينطوي على تراجع إن لم نقل هزيمة للدبلوماسية الأميركية. ومن هنا نلاحظ إصرار الرئيس بوش على أن إسرائيل انتصرت في هذه الحرب و لم تلحق بها هزيمة نكراء.

في الجانب السياسي على الرغم من وقوف وسائل الإعلام الإسرائيلية المختلفة عامة والصحافة بشكل خاص إلى جانب المؤسسة العسكرية في هذه الحرب، حتى أن كثيراً من هذه الوسائل قد تجنّدت لخدمة مسؤولي هذه المؤسسة وفقدت بعض موضـوعيتها ومصداقيتها إلا أنها لم تستطع أن تستمر في هذا الموقف وأن تتجاهل الحقائق الأولية التي بدأت تبرز على أرض الواقع وتسفر عنها المعارك البرية الشرسة للأسـبوع الثاني والثالث للحرب، بشكل عام عبّرت نتائج الحرب في اليوم الأول الذي أعلن فيه عن وقف النار بالأزمة العميقة التي باتت تواجه الائتلاف الحكومي، مـن خـلال المطالبة باستقالة أولمرت ووزير دفاعه ورئيس أركان جيشه وهو أمر يهدّد بانهيار هذا الائتلاف في أول عقبة تواجهه. ثم أن الدعوة لتشكيل لجنة تحقيق رسمـية "لـبحث مـا جرى في هذه الحرب من قصور أو هزائم أو مظاهر فشل، والطـريقة التي تمّ فيها تشكيل لجنة برئاسة رئيس الأركان الأسبق ليبكن شاحاك، تعكـس محاولة المستوى السياسي الإسرائيلي للهروب من أي مسؤولية عن نتائج هـذه الحرب والبحث في الوقت نفسه عن أكباش فداء من العسكريين". ولعل في وصف رئيس جهاز الشاباك ديسكن لأداء حكومة أولمرت خلال الحرب وقوله بأن "نظـام الحكم في إسرائيل قد انهار طوال فترة الحرب" ما يدلّل على حجم الخسائر السياسية الكبيرة لهذه الحرب، وأن ما قد تحمله الأسابيع ربما الأشهر القليلة القادمة من تحولات سياسية قد تطال التركيبة السياسية والحزبية وما يعكس تداعيات هذه الحـرب السياسية التي قد توازي حجم التداعيات التي كشفتها الأيام الأولى لحرب تشرين عام 1973.

أمـا على المستوى العسكري، فلا يكاد يمر يوم واحد دون أن تخلو الصحافة الإسـرائيلية مـن مواضـيع تكـشف حجم الهزيمة العسكرية التي منيت بها الآلة العـسكرية الصهيونية خلال هذه الحرب لدرجة دفعت ببعض المحللين العسكريين "الإسـرائيليين" للقول "بأن هذه الحرب قد كسرت كثيراً من البديهيات العسكرية إلى جانـب إسـقاط ركيـزتين في نظرية الأمن الإسرائيلي ألا وهي مقولة الردع الإسـرائيلية الـتي بـرزت خلال الحرب وانكشاف العمق الإسرائيلي إلى جانب التخـبط في قـرارات قادة الجيش الميدانيين، فإحدى أهم مفاجآت هذه الحرب لم

تكـن تـنوع الوسـائل والأساليب القتالية التي امتلكها حزب الله وإنما في فشل الاسـتخبارات العـسكرية الإسرائيلية في معرفة ذلك والأهم من ذلك من أظهرته قدرة حزب الله الاستخبارية فاقت بكثير قدرة إسرائيل الاستخبارية" كما أن إزاحة قائد المنطقة الشمالية عن منصبه في أوج المعارك البرية يعكس الفشل الذريع لقيادة المنطقة وقيادة القوات المهاجمة التي بلغت نحو ثمانية فرق في المعارك البرية، كما أن التـناقض بـين المستوى السياسي والمؤسسة العسكرية خلال الأسابيع الأخيرة من الحـرب دفـع بعـض قادة الآلة العسكرية الإسرائيليين لاتهام المؤسسة السياسية بالإيقـاع بالجيش إلى جانب الحجم الكبير للدبابات (الميركافا) التي تمّ تدميرها في المعـارك، وإصـابة بارجتين وإسقاط مروحية، يؤكد ما ذهب إليه بعض المحللين العـسكريين الإسرائيليين حول: "تآكل الجاهزية والقدرة القتالية لأفراد هذا الجيش بـشكل عـام أن أحد أهم الاستنتاجات الأولية على الصعيد العسكري في هذه الحـرب كمـا هو (فقدان التوازن) الذي أصاب الجيش الإسرائيلي طوال الحرب وإظهاره كأنه جيش فاشل، تعب، يتخبّط، محبط.

أمـا علـى المـستوى الاقتصادي. فقد أعلنت وزارة المالية الإسرائيلية غداة الإعـلان عن وقف إطلاق النار، أن إجمالي الخسائر الاقتصادية لإسرائيل بعد ثلاثة وثلاثـين يـوماً من الحرب، بلغ 5,2 مليار دولار، منها 2,72 مليار دولار خسائر مباشـرة في اتجاهين، 1,59 مليار خسائر للجيش، 1,13 مليار دولار خسائر مدنية مباشـرة. أمـا الخسائر غير المباشرة للاقتصاد "الإسرائيلي" التي بلغت وفق نفس التقديرات 2,48 مليار دولار كأنها تأتي من خسارة الناتج القومي بنسبة 1,5% أي مـا يقدر 2,04 مليار دولار و440 مليون دولار من تراجع مدخولات الدولة من الـضرائب. وتستبعد مصادر اقتصادية في الكيان الصهيوني أن تسبّب هذه الخسائر في ركـود اقتصادي وعلى الرغم من ذلك فإن النمو الاقتصادي النصف الثاني من العـام الجاري سيكون أقل بكثير من المعدل، وشرعت حكومة أولمرت بعد الحرب في جدولة ميزانيتها للعام القادم 2007 وإجراء تعديلات عليها قبل تقديم خطوطها العريضة للحكومة، حيث قلصت 410 ملايين دولار من ميزانيته العام الجاري من ميـزانيات الوزارات المختلفة وحوّلت في الوقت نفسه مبلغ 454 مليون دولار إلى

ميــزانية وزارة الحـــرب وتسعى وزارة المالية في الكيان الصهيوني إلى كسر إطار الميــزانية للعـــام القادم والتي من المفترض أن ترتفع بنسبة 1,7% لتصبح 64 مليار دولار، في حـــين يطالب بنك إسرائيل بزيادة الضرائب بعد أن خفضت على 15,5 %. ويذكـــر أن الولايات أن الولايات المتحدة منحت إسرائيل ضمانات مالية في العـــام 2003، بقـــيمة 9 مليارات دولار على أن يتم استخدامها في غضون خمسة ســـنوات ولكـــن مـــصادر اقتـــصادية "إسرائيلية" بأن هناك قناعة لدى الحكومة الإســـرائيلية بأن الولايات المتحدة ستكون مستعدة لتقديم مساعدات مالية كاملة لإسرائيل بسبب مصاريف الحرب العالمية وبسبب الأضرار الاقتصادية الكبيرة لهذه الحرب.

ولا بدّ لي من الإشارة في نهاية هذه المقدمة إلى معظم الموضوعات الواردة في هـــذا الكـــتاب كتبت والحرب العدوانية الإسرائيلية على لبنان لم تضع أوزارها، ولذلك فإن جزءاً كبيراً من استنتاجات هؤلاء الكتاب غير صحيحة، وقد اقتضت أمانـــة التـــرجمة أيـــضاً استخدام بعض المصطلحات التي لا تمتّ للحقيقة أو واقع الصراع بصلة على الأقل.

أحمد أبو هدبة

2006/9/1

حول المؤلفين

1: يورام شفايتزر، باحث في مركز يافا للدراسات الاستراتيجية

2: روني براط، باحث في مركز يافا للدراسات الاستراتيجية

3: يهودا بن مئير، أحد رموز الحزب الديني القومي، وباحث في الشؤون الاستراتيجية

4: شلومو بروم، نائب مدير مركز يافا للدراسات الاستراتيجية

5: إميلي لانداو، باحثة ومختصة في الشؤون العربية في مركز يافا للدراسات الاستراتيجية

6: زكي شالوم، أستاذ جامعة وباحث في شؤون الشرق الأوسط

7: يئير عبرون، عميد احتياط وباحث في الشؤون العسكرية

8: مارك هيلر، مدير سابق لمركز يافا للدراسات الاستراتيجية

9: نوعم اؤفير، عميد احتياط وباحث في مركز يافا للدراسات الاستراتيجية

10: يفتاح شابير، عميد احتياط باحث في الشؤون الأمنية الإسرائيلية

11: مئير الرن، باحث في مركز يافا للدراسات الاستراتيجية

12: أليكس فيشمان، مراسل يديعوت أحرنوت العسكري

13: عامير ربابورت، محلل الشؤون العسكرية في صحيفة معاريف

14: إيتان هابر، مدير مكتب إسحق رابين سابقاً

15: جدعون ليفي، كاتب في صحيفة هآرتس

16: شلومو غازيت، لواء احتياط ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية سابقاً

17: يغال سيرنا، كاتب سياسي في صحيفة يديعوت أحرنوت

18: عقيبا الدار، محرر الشؤون العربية في صحيفة هآرتس

19: ألوف بن، كاتب رئيس في هآرتس

20: عاموس هرئيل، مراسل عسكري في هآرتس

21: عاموس كرمئيل، كاتب سياسي في صحيفة يديعوت أحرنوت
22: زئيف شيف، محلل عسكري في الشؤون الاستراتيجية في هآرتس
23: شمعون شيفر، كاتب في يديعوت أحرنوت
24: ب. ميخائيل، كاتب في يديعوت أحرنوت
25: يوسي يهوشع، مراسل عسكري ليديعوت أحرنوت
26: تسفي بارئيل، محلل الشؤون العربية في هآرتس
27: بن كاسبيت، مختص في الشؤون الأمنية الإسرائيلية في معاريف
28: موشيه يعلون، لواء احتياط، رئيس أركان سابق
29: آفي يسسخروف، مراسل عسكري في هآرتس
30: ناحوم بارنيع، كاتب في صحيفة يديعوت أحرنوت
31: عوزي بنــزيمان، محلل سياسي في هآرتس
32: زئيف شترهال، كاتب سياسي في هآرتس
33: يونتان شم – طوف، عميد احتياط ومختص في الشؤون الأمنية الإسرائيلية
34: أفرايم هاليفي، رئيس سابق للموساد
35: سمحه كدمون، كاتبة في يديعوت أحرنوت
36: دان مرغليت، مقدم برامج سياسية تلفزيونية وكاتب سياسي
37: أوري شافيط، محلل للشؤون الفلسطينية في هآرتس
38: ميرون بنفنستي، من المؤرخين الجدد وكاتب سياسي
39: يوسي ساريد، زعيم حركة ميرتس سابقاً
40: يوســي كوبــر فايسر، عميد احتياط ورئيس قسم البحث في شعبة التخطيط سابقاً
41: المشهد الإسرائيلي، موقع إلكتروني خاص بعرب 1948
42: أمير أورن، محلل عسكري في صحيفة هآرتس
43: يوسي ملمان، كاتب سياسي في هآرتس

حزب الله واليوم الذي يلي حرب العصابات، إرهاب وحرب ثقافية

بقلم: "يورام شفايتزر"

إن تقديــر وضــع حزب الله بعد توقف المعارك يعتمد بقدر كبير على نتائج المعــركة التي تخوضها ضده دولة إسرائيل، وهذه النتائج ليست معروفة حتى الآن، وعلــى الرغم من هذا المحظور، فإنه بالإمكان مع ذلك الإشارة اليوم إلى الأهداف المركــزية المحددة التي يسعى زعماء حزب الله إلى تحقيقها على المدى القصير على الأقل. فالحلبة المركزية التي ستكون ساحة اختبار لنتائج الحرب بين إسرائيل وحزب الله هــي الحلبة السياسية. غير أن هذا المقال، سيعالج بالأساس محاولة تقدير أفعال حــزب الله المتوقعة على المدى القريب في المجال العسكري والثقافي والدعائي. ولن يكون من الجرأة بمكان بأن نقدر بأن حزب الله يسعى لتحقيق هذه الأهداف دون أيــة علاقــة بالنتائج "الموضوعية" للحرب من خلال التهديم والدمار الذي سبّبته الحرب تحت غطاء الهجوم الذي نفّذه حزب الله ضد إسرائيل في الحادي عشر من حزيــران. نــصر الله كعادته، من المرتقب أن يحاول تحويل وعبر ما يتّسم به من قدرات خطابية آلام الضربات التي تلقاها حزبه إلى إنجازات عسكرية وقيمية مثيرة للانطــباع وغــير مسبوقة في مواجهة الجيش الإسرائيلي. وعلى الرغم من الإنجاز التكتيكــي الذي أحرزه من خلال عملية خطف الجنديين الإسرائيليين، فإن حزب الله قــد فشل استراتيجياً على صعيد عدم تقديره السليم لقوة وعمق وتوقيت ردة الفعل الإسرائيلية.

مــن النتائج الأولية للهجوم الشامل الإسرائيلي يتضح الآن أن الحزب قد دفع ثمناً باهظاً من حياة مقاتليه وبناه العسكرية التحتية والمدنية وأنصاره في جنوب لبنان وتــدمير قــياداته، وإلحاق الأضرار الفادحة بخطوط المواصلات في بيروت وبعلبك ومراكــز الــبنى التحتية المدنية، كما أن شخصية حسن نصر الله، باعتباره زعيماً

شـــعبياً، وزعيماً كاريزماتياً، يحظى بتقدير واحترام كبيرين لقدراته ومؤهلاته، هذه الشخـــصية ألحقـــت بهـــا أضرار كبيرة أو على الأقل، أحدثت هذه الحرب بعض الثغرات في هذه الشخصية، وسيكون على الرغم من ذلك لشخصية حسن نصر الله ومكانته بعد الحرب تأثيراً عظيماً على طريقة إدارة الحزب مستقبلاً.

حزب الله، كما هو معروف، حزب متعدّد الأوجه، يمتلك مؤسسات دينية، اجتماعـــية، سياسية وعسكرية وتشكّل هذه المؤسسات مجتمعةً مصدر قوته وتميّزه، ومـــع ذلـــك، فإن المركب "العسكري، الجهادي" للحزب هو الذي منح الحزب شـــهرة كـــبيرة وأثّر كثيراً على تعزيز وتكريس مكانته الحالية في لبنان، فعلى هذا الـــصعيد، يعمـــل الحزب من خلال ذراعين مركزيين: الأولى ترتكز على الحرب التقلـــيدية شـــبه العسكرية وحرب العصابات والثانية: تتركّز في استخدام وتوجيه الإرهاب.

في المجـــال العسكري "التقليدي" وحرب العصابات، من الممكن أن نتوقّع أن يستخدم الحزب كامل قوته وقدراته العسكرية بغية تقليص خسائر الحرب، حتى أنه سيضطر إلى التنازل عن بعض مواقعه في جنوب لبنان ومن الواضح أنه سيحاول أن يناور كثيراً في مواجهة الضغوط العسكرية المستخدمة ضده من أجل المحافظة على مكانته كقوة عسكرية مستقلة، وبالطبع سوف يقاوم بضراوة أية محاولة تستهدف تجريده من أسلحته. وإذا ما نجح في المحافظة على مكانته المنفردة كميليشيا مسلحة وحيدة في لبنان فإنه سيسعى بالتأكيد إلى التسلح مجدداً. وبمساعدة إيرانية – سورية والحصول على وسائل قتالية استراتيجية مثل صواريخ متوسطة وبعيدة المدى وزيادة قدراته العسكرية أو على الأقل، الاحتفاظ بقوته التي لم تمسّ خلال الحرب.

إن تركيز المحاولات للحدّ من قوة حزب الله التقليدية من شأنها أن تؤدي إلى حـــرف عملـــيات حـــزب الله وتوجيهها في مجال الإرهاب. واستخدام الإرهاب وتوجـــيهه هو بطبيعته أعمال سرية وغير قابلة لإثبات من قام بها أو تحمّل منفّذيها مسؤولياتها أو تبعاتها. لذلك فمن المتوقع أن يواصل حزب الله دعم وتغذية وتعزيز وإن يكـــن بصورة سرية وغير مباشرة علاقاته بمنظمات إرهابية وشبكات إرهابية فلـــسطينية وخلايـــا متفرقة من عرب إسرائيل، بهدف الاستمرار بإلحاق الأضرار

بإسرائيل، والاحتفاظ مع أسياده الإيرانيين بالقدرة على التأثير وإحباط أي مسارات سياسية مستقبلاً.

لدى حزب الله أيضاً خيارات استخدام الإرهاب خارج المنطقة ضد أهداف إسرائيلية أخرى، وعبر وسائل متنوعة ومحددة كونه يمتلك خبرة كبيرة في مثل هذه العمليات، ولديه بنية تحتية منتشرة في دول مختلفة من العالم. هذا الذراع، هو الذي نفّذ العديد من العمليات في الخارج. ولكن قراراً مشتركاً من قبل حزب الله وإيران يقضي بالامتناع عن القيام بمثل هذه العمليات بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001، وبسبب قدرات حزب الله وإيران على تحقيق مصالحهما في مواجهة إسرائيل على حدودها الشمالية. فإنه لن يكون من الصعب على حزب الله استخدام الإرهاب مجدداً إذا دعت الضرورة. ولدى حزب الله خيار آخر للقيام بأعمال إرهابية في الخارج بحيث تبعد عنه أية شبهات من خلال استخدام عناصر فلسطينية مثل الجهاد الإسلامي أو أي تنظيم سري إسلامي آخر يحظى بدعم الحزب وإيران.

مجال مركزي آخر اكتسب حزب الله فيه خبرات كبيرة وواسعة وبخاصة زعيم الحزب حسن نصر الله وهو الحرب النفسية. فهذا العامل يُكسب الحزب قوة مضاعفة من خلال استخدامه في إطار استراتيجية الفعل التي يتبعها الحزب، ويستخدم حزب الله هذا العامل بصورة ذكية من أجل تعزيز صورته وقوته، ومن خلال عرض القيود التي يواجهها الحزب وحتى مظاهر الفشل وتحويلها إلى إنجازات، فظهور حسن نصر الله الموفّق جداً والمؤقت بعناية على القنوات الفضائية المختلفة العربية والأجنبية والتوظيف الجيد للقناة الفضائية "المنار"، كل ذلك يشكّل أمثلة مادية ملموسة للأهمية القصوى التي يعيرها حزب الله للعامل الإعلامي وللحرب النفسية كأداة في صوغ وتشكيل الوعي الشعبي اللبناني والعربي حيال نتائج الحرب التي يخوضها حزب الله، ومما لا شك فيه، أن حزب الله سيواصل استخدام ذلك وبشكل أكثر فعالية وإن ذلك سيحتل مكانة مهمة في أجندة الحزب حتى بعد وقف إطلاق النار، وإذا ما ظل نصر الله على قيد الحياة فإنه من المتوقع أن يواصل التركيز على الأهداف ذات الأهمية الكبيرة بالنسبة له في لبنان وفي العالمين

العربي والإسلامي، ولكن كيف استطاع الحزب أن يخرج من هذه الحرب منتصراً. مـــن المـــتوقع أن يوضح نصر الله لجمهوره بأن الحرب التي خاضها الحزب كانت باســـم لبـــنان وإنـــه خاضها من أجل الدفاع عنه في مواجهة الهجمات العدوانية الإسرائيلية، وتجاهل حقيقة أنه لم يحظَ بأي غطاء حكومي أو شعبي في حربه.

نـــصر الله ســـوف يـــتجاهل أيضاً الدوافع الشخصية الكامنة وراء اختطاف الجـــنديين الإسرائيليين، بسبب رغبته في إنجاز تكتيكي يتصل بهيبته، باعتباره زعيماً شعبياً مخلصاً وإن كلمته هي شرفه وكرامته، وإنه سيحمّل إسرائيل مسؤولية نتائج الدمار الذي أصاب جميع الأرجاء اللبنانية والذي لم تقدّر خسائره على المدى البعيد حتى الآن. في مقابل ذلك، فمن المتوقع أن يبرز الحزب القتال الشرس الذي خاضه مقاتلـــوه أمـــام الجيش الإسرائيلي والخسائر الكبيرة التي ألحقها هذا الجيش، وأسر جـــنوده والامتـــناع عـــن إطلاق سراحهم دون مقابل، وسوف يركّز أيضاً على الضربات التي وجّهها في العمق الإسرائيلي وبخاصة الخسائر الكبيرة التي سبّبتها هذه الـــضربات، وكذلك نجاح الحزب في دفع مئات الآلاف من الإسرائيليين للهروب من شمال البلاد والخسائر الاقتصادية الكبيرة التي ألحقها بالاقتصاد الإسرائيلي.

وكطـــريق صحيح للمواجهة مع إسرائيل، يطمح نصر الله مستقبلاً لأن يقود لبـــنان ويـــرى بنفسه جزءاً لا يتجزأ من الصراع الإسلامي الذي يتخطّى الحدود الوطنـــية اللبنانية في مواجهة إسرائيل. ومن المتوقع أن يدير الحزب معركة إعلامية ودعائـــية يعرض نفسه خلالهما نموذجاً أدار قتالاً شرساً وعنيداً وإنه نموذج يقتدى ومـــثال يحتذى لجميع المجاهدين الإسلاميين في العالم. في هذا الإطار، سوف يفتخر الحزب كثيراً بصمود مقاتليه وإصرارهم واستعدادهم للتضحية بأرواحهم وبكل ما يملكون في سبيل الله. الاستشهاد منذ أن مارس ذلك حزب الله لأول مرة في بداية الثمانينيات، تحوّل إلى ثقافة وأسلوب عمل أصبحا معروفين لدى جميع الجهاديين في مختلف أنحاء العالم.

وحـــول قـــدرة حزب الله على أن يعرض هذه المعركة على أنها نصر مؤزر ومواصـــلة طريقه على هذا الأساس مستقبلاً، تحددها بقدر كبير تطورات المعركة، استمرارها ونتائجها وفي الأساس، بقاء قيادة حزب الله الحالية على قيد الحياة وفي

مقدمـــتهم حسن نصر الله وقادة الحزب العسكريين ومن بينهم رئيس هيئة أركان الحـــزب "عماد مغنية" وبقية زملائه من القادة الميدانيين من عناصر الحزب القدامى الـــذين خاضـــوا جميع معارك الحزب في الثمانينيات والتسعينيات. وإذا كان الأمر كـــذلك، فهـــل سيظل نصر الله نفسه الذي سينهي المعركة ويقود الحزب وسط مـــستنقع المـــشكلات السياسية الداخلية والضغوط الدولية الهادفة إلى تقليص قوته ونفـــوذه؟ وإنـــه من المتوقع أن يواجه حسن نصر الله اختباراً صعباً هو وزعامته، وكـــذلك ســـيواجه الغـــرب اختـــباراً صعباً حول قدرته بمساعدة الدول العربية البراغماتية على مواجهة تنظيم إرهابي مدعوم من دول تدعم الإرهاب، حيث توجّه معظـــم دول الغرب جلّ جهودها لمنع إحدى هذه الدول التي ترعى الإرهاب من إنتاج أسلحة نووية.

مـــا قد يبدو من النظرة الأولى، كمحاولة لمنع حزب الله من إعادة بناء نفسه على الصعيد العسكري - الجهادي من شأنه أن يبدو كعامل يكتسب أهمية كبيرة في الـــصراع العـــربي - الإسرائيلي ويحمل تداعيات إقليمية خطيرة، وربما يتجاوز ذلك.

الحرب على لبنان، والولايات المتحدة والسير نحو وضع معقد

بقلم: "روني براط"

منذ نشوب الأزمة في لبنان، اتخذت الولايات المتحدة موقفاً بسيطاً: إن من يتحمّل مسؤولية نشوب الأزمة بصورة مباشرة وغير مباشرة هو حزب الله. أما ما يتعلق بسورية وإيران: فيجب ألا يكون لهما دور في وقف إطلاق النار "كحل مؤقت" لأنهما سوف يعيدان الوضع إلى سابق عهده، دون معالجة "جذور الأزمة" وإن وقف إطلاق النار يجب أن يستند إلى تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم 1559، الذي ينص على نزع أسلحة حزب الله، ونشر الجيش اللبناني وقوات دولية وبسط سيادة الدولة اللبنانية على الجنوب. وعلى إسرائيل أن تبذل جهودها كاملة وتمتنع عن إلحاق الضرر بالمواطنين العزل والبنى التحتية المدنية وتمتنع كذلك عن تقويض الحكومة اللبنانية الديمقراطية "الهشة" وتمكين وصول المساعدات الإنسانية.

هذا الموقف لا ينبع فقط من الدعم والتأييد المبدأيين للإدارة الأميركية لإسرائيل. فمن وجهة النظر الأميركية فإن الأزمة اللبنانية قد فهمت في السابق في كل ما يتصل بجهدين أساسيين في السياسات الأميركية تتصل ببعضها: الصراع ضد الإرهاب وإخضاع إيران. حزب الله أطلقت عليه الولايات المتحدة منظمة إرهابية وأداة إيرانية ولذلك فإن هذا الحزب يشكل بالنسبة للولايات المتحدة تهديداً متداخلاً. في السنوات الأخيرة، لم يضع حزب الله الفيتو على تنفيذ القرار 1559 فحسب وإنما سعى إلى تشجيع حماس ومنظمات أخرى لتصعيد وتأجج الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني، والأكثر من ذلك، فإن توقيت خطف الجنود يشتبه به باعتباره مصلحة إيرانية من أجل حرف الانتباه الدولي عن معالجة البرنامج النووي. لذلك لم يكن مفاجئاً بالنسبة للولايات المتحدة ضرورة النظر بأمر حزب الله ومعالجته في هذه الفترة الزمنية بالذات ويجب أن تكون المعالجة أولاً وقبل كل شيء

جوهرية واستئصالية عسكرية، لأن ذلك لا يعتبر تبريراً لتقليص الجهود الحربية ضد إسرائيل فحسب وإنما مسعى جدي لتشجيع ذلك[1]. الأميركيون لا يرون أن هذه المشكلة تحتاج إلى حل سريع على المدى القصير وإنما "فرصة لإحداث تحول" وإلحاق أضرار مادية في محور إرهابي (سوريا، حزب الله، حماس) فالحديث يدور حول "عملية مخاض للشرق الأوسط الجديد".

مادلين أولبرايت (وزيرة خارجية في إدارة كلينتون 1997 - 2001) أعربت عن دهشتها البالغة لأن كونداليزا رايس وزيرة الخارجية لم تذهب إلى المنطقة منذ الأسبوع الأول من نشوب الأزمة من أجل العمل على وقف إطلاق النار. فليس هناك مبرر لمثل هذه الدهشة التي شعرت بها أولبرايت. لأن الإدارة الحالية أثبتت في السابق بأنه عندما سينفذ صبرها فإنها تفضل عدم الحديث مع "العاقين" الدوليين أمثال ياسر عرفات وصدّام حسين فالتوقع من الإدارة الأميركية بإجراء مفاوضات مع حزب الله هو تماماً كالتوقع بإجراء مفاوضات بينها وبين تنظيم القاعدة، أو كما عبّر عن ذلك ممثل الولايات المتحدة في الأمم المتحدة جون بولتون: "كيف يمكن التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار مع تنظيم إرهابي؟".

مع تسارع العملية الدبلوماسية الواسعة، فإن الموقف الأميركي من شأنه أن يتراجع على ما يبدو، فالنقطة الإشكالية في هذا الموقف هي رؤيتها للحكومة اللبنانية، إدارة بوش ترى في الحكومة اللبنانية التي شكّلت من قبل البرلمان الذي تمّ انتخابه ديمقراطياً بعد الانسحاب السوري في لبنان، نموذجاً جيداً وإيجابياً لنجاح الجهود الديمقراطية في الشرق الأوسط (ليس من المؤكد بأن مثل هذا الموقف مبرر) فطرد الجيش السوري من لبنان هو مسألة سيادية أكثر منها ديمقراطية، والنتائج الانتخابية بحسب التركيبة الطائفية الفوضوية المغطاة بالدستور لا تمثّل الواقع السكاني في لبنان بصورة ديمقراطية ولا سيما بسبب التميّز الشيعي. الولايات

(1) لا بد من الافتراض بأن الولايات المتحدة تتوقع من إسرائيل أن تظهر إصراراً كما أظهرت الولايات المتحدة خلال حربها على أفغانستان والعراق، وإذ لم تنته العملية العسكرية الإسرائيلية دون إلحاق أضرار كبيرة بقوة حزب الله، والتي لم يستطع الهجوم الجوي أن يحرزه، فإن الولايات المتحدة ستشعر بخيبة الأمل والإحباط من إسرائيل.

المتحدة تدعم الحكومة اللبنانية برئاسة فؤاد السنيورة وقد أملت من هذه الحكومة أن تنفذ على نحو متدرج القرار 1559 وتبسط سيطرتها على جنوب لبنان. وفي إطار مثل هذا التوجّه صمتت الإدارة الأميركية لمشاركة حزب الله في الحكومة على الرغم من اعتبارها الحزب منظمة إرهابية.

الولايات المتحدة توخّت تحقيق أملين اثنين الأول: في ظل غياب الوجود العسكري السوري سوف تزداد الحكومة قوة مع الزمن وسيضعف حزب الله. ثانياً: مشاركة حزب الله في انتخابات ديمقراطية من شأنها أن تضفي مزيداً من الاعتدال على مواقف الحزب (مثل هذه الآمال تعتبر بمثابة مدماك جديد في رؤية الإدارة الأميركية بشأن أفضليات الديمقراطية، مثلما تتحول عملية الدمقرطة إلى تحول باتجاه السلام، وهكذا فإن مشاركة حزب إرهابي في عملية ديمقراطية تساهم في إضفاء الاعتدال عليه) وقد وجدت هذه الآمال تعبيراً لها في التصريحات الأميركية المتكررة في هذه السنة بل والأسابيع الأخيرة لأن "خطوة واحدة في الإرهاب والأخرى في السياسة لا يشكّلان وضعاً من شأنه أن يستمر إلى وقت طويل".

ومن المحتمل جداً أن تكون مكانة حزب الله السياسية - الداخلية قد ضعفت كثيراً على المدى المنظور وعلى مستوى مكانته الإقليمية، لكن علاقاته مع إيران وسوريا لم تضعف، وتزايدت فرص تدخله في الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني، وإن زيادة معارضته للقرار 1559، سوف يحول دون تنفيذه، وإن عملية اختطاف الجنديين الإسرائيليين أثبتت كما هو معلوم جرأته وطموحاته التي لم تتوقف، كما أن الآمال الأميركية حول قدرة الحكومة اللبنانية على فرض السيادة والاستقرار على لبنان وحزب الله قد تبدّدت.

على مثل هذه الخلفية، فإن الولايات المتحدة تواجه عملية معقدة. فمن جانب، فقد أعلن الرئيس بوش: "بأنه من الضروري الإبقاء على حكومة السنيورة والسماح لها بتجاوز هذه الأزمة". مثلما قالت رايس: "بأن نهاية العنف يجب أن يدفع لبنان إلى فرض سيادته على أرجاء البلاد". ومن جانب ثان: فإن الإدارة الأميركية لا ترى حلاً للأزمة دون تنفيذ قرار 1559. وإن

تنفيذه يستوجب موافقة الحكومة اللبنانية، وإن هذه الموافقة تنطوي على مواجهة سياسية مع حزب الله ومن شأن هذه المواجهة أن تؤدي إلى سقوط الحكومة اللبنانية أو حرب أهلية، فمنذ نشوب الأزمة تجلّت المشكلة بدعم الولايات المتحدة للحكومة اللبنانية، ومع تسارع العملية السياسية فإن ذلك قد يؤدي إلى تزايد الضغط عليها، وإن هذا الضغط من شأنه أن يؤدي إلى سقوطها، وهي مشكلة معقدة وربما ليس لها مخرج.

ومن أجل تعزيز إصرار الحكومة اللبنانية لبسط سيادها فإن (تصريحات معظم الزعماء اللبنانيين في هذا الاتجاه لم تترجم حتى الآن لقرارات رسمية ملزمة) وعلى الولايات المتحدة أن تعزز أيضاً من قوة العناصر "الوطنية" في لبنان وتعمل في الوقت ذاته على إضعاف مؤيدي حزب الله وسورية. كما ينبغي الافتراض بتسريع الاتصالات المباشرة مع شخصيات درزية ومسيحية في مقابل تعزيز العلاقات مع رئيس الحكومة السني وعلى الإدارة الأميركية أن تعمل في هذا المجال بالتنسيق مع الحكومات العربية. ومن أجل تحسين الأجواء وتعزيز مكانة الولايات المتحدة في المنطقة فلا بد من أن توافق الإدارة الأميركية على أن يشمل الحل الشامل مزارع شبعا وكذلك الأسرى كعوامل مهمة في هذا الحل، فالقرار الجديد لمجلس الأمن يجب أن تتم صياغته على هذا الأساس، لأنه سوف يعطي شرعية شعبية للحكومة اللبنانية من أجل اتخاذ خطوات في مقابل ذلك، ينبغي على الإدارة الأميركية أن تتخلى عن الاتصالات المباشرة مع دمشق وأن تترك ذلك للعربية السعودية والاتحاد الأوروبي وأن تعارض أية عملية من شأنها أن تكافئ سوريا أو تساعدها على استغلال الأزمة من أجل "العودة إلى لبنان" فإذا ما استطاعت سوريا وحزب الله إيقاف تعاون الحكومة اللبنانية مع المجتمع الدولي، فمن المحتمل جداً أن يوحي الأميركيون (بالتنسيق مع إسرائيل) إلى أن دائرة الهجوم قد تتوسّع لتشمل أهداف وبنى تحتية سورية.

سياسات حكومة إسرائيل
وأهداف الحرب

بقلم: "يهودا بن مائير"

هـــذه الحرب فاجأت الحكومة، فالحديث يدور حول حكومة جديدة، ليس بكـــل ما تحمل الكلمة من معنى فحسب، وإنما لأن هذه الحكومة قد تشكّلت بعد الانـــتخابات العامة بحسب قانون الحكومة الجديدة نفسها فالحديث يدور عن نظام حكـــم جديـــد بـــشكل جوهري جداً. الثلاثي الذي يقود الحكومة في مجالات الـــسياسات الخارجية والأمن هم أيضاً جدد من حيث المهام الملقاة على عاتقهم. رئـــيس الحكومة هو مواطن يفتقر إلى التجربة العسكرية على الرغم من أنه مارس العديـــد مـــن الصلاحيات في أكثر من حكومة وتولى مهمة القائم بأعمال رئيس الحكـــومة خلال السنوات الأخيرة الثلاثة، لكنه لم يكن منخرطاً في إدارة المسائل الأمنية، ووزير الدفاع لم يكن سياسياً مجرباً وليس له أية خبرة في المجالات الأمنية أو الـــسياسية ولم يمارس على الإطلاق صلاحية وزير أو حتى عضو في لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست، ووزيرة الخارجية هي أيضاً جديدة نسبياً في منصبها ولم تكن لها أية خبرة في هذا المجال التي تمارسه.

هـــناك من يعتقد بأن غاية حزب الله من وراء اختطاف الجنديين، والتي تمّ تنفـــيذها بعـــد عملية حماس في كرم "أبو سالم" بوقت قصير هو تحدٍّ للحكومة الجديـــدة واختـــبار قدرتها على اتخاذ القرارات والقيام بخطوات عملية وبالتالي اختـــيار من يقودها. ومثل هذا الأسلوب اتبعه الاتحاد السوفياتي عندما كانت موسكو تريد اختبار رئيس أميركي جديد، *سواء أكان هذا الأمر صحيحاً أم لا*، لا شك بأن عملية حزب الله في صبيحة الثاني عشر من حزيران وبعد أسبوعين ونـــصف علـــى اخـــتطاف الجندي في كرم "أبو سالم"، ولأن العمليتين ترافقتا بـــإطلاق صـــواريخ على المستوطنات الإسرائيلية، وضعت الحكومة الإسرائيلية

الجديدة والثلاثي الذي يقودها أمام تحدٍّ واختبار خطيرين جداً.

ولمفاجـأة الجميـع، وبشكل خاص، لمفاجأة حسن نصر الله، فإن الحكومة الإسـرائيلية عملت بسرعة وبإصرار وحزم. منذ ساعات الصباح التي نُفِّذت فيها عملـية الاختطاف، أعلن رئيس الحكومة عن عقد جلسة خاصة لحكومته في مساء الـيوم نفـسه. ممـا يشير إلى أن الأمر يشهد على أنه في ساعات الصباح الأولى نـضجت الفكرة لدى رئيس الحكومة لاتخاذ قرار بإعلان حرب شاملة ضد حزب الله، وبالفعـل تجلّى الدفاع في البدء في هجوم جبهوي ضد حزب الله على طول وعرض لبنان.

وتتلخّص أهمية مثل هذا القرار بأن الحكومة أدركت جيداً دلالاته، يعني، مـن جانب، إلحاق أضرار كبيرة وضعية بالبنى التحتية المدنية في أرجاء لبنان بما تـنطوي عليه من تداعيات دولية. ومن جانب ثانٍ، تعريض الشمال الإسرائيلي بـرمته – حـتى حيفا وربما أبعد – لهجمات مثيرةٍ وصعبة من آلاف صواريخ الكاتيوشا وغيرها من الصواريخ بما تنطوي عليه من تداعيات داخلية وما يمكن أن ينـشأ عـنه إسرائيلياً. من هذه الزاوية يمكن القول: إن اتخاذ القرار بالذات وتنفيذه على مدى زمني طويل نسبياً قد حقّق أهداف الحرب: وهو تجديد قدرة الردع الإسرائيلية.

أهداف الحرب

لـيس من السهل تحديد أهداف هذه الحرب، السياسيون كعادتهم حدّدوا ثلاثة أهداف عامة وهي: تحطيم حزب الله والقضاء المبرم عليه، واستعادة قدرة الـردع الإسرائيلية وتغيير الواقع الداخلي في لبنان، هذه الأهداف صيغت، كما هـو معلوم، بصورة عامة جداً وليست مركّزة ودقيقة، ومن أجل استعادة قوة الردع الإسرائيلية التي تمّ إحراز ذلك بقدر كبير، فإنه ليس من الواضح البتة فيما إذا كان الهدفان الآخران قابلين للتحقيق، وهناك أهداف محددة ومركّزة أخرى لهـذه الحرب يشكل تحقيقها أو عدمه حجر الزاوية للنجاح أو إحراز النصر في هـذه الحـرب وهذه الأهداف هي: أ – عدم إعادة الجنديين المخطوفين دون

ربطهما بإطلاق سراح أسرى فلسطينيين، ب - ضرب قدرة حزب الله العسكرية بشكل جدّي وتدمير الجزء الأعظم من قدراته وقتل أكبر عدد ممكن من مقاتليه، وزعمائه أولاً وقبل كل شيء، ج - إضعاف مكانة الحزب في لبنان بخاصة والعالم العربي عامة، كنتيجة لإضعاف قدراته العسكرية والمسّ برمزية وشخصية ومكانة حزب الله، د - إبعاد حزب الله عن الحدود مع إسرائيل، نشر الجيش اللبناني في الجنوب وفرض سيادة وصلاحية الحكومة اللبنانية المنتخبة على الجنوب اللبناني، هـ - إيجاد منظومات أو أجهزة، وترتيبات تعمل على نزع أسلحة حزب الله سواء أسلحته الثقيلة - الصواريخ أم منع تزويده مجدداً بالصواريخ من قبل سوريا أو إيران.

أهداف عدة من بين هؤلاء: إلحاق الأضرار بقدرة حزب الله العسكرية، وإضعاف مكانته وإبعاده عن الحدود مع إسرائيل، وهي أهداف قابلة للتحقيق كاملة أو جزئياً، وبوسائل عسكرية، والأهداف الأخرى القابلة للتحقيق هي أيضاً جزئياً، وبصورة كاملة وبوسائل التسوية السياسية وبغطاء دولي فقط. ويبدو أن حكومة إسرائيل تعرف ذلك جيداً وتعمل في هذا الاتجاه، رئيس الحكومة، وزير الدفاع، ووزيرة الخارجية، أوضحوا بأن إسرائيل ستعمل في الوقت نفسه بالوسائل العسكرية والقنوات السياسية. فالاتصالات السياسية وصلت إلى ذروهًا مع زيارة وزيرة الخارجية الأميركية رايس إلى المنطقة، ويمكن الافتراض على هذا الأساس بأن كل تسوية سياسية سوف ترتكز إلى قرار جديد من مجلس الأمن، وأسس أي قرار جديد قد يصدر سوف تستند إلى القرار 1559، وتشكيل قوة دولية تنتشر على الحدود في جنوب لبنان وتساعد في انتشار الجيش اللبناني على الحدود مع إسرائيل.

في هذه المرحلة، من الصعب تقدير النتائج النهائية للمعركة العسكرية، ومما لا شك فيه أن حزب الله تلقّى ضربة مؤلمة وقاسية أدت إلى إضعافه، ولكن من السابق لأوانه الحديث عن حسم المعركة عسكرياً، وإن تشكل الصورة النهائية مرتبطة بعوامل كثيرة، جزء منها اختفى والجزء الآخر من الممكن أن يظهر مع التطورات غير المتوقعة التي من شأنها أن تؤثّر بشكل كبير على شكل النتائج النهائية، وهذه

النتائج من الممكن أن تكون، من جانب، مفاجأة حزب الله ومن جانب ثان، نجاح إســرائيل في تــصفية حسن نصر الله، أو مسؤولين كبار في قيادة حزب الله، ومع ذلــك، في الميــزان العام للمعركة يجب الأخذ بالاعتبار وإعطاء أهمية كبيرة لوزن المــناعة القومية للشعب الإسرائيلي، فقد تلقت الجبهة الداخلية طوال أسبوعين – حــتى نهاية الحرب – ضربات مؤلمة من حيث الحجم والعمق لم يكن لها شبيه منذ حرب عام 1948. وعلى الرغم من أن استطلاعات الرأي تظهر أن نسبة 90% من الجمهــور الإســرائيلي تــؤيد الحرب، وأن نسبة 15% ترى بإيجابية إدارة الجيش الإســرائيلي لهــذه الحرب، وأن نسبة 70% ترى أن إدارة رئيس الحكومة ووزير الــدفاع جيدة، وكما هي العادة وكما هو متوقع في دولة ديمقراطية، فإن المعارضة وقفــت إلى جانــب رئيس الحكومة ومنحته غطاءً كاملاً. مثل هذه التعبيرات التي تنطوي على مساهمة جدية لقدرة الردع الإسرائيلية.

قرارات الحكومة الاستراتيجية

في المحصلة من المناسب أن تقف عند قرارين استراتيجيين اتخذهما الحكومة في بداية المعركة، الأول: الحيلولة دون تدخّل سوريا، وحصر العمليات العسكرية ضد حــزب الله داخــل الأراضي اللبنانية فقط. والثاني: التركيز على الهجمات الجوية والامتــناع عــن القيام بعمليات برية في الجنوب اللبناني. كلا القرارين لا يزالان موضع جدال وهناك من يشكك في الحكمة من وراء اتخاذهما. بالنسبة للقرار الأول والــذي تمــسكت به الحكومة جيداً هناك من يعتقد بأن الطريقة الوحيدة لضرب حــزب الله بــصورة مميتة هي سحب الغطاء السوري عنه، وهذا الأمر بالإمكان تحقيقه بتوجيه ضربات عسكرية مؤلمة ضد سوريا، في مقابل ذلك، المؤيدون لموقف الحكــومة يدعــون بــأن عزل حزب الله يكمن في حقيقة أن أي طرف عربي أو إسلامي لم يهب لنجدته في هذه الحرب وأن مثل هذه الأمر يشكّل أحد أهم نقاط ضعف حزب الله.

وبالنــسبة للقــرار الثاني، يبدو أن الحكومة نفسها لم تتمسك به حتى وقت طويل، وقد اتضح في نهاية الأسبوع الأول من الحرب، أنه ليس بمقدور سلاح الجو

أن يقلّص من حجم الهجمات الصاروخية في العمق الإسرائيلي وأنه لا مناص من إدخال قوات برية إلى جنوب لبنان. فقد ظهرت أصوات كثيرة وجهت انتقادات حادة للحكومة من جراء عدم سماحها للجيش الإسرائيلي منذ بداية المعركة بضرورة امتلاك معاقل حزب الله المحاذية للحدود والسيطرة عليها والقضاء مادياً على منظومة إطلاق الصواريخ في المعاقل والقرى هذه. في هذه الأيام يوسّع الجيش الإسرائيلي حجم عملياته البرية في جنوب لبنان وهناك مؤشرات كثيرة، من بينها استدعاء الاحتياط، الذي يشير إلى إمكانية توسيع العمليات البرية في الجنوب اللبناني.

التسويات الممكنة
لإنهاء الحرب في الشمال

بقلم: "شلومو بروم"

في الحرب على لبنان، تجد إسرائيل نفسها في مواجهة من نوع جديد – في مقابل تنظيم أو منظمة شبه دولة تحتفظ بمجالات معينة، وقدرة عسكرية لدولة تستطيع أن تهدّد بالمسّ بالسكان المدنيين الذين يسكنون في أجزاء كبيرة منها وعلى الرغم من ذلك، فلا تزال لهذه المنظمة سمات منظمة إرهابية ومنظمة عصابات (حرب العصابات) وهذه المنظمة تتمتع بغطاء من السكان المدنيين، وعندما تتعرّض للهجوم من قبل قوات متفوقة عليها، فإنها تنتشر ويختبئ أفرادها وسط السكان المدنيين من أجل الاستمرار في الحرب من داخل التجمعات السكانية. فالحرب في لبنان، إذن، لا يمكن لها أن تنتهي بالحسم العسكري، بكل ما تحمل الكلمة من معنى، يعني في وضع يفقد فيه الخصم إرادة القتال فبالإمكان أن تفرض عليه وضعاً سياسياً جديداً، حتى لو تمّ إخضاع حزب الله في كل الجولات العسكرية المباشرة واحتلال لبنان بكامله، فإنه سيستمر في العمل كمنظمة سرية ضد جيش الاحتلال، ومن المحتمل في مثل هذه المسألة، أن نجد أنفسنا نحن الإسرائيليين نندفع إلى وضع شبيه بالوضع الذي يعيشه الجيش الأميركي في العراق في مواجهة خصم أكثر تدريباً وأكثر فعالية.

من هذه السمات الخاصة بالمواجهة يحكم بأن أكبر النتائج العسكرية التي يمكن لإسرائيل إنجازها، هي إنزال ضربات قاصمة بحزب الله ولبنان وإن دلالات هذه الضربات سوف تنعكس على تقليص قدرة هذا الحزب بالمسّ بإسرائيل، وبذلك يكون هذا الحزب قد دفع ثمناً وهو استثناؤه من قواعد اللعبة في الصراع.

وفي مقابل ذلك، يكون لبنان قد دفع ثمناً إلى جانب خلق دافع لدى الغالبية غير الشيعية على الأقل للعمل على تغيير الواقع وتكريس السيادة على كامل الأراضي اللبنانية.

يظهر من هذا التحليل، أنه لتحقيق ترجمة الوضع العسكري إلى تسويات تعزّز الوضع على الحدود الشمالية، سيكون هناك ضرورة للعمل السياسي - الدبلوماسي، وأن يكون كل من إسرائيل ولبنان والدول العربية والمجتمع الدولي شركاء في هذا العمل، لأن كل التسويات التي تطمح إسرائيل بالتوصل إليها ستكون طموحة جداً، وسيكون من الصعب جداً تحقيقها.

ما يتطلبه من الوقت، وحجم الإنجازات العسكرية المطلوبة، تجبر إسرائيل إذن على أن تحدّد لنفسها أهدافاً واقعية من الممكن تحقيقها ضمن جدول زمني معقول وعلى قاعدة إنجازات عسكرية واقعية.

الوضع الأكثر سهولة بالنسبة لإسرائيل، هو الوضع الذي يطبق خلال قرار مجلس الأمن رقم 1559 يعني، نزع سلاح حزب الله والإبقاء عليه حركة سياسية ولكن من المشكوك فيه ما إذا كان مثل هذا الطموح عملياً في نظر حزب الله، فالذخر الأساسي بالنسبة له هو قدرته العسكرية، وهو لن يوافق على أن يجرّد من سلاحه وبخاصة عندما يتضح له بأنه أنهى هذه المعركة وهو "يقف على رجليه" ولا تزال لديه القدرة على إلحاق الأضرار بالجبهة الداخلية الإسرائيلية، فمن وجهة نظره، إن نزع سلاحه يعني استسلامه. ومن المستحيل أيضاً نزع أسلحته بالقوة كذلك.

الحكومة اللبنانية ضعيفة ومنقسمة وليس لديها شرعية شعبية، وجزء كبير ممن يخدمون في الجيش اللبناني هم من الشيعة المتعاطفين مع حزب الله، بالإضافة إلى ذلك، ليس هناك جهة دولية من شأنها أن تتطوع لإرسال قوات عسكرية فاعلة إلى لبنان والتي ستساعد على نزع أسلحة حزب الله، لذلك كله، ستضطر إسرائيل للاكتفاء ببعض الأهداف المحدودة، وستكون هناك ضرورة التوصل إلى تسويات أمنية تعالج قضيتين أساسيتين: الأولى: عمليات حزب الله في جنوب لبنان، ووجوده على خط المواجهة مع إسرائيل. والثانية: نصب صواريخ بعيدة المدى في لبنان. فلإسرائيل مصلحة بأن تكون هناك منطقة نظيفة من الصواريخ على طول الحدود مع لبنان ومن حضور حزب الله فيها، والتوجه الإسرائيلي في هذا المضمار هو عودة هذه المناطق للسيادة اللبنانية أي لسيادة الدولة اللبنانية ونشر جيش لبناني في

هـــذه المـــنطقة. فالمشكلة أن الجيش اللبناني ليس عامل ثقة بسبب ضعفه وضعف الحكـــومة اللبنانية وبسبب الوجود الشيعي القوي في الجنوب. فهناك أهمية رمزية كبيرة لنشر الجيش اللبناني حتى الحدود، كتعبير عن السيادة اللبنانية وكتنفيذ جزئي للقـــرار 1559 علـــى الأقل. غير أنه سيكون هناك حاجة لحضور قوة إضافية تمنح غطاءً يكون على شكل قوات دولية.

في هـــذه الأيـــام، تنتشر قوات دولية تابعة للأمم المتحدة "يونيفيل"، لكن هذه القـــوات تفتقر إلى القوة والمصداقية، ومن المشكوك فيه إذا ما تمكّنت من القيام بالمهمة الملقاة على عاتقها، حتى لو تمّ تعزيزها بقوات أخرى بحكم وجود عدة أسباب لذلك: أ - ليست لهذه القوات صلاحية واضحة تمنحها سلطة منع دخول عناصر مسلحة غير الجـــيش اللبـــناني واســـتخدام مثل هذه القوات إذا تطلب الأمر. ب - إشكالية هذه القـــوات التي تخضع لإمرة سكرتارية الأمم المتحدة، وتركيبتها من عناصر تابعة لدول تختلف أولوياتها عن بعضها البعض. ج - الفعالية العسكرية لهذه الوحدات ضعيفة جداً على الرغم من التجارب التي جمعتها واكتسبتها هذه القوات في العقود الأخيرة. فقوات الأمم المتحدة هي قوية إذن وفعّالة إذا ما أعطيت صلاحيات واضحة من مجلس الأمن الـــذي يمـــنح الشرعية لعملياتها. بخاصة إذا كانت هذه القوات تستخدم من قبل جهة فعّالة ومخوّلة وليس من قبل الأمم المتحدة نفسها.

وإذا كانـــت هذه القوة نفسها قوة عسكرية فعالة، فإن هناك نموذجين للجهة المخولة وذات الصلاحية والتي تعطي صلاحيات واضحة: الناتو، وهو جهة فاعلة، اســـتخدم من قبل الأمم المتحدة بفعالية. حيث استخدمت قوات دولية تجبي أثماناً سياسية باهظة من وجهة النظر الإسرائيلية، لأن مثل هذه القوات تقيّد حرية العمل في المـــنطقة التي تتواجد فيها هذه القوات وقد يقود الأمر إلى حدوث احتكاك بين إســـرائيل والـــدول المشتركة في هذه القوات وهو أمر قد يؤثّر على تعددية هذه القوات، ولذلك فإنه في الوضع الحالي من الواضح بدون وجود مثل هذه القوات، وبدون أية علاقة بمضمون التسويات التي قد تنهي القتال في لبنان فإن مقاتلي حزب الله ســـوف يعـــودون ثانـــيةً إلى الجنوب اللبناني، وخلال وقت قصير ستكتشف إسرائيل بأنها عادت إلى نقطة البداية.

فـيما يـتعلق بقيود إدخال صواريخ بعيدة المدى إلى لبنان، من الصعب جداً الـتوقع إذا مـا كان مثل هذا المطلب عملياً أو أنه هناك فرصاً لقبوله. وإذا ما تمّ قـبوله، سيكون هناك حاجة لمنظومة مراقبة فعّالة من أجل أن يتمّ تحقيق مثل هذا المطلـب، وينبغي أن تكون مثل هذه المنظومة دولية أيضاً. ومن الممكن أن تكون جزءاً من القوات التي سيتمّ نشرها في جنوب لبنان. وهناك سؤال آخر، ينبغي بحثه وهـو: هل لإسرائيل مصلحة في وجود عامل عربي في القوات الدولية؟ ربما على الأرجح نعم، ليس لأن وجود العامل الذي سيعزز من فعالية هذه القوات فحسب وإنما لأن هذا العامل سيضفي عليه شرعية عربية.

ويحـتمل أيضاً بأن هناك سبباً لفحص إمكانية إحياء وتحسين منظومة تفاهم تـساعد علـى نقل الرسائل وبلورة التفاهم بين الأطراف ذات العلاقة. مثل هذه المـنظومة أقيمت في "تفاهمات عناقيد الغضب" واشتملت على لقاءات محددة بين ممثلـي إسرائيل ولبنان وسورية والولايات المتحدة وفرنسا. وكذلك تفاهمات بين الأطراف بشأن قواعد اللعبة بينها.

مـثل هذه الحلول تعتمد على القدرة على صياغة بعض السياقات السياسية والعـسكرية التي تؤدي إلى موافقة جميع الأطراف عليها، ويبدو أن هذه الإنجازات العسكرية المراد تحقيقها هي:

ضرب قوة حزب الله العسكرية، وهو أمر قد يحقق لديه حافزاً لوقف إطلاق النار وليس إعادة بناء قوته العسكرية.

تقلـيص قوة حزب الله وقدرته على ضرب الجبهة الداخلية بالقدر الذي يقنع الحـزب بأن إسرائيل قادرة على مواصلة المعركة دون أن تضطر لدفع أثمان باهظة. ومـا دام حـزب الله لا يزال مقتنعاً بأن إسرائيل "ستتعب" أولاً فإنه من الصعب تحقيق أية تسويات من هذا القبيل.

الأثمـان الـتي دفعهـا لبنان يجب أن تخلق في داخله ضغوطاً كبيرة لوقف المواجهة.

إخلاء جنوب لبنان من حضور حزب الله العسكري، سيسهل على أية قوة دولية منع عناصر مسلحة إلى المنطقة أكثر من إجبار هذه العناصر على الخروج منها.

في كل الحالات، الإنجازات العسكرية وحدها لن تحقق الأهداف، ومن المهم جداً لذلك إقامة تحالف دولي واسع تشترك فيه أعضاء مجلس الأمن، والدول الصناعية الثمانية ودول مركزية في العالم العربي، وهذه الدول بدورها تمارس ضغوطاً على لبنان وحزب الله وإيران وسورية وهناك أهمية كبيرة لخلق صورة تفهم خلالها أن هذه التسويات هي بمثابة انتصار واضح لإسرائيل وحزب الله. على الرغم من أن هناك فرصة ضئيلة جداً لأن يوافق حزب الله على مثل هذه التسويات. لكنه يجب أن توجّه إليه ضربات عسكرية قاصمة جداً، سيكون هناك إذن حاجة لعرض أية تسويات لكون هدفها الأساسي إعادة الاستقرار والحياة الطبيعية إلى لبنان، وأن يفرض على حزبه ليكون شريكاً في هذه التسويات.

يجب أن تتضمن هذه التسويات حل مسألة الاحتكاك بين عناصر حزب الله والقوات الإسرائيلية، وحل مشكلة مزارع شبعا. وإن حل مسألة الأسرى اللبنانيين في إسرائيل من شأنها أن تساعد على قبول العقوبات المقترحة، وبعيداً عن الصعوبة البالغة في إقناع حزب الله بقبول التسويات التي تمّ ذكرها آنفاً، فإن حكومة إسرائيل كذلك سوف تجد صعوبة أيضاً في قبولها، بسبب سقف التوقعات المرتفع التي طرحتها في بداية الحرب.

والخلاصة، كل تسوية يتمّ التوصل إليها في نهاية الحرب ستكون هشّة وليست مستقرة على المدى البعيد، وإن أي تغيير أساسي في وضع إسرائيل فيما يخص لبنان تبدأ فقط عندما تعالج إسرائيل المشكلات الأساسية على الجبهة الشمالية. يعني: على إسرائيل أن تبدأ بفتح حوار مع سوريا وهو من شأنه أن يعيد المفاوضات بين الجانبين فعلى الرغم من أن سوريا فقدت كثيراً من قوتها مقارنة بحزب الله. فإنها لا تزال عنصراً مهماً في محور إيران - سوريا - حزب الله. وإن إخراج سوريا من هذا الحلف سيساعد بقدر كبير على تحييد العوامل الأخرى.

ردود الأفعال العربية:
تجاوز الخطوط التقليدية

بقلم: "إميلي لنداو"

إن أحـــد الجوانب المثيرة للاهتمام في المعركة بين حزب الله وإسرائيل تتصل بموقـــف دول عربية بشأن التطورات في خطوة خارجة عن المألوف، خرجت كل مـــن مصر والأردن بعد عملية اختطاف الجنديين الإسرائيليين مباشرة بموقف ضد هـــذه العملـــية. حيث وصفتا العملية على أنها غير مناسبة وغير مسؤولة. ثم انضمّ إليهما وزير الخارجية السعودي وانتقد العملية بشدة ووصف عملية حزب الله على أنها مغامرة غير محسوبة تعيد المنطقة سنوات إلى الخلف وتشكّل خطورة على العالم العـــربي: "دون مـــصادقة الـــسلطة المركزية وبدون تنسيق مع الدول العربية هذه المواقـــف تمّ التعبير عنها في إطار الاجتماع الطارئ للجامعة العربية الذي عقد بعد أربعـــة أيام من تنفيذ عملية الاختطاف التي قام بها حزب الله حيث ناقشوا خلالها الوضـــع في الشمال. وقد تمّ الكشف عن الخلاف القائم في العالم العربي فيما يتعلق بحـــزب الله، حـــيث تقف سوريا الداعمة الأساسية لحزب الله في الدول العربية في مقابل الدول العربية المعتدلة.

على خلفية المواقف ضد حزب الله، سمعنا خلال الأسبوع الأول من الحرب، الـــناطق بلـــسان وزارة الخارجية الأميركية يقول: "إن الدول العربية التي انتقدت حزب الله، يعني، مصر والأردن، والسعودية، سوف تلعب دوراً مهماً في المستقبل على صعيد الضغط الذي سيمارس ضد الدول التي تدعم حزب الله، سوريا وإيران. وبعـــد ذلـــك بعدة أيام، سمعنا أن ملك السعودية قد اتصل هاتفياً بالرئيس الإيراني حـــول الوضع في إيران، وإن وزير الخارجية السعودي سيصل إلى واشنطن لإجراء مشاورات مع الرئيس بوش ووزيرة الخارجية رايس. فهل نشهد ديناميكية جديدة في المنطقة التي تعكس بوضوح انقسام داخل العالم العربي؟

موقف الدول العربية الثلاث في هذا الموضوع كان له دلالات وعكس استعداداً من جانبها للخروج بشكل واضح وعلني عن الأسلوب المألوف التي يستند إلى الشجب الأوتوماتيكي لإسرائيل في كل حالة مواجهة إسرائيلية مع أي طرف عربي، وبذلك فإن هذه الدول تكشف عن خلاف في الرأي حول موضوع عام من السهولة بمكان تشكيل إجماع عربي حوله، بالإضافة إلى ذلك، فإن مثل هذه المواقف والتصريحات تشكل تحدياً للمواقف المتجذرة جيداً في أوساط الجماهير العربية الواسعة وتعزّز في الوقت نفسه الفجوات القائمة بين الدول العربية ومواطنيها.

إن تفسير ردود الأفعال الخارجة عن المألوف للدول العربية الثلاثة، بالإمكان العثور عليه في العلاقة الإقليمية الواسعة. عملياً، فإن التصريحات الشاجبة لحزب الله تعكس إحباطاً وخيبة أمل الدول العربية المعتدلة، ليس من الخطر الداهم الذي يحدق بها والذي يشكّله الإسلام المتطرف فحسب وإنما من النفوذ الإيراني المتزايد في المنطقة ومحاولاتها البدائية لتعزيز مكانتها في الشرق الأوسط عن طريق برنامجها النووي.

الدول العربية الثلاث التي شجبت عمليات حزب الله تشعر بالقلق الكبير تجاه أنشطة إيران النووية ولكنها لا تستطيع أن تصرّح بمثل هذه الأقوال بشكل علني بسبب علاقاتها المباشرة مع إيران، سواء بسبب خوفها من إيران أم بسبب الأسلوب التي تجد فيه صعوبة كبيرة لشجب المحاولات الإيرانية لإنتاج أسلحة نووية بخاصة وأن إيران هي الدولة الوحيدة التي تعلن عن مواقفها الأساسية حيال إسرائيل خلافاً لهذه الدول التي لا تستطيع أن تعلن حتى عن موقف عدائي واحد ضد إسرائيل.

في الأزمة الراهنة، فإن العمليات العدائية لحزب الله في المناطق التي تخضع للسيادة الإسرائيلية، بدون أي استفزاز من جانبها، جعلته عاملاً سهلاً يمكن اتخاذ موقف شجب ضده، ووسيلة لتحقيق بعض المكاسب المضاعفة من جراء ذلك، فالدول العربية الثلاث نجحت في إيصال رسالة مباشرة إلى حزب الله، للمنظمة التي تركّز على التهديد الذي يمثّله الإسلام المتطرف، وكذلك في إيصال رسالة غير

مباشرة إلى إيران الداعم الأساسي لحزب الله. ومن المهم التأكيد بأن الموقف الذي اتخذتـــه هذه الدول الثلاث بخصوص العمليات العسكرية لحزب الله كانت حذرة جـــداً من توجيه الاتهامات المباشرة لإيران وإنما كانت تريد إيصال رسالة واضحة مـــن دون الدخول في مسألة طبيعة العلاقة بين إيران وحزب الله، بخاصة إذا كان الحديث يدور حول منظمة تعتبر أداة بيد دولة أو أن هذه المنظمة تتعلق باعتبارات داخلـــية لبنانية محضة أو ما بينهما. ما نراه بوضوح بأن هناك علاقة بين حزب الله وإيـــران مـــن حيث أوجه الشبه بينهما في نظر كثير من الدول الأخرى. كعاملين يعقدان ويعرضان استقرار منطقة الشرق الأوسط للخطر. فالدعم الواضح والصريح لإيران لعمليات حزب الله العسكرية يعزز مخاوف وإحباط الدول العربية المعتدلة لما يشكّله حزب الله في المنطقة.

لا شـــك بأن المواقف التي عبّرت عنها الدول العربية الثلاث هي مواقف هـــشّة وقابلـــة للـــسقوط. حسني مبارك نفى مؤخراً ما نشرته وسائل الإعلام الإسرائيلية حول وجود محور مصري – أردني – سعودي ضد حزب الله ورفض كـــذلك زيارة رايس للقاهرة التي كانت تهدف إلى تجنيد الدول العربية المعتدلة لمـــواجهة إيـــران وسورية، بحجة أنه ليس من السهل على القاهرة أن تستضيف رايـــس في القاهـــرة والجيش الإسرائيلي يقصف بيروت. ففي اللقاء الذي جمع الـــوفد الـــسعودي بالـــرئيس بوش ووزيرة الخارجية رايس في واشنطن، تحفّظ مـــسؤولون ســـعوديون كـــبار مـــن اتخاذ خطوة قد تخلق انطباعاً واضحاً بأن السعودية بجرد أداة أميركية.

مـــع ذلك، بسبب العلاقة الإقليمية الواسعة التي جاءت في سياقها تصريحات هذه الدول الثلاث، فإن هذا الموقف لهذه الدول التي عبّرت عنه تجاه حزب الله هو موقف مهم ويعتبر دافعاً يشكل قاعدة لتعزيز الأصوات المعتدلة في الشرق الأوسط. وبالإمكـــان اعتـــبار التـــصريحات المصرية الحالية في جهود الوساطة بين إسرائيل والفلسطينيين في السنوات الأخيرة عاملاً يضاف إلى تلك القاعدة.

ما من شك، بأن هناك مصلحة مشتركة بين إسرائيل والدول العربية المعتدلة فـــيما يخص المطامح الإيرانية الإقليمية وخطر الإسلام المتطرف الموجود في المنطقة.

ســواء بدعم إيراني أم لا. ومن المهم الاعتراف بأن هذه التصريحات للدول العربية الثلاث قد خلقت فرصة سياسية نادرة أشبه بنافذة الفرص المفتوحة في جدار الأزمة الحالية في الشرق الأوسط.

وعلـى الرغم من ذلك، لا تزال هناك سلسلة طويلة من الموضوعات التي تفـصل بـين إسـرائيل والدول العربية، وما يجدر التأكيد عليه، هي العوامل المـشتركة والبناء عليها في إطار علاقات الدول ومواصلة الطريق. وينبغي أيضاً العمـل بـذكاء وحكمـة على هذا الأساس. ومن غير المرغوب ولا المطلوب بالنـسبة لإسرائيل أن تزيد من المصاعب على هذه الدول العربية لا سيما وأن مثل هذه المواقف التي اتخذتها تجاه حزب الله هي مواقف غير شعبية ولأنها تضع حكـومات هذه الدول أمام خيار بين إسرائيل والولايات المتحدة وبين المصالح القومية العربية.

سقوط مفاهيم،
حرب لبنان كاختبار

بقلم: "زكي شالوم"

لقـــد كشفت الحرب الحالية على لبنان تفكير ومفاهيم القيادة السياسية والمجتمع الإسرائيلي فيما يتصل باستخدام القوة التي بحوزة دولة إسرائيل ضد أعدائها والأهداف الـــتي تسعى لتحقيقها باستخدام القوة. جزء من هذه الأفكار يلازم دولة إسرائيل منذ ســـنين قـــد انكشف أيضاً في مواجهات عسكرية مختلفة بين إسرائيل وأعدائها. هذه المفاهـــيم من دون شك دلالات كبيرة إزاء سلوك إسرائيل على المستوى الاستراتيجي في السنوات الأخيرة بشكل عام وفي سياق الحرب الحالية على نحو خاص. وهناك أهمية مـــن زاوية دلالاتها ضمن رؤية نقدية من أجل الوقوف على نقاط الضعف والمخاطر التي تنطوي عليها وهناً بالإمكان تحديد ثلاثة أفكار مركزية.

لا مـــبرر لإسرائيل لأن تبادر بعملية عسكرية في غياب الاستقرار أو الذريعة الحقيقية، يستغرب كثيرون ويتساءلون كيف مكّنت دولة إسرائيل تنظيم معادٍ مثل حـــزب الله أن يجمـــع مثل هذه القوة الكبيرة خلال السنوات الأخيرة؟ إن إطّلاق الـــصواريخ الغزيـــرة واســـتمرارها باتجاه شمال إسرائيل، على الرغم من العمليات العـــسكرية الجـــوية والأرضية الواسعة التي تقوم بها إسرائيل ضد حزب الله والبنى التحتية الخاصة به يشير في الواقع إلى القوة الكبيرة التي بناها حزب الله في السنوات الأخـــيرة. ويتضح لإسرائيل، معلومات مفصّلة حول تعاظم حزب الله على صعيد مـــنظومات الأسلحة الاستراتيجية التي وصلت إليه من سوريا وإيران، وعلى الرغم مـــن أنها امتنعت عن القيام بعملية عسكرية استباقية من شأنها أن تحبط من تعاظم وزيادة قدرات حزب الله العسكرية.

حـــزب الله لم يكتف بزيادة قدرته العسكرية هذه، ففي أعقاب الانسحاب الإســـرائيلي مـــن لبنان في أيار 2000، بنى الحزب خطاً طويلاً من الاستحكامات

والمعاقـل والمواقع المحصنة على طول الحدود وبالقرب من مواقع الجيش الإسرائيلي ومن خلال خرق فاضح لقرار الأمم المتحدة بهذا الخصوص، وكذلك فإن العمليات الاستفزازية الـتي قام بها حزب الله لم تدفع دولة إسرائيل لأن تقدم على عملية عسكرية واسعة ضد الحزب والتي من شأنها أن تسفر عن دفع هذا الحزب بعيداً عن خـط المـواجهة مع إسرائيل. وما ينبغي التأكيد عليه، امتناع إسرائيل عن القيام بعملية عسكرية ضد حزب الله كانت تتناقض كلياً مع تصريحات معظم المسؤولين الإسرائيليين والتي تركّزت حول مقولة: إن الأعمال الاستفزازية لحزب الله قد تدفع إسرائيل للقيام بعملية واسعة ضد الحزب.

مـن وجهـة نظر حزب الله، فإن ردود أفعال دولة إسرائيل على العمليات الاستفزازية مـن جانبه، قد فسّرت في الواقع على أنها تعبير عن عدم الرغبة من جانب إسرائيل على كسر "قواعد اللعبة". دولة إسرائيل، هكذا كان يقدر الحزب، غـير راضية عن سلوك حزب الله، وإنها سوف ترد على أية عملية أو عدوان من جانـبه. مـع ذلك، فهي على استعداد أيضاً لمواجهة ضربات كبيرة قد يوجهها الحـزب لها، إذا ما تجاوزت هذه العمليات حداً كبيراً، وبالذات إذ لم تتسبّب هذه العملـيات في حـرب شاملة إضافية في لبنان، فصدمة حرب لبنان التي بدأت في حزيـران عام 1982، هكذا قدّر حزب الله، لا تزال تطارد إسرائيل، وإن زعماءها سيبذلون كل ما بوسعهم من أجل ألا يندفعوا إلى وضع مشابه.

إن التـردد الذي رسم ردود أفعال إسرائيل على عمليات حزب الله من غير الممكـن أن نعزوه إلى غياب المعلومات حول طبيعة العمليات العدائية التي يقوم بها حـزب الله والمخاطر التي تنطوي عليها بالنسبة لإسرائيل. وليس من المعقول أيضاً الافتـراض بـصحة الرأي السائد بأن الزمن يعمل لصالح إسرائيل، وإنه بالإمكان تحقـيق الأهـداف الإسرائيلية تجاه هذا الحزب دون استخدام القوة العسكرية. أنا أعتقد أن السبب الجوهري لعدم استعداد القيادة الإسرائيلية بالمبادرة بعمل عسكري ضد حزب الله يكمن في التقدير بأن عملية من هذا القبيل لن تحظى بشرعية الرأي العـام في البلاد وبالطبع خارج البلاد أيضاً. هذا التقدير، هكذا اعتقد، يستند إلى مـنظومة من القيم والمبادئ التي تعزّزت في المجتمع الإسرائيلي. وبالأخص في الفترة

الـــتي أعقبت حرب لبنان في عام 1982. وعلى الرغم من منظومة هذه القيم، فإن مـــن "حق" دولة إسرائيل القيام بعمل ذي طابع عسكري، ولكن فقط كردة فعل علـــى عمليات عنف واستفزاز ضدها بالشكل والحجم اللذين لا يبقيان على أي خـــيار أمامهـــا سوى ردة الفعل، واقعياً ردة فعل تكون بمستوى العمل العسكري الموحد ضدها.

كمـــا هو معروف، فإن أحد أسباب النقد الحادّ الموجّه ضد عملية "سلام الجليل" في عام 1982 قد تركّزت على حقيقة أنه في الفترة التي سبقت العملية، ساد الهدوء النسبي على الحدود الإسرائيلية – اللبنانية. ففي مثل تلك الظروف، فهمت العمليات العسكرية الإسرائيلية بقدر كبير على أنها نهاية "لفترة الهدوء". إلى جانب ما وجّه إلى الجيش الإسرائيلي من انتقادات حادة في أعقاب عمليات التصفية التي قام بها دون سابق إنذار أو أية عمليات، فالانتقاد الحادّ الذي يعتبر نموذجاً لذلك هو الذي حصل في أعقاب تصفية صلاح شحادة في نهاية حزيران عـــام 2002، عملـــية التصفية هذه، كما يدّعي المنتقدون، أدّت إلى نهاية فترة التهدئة وأحبطه اتفاق كان من المفترض أن يتمّ التوصل إليه بين المنظمات حول وقف إطلاق النار مع إسرائيل يخيل إليّ، على الرغم من أنه ليس أمراً بسيطاً بأن أؤكـــد، أن طيف هذه الآراء قد ساهم في تشكل بعض السياقات التي صعبت جـــداً على دولة إسرائيل القيام بعمل عسكري استباقي ضد حزب الله في وقت كـــان الحزب يبني فيه قوته العسكرية ويعمل على تعاظمها. فقط "الآن" وبعد سلسلة من العمليات الاستفزازية والقاتلة التي قام بها الحزب ضد إسرائيل ومن ضـــمنها خطف الجنود الثلاثة في عام 2000 وخطف الكولونيل الحنان طتباوم، وإطـــلاق صواريخ على مواقع الجيش الإسرائيلي والمستوطنات الحدودية وأخيراً العملية العسكرية التي قام بها حزب الله والتي أسفرت عن مقتل ثمانية جنود من الجـــيش الإسرائيلي وأسر جنديين اثنين، تبلور على ما يبدو الشعور بأن حزب الله قـــد تجـــاوز الحـــدود وأن عملياته قد خلقت مبرراً لإسرائيل للقيام بعملية عسكرية شاملة ضده.

لا مبرر لهجوم عسكري ضد إسرائيل بعد أن انسحب إلى الحدود الدولية

مع لبنان. الادعاء بأنه لا مبرر لمهاجمة إسرائيل في الساحة التي انسحبت منها إلى الحدود الدولية، تمّ التعبير عنه في المحافل الرسمية وفي المستويات السياسية المختلفة العالـــية المـــستوى. إســـرائيل عادت وأكدت في السنوات الأخيرة أنها نفّذت "التزاماتها" وانسحبت في أيار عام 2000 إلى الحدود الدولية مع لبنان، كما أنها حـــصلت علـــى موافقة الأمين العام للأمم المتحدة وبحسب ذلك فلا مبرر لأي عمل عدواني ضدها.

إســـرائيل بالفعل، انسحبت إلى الحدود الدولية مع لبنان، مع ذلك، فمن المستحيل ألا تثار الشكوك حول ما إذا كان التأكيد على هذا الادعاء وتكراره ســـوف يخدم المصالح الإسرائيلية. عملية السلام التي انتهت باتفاقات سلام مع مصر والأردن واتفاق أوسلو كانت قائمة على مبادئ أساسية وعلى الرغم من ذلك فلا تزال هناك خلافات بين هذه الدول و(م.ت.ف) وإسرائيل، وإن حل هـــذه الخلافات يتمّ بالطرق السياسية وعن طريق المفاوضات وليس باستخدام القـــوة، وإن أي خلافات مهما كبرت لن تبرر استخدام القوة ضد إسرائيل، أنا أعـــتقد بأن التأكيد على انسحاب إسرائيل إلى الحدود الدولية كقاعدة في عدم مشروعية أي هجوم ضدها لا تزال غامضة وربما تشكك في جوهر المبدأ المشار إليه آنفاً.

خلافاً لذلك، فإن التأكيد على انسحاب إسرائيل إلى الحدود الدولية كادعاء ينـــــزع الشرعية من أي هجوم ضدها يحوي في طياته خطراً كبيراً على إسرائيل، وهـــو أثـــر من شأنه أن يفهم منه - لا سمح الله - الاستنتاج بأن المناطق التي لم تنـــسحب منها إسرائيل حتى الآن إلى الحدود الدولية وبخاصة الضفة الغربية تعطي الحق لأعدائها بمهاجمتها.

وأخيراً، فإن مثل هذا الادعاء من شأنه أن يقزّم وربما يسحب من إسرائيل أحـــد الإنجـــازات الجوهـــرية لخطة فك الارتباط، يعني، الحصول على اعتراف الـــولايات المـــتحدة بحـــق إسرائيل في ضمّ مناطق إلى سيادتها في إطار تسوية، وبخاصـــة المـــناطق التي يوجد فيها مستوطنات يهودية حتى لو كانت موجودة شرقي الخط الأخضر.

إسرائيل غير معنية بالمواجهة مع لبنان وحكومته

في التصريحات الرسمية لحكومة إسرائيل ورئيس حكومتها المتكررة، حدّدت أن إسرائيل ترى في الحكومة اللبنانية المسؤولة عن جميع العمليات التي تحدث من حـدودها ضـد إسرائيل، لبنان، كما ترى إسرائيل أيضاً أن لبنان مسؤول عن مـصير الأسـيرين الإسرائيليين وإعادتهما بسلام إلى إسرائيل. غير أنه في مقابل ذلك، فإن دلالات التصريحات المتكررة بأن إسرائيل ليست معنيّة بالمواجهة مع لبنان أو حكومته، وإن المواجهة الوحيدة لإسرائيل هي مع حزب الله في نظري، مـن المناسـب إعادة النظر في مثل هذه التصريحات والتأكد ما إذا كانت تخدم المصالح الإسرائيلية.

يجب أن يتمّ التأكيد، بأن البحث في هذا الإطار لا يتصل بالسياسات العملية الإسرائيلية تجاه لبنان، وهذا الميل، وبكل تأكيد يستجيب لمطلب الإدارة الأميركية الداعـي إلى عـدم المـسّ "بالديمقراطية اللبنانية الهشّة" معنى هذا الأمر، بأن على إسرائيل أن تركّز في عملياتها على حزب الله، وربما على سوريا وليس ضد أهداف من شأنها أن تفوض استقرار نظام الحكم في لبنان.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل من المرغوب أو المطلوب من إسرائيل أن تمـنح أو تعطي لبنان (هوية). على مستوى التصريحات؟ إن العمليات الحربية التي يقـوم بها حزب الله ضد إسرائيل وتلحق الأضرار بالجبهة الداخلية في إسرائيل تنفّذ من داخل الأراضي اللبنانية، أي من لبنان ذي السيادة.

لبـنان، لـيس على استعداد لتحمّل المسؤولية العملية عما يجري من داخل أراضـيه فحـسب، وإنما ليس على استعداد للتحفظ عن عمليات حزب الله ضد إسـرائيل مـثلما فعل على سبيل المثال الزعيم الدرزي، وليد جنبلاط والحكومة اللبنانية بالفعل ليست مستعدة لاتخاذ إجراءات عملية لتجريد حزب الله من قدرته على العمل ضد إسرائيل. في هذه الظروف ليس من الواضح ما هي أسباب إسرائيل مـن وراء إنـزال لبنان عن قفص الاتهام، وأن تقرر بأنها ليست معنية بالمواجهة معها، فعلى الأقل ما يجب على إسرائيل في مثل هذه الحالة التزام الصمت عن مثل هذه الموضوعات.

الخلاصة

كـــشفت الحرب على لبنان، بحسب رأي "الكثير من المفهومات الخاطئة" في المواقـــف الـــتي تبنّتها دولة إسرائيل لنفسها وعرضها على الخارج وهي أحد هذه "الأخطاء" التي رافقت إسرائيل منذ سنين. من المناسب إذن أن يجري نقاشاً شـــعبياً حـــول جدوى ومخاطر وأضرار "هذه المواقف" هذا النقاش سيمكّن من بلـــورة مفهوم منتظم لدولة إسرائيل والمجتمع الإسرائيلي حول هذه الموضوعات المهمة.

الردع وقيوده

بقلم: "يائير عفرون"

الــردع هو عملية مركبة جداً وتشمل قبل كل شيء التهديد باستخدام القوة من أجل المنع أو إنـــزال العقاب، بهدف منع الخصم من القيام بعملية عنيفة. لكن نجـــاح الــردع يــشترط وجود عدة عوامل سياسية استراتيجية – نفسية. وكلما تــزايدت قــدرة الرادع على معاقبة المرتدع (الأفضليات العسكرية) تتعزّز بذلك الفعالــية الــردعية. في مقابـــل ذلك، كلما تزايدت لديه احتمالات تحدّي الواقع الــراهن، يــضاف إلى ذلك كله، بعد مهم وهو الإصرار وقوة الإرادة، أي قدرة الرادع على استخدام التهديد بالعقاب. فهذا البعد الآخر، هو بعد زئيفي وتداعياته معقدة.

الردع المتبادل: في حالات صراع كثيرة يحاول الطرفان ردع بعضهما بعضاً، أي يحـــاول كل خصم ردع خصمه الآخر، وفي هذا الإطار تجري أيضاً في بعض الأحــيان معـــارك "حــوار ردعي" يستخدم خلالها الطرفان مزيجاً من الإشارات المخــتلفة مــثل: التــصريحات، عمليات "عنيفة" بواسطة تحريك قوات عسكرية، وأحياناً عمليات عسكرية محدودة.

الردع الإسرائيلي ضد الدول الإقليمية: بفضل التفوق العسكري الواضح، من جانب، وبسبب اتفاقيات السلام مع مصر والأردن من جانب ثان، ولغياب أية مــصلحة حيوية واضحة لمهاجمة إسرائيل من جانب غالبية الدول العربية الأخرى (علــى الــرغم مـــن طموح بعضهم القيام بذلك) فإن إسرائيل تتمتّع بميزة الردع المستقر.

الــردع الإسرائيلي ضد لاعبين غير حكوميين: على العموم، الردع الفعّال يتمّ عندما يكون الطرف المرتدع دولة ذات قرارات متبلورة وتتحكّم بجميع عوامل القوة في الدولة. مع ذلك، فبالإمكان تحقيق الردع في مواجهة عناصر غير حكومية ضـــمن شـــروط مخـــتلفة. إن مقاربـــة الردع مع الفلسطينيين ترتكز على عاملين

مركزيين: مستوى الإنجازات السياسية التي يطمحون إلى تحقيقها وكذلك مستوى الإحباط المتصل بها في حال غياب التقدم باتجاه العملية السلمية، من جانب، وردة الفعل الإسرائيلية على الإرهاب وبحسب العصابات التي تلحق أضراراً كبيرة وواسعة في المجتمع الفلسطيني من جانب ثانٍ. ففي حال غياب تقدّم العملية السياسية يعود العنف الفلسطيني وينفجر في مواجهة القمع الإسرائيلي. ولذلك فقد قبلت كل من فتح وحماس بوقف إطلاق النار في كانون الأول 2005 بسبب الضغط العسكري الإسرائيلي وتعب المجتمع الفلسطيني ومن خلال التوقعات بتجديد العملية السياسية. وإن غياب العامل المركزي المسيطر على المجتمع الفلسطيني يصعب كثيراً فاعلية وتأثير الردع الإسرائيلي ويضع عليه قيوداً كبيرة، لكنه لا يبطل إمكانية بناء ميزان ردعي على قاعدة علاقته بعملية سياسية كهذه أو تلك.

موازين شبه ردعية: سواء أكان بين دولة أم عندما يكون الصراع بين دولة ولاعب شبه حكومي فبالإمكان خلق ميزان ردع محدّد، لا ينتهي بانتهاء الصراع وإنما ضمن جوانب محددة ومعينة من هذا الصراع. في مثل هذه الموازين، ينبغي في بعض الأحيان "تقوية" الميزان الردعي، سواء أكان عن طريق التسويات السياسية أم باستخدام القوة العسكرية المحدودة.

مقاربة الردع – إسرائيل – حزب الله

في أيار 2000، أخلت إسرائيل القوات وكذلك قوات (جيش لبنان الجنوبي) من جنوب لبنان. هذا الإخلاء نفّذ في إطار تسوية سياسية، تمّ التصديق عليها أيضاً من قبل الأمم المتحدة وحظيت بقبول ودعم المجتمع الدولي، وكما هو معلوم، نفّذ حزب الله بعد الإخلاء بوقت قصير هجومه الأول المحدود على (جبل دوف) سفوح جبل الشيخ، ومنذ ذلك الحين، عاد حزب الله ونفّذ هجمات تكاد تكون شهرية (أحياناً بعد فترة طويلة) في القاطع الشرقي من جنوب لبنان وتحوّلت هذه الهجمات مع الأيام إلى حقيقة واقعة. إطلاق النار على المواقع الإسرائيلية والامتناع (بشكل عام) عن مهاجمة المستوطنات. الجيش الإسرائيلي يرد بالنار على مواقع حزب الله، وتنتهي هذه المصادمات بشكل عام خلال يوم.

يبدو أن هذا النمط من السلوك قد خلق أشبه ما يكون "بقواعِد لعبة" جديدة في الشمال. الأمر الذي خدم مصالح حزب الله داخل لبنان. وأصبح مريحاً بالنسبة لسورية وإيران، وكما هو معروف، لم يكن مثل ذلك مريحاً البتة بالنسبة لإسرائيل. غـــير أنه في نهاية الأمر، لم تشوّش "قواعد اللعبة" هذه روتين الحياة اليومية في شمال إسرائيل. فقد تمّ إعادة تأهيل النسيج المدني هناك بعد فترة طويلة من تشكّل وضع غـــير اعتيادي، وتوسّعت الأعمال الاقتصادية وازدهرت عشرات الأضعاف. على مـــثل هـــذه الخلفية، لم يكن هناك سبب للقيام بردود أفعال قوية على استفزازات حـــزب الله، بالإضـــافة إلى ذلك، فإنه منذ عام 2005، تزايدت الآمال بأن الواقع السياسي في لبنان قد تغيّر، ومع انسحاب سوريا من لبنان، برزت مؤشرات معينة حول إمكانية تغيير مكانة حزب الله العسكرية في لبنان.

"قواعد اللعبة" هذه، هي في الأساس نتيجة لميزان "شبه ردعي" متبادل، إسرائيل ردعت حزب الله من مغبة القيام بعمليات واسعة ضد المستوطنات المدنية، وحزب الله ردع إســـرائيل من مغبة القيام بعملية عسكرية واسعة النطاق تهدف إلى القضاء عليه. الـــردع المتبادل هذا استند إلى عوامل عديدة: التهديد العسكري العقابي المتبادل، من جانب، والعوامل السياسية – الاجتماعية من جانب ثان، حزب الله بات يدرك الثمن الذي من الممكن أن يدفعه مؤيدوه من السكان اللبنانيين وبخاصة الشيعة منهم في حال أقدم على كسر قواعد هذه اللعبة، أما بالنسبة لإسرائيل فقد كان من المريح لها الامتناع عن الانجرار للقيام بعملية واسعة تشوش نسيج الحياة العادية في الشمال.

وهكـــذا، فعلى الرغم من كون حزب الله لاعباً شبه حكومي لا يزال هناك إمكانية استخدام التهديد لردعه. فالتناقض الظاهري كون حزب الله لاعباً سياسياً فاعلاً في الواقع السياسي اللبناني ولديه طموح بتعزيز قوته السياسية هناك، قد دفعاه لاتجـــاهين متعاكسين: من جانب، في إطار السياسة الداخلية اللبنانية، اضطر على الـــدوام إلى التركيز على تمايزه (كمدافع) عن لبنان في مواجهة إسرائيل، ومن أجل إثـــبات ذلـــك، اضطر بين فترة وأخرى للقيام بالاستفزازات المذكورة هنا. ومن جانـــب ثـــان، وبالذات كونه لاعباً لبنانياً، فقد اضطر لأن يتوخّى الحذر في عدم الانجرار إلى عملية عسكرية إسرائيلية واسعة.

حجم ردة الفعل الإسرائيلية

لتعزيز ميزان الردع المحدد إزاء حزب الله، ربما تمّ الاكتفاء بردة فعل عسكرية واسعة لكنها محدودة. لكن "قواعد اللعبة" كانت غير مقبولة بالنسبة لإسرائيل لأنها فرضت في الأساس عليها من قبل حزب الله، فقد سعت إسرائيل بوساطة عملية عسكرية أن تغيّر بشكل جوهري الوضع في جنوب لبنان وعلى هذا الأساس، تمّ تحديد أهداف الحرب ومن أجل تحقيق هذه الأهداف كانت هناك حاجة لاستخدام قوات كبيرة جداً وتحديد ساحات قتالية واسعة، تحقيق الأهداف السياسية لتلك الحرب لا تزال محاطة بكثير من الشكوك الكبيرة وإن معظم هذه الأهداف تتجاوز الهدف المركزي الذي يتجسّد بإعادة الاعتبار لقوة الردع الإسرائيلي.

شكل الردع الإسرائيلي: القوة العسكرية الشاملة التي تتمتّع بها إسرائيل وتؤمن بأن الردع الشامل الذي تتميّز به ضد عناصر مختلفة في المنطقة لا يزال قائماً في جميع الحالات. حتى لو لم تقم إسرائيل بالردع بشكل فوري أو أن ردّها جاء متأخراً. مع ذلك، فإن محاولات حزب الله في تجميع بعض نقاط القوة لصالحه عن طريق تعزيز دوره في الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني، هذه المحاولات تمّ التعبير عنها خلال سلوك الحزب العام في الفترة الأخيرة وعاد وأكد عليها من خلال مطالبته بإطلاق سراح آلاف الأسرى الفلسطينيين في مقابل الجنديين المخطوفين، فهذا السلوك من شأنه أيضاً أن يؤثّر على السلوك الفلسطيني مستقبلاً، ومن المناسب توضيح مثل هذه النقطة، فإن مستقبل العلاقات السياسية الاستراتيجية بين إسرائيل والفلسطينيين لن يحدّدها عامل خارجي وإنما من خلال تبادل التأثر والتأثير بين الطرفين وهكذا ينطبق على ميزان "الشبه ردعي" الإسرائيلي - الفلسطيني لكن العوامل الخارجية من شأنها أن تؤثّر على هذا الميزان أو أن تساعد على استقراره على حدٍّ سواء.

إن ردة الفعل العسكرية الإسرائيلية الواسعة في لبنان، تثبت حجم العقاب الذي تستطيع إسرائيل أن تنزله بالعناصر التي تعمل ضدها وبالبنى التحتية الخاصة

ولمثل هذه الأوامر، أهمية إذا ما تحرّكت إسرائيل باتجاه التسويات السياسية مـــع الفلسطينيين أو باتجاه الحلول الأحادية الجانب كخطة الانطواء على سبيل المـــثال، ويجـــب عـــدم الافتراض بأن إسرائيل ستكون مهيأة لتنفيذ مثل هذه العمليات في ظل استمرار العنف والإرهاب في الحدود الشمالية، أو من جانب المنظمات الفلسطينية.

وبالنتـــيجة، فإن الردع ليس رؤية شاملة في إدارة وحل الصراعات، وإنما هو عـــبارة عـــن استراتيجية واحدة من بين استراتيجيات عدة تهدف إلى المحافظة على علاقات صراعية، في كثير من الحالات، فإن استراتيجية الردع قد تنجح لفترة زمنية محـــددة فقـــط، لكنها لا تشكّل بديلاً عن التسويات السياسية ومهمة الردع هي المحافظـــة علـــى الموازين والعلاقات العسكرية في أزمات الصراع ودعم التسويات السياسية في حال حصولها.

المواجهة مع حزب الله،
المواجهة مع حماس وما بينهما

بقلم: "مارك هيلر"

يبدو في النظرة الأولى، أن هناك علاقة وطيدة بين الأزمة على الحدود الشمالية لإسرائيل، وبين التصعيد الأخير في العنف الإسرائيلي - الفلسطيني. ففي كلتا الحالتين فإن الشرارة التي أشعلت النار كانت مقتل الجنود الإسرائيليين واختطاف آخرين من قبل عناصر إسلامية ليست حكومية (حماس وحزب الله) اللتين تلقيان الدعم والتأييد من قبل سوريا وإيران، واللتين تسللتا إلى الحدود الدولية المعروفة التي انسحبت إليها إسرائيل بشكل أحادي الجانب. وفي كلتا الحالتين، سبق أن رافق الهجمات العسكرية واختطاف الجنود، إطلاق الصواريخ باتجاه الأراضي الإسرائيلية (صواريخ القسام من غزة، وصواريخ الكاتيوشا من لبنان) وفي كلتا الحالتين أيضاً، تسبّبت الهجمات العسكرية واختطاف الجنود في ردة فعل عسكرية إسرائيلية كبيرة وواسعة، لم يكن هدفها استعادة الجنود المخطوفين دون شروط مسبقة وإنما تغيير جوهري للواقع السياسي على طول الحدود. في نهاية الأمر، فإن العمليات التي نفّذتها عناصر غير حكومية خلقت تعاطفاً واسعاً وإيجابياً لدى العامل الآخر (وجماهيره) وفي حقيقة الأمر، فمن الجانب الدعائي، فإن التبريرات التي طرحت حول عملية خطف الجنود من قبل حزب الله، تعزى إلى دعم الحزب للقضية الفلسطينية وتشير بوضوح إلى تضمين الحزب أسرى فلسطينيين في جميع عمليات تبادل الأسرى التي نفّذها الحزب في مقابل إطلاق سراح الجنود الإسرائيليين الأسرى.

أوجه الشبه بين الحالتين (حماس وحزب الله) تفسّر إلى حد بعيد ردود الأفعال الإقليمية والدولية على حالتي الاختطاف، وبخاصة الدول العربية، باستثناء سوريا، والدول العربية المهمة التي أعربت بوضوح عن مخاوفها من "المغامرات" التي تقوم بها

بعض الجهات غير الحكومية التي باتت تسيطر على جدول الأعمال الوطنية، وباتت تتحكّم بقرار الحرب والسلم.

وفي الحلبة الدولية، ظهر هناك تفهم إن لم نقل قبول للتصعيد العسكري الإسرائيلي. ومع ذلك، ومن زاوية عميقة جداً، فإن العلاقة بين هاتين الحالتين قد تلاشت. الفارق الأول، يكمن في هوية المنفّذين. كذلك فقد ظهر حزب الله كحزب منضبط جداً فيما بدت حماس على أنها مجرد تنظيم هشّ جداً. فليست هناك هوية حقيقية ومؤكدة للطرف الفلسطيني الذي أشعل الأزمة في جبهة غزة وفي الهجوم على موقع كرم "أبو سالم". فقد أعلنت ثلاث جهات فلسطينية عن مسؤوليتها باختطاف الجندي جلعاد شاليط في موقع كرم "أبو سالم"، كما أن هذه الجهات الثلاث (الذراع العسكري لحماس، كتائب عز الدين القسام)، و(لجان المقاومة الشعبية) وتنظيم آخر غير معروف (جيش الإسلام) قد أعلنت أنها شريكة في هذه العملية، وأياً تكن الجهات التي نفّذت هذه العملية، فإن غياب الانضباط يتصل بالتأكيد على سلطة "الذراع السياسي" لحماس ومستوى التنسيق بينها وبين "الذراع العسكري" ولأن "الذراع السياسي" مكوّن من فرعين "الداخل" الذي يسيطر على الحكومة الفلسطينية في أعقاب الانتخابات للمجلس التشريعي في السلطة الفلسطينية، والخارج، المكتب السياسي الذي يتخذ دمشق مقراً له والذي يقوده خالد مشعل ونائبه موسى أبو مرزوق. فردة الفعل الأولية التي اتسمت بها ردة فعل قيادة "الداخل" كانت مبهمة سواء أكانت قد خرجت من إسماعيل هنية رئيس الحكومة، أم عن محمود الزهار وزير الخارجية.

عملية اختطاف الجندي الإسرائيلي في كرم "أبو سالم" تشير إلى أن العملية نفّذت دون مصادقة قيادة حماس أو دون معرفة مسبقة من قبلها. في مقابل ذلك، فإن القيادة الموجودة في دمشق أعربت عن دعمها من دون تحفّظ للعملية فوراً بعد الإعلان عن حدوثها، لكن ذلك لا يعني بالضرورة أن الجناح العسكري لحماس يعمل على نحو مستقل وإنما يخضع للقيادة السياسية. وإن هذا الجناح يتلقّى تعليمات من الخارج.

إذا كان الأمر كذلك، فإن يعكس وجهات نظر مختلفة وأيضاً مصالح مختلفة خاصة "بالداخل" و"الخارج" فمنذ تولي حماس السلطة، اضطرت قيادة "الداخل"

إلى البحث عن إجابات وردود لتلبية بعض مطالب الجمهور الفلسطيني. وحتى الآن فإنها لم تستطع تلبية أي من المطالب وليس هناك من سبب لأن نتوقع بأن تكون قادرة على ذلك مستقبلاً ما دامت هذه القيادة تتسم "بالإرهاب" وتخضع لمقاطعة إسرائيل وضغوطات دولية مختلفة. قيادة حماس "الخارج" الأفغاني لا تعاني ولا تتحمّل عبئاً من هذا القبيل، ولذلك فإن لديها قليلاً من أسباب القلق فيما يتعلق بتداعيات تشوبه صورتها على غرار تشوبه صورة حزب الله المعزول من قبل المجتمع الدولي وفي أجزاء من العالم العربي السني الذي ينتمي إليه الفلسطيني وكذلك في قطاعات لبنانية غير شيعية.

الفارق الثاني: يتصل بانعكاسات الأحداث في لبنان في نظر القيادة الفلسطينية في حماس، وفي هذا المعنى فإن وجهة النظر في غزة وفي دمشق تلتقيان بقدر معين. فالتحدي الذي وضعه حزب الله أمام إسرائيل رفع دون شك من مكان حسن نصر الله السياسية لدى الفلسطينيين. فحملة مظاهرات التأييد لحزب الله عمّت المدن والبلدان والقرى الفلسطينية وأعلامه غطّت كل مكان بها وصورة نصر الله وضعت إلى جانب صور عرفات وأحمد ياسين. بهذا المعنى، يظهر حسن نصر الله في عام 2006، على أنه الزعيم غير الفلسطيني الذي يحمل بجدارة لواء "القضية الفلسطينية"، أسوةً بصدّام حسين في عام 1999، وجمال عبد الناصر في عام 1956 ومرة ثانية في عام 1967، غير أن الزعماء السياسيين الفلسطينيين الذين يطمحون للوصول إلى مثل هذه المكانة مضطرون لمشاهدة مثل هذه التطورات بقدر معين من القيم المزدوجة، في نهاية المطاف، فإن انتصار حزب الله في المواجهة مع إسرائيل من شأنه أن يقلّل من أهمية الزعماء الفلسطينيين الشخصية وإن هزيمة هذا الحزب ستنعكس عليهم وعلى مكانتهم، بشكل عام، لكن قيادة الداخل تبقى حرة في اختيار جدول أعمالها المحلي ووجهة النظرة هذه، تشير إلى فارق ثالث: تداعيات التدخل الدولي أو تدخل ممكن، حتى اندلاع الأزمة اللبنانية تركّز الانتباه الدولي، على الهجمات الإسرائيلية على قطاع غزة ومهملاً الوضع في العراق. فالخسائر الكبيرة التي سبّبتها هذه الهجمات خلقت تعاطفاً متزايداً بين الفلسطينيين، وليس تعاطفاً من

قبل الدول العربية فحسب وإنما من قبل كثير من الدول الغربية التي أبدت تحفظاً على العملية الفلسطينية في كرم "أبو سالم". هذا الأمر أثار بعض الآمال بأن تدخّل هذه الدول الغربية من شأنه أن يكبح جماح إسرائيل أو أن يوقف عملياتها العسكرية دون أن يفرض على قيادة حماس أي شروط سياسية غير مقبولة لديها (مثل إعادة الجندي جلعاد شاليط دون شروط والالتزام بوقف إطلاق النار. وهذا الأمر، أظهر أيضاً إمكانية إظهار تدخّل بناء من قبل القيادة السياسية المحلية لحماس بخصوص مسألة الجندي الأسير والتي لمّحت بقدر معين إلى رغبتها بلعب دور إيجابي في هذه المسألة وإن ذلك من شأنه أن يمهّد الطريق أمام اعتراف دولي أكبر بحكومة حماس كمحاور شرعي (ويقبل مساعدات دولية) شرعي، كل هذه الآمال تبدّدت على الأقل في الأمد القصير، مع اندلاع الأزمة على الحدود الشمالية لإسرائيل التي استحوذت على انتباه الرأي العام الدولي ومكّنت إسرائيل من الاستمرار في عملياتها العسكرية في غزة ضمن قيود قليلة جداً.

مع ذلك، فإن في التدخل الدولي آفاق كبرى بالنسبة لحماس أكثر منها لحزب الله، فالتدخل الدولي بالنسبة لحزب الله بمثابة إعاقة من شأنها أن تخلق ديناميكية سلبية، إذا ما استثنينا فرض وقف إطلاق النار عليه ومن دون شروط وعدم العودة إلى الخطوط التي كانت قبل الهجوم الإسرائيلي، هذا السيناريو يبدو غير معقول في ضوء الموضوعات المطروحة على جدول الأعمال وحتى لدى دول عربية مهمة.

على الرغم من هذه الفوارق (وبمعان محددة وبالذات بسببها) فإن هناك علاقة مهمة واحدة. كما أن لنتائج المواجهة في لبنان ستكون تداعيات ذات أهمية كبيرة على مستقبل حماس بخاصة وعلى علاقات الفلسطينيين بإسرائيل بشكل عام. وإذا ما تضافرت عوامل ناتجة عن العملية العسكرية الإسرائيلية، كتدخل خارجي، إلى جانب ديناميكية لبنانية داخلية تؤدي إلى تدمير الثقة بما يمثّله حزب الله، فإن من شأن الردع الإسرائيلي بالتآزر مع استجابة إقليمية ودولية للحاجات الفلسطينية لتقوية البدائل الفلسطينية، إن لم نقل ستؤدي إلى تغيير حماس أو على الأقل تشجيعها لتغيير طريقها.

نـــصر الله وحـــزب الله سوف يجدان صعوبة بالغة في الخروج من الأزمة مع إســـرائيل دون خـــسائر كبيرة وربما على خلفية تفاقم هذه الموضوعة إقليمياً. فإنه يكفيهم عدم تكبّد هزيمة نكراء ليستطيعوا الادعاء بأهم أحرزوا نصراً مؤزراً. وإذا ما حصل مثل هذا الأمر، فلا تزال الفرصة مفتوحة أمامه، وربما أكثر من ذلك، فإن مـــنطقة "المقاومة" ستحقّق نتائج إضافية وكل ادعاء لصالح الاعتدال أو البراغماتية من قبل حماس لن يكون مقبولاً بما أن السير في طريق حزب الله سيأخذ زخماً كبيراً جداً.

العودة إلى أرض الواقع:
حول العديد من قيود القوة الجوية
في الحرب على لبنان

بقلم: "توعم أوفير"

في الـثالث مـن حزيران لعام 1999، وبعد ثمانية وسبعين يوماً من العمليات الجـوية المكثفة والواسعة في سماء البلقان، انتهت المعركة العسكرية لحلف الناتو في يوغسلافيا. فقد سارع المؤرخ العسكري البريطاني المشهور[1] إلى تحديد الثالث من حزيران لعام 1999، ذكرى لإحدى نقاط التحول ذات الدلالات المهمة في التاريخ العـسكري، فللمـرة الأولى تحسم الحرب باستخدام القوة الجوية فقط الكثيرون اعـتقدوا بسذاجة هذا التحديد، وفي عملية "القوة الموحدة" (Allied Force) كما أطلق حلف الناتو على هذه العملية، اعتبرت منذ ذلك الحين على أنها حجر الزاوية في مقاربتهم للعمليات العسكرية الجوية الشاملة.

في إسرائيل تحفز الكثيرون لمقارنة عملية "تغيير الاتجاه" التي قامت بها إسرائيل ضد لبنان بعملية "القوة الموحدة" مع تجاهل الفوارق الجوهرية بين العمليتين والتي لا مكان هنا لاستعراضها. ولكنه في الأيام التي أعقبت بداية العملية في لبنان وبخاصة في أعقـاب الإطـلاق المـستمر والـذي لم يـتوقف لصواريخ الكاتيوشا باتجاه المـستوطنات في الـشمال وعلى مدينة حيفا، بدأت تسمع بعض الأحاديث حول فشل هذه العملية وعلى ما يبدو، فشل سلاح الجو في تحقيق أهداف العملية. على الـرغم مـن مئات الطلعات الذي نفّذها سلاح الجو فقد خيّب الآمال و لم يحقّق التوقعات التي علّقها عليه الكثيرون.

إن تفحصاً صحيحاً للواقع يظهر أن القوة الجوية لم تفشل البتة في لبنان، مثلما

---

(1) جون كيغان، "رجاءً بلير لا تخاطر مرة أخرى" صحيفة "ديلي تلغراف"، 6 حزيران 1999.

لا يـــصح القول: إن القوة الجوية قد حسمت المعركة وحدها في يوغسلافيا، يجب الاعتـــراف بحقيقة أن القوة الجوية ليس حلاً سحرياً صحيح أن قدرهما كبيرة جداً أكثـــر من أي وقت مضى لكنه هناك الكثير من الأمور من الصعب فعلها يشكل يبعث على الرضا.

التحدي مع مواجهة الأهداف المتحركة

مـــاذا تـــريد أن تفعل القوة الجوية المعاصرة؟ مثلما أثبتت في الحرب الأخيرة التي شـــنّتها الولايات المتحدة على العراق والبلقان، وكما هو الحال في الأيام الأولى لعملية "تغـــيير الاتجـــاه" الإسرائيلية من حيث الاستخدام الذكي للطائرات المقاتلة والعمودية والأسلحة الموجهة بدقة إلى جانب المنظومات الاستخباراتية ودعم القيادات والسيطرة الـــتي تساعد على تحقيق إنجازات غير قليلة على صعيد ضرب أهداف استراتيجية مثل مراكز القيادة والقواعد العسكرية وأهداف مثل البنى التحتية. وإن قدرة عدو صغير من الوسائل القتالية في الجو والتي تحمل كمية كبيرة من السلاح الموجهة بدقة وتدمير نقاط حـــساسة سواء أكان في النهار أو الليل، ومن دون الاعتماد على الطقس هي وسائل مميزة. إذا كان القائم على تخطيط المهمة وأعضاء الطاقم الجوي يعرفون كيف يضربون الهدف، أولاً وقبل كل شيء بفضل المعلومات الاستخباراتية الدقيقة، فإن هذا الهدف وباحتمالات عالية جداً سوف يصاب مباشرة. الهجوم بالإمكان تنفيذه من آماد قصيرة جداً، ولكن في حال وجود تهديد للقوة الجوية بالإمكان تنفيذه دون أن يصاب الهدف بـــشكل صـــحيح، وكذلك من مسافات عشرات بل ومئات الكيلومترات بوساطة مـــنظومة تسليحية يطلق عليها (Stand off). من هذا الجانب، سلاح الجو الإسرائيلي هو ثاني سلاح جو في قدرته بعد سلاح الجو الأميركي وقد يتفوّق عليه كثيراً في بعض المجـــالات المعيـــنة. عملياً، هناك شك إذا كانت أسلحة جو أخرى موجودة في العالم شـــبيهة بهـــذين السلاحين المذكورين، والمهيأة لتنفيذ معارك جوية مستمرة من النوع الذي نُفّذ في لبنان.

على الرغم من ذلك، مثلما طرحنا أمثلة في المعارك الجوية السابقة، فإن سلاح الجـــو يجد صعوبة في التعامل بنجاح مع ما حدّده من أهداف ذات طبيعة منخفضة

وتظهر في زمن قصير نسبياً، القصد من هذه الأهداف أنها "متحركة" لا تظهر مرة واحـــدة على الأرض ومهيأة للقيام بمهامها بالسرعة الممكنة والاحتفاظ بقوة دفع مـــنخفض جداً والانصراف من المكان بسرعة قصوى، هذه الأهداف تنطبق على نماذج صواريخ أرض - أرض وصواريخ أرض - جو متحركة، وكذلك الأمر في منصات إطلاق صواريخ أرض - أرض ومنصات إطلاق صواريخ أرض - جو.

عندما يدور الحديث حول منصات إطلاق صواريخ أرض - أرض، وبخاصة حول عدة منصات فإن المهمة هنا ستكون معقدة خصوصاً، فهذه المنصة لا تشكّل أنـــبوباً واحـــداً يطلـــق صاروخاً واحداً فقط، إنها مجموعة أنابيب ربطت ببعضها وشـــدّت بإحكام لتصبح منصة صالحة للإطلاق. المنصات من هذا النوع لا تحتاج إلى وســـائل دعـــم تـــرافقها، أينما ذهبت، وإن طاقماً صغيراً من الأفراد يكفي لاستخدامها وتشغيلها، وأكثر من ذلك، وخلافاً لمنصات إطلاق صواريخ أرض - جـــو، فإن تشغيل المنصة لا يتطلب جهداً كبيراً أو عمليات إضافية قابلة للكشف مـــسبقاً مـــن قـــبل المجسات الإلكترونية، فالطريقة الوحيدة لتحديد مكان منصة الإطلاق هي التخمين فقط، ولأن الحديث يدور عن هدف من السهل جداً تمويهه ومـــن الـــصعب جداً أن تميّز بينه وبين كثير من الأهداف المدنية مثل الشاحنات. وبالإمكـــان كشف المنصة فقط بتشخيص المنصة نفسها. دلالات مثل هذا الأمر مـــزدوجة، أولاً: هناك حاجة لأن يتمّ تحديد مكان المنصة مسبقاً ونقل المعلومات بهذا الخصوص على وجه السرعة إلى الوسيلة القتالية المهيأة لمهاجمة هذه المنصة، كل هذه العملية المسماة "إغلاق الدائرة" يجب أن تنفّذ في فترة زمنية قصيرة جداً.

وفي دقائـــق قلـــيلة جـــداً وإلا فإن المنصة سيتمّ تحريكها من مكانها، ثانياً: تـــشخيص مكـــان المنـــصة فقط بعد أن تطلق الصواريخ يعني بعد أن يتمّ إصابة الـــصاروخ لهدفه. عملية "إغلاق الدائرة"، تحديد مكان المنصة، وتشخيصها بشكل دقيق، توجيه الوسائل الهجومية ومهاجمتها نفسها، هذا الأمر، يستلزم جملة عوامل مـــتداخلة مـــثل الـــتمويه والمعلومات الاستخباراتية الدقيقة والاستعداد والجاهزية المـــستمرة للوســـائل القتالـــية في المنطقة مثل سلاح الجو والبحرية والمدفعية بعيدة المدى، أما الوسيلة الفعّالة لمهاجمة منصات الصواريخ فهي "الطائرات بدون طيار".

لكـــن هناك حاجة لوسائل قتالية كثيرة من أجل تغطية المكان والمناطق الكثيرة التي تطلق منها الصواريخ في مناطق شاسعة مثل لبنان، وكذلك في مثل هذه الحالة من الصعب جداً ضمان تغطية كاملة لجميع المناطق والأهداف.

نجاحات سلاح الجو في "اصطياد" منصات صواريخ أرض - أرض في لبنان. كمـــا جـــاء في ملفات الجيش الإسرائيلي غير قليلة. فقدرة سلاح الجو الإسرائيلي للتعامل مع أهداف متحركة جيدة أقوى من أي سلاح جو آخر لكن مثل هذا لا يكفـــي حـــتى لـــو نجح سلاح الجو في تدمير العديد من المنصات يومياً فإن كمية الأســـلحة التي بحوزة حزب الله كبيرة جداً، وإن وتيرة تدمير هذه الأسلحة لم تكن كافية وبالذات بسبب استمرار القصف على الجبهة الداخلية في إسرائيل.

الحسم من الجو، هذه المرة... لا

إذا كان الأمر كذلك، فما الذي يمكن أن تتوقّعه من سلاح الجو؟ المحاولات التي بـــذلها الأميركـــيون في إطار الجهود لوقف إطلاق صواريخ أرض - أرض العراقية في حرب الخليج الأولى تشهد على أنه من غير الممكن التأثير على الدور الفاعل لصواريخ أرض - أرض وصـــورايخ أرض - جـــو حتى من دون أن يتم تحقيق نتائج طيبة على صعيد تدمير المنصات ذاتها. وخلال فترة الحرب كلها لم يستطع الأميركيون أن يدمّروا حتى مجرد منصة صواريخ أرض - أرض واحدة على الرغم من أنهم خصصوا لمثل هذه المهمـــة قـــوات كبيرة جداً. لكن العمليات الجوية الواسعة والمكثفة واستخدام قوات خاصـــة برية نجحت فقط في التأثير على مستوى التصويت ودقة إصابة صواريخ أرض - أرض العراقية كلما استمرت الحرب. هذا الإنجاز كان ثمرة عمليات جوية متواصلة من مناطق الإطلاق ومهاجمة الأهداف التي يعتقد أنها تستخدم كمنصات إطلاق. ففي حالـــة صـــواريخ أرض - أرض ليس هناك أهداف كبيرة، ومن الأفضل البحث عن مخـــازن أو أمكنه تخزين هذه الصواريخ وتدميرها قبل نقلها إلى منصات الإطلاق وهو أمر يستلزم معلومات استخباراتية دقيقة وسريعة.

حـــتى إذا تحسّن أداء سلاح الجو في تدميره لمنصات صواريخ أرض - أرض فهـــو لن ينجح في إزالة تهديد هذه الصواريخ على نحو مطلق، فالقوة الجوية. وفي

مقابـــل ذلك، استخدام قوات برية محدودة بالتوازي مع هذه القوة وبالإمكان فقط التـــشويش على دقة إصابة الصواريخ وربما يؤثّر على وتيرة الإطلاق بصورة معينة. ولـــذلك، فـــإن القـــوة الجوية تحتاج إلى عاملين مهمين: المعلومات الاستخباراتية والـــوقت، وليس من المؤكد إذا ما كان مثل هذين العاملين متوفرين لسلاح الجو الإسرائيلي خلال عملية "تغيير الاتجاه" في لبنان.

إذا مـــا عـــدنا لحالة يوغسلافيا نستطيع أن نرى أن الصورة هناك كانت أقل وضوحاً، فالحرب لم تنته بعد أن دمّرت قدرة الجيش الصربي أو بسبب ما نجم من خسائر كبيرة من جراء إصابة جميع الأهداف الاستراتيجية الحساسة في يوغسلافيا. في نهايـــة الحـــرب تعززت فقط بعد أن فقدت صربيا أهم حليف لها وهي أوروبا، ونتـــيجة لـــتهديد حلف الناتو بغزو بري لها. فإن ركناً أساسياً من عمليات القوة الجـــوية ضد الجيش الصربي تشير إلى أن الطلعات الجوية التي أصيبت خلالها آلاف الأهـــداف، نجحـــت القوة الجوية في إصابة 50 هدفاً من الدبابات وقطع المدفعية. الحـــديث بـــدور عن نجاح على مستوى منخفض جداً وبخاصة في ضوء الوسائل والإمكانـــيات الهائلـــة التي سخّرت من أجل ذلك ولفترة زمنية طويلة ومستمرة، وكـــل ذلك، ما يجدر الإشارة إليه، هو غياب الإصابات في الجبهة الداخلية للقوة المهاجمة خلافاً للتحدي الكبير الذي واجهه السلاح الإسرائيلي خلال الحرب على لبنان كذلك فإن سلاح الجو الإسرائيلي على الرغم من قدراته الهائلة، فإنه غير مهيأ لتحقـــيق أهداف العملية التي أعلن عنها. ولا سبيل للحكم على هذا الأساس، بأن عمليات "تغيير الاتجاه" تأتي جميعها في إطار الفشل الذريع. وما يستطيع أن يساهم في خلـــق ظروف تساعد في عملية سياسية كما تمّ فعله في يوغسلافيا. سلاح الجو الإسرائيلي لم يخيّب الآمال في الحرب اللبنانية، فقد فعل ما كان مهيأ لفعله. وخلافاً لمـــا كتبه المؤرخ العسكري البريطاني: تبدو أن القوة وحدها لا تستطيع أن تحسم الحـــرب. على الأقل، ليس في هذه المرحلة، الشيء الصحيح بالنسبة ليوغسلافيا، وكما نحن نشاهد في لبنان، فليس فشلاً ولا خيبة أمل، إنه واقع جديد.

السلاح الصاروخي في الحرب: هل نحتاج إلى تطوير وسائل قتالية لاعتراض الصواريخ؟

بقلم: "يفتاح شابير"

إن استخدام سلاح الصواريخ ضد أهداف مدنية في إسرائيل هو إحدى المميزات البارزة في الحرب على لبنان. مئات الصواريخ أطلقت من قبل حزب الله باتجاه المستوطنات في شمال إسرائيل. حماس أيضاً تستخدم سلاحاً مشابهاً، على الرغم من أنه أكثر بدائية، فهي تطلقه من قطاع غزة باتجاه المستوطنات المحاذية لغزة. هذا البحث يعالج مزايا سلاح الصواريخ وطبيعة استخدامه والدلالات التي تبين أهمية استخدامه وفرص تطوير وسائل قتالية لاعتراضه.

أفضليات سلاح الصواريخ

يستخدم السلاح الصاروخي في الجيوش النظامية لأغراض خاصة، ولا يشكّل هذا السلاح لأي من الجيوش العمود الفقري عن الدعم المدفعي، لأن الجيوش لا تزال حتى هذه الأيام تعتمد على المدافع المتحركة، لماذا إذن يفضل حزب الله استخدام السلاح الصاروخي؟

أولاً – منصات إطلاق الصواريخ بسيطة للغاية من حيث صناعتها واستخدامها. الصاروخ يطلق عبر أنبوب غير ثقيل، هذا الأنبوب يصنع على شكل ماسورة مدفع خلافاً لقذائف المدفعية غير المرتدة. ولذلك ليس هناك حاجة لمنظومة مركبة لمنع ارتداد الصاروخ عند الإطلاق كما هو الحال لدى المدافع. وبالإمكان تركيب العديد من أنابيب الإطلاق على شاحنة أو على جيب عسكري، وبالإمكان حمل بعض الأنابيب الفردية على ظهور الدواب أو على ظهر جندي.

ثانياً – السلاح الصاروخي يعطي غطاءً نارياً لفترات طويلة أكثر من سلاح

المدفعــية (الــصواريخ غير المتحركة ذات فعالية حتى أنها تصل إلى أكثر من مائة كيلومتــر بشكل عام) فهكذا على سبيل المثال، استخدمت جيوش حلف وارسو صــواريخ من طراز "فروغ 7" إلى مجالات تصل إلى سبعين كلم وحتى أيامنا هذه فــإن بعــض الدول في أوروبا الشرقية وروسيا تنتج صواريخ مثل هذه الصواريخ وبخاصــة صــاروخ من طراز "Smerch" الروسي (مداه 70 كم) وهناك صاروخ صيني من طراز WS-1B يصل مداه إلى 180 كم.

ثالــثاً - الــسلاح الصاروخي يستخدم غطاءً نارياً سريعاً وغزيراً. منصات إطلاق الصواريخ الروسية من طراز Bm1 تستطيع أن تطلق 40 صاروخاً ذات قطر 122 ملــم في أقل من دقيقة. سرية مكونة من 12 منصة إطلاق تستطيع أن تطلق 480 صاروخاً على عدة أهداف في أقل من دقيقة.

رابعاً - السلاح الصاروخي يستخدم لأغراض خاصة، على سبيل المثال، ينتج في العــالم العديد من منظومات الأسلحة التي تضم صواريخ ثقيلة جداً ذات آماد قصيرة جداً تبلغ (1 — 4 كلم) لفرض تفجير حقول الألغام.

مساوئ السلاح الصاروخي

أولاً - يعني، الصواريخ الأقل دقة بشكل عام من قذائف المدفعية.

ثانياً - إنتاج صواريخ ذات مستوى دقة جيدة، يحتاج إلى خبراء متخصصين، وعــندما يدور الحديث عن صواريخ ذات مدى بعيد فإن عمليات الإنتاج معقدة جداً.

ثالــثاً - وهــذه هي أهم مساوئ الصواريخ، إذ إن إطلاق الصاروخ يخلف كميات كبيرة جداً من النار والدخان يكشف سريعاً مكان الإطلاق للعدو. وبناء عليه فإن منصات إطلاق الصواريخ ينبغي عليها إخلاء المكان بالسرعة الممكنة عند انــتهاء عملية الإطلاق، لكن سهولة حركتها تخفّف من هذه المساوئ، وفي حالة حرب العصابات حيث تستخدم عدة أنابيب إطلاق منفردة فبالإمكان نشر العديد مــن منــصات الإطلاق في منطقة واحدة وتوجيهها للهدف وتشغيلها عن بعد أو بوساطة جهاز توقيت وذلك من أجل منع انكشاف المستخدمين لنيران مضادة.

وبهــذا الشكل، تستطيع القوة المهاجمة أن تتحرّك بسرعة وأن تهاجم وتطلق وتهرب إلى أماكن اختفاء أخرى. وهذه الأفضلية غير موجودة لدى سلاح المدفعية حيث من الصعب إخفاؤها إلى جانب صعوبة حركتها.

هل يستحق هذا تطوير وسائل قتالية لاعتراض الصواريخ؟

كما ذكر آنفاً، السلاح الصاروخي ليس دقيق الإصابة (مستوى دقة الإصابة يتراوح بين نسبة 1% - 1.5%) وفي المدى القصير نسبياً فبالإمكان استخدامها ضد أهداف محددة، لكنه في المجالات البعيدة جداً لا حاجة هناك لتوجيهها إلى أهداف محدودة، ومن هنا تنبع الأهداف الحقيقية في الحرب اللبنانية الحالية لسلاح الإرهاب ضد المراكز السكانية.

في الحقيقة إن زعيم حزب الله، حسن نصر الله، حاول الادعاء خلال إحدى تصريحاته بأنه امتنع عن إطلاق صواريخ باتجاه المعامل الكيميائية في خليج حيفا لئلا تتــسبّب بمــذابح جماعية، ولكنه من الواضح أن حزب الله يطلق الصواريخ باتجاه المراكز السكانية. وأيضاً في الجنوب فإن صواريخ (القسام) الخاصة بحماس موجّهة باتجــاه المراكز السكانية. ولأسباب متشابهة، فإن استخدام مثل هذا السلاح حوّله أي الــسلاح الــصاروخي إلى تهديــد استراتيجي لا تستطيع الحكومة الإسرائيلية السكوت عنه.

في الــسنوات الأخيرة، تبذل بعض الجهود من أجل فحص إمكانية اعتراض هذه الصواريخ، وبالأساس نتيجة فكرة اعتراض الصواريخ الباليستية العابرة للقارات، الذي بدأ من منظومة (Sprint) في الولايات المتحدة في الستينيات ومروراً بمنظومة صواريخ (الحيــتس - السهم) الإسرائيلية وانتهاءً بالمنظومات الدفاعية ضد الصواريخ الباليستية التي يتم تطويرها في هذه الأيام في الولايات المتحدة.

لكن اعتراض الصواريخ هو موضوع معقد جداً. أولاً: وقت طيران الصاروخ في الجو قصير جداً - دقيقة - أو اثنتين ولمدى يبلغ 20 - 40 كلم. ثانياً: علو هذه الصواريخ منخفض في العادة ومن زاوية اختراق الرادار فإنها تشكّل أهدافاً صغيرة جــداً بالنسبة لمنظومات الرادارات. ولإشعال المحرك فإن لهذه الصواريخ ميزة جيدة على اعتبار أن محركه يعمل خلال ثوان معدودة فقط وفي أثناء طيرانه فإن الصاروخ

يطـــير دون أن يحـــتاج إلى قوة دفع المحرك. ثالثاً: سواء أتم إطلاقها بشكل عام في عمليات كبيرة فإن اعتراضه يشترط أن يصيب عدداً غير قليل من الصواريخ المطلقة ضمن العلبة الواحدة، وإن كانت للمهاجم قدرة على اختراق المنظومات الدفاعية بعدد كبير من الصواريخ.

بالإضـــافة إلى ذلـــك فمن خلال تحليل اقتصادي موزون، فإن الخسائر التي تتسبّب عن الصواريخ ليست كبيرة، وإن انتشار عدد كبير من الصواريخ في منطقة الهـــدف، من جهة وانتشار الشظايا المتناثرة من هذه الصواريخ في المنطقة المستهدفة مـــن جهـــة أخرى فإنه يؤدي إلى أن معظم الصواريخ التي يتم إطلاقها تسقط في مـــناطق مفـــتوحة دون أن تـــؤدي إلى خـــسائر كبيرة، وأن جزءاً قليلاً من هذه الـــصواريخ يـــصيب مناطق مكتظة ويتسبب في سقوط قتلى وجرحى. مثل هذه الحقيقة عبّرت عن نفسها في شمال البلاد في الأسبوعين الأخيرين. ولكنه في حقيقة الأمـــر لا قـــيمة لـــذلك كله عندما تجد الزعامة السياسية نفسها أمام وضع يقتل ويصاب فيه مواطنها من أسلحة العدو.

مـــثل هذا الأمر يستلزم تنفيذه، عندما ينظر إلى تكلفة تطوير منظومة اعتراض الـــصواريخ، ومـــن خلال تحكم على تكلفة اعتراض صاروخ واحد منفرد. وهذه الاعتـــبارات بالـــضبط استبعدت حتى الآن فكرة تطوير منظومة لاعتراض قذائف المدافـــع علـــى سبيل المثال، شخص لا يعتقد بأن الأمر يستحق أن يسخر مئات ملايين الدولارات في تطوير منظومة من هذا القبيل. ولكنه عندما تطلق الصواريخ علـــى المدن والضغط السياسي يشتدّ على الزعامة السياسية - هذا الاعتبار يظهر بشكل آخر. الاعتبار الرخيص من جراء الأضرار التي يسبّبها صاروخ منفرد واحد يختصر أمام الأضرار التي تصيب السكان المدنيين. من وجهة نظر الزعامة السياسية، فإن جوهر وجود الإمكانية التكنولوجية مهما تكن ضعيفة لاعتراض الصواريخ هو عامل حاسم لأنها تشعر بأنها لا تستطيع أن تصمد أمام الادعاء القائل: "إنكم كنتم تستطيعون لكنكم لم تفعلوا".

هكـــذا، مـــرة أخـــرى يؤثـــر إطلاق الصواريخ على القرارات السياسية والعـــسكرية بـــثقله المالي الكبير، لأنه من هذه الاعتبارات بالضبط بدأت دولة

إسرائيل تنشط بتطوير منظومة اعتراض صواريخ من طراز "نيوطيلوس" منظومة لايــزر كيمائــية هدفها المعلن صد اعتراض صواريخ "الغراد" التي أطلقت على مستوطنات الشمال.

منظومة "النيوطيلوس" لم تتقدم حتى الآن أكثر من كونها منظومة تجارب من العــيار الثقيل وقد أوقف هذا المشروع لاعتبارات اقتصادية، ويبدو أنه في أعقاب الحرب في الشمال تزايدت فرص استثمار المزيد من الموارد المالية في تطوير منظومة أو مــنظومات أخرى معدّة للهدف نفسه. الاعتبار التقني الخالص لا يبرّر مثل هذه الاســتثمارات لكــنه عندما يأخذوا بالحسبان الاعتبارات الأخرى أيضاً والاعتبار السياسي بخاصة تصبح هذه الاستثمارات مشروعة جداً.

الجبهة الداخلية كعامل مركزي
في المواجهة مع حزب الله

بقلم: "مئير الرن"

خـــلال أســـبوعين من استمرار الحرب الثانية في لبنان تظهر الجبهة الداخلية الإسرائيلية كعامل مركزي في المواجهة العسكرية بعد أكثر من ألف صاروخ أطلق من مستوطنات الشمال بوتيرة أكثر من عشرات الصواريخ في اليوم الواحد من أيام الحـــرب، وتظهـــر اســـتراتيجية حزب الله في المواجهة الحالية: إدارة ذكية لحرب استنـــزاف منهجية، أساسها دفاعي يقوم على الاختفاء والمكوث في العمق اللبناني وجنوبه من خلال شن هجمات متواصلة ومستمرة على شمال دولة إسرائيل هدفها إلحاق الضرر بالحياة المدنية في إسرائيل، وفي الأساس، بالاستعانة بسلاح التخويف وتـــشويش روتين الحياة اليومية، فإن قيادة حزب الله تحقّق المفهوم الذي صاغته في السنوات الأخيرة والذي يستند إلى الفرضية القائلة: إن الجبهة الداخلية الإسرائيلية هـــي نقطـــة الضعف في الواقع الإسرائيلي. من هنا، فإن تقويض هذه الجبهة وربما كـــسرها مـــن شأنه أن يحسم موازين المعركة على الرغم من قوة وتفوق إسرائيل العسكري.

في الأســـابيع الأولى مـــن الحرب نجح حزب الله في تحقيق مفهوم للحرب، وبـــذلك عبّـــر عن نفسه، استعداده المتواصل وحرصه الزائد على تجميع الأسلحة وبخاصـــة الأســـلحة بعيدة المدى التي حصل عليها وقدرته أيضاً على إطلاق هذه الصواريخ على نحو متواصل وفي أصعب الظروف من وجهة نظره، وخاصة التفوق الإسرائيلي المطلق. العدد الكبير من الصواريخ التي تمّ إطلاقها باتجاه الجبهة الداخلية الإسرائيلية يعكس جوهر هذه المواجهة الحالية. الحديث يدور عن مواجهة عسكرية ملقاة على عاتق الجبهة الداخلية المدنية الإسرائيلية وهي مهمة مركزية: في أساسها التوســـط الحساس بين مجموعة عوامل أكثر حساسية. ومن غير الممكن أن نتجاهل

هنا التشابه التي وجد لدى الطرفين، ما دامت هناك رنّة في إسرائيل أسوة بلبنان يجد السكان المدنيين أنفسهم معرضين لهجوم متواصل من الخصم وبوسائل قتالية بعيدة المدى، كونها فهمت كعامل من شأنه أن يعبّر عن ضائقة بالنسبة لزعمائهم بقصد الضغط لتغيير مواقفهم السياسية. ولا يتسع المجال هنا لتحليل مستوى الحكمة في التوقعات الإسرائيلية لإنجاز بعض الأهداف في أعقاب الضغط على السكان المدنيين اللبنانيين وبخاصة السكان الشيعة كرافعة وتغيير في مواجهة حزب الله، بالانطباع نفسه في الوضع الفلسطيني، وأيضاً هنا فإن النتائج من شأنها أن تكون عكسية تماماً. حيث تحقق تعزيز وتعميق التعاطف الشعبي الواسع مع حزب الله وزيادة الدعم السياسي له وتعاظمت الكراهية غير المسبوقة لإسرائيل. كذلك فإن الصورة المرسومة في الجبهة الداخلية الإسرائيلية معقدة جداً من جانب، والروتين في أجزاء كبيرة من الجبهة الداخلية الإسرائيلية خرق بشكل مطلق. وحصلت هناك خسائر بالأرواح والممتلكات، وخسائر اقتصادية وبخاصة في الشمال، حيث تركت انعكاساتها المباشرة على الاقتصاد الإسرائيلي عامة بوضوح وبحسب التقارير المختلفة، فإن أعداد الإسرائيليين الذين تركوا بيوتهم تراوحت بين الثلث والنصف على الأقل من مجموع سكان الشمال من المستوطنات وغيرها وبخاصة القريبة من خط المواجهة حيث كانت المستوطنات والبلدات والمدن خالية تماماً وفي حالات كثيرة، من بقوا في بيوتهم هم من الفئات الضعيفة، ككبار السن والمرضى والمعوقين وما إلى ذلك والذين لا يستطيعون العثور على مساكن لهم وسط البلاد. في ظل مثل هذه الظروف، برز تناقض صارخ لروتين الحياة بين المدينة التي تستمر في حياتها الرئيسة الضعيفة وبين المدن والبلدات في الشمال التي تتعرّض للقصف والخسائر.

وعلى الرغم من ذلك، فإن الانطباع العام بأن الجمهور الإسرائيلي وبخاصة في الشمال أظهر قدراً من القوة وقدرة على التحمل وإجماع ودعم سياسي للحكومة ولأهداف الحرب. فإن الاستطلاع الذي أجرته الجبهة الداخلية ونشرته مجلة الجيش "بمعانيه" في التاسع عشر من تموز، أظهر أن 80% من سكان الشمال الذين أجرى بعضهم الاستطلاع يعتقدون بأن على الجيش أن يواصل العملية

العسكرية في لبنان، وفي استطلاع آخر أجراه مركز "داحاف" بإدارة الدكتور "مينا تيسمح"، والذي نشرته "يديعوت أحرنوت" في الثامن عشر من تموز، أشار بأن 86% من المستطلعة آرائهم يعتقدون بأن العملية التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي هي عملية عاديـــة ومبررة وإن نسبة 87% من المستطلعة آرائهم أيضاً راضون عن أداء الجيش وأن نـــسبة 78% راضـــون أيضاً عن إدارة الحكومة. وفي الاستطلاع الذي أجرته الجـــبهة الداخلية أشار إلى أن نسبة 74% من المستطلعة آرائهم من سكان الشمال يفضلون البقاء في أماكن سكناهم. وان نسبة 65% قد أظهروا "حصانة شخصية" بدرجة عالية. والاستطلاع الذي أجراه "رافي سامت" ونشره "جلوبوس" في التاسع عـــشر مـــن تموز أظهر أن نسبة 85% من المستطلعة آرائهم – جميعهم من سكان الـــشمال – يعتقدون بأن الجمهور يظهر قدرة احتمال وصمود معقولين وأن ثلثي من وُجِّهت إليهم الأسئلة يقولون: إنهم يشعرون بالأمان.

علـــى الرغم من هذه المعطيات الجزئية، فإنه من السابق لأوانه قياس مستوى الـــتحمل والمـــناعة التي أظهرها الجمهور الإسرائيلي في أثناء الحرب وفي الأساس مـــواقفه طـــوال الوقت. فمن الواضح أن هناك جهوداً كبيرة بذلت في هذا الإطار ســـواء مـــن قبل التيارات المحلية، أم التيارات الوطنية لخلق صورة إيجابية من الجو الـــشعبي، وفي هذه المرحلة، فإن معظم وسائل الإعلام وبخاصة الإلكترونية خلقت انطباعاً مشابهاً للموقف القومي والدعم للحكومة والجيش.

بالإمكان الإشارة إلى عدة أسباب لضعف المناعة الحالية التي أظهرها الجمهور الإسرائيلي في مواجهة الهجمات الصاروخية.

العامل الأكثر أهمية هو الشعور السائد لدى الجمهور بأن الحديث يدور حول صراع عادل ومبرر ضد عدو خفي. وهو أمر استند إلى حقيقة أن إسرائيل خرجت بـــشكل أحادي الجانب من جميع الأراضي اللبنانية، وأن المعركة الحالية بدأت مع الاستفزازات المقصودة من حزب الله الذي يعتبر أحد أعمدة مثلث الشر الإسلامي – الأصولي الإرهابي الاستطلاعي الذي أجراه الموقع الإلكتروني "START" يعكس إلى درجـــة كبيرة مزاج عدواني وجاء للجمهور الإسرائيلي، بنسبة 73% من هذا الجمهور يؤيد عملية برية واسعة في الجنوب اللبناني. ونسبة 13% من هذا الجمهور

تـــؤيد عملية محدودة، بنسبة 14% تؤيد حصر العمليات العسكرية بالقصف الجوي فقط.

وجود الجيش الإسرائيلي في حرب حقيقية في جبهة واضحة وضد عدد محدد، يـــثير الشعور الوطني لدى الجمهور الإسرائيلي، وميله الطبيعي للتطوع لما سمّي هذه الأيـــام "بمعاقـــبة" الجـــنوب، فهكذا تمّ التعبير عما يوصف بالقاسم المشترك لدى الجمهـــور، عزز ذلك كله بأن حكومة إسرائيل اتخذت موقفاً قوياً وحاسماً أساسه "عدم الخضوع" من خلال استخدام قوة إسرائيل العسكرية بكاملها.

على الأقل حتى الآن – في الأسبوع الثاني للحرب – فإن الخسائر البشرية مـــن جانبنا غير كبيرة وإن سقوط الصواريخ المتواصل لا يسبّب أضراراً كبيرة مباشرة.

تولد شعور في هذه المرة بأن ترك البيوت المهاجمة في مستوطنات الشمال أمر مفهـــوم ومـــشروع خلافاً لحالات مشابهة في الماضي، فلا ينظر إلى أولئك الذين يتـــركون بيوتهم على أنهم "هاربون" وإنما يصرّون على موقف عقلاني، استطلاع أجـــراه موقـــع الإنترنت الخاص بـــ (MSN) والذي شمل نحو 1400 شخص من ســـكان مـــستوطنات الـــشمال، أظهر بأن نسبة 95% من بين المستطلعة آرائهم يعـــتقدون بأنه يجب تفهم موقف هؤلاء الذين يتركون بيوتهم بسبب قصف حزب الله، وقد عبّر عن ذلك بشكل صادق عضو الكنيست البروفسور "شلومو بيرزيس" المختص بالظروف الضاغطة في لقاء له مع "هآرتس" (في 20 تموز) بقوله: "يجب أن نتوخـــى الحـــذر بـــشكل كـــبير عندما نتحدث بأنه يجب على هؤلاء عدم ترك مـــنازلهم...فإذا سكن شخص ما في منطقة تتعرّض للتهديد ويستطيع وبجهد قليل الانـــتقال إلى مكان آخر في الجبهة الداخلية، فإن هذا عملاً منطقياً ومعقولاً ويجب ألا يفـــرض علـــى كل من يترك بيته مقاطعة اجتماعية... بل على العكس يجب تشجيع ذلك".

إن مـــا ظهـــر يشير إلى أن الشعور الحالي للمناعة القومية الموضوعية بدرجة كـــبيرة وربما فإنها متأرجحة إن لم يكن مستغل، فمن شأنه أن تخلي مكانها بسرعة نـــسبية ومع تغيير جزئي للظروف إلى شعور بالأسى وخيبة الأمل والإحباط، وفي

أعقـــاب ذلـــك فهـــناك انتقادات حادة ومعارضة جامحة وهنا يتداخل الجمهور العـــسكري وبقدر كبير مع الحلبة الداخلية. النجاحات الواضحة في ميدان المعارك العسكرية. وبخاصة إذا لم تتزايد أحجام الخسائر البشرية بشكل ملحوظ فإن ذلك يلقـــي بظلالـــه على المناعة القومية الداخلية، وإن غياب تلك العوامل من شأنه أن ينعكس بطريقة معكوسة.

مـــا من شك إن القيادة الإسرائيلية تعرف جيداً هذه الإشكالية، ومن هنا تـــبرز الحاجـــة لتحقيق نجاحات واضحة وسريعة في ميدان المعارك العسكرية، والحاجـــة الماسة لإحداث انخفاض ملموس في حجم الهجمات الصاروخية على الجبهة الداخلية. من هذه الزاوية، الزمن لم يكن يعمل لصالحنا هدف حزب الله بـــشنّ حـــرب استنـــزاف مستمرة خلقت نقيضها في إسرائيل، فبدأت ساعة الـــتوقف عن القتال تدق. لكن هذا الانطباع كان عكسياً بالنسبة للرأي العام العالمي حيث تظهر الولايات المتحدة دعماً غير محدود لإسرائيل وبخاصة في مجال اســـتمرار القـــتال. لكـــنه على الرغم ذلك، فإن الساعة تزداد دقاتها في الحلبة الداخلية لا سيما عندما بدأت تظهر علائم الضعف والتعب على الجيش والجبهة الداخلية الإسرائيلية، ولا سيما إلى جانب الانتقادات والسجال الشعبي الذي بدأ يملأ الصحافة المكتوبة.

حكـــومة إســـرائيل تستطيع أن تفعل أكثر مما فعلته حتى الآن لتعزيز وتقوية الجـــبهة الداخلـــية، ومـــن الواضـــح أن الأصل والقاعدة في ذلك هو الإنجازات العـــسكرية، وفي الأساس، إذا ما ترافقت مع تحقيق تسوية سياسية مناسبة قد تخلق فرصة للهدوء على المدى البعيد في الجبهة الشمالية.

الحكـــومة تستطيع ويجب أن تركّز جهوداً كبيرة لمواجهة الضائقة التي يعيشها سكان الشمال، وهنا تبرز الحاجة لبذل جهدين قويين موازيين: عسكري، بمسؤولية الجيش الإسرائيلي ومدني بمسؤولية جهود رسمية رفيعة المستوى تكون مسؤولة عن إدارة المعركة الداخلية لتعزيز الجبهة الداخلية.

في إطـــار هـــذا الجهـــد، هناك حاجة إلى تحسين المنظومات الدفاعية المدنية، وبخاصة لدى القطاع الغربي من خلال تعزيز المنظومات الاجتماعية – النفسية لدى

الـــتجمعات السكانية التي أصيبت خلال الحرب وتنفيذ خطة مادية محددة بخاصة الذين ألحقت بهم أضرار وفي مجالات مختلفة، وإحداث قانون لتعويض الذين ألحقت بهـــم خـــسائر، وتعزيز وتقوية منظومات المجالس البلدية التي تعتمد على الخدمة في مجـــال الفـــرد، ففـــي حالات سابقة أثبتت العلاقة المباشرة نفسها بسبب اهتمام الأجهـــزة بحاجات الفرد يبين المناعة الشعبية، ويبدو أن ذلك يظهر ثانية بأنه عامل حـــيوي وحاسم في تحقيق النجاحات في المواجهة الحالية، المناعة القوية هي بالفعل مـــصطلح مبسط، ولكن وضع الإمكانات في سبيل بنائه يجب أن تكون ملموسة ومحسومة.

من دروس وعبر الحرب،
ضرورة إقامة حلف دفاعي إقليمي

بقلم: "زكي شالوم"

في الـــسنوات التي أعقبت حرب سيناء عام 1956، بادرت إسرائيل إلى إقامة حلــف إقليمـــي، ضـــم ذلك الحلف بالإضافة إلى إسرائيل كل من تركيا وإيران والمغرب وأثيوبيا. فقد كان العامل المشترك لكل هذه الدول يكمن في مخاوفها من زيـــادة وقـــوة نفوذ الزعيم المصري جمال عبد الناصر، فقد أدركت كل من هذه الـــدول بأن من الصعب أن تقوم بمفردها بمواجهة المد الناصري المتعاظم وأن فرص الـــنجاح في الصراع هذه تكمن في زيادة فرص التعاون والتنسيق بين بعضها. ذلك الحلف الإقليمي لم يكن حلفاً رسمياً، فقد استند إلى تفاهم سياسي واستراتيجي بعيد المدى وتعاون عسكري استخباراتي وطيد.

انقضت سنوات كثيرة منذ أن أنشئ ذلك الحلف، وقد مرّ جزء كبير من هذه الدول بتحولات دراماتيكية كبيرة فالناصرية التي واكبت الخمسينيات والستينيات استبدلت بالإسلام الراديكالي وحلّت إيران محل مصر.

وحـــلّ محل عبد الناصر أحمدي نجاد. وعلى الرغم من هذه المقارنة فإنه يجب الاعتـــراف ودون تـــردد بـــأن حجـــم التهديد القائم الذي تمثّله إيران والإسلام الراديكالي اليوم على العلاقات الدولية عامة والشرق الأوسط بخاصة أكبر بعشرات المـــرات من التهديد الذي شكّلته الناصرية محصوراً في منطقة الشرق الأوسط. فيما عـــبر الإسلام الراديكالي بأذرعته إلى جميع المعمورة غير أنه وبعيداً عن ذلك كله، فإن الإسلام الراديكالي يملك اليوم قدرة على الفعل ضد قوى عظمى غربية بشكل عـــام وضـــد دول الشرق الأوسط على نحو خاص، هذه القدرات لم تكن تملكها الناصـــرية وهـــي في أوج عظمتها، الحديث يدور حول سلاح الإرهاب، وبخاصة سلاح – الاستشهاديين – الانتحاريين. وكذلك استخدام أسلحة الدمار الشامل.

الحـــرب اللبنانـــية الأخـــيرة لعام 2006، أماطت اللثام وكشفت أمام أعيننا وبـــشكل مـــؤلم وفظيع، وبأبعاد كبيرة نسبياً، الأخطاء الكبيرة التي تشكّلها إيران والإسلام الراديكالي بالنسبة للغرب ودول الشرق الأوسط ودولة إسرائيل. فالحقيقة أنـــه بعد أيام طويلة من العمليات العسكرية المكثفة والعمليات البرية المحدودة التي يقـــوم بهـــا الجيش الإسرائيلي في لبنان، لا تزال صواريخ الكاتيوشا تتساقط دون توقـــف على مستوطنات الشمال وفي العمق الإسرائيلي أيضاً. هذا الأمر ينبغي أن يـــشكل ضـــوءاً أحمـــراً وقد جرى إنذار خطير على مدى تزايد قوة ونفوذ إيران الإقليمـــي، فإيران النووية لا تشكّل تهديداً خطيراً على إسرائيل فحسب وإنما على مـــنطقة الشرق الأوسط برمتها وعلى الدول الكبرى في الغرب كذلك، والسؤال الـــذي يطرح نفسه الآن: كيف يمكن لهذه الأطراف أن تستعدّ لمواجهة هذا الخطر المحدق بها جميعاً؟

أنـــا أعتقد أن الظروف القائمة حالياً تتطلب السير باتجاه إقامة حلف دفاعي إقليمي واسع باشتراك الدول الكبرى في الغرب وبالأخص الولايات المتحدة ويضم هـــذا الحلـــف أيـــضاً، إسرائيل، تركيا، السعودية، مصر، الأردن، دول الخليج، الولايات المتحدة، بريطانيا، ويجب أن يكون مثل هذا الحلف رسمياً، وأن أية وثيقة مكتوبة لن تشهد على إقامة هذا الحلف، لسبب بسيط لأن أطراف هذا الحلف لا تستطيع أن تعيش إلى جانب بعضها إلا في إطار حلف رسمي، فغالبية هذه الأطراف تفضل تعاوناً عسكرياً استراتيجياً وطيداً بعيداً عن الأضواء.

فرضـــيتان أساســـيتان يجـــب أن تكونا مقبولتين بالنسبة لأعضاء الحلف الإقليمي الجديد. الفرضية الأولى: إن إيران والإسلام الراديكالي يشكّلان خطراً وجـــودياً علـــى كـــل واحدة من هذا الحلف، وإن إطار تعاون استراتيجي - عـــسكري فقط بينها يمكن أن يواجه هذا التهديد. فصورة الوضع الراهن تشير إلى أن كـــل دولـــة مـــن هـــذه الدول تشعر بالفعل تقدر بأن إيران والإسلام الراديكالي يشكّلان خطراً وجودياً.

مـــثل هذا الوضع يجب ألا يستمر وأنه بهذا الوضع يمكن أن تتخلص من كل تهديد وتصل إلى هدفها بالحصول على أسلحة نووية قريباً جداً. فجميع هذه الدول

ينبغي لها أن تعترف بحقيقة أنها جميعاً موجودة في قارب واحد وتتعرّض للتهديد نفسه. فعلى الرغم من أن إيران تركّز تهديداتها لأسباب معروفة باتجاه دولة إسرائيل فإن هذا التهديد سيواجه في نهاية الأمر كل واحد من أعضاء هذا الحلف.

بعيداً عن ذلك، ومن غير المرجح أن تبادر إيران إلى افتعال مواجهة مع إحدى دول هذا الحلف وليس مع إسرائيل، وذلك من خلال معرفة إيران بأن الرد الإسرائيلي سيكون شاملاً في حال تعرضها لهجوم إيراني، على أي حال فإن جميع هذه الدول الأعضاء في الحلف يجب أن تدرك بأن سقوط أي منها سيخلق تهديداً مباشراً على كل منها أيضاً وتقترب من نهايتها، وبذلك فإن هذه الدول ملزمة بالتعاون فيما بينها من أجل إبعاد التهديد.

الفرضية الأخرى: ينبغي أن تكون مقبولة أيضاً بالنسبة لأعضاء الحلف، وهي أن مسألة تسوية الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني من شأنها أن تقوض من استقرار الحلف حيال حقيقة جمود العملية السياسية مع الفلسطينيين باعتبارها ليست خياراً واقعياً في الظروف الراهنة، ومن جانب آخر فإن السير باتجاه التسوية الدائمة بين إسرائيل والفلسطينيين. هذه التسوية ستؤدي إلى هدوء نسبي على المدى البعيد على قاعدة تأجيل البت بالموضوعات الحساسة المختلفة عليها لأي أمر بعيد، وإذا ما تمّ تحقيق مثل هذا الخيار فمن الأفضل العمل على إيجاد تسوية سياسية ذات دفع متخصص ومتدرج من خلال الامتناع عن اتخاذ خطوات دراماتيكية وهي الفرضية الأساس، التي ينبغي لأعضاء هذا الحلف الاستناد إليها إذن، فإن جميع جهود العالم يجب أن تتركّز في مواجهة التهديد الإيراني والإسلام الراديكالي على قاعدة الإيمان بأن النصر على هذا التهديد سيحقق شروطاً سهلة جداً لتسوية دائمة إسرائيلية فلسطينية وفي تقديري، فإن حلفاً من هذا القبيل، وتحت الوصاية الأميركية، باستطاعته أن يقيم خطاً دفاعياً يكبح جماح إيران والإسلام الراديكالي، وإذا لم يتحقّق مثل هذا الحلف في القريب العاجل فإن دولاً كثيرة في الشرق الأوسط والمجتمع الدولي كذلك ستجد نفسها أمام تهديد من المشكوك فيه إذا كان باستطاعتها مواجهتها بمفردها.

خسائر الاقتصاد الإسرائيلي
تصل إلى 110 ملايين دولار يومياً

المشهد الإسرائيلي 2006/7/27

شـــهدت الأيـــام الأخيرة في إسرائيل حالة تخبّط كبيرة في تقديرات الخسائر الاقتصادية جراء الحرب العدوانية الجارية على لبنان، فوزير المالية أبراهام هيرشزون ورئـــيس الحكومة إيهود أولمرت اكتفيا بالحديث عن حصانة الاقتصاد الإسرائيلي والقـــدرة على تغطية تكاليف الحرب بعد أربعة أيام من نشوبها، إلا أن تصريحات مشابهة لم تعد تظهر على السطح.

فقد ذكرت أوساط اقتصادية خبيرة أن الخسائر الإجمالية للاقتصاد الإسرائيلي تتراوح ما بين 90 مليون إلى 110 ملايين دولار يومياً، عدا عن معدّل صرف يومي بقـــيمة 15 ملـــيون دولار على العدوان العسكري، وفيما تبدي أوساط اقتصادية تفـــاؤلاً من قدرة الاقتصاد الإسرائيلي على استيعاب الخسائر دون أية هزات، نقل مراســـلون اقتصاديون عن خبراء قولهم "على الرغم من هذا، ورغم التفاؤل النسبي الـــذي يـــسود السوق الآن بأن الحرب ستنتهي سريعاً، فليس من الممكن تجاهل التخوف من الانهيار الاقتصادي، الذي قد يمس بالنمو الاقتصادي فيضطر أصحاب رؤوس الأموال إلى إخراج أموالهم من إسرائيل".

الاقتصاد قبل وقوع الحرب

قـــبل أيـــام من شن إسرائيل الحرب على لبنان أعلنت الأوساط الاقتصادية، بشكل احتفالي، أن النمو الاقتصادي في الربع الأول من العام الجاري 2007 بلغ 6 %، لـــيفوق كـــل التوقعات، إضافة إلى أن سعر صرف الشيكل شهد ارتفاعاً في أواخـــر الحملـــة الانتخابـــية وحتى تشكيل الحكومة الإسرائيلية، وبعد أن تبين أن الـــرئيس السابق لاتحاد النقابات، عمير بيرتس، لن يتولى وزارة المالية، فقد عاد إلى

سعره المتداول في العامين الأخيرين، في حدود 4,4 شيكل للدولار.

كانت الحكومة قد أعلنت أن ميزانية العام الماضي انتهت بفائض مالي من دون عجز، وهذا أيضاً خلافاً للتوقعات، كما أصبح هناك فائض في الخزينة من جباية الضرائب، الأمر الذي ساعد الحكومة على تخفيض ضريبة القيمة المضافة للمشتريات من 16,5% إلى 15,5%، ويجري الحديث عن تخفيض إضافي بنسبة 1% في العام القادم 2007، كذلك فقد شهد سوق العمل استقراراً معيّناً بنسبة البطالة، في حدود 8,9%، رغم أن الواقع الميداني، وهو موضوع آخر، يؤكد أن هذه النسبة ليست دقيقة، ولكن على الأقل هناك حالة استقرار في البطالة لا ترتفع.

من بين المعطيات التي تشير إلى قفزة في الاقتصاد الإسرائيلي ارتفاع معدل الرواتب (غير الصافية) في إسرائيل من 7100 شيكل (1580 دولار) في مطلع العام الماضي 2004، إلى حوالى 7500 شيكل (1668 دولارا) في شهر أيار الماضي، وارتفع عدد السياح في العام الماضي 2005 إلى قرابة 2,5 مليون سائح، وتوقع وصوله إلى ثلاثة ملايين سائح في العام الجاري 2006، بعد انهيار السياحة في الأعوام 2001 إلى 2004.

أما من حيث التضخم المالي، فإن النشاط الاقتصادي المتزايد في العامين الأخيرين، عكس نفسه أيضاً على نسب التضخم، فبعد سنوات من الركود، الذي جعل التضخم المالي يلامس نسبة صفر بالمائة، فإنه في النصف الأول من العام الجاري بلغ التضخم نسبة 1,6%، في حين أن السقف الذي وضعته الحكومة للتضخم في هذا العام يتراوح ما بين 1% إلى 3%. وتقول دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية إن التضخم المالي في النصف الثاني من العام الماضي 2005، والنصف الأول من العام الجاري 2006 (الأشهر الـ 12 الأخيرة) بلغ 3,5%، ولكن حتى الآن يقدر خبراء أن مجمل التضخم في العام الجاري لن يتجاوز السقف الذي وضعته الحكومة.

على ما يبدو فإن هذه المعطيات دفعت بوزير المالية، أبراهام هيرشزون، لأن يقول بعد أربعة أيام من بدء العدوان على لبنان، "يجب أن لا تتملكنا حالة الفزع (على الصعيد الاقتصادي) وإنما التعامل بحساسية ومسؤولية وحذر، إن إسرائيل

ثابتة وقوية اقتصادياً، وإن انخفاض البورصة في اليوم الأول (للحرب) بنسبة 8%، كان رد فعل طبيعي، ويجب السماح لها بالعمل بحرية من دون تدخل".

تقديرات متناقضة للخسائر

كان واضحا أن القلق الإسرائيلي بدأ منذ اليومين الأولين من الخسائر الاقتصادية، وظهور وزير المالية هيرشزون، وحتى رئيس الحكومة أولمرت، ليتحدثا بسرعة عن حصانة الاقتصاد الإسرائيلي، إنما يؤكد أن قادة الحكومة قرروا منذ اللحظة الأولى أنهم أمام حرب أسابيع وليس ساعات أو أيام، وتبعت هذه التصريحات تقديرات مختلفة، ففي حين قالت مؤسسات اقتصادية إن خسائر الاقتصاد الإسرائيلي يومياً تصل إلى 500 مليون شيكل (110 ملايين دولار)، فإن اتحاد الصناعيين سارع للإعلان عن أن خسائر الاقتصاد في مصانع الشمال وحدها، يومياً، تتراوح ما بين 300 مليون إلى 400 مليون شيكل (من 68 مليون إلى 90 مليون دولار)، وهذه تقديرات مبنية على إحصائيات تقول إن 90% من المرافق الاقتصادية من مصانع وأماكن عمل مختلفة، في أقصى شمال إسرائيل (منطقة كريات شمونة الحدودية) مغلقة، وتنخفض هذه النسبة إلى منطقة الشاغور في أسفل الجليل الأوسط (منطقة كرميئيل) إلى 80%، ولكن الأهم من كل هذا هو أن نسبة إغلاق المصانع في منطقة حيفا، بلغت حتى نهاية الأسبوع الماضي 45%، وهي المنطقة الصناعية الأضخم في إسرائيل، وتدعي الإحصائيات أيضاً أن عدد المصانع والمشاغل ومختلف أماكن العمل التي تشهد إغلاقاً أو عملاً جزئياً في منطقة الشمال بلغ 1260 مكان عمل، وأن ضرر إغلاق مصانع أقصى شمال إسرائيل يتراوح ما بين 20 مليون إلى 50 مليون شيكل (من أربعة ملايين إلى 11 مليون دولار)، وهذا كله، قبل بدء الحديث عن احتمال إغلاق مصنع تكرير البترول الأكبر في إسرائيل، في خليج حيفا، الذي قد يصبح العمل فيه في الحد الأدنى.

يذكر هنا أن الخسائر تعني خسائر النشاط الاقتصادي وتأجيل اتفاقيات إنتاج، أو حتى إلغائها، وتلف مزروعات قبل قطفها وتسويقها وغيرها.

ويقـــول خـــبراء في بـــنك "ميرل لينتش" للتوظيفات المالية إنه حتى الآن من الـــصعب تقدير كيفية انتهاء الصراع بين إسرائيل وحزب الله، وكيف سيؤثر هذا على الاقتصاد. ويقول أحد المسؤولين والخبراء في البنك، يسرائيل ممريل، إنه "على المدى القصير فإن الحرب تخلق على الأرض واقعاً يسمح بتحقيق أرباح في السوق، ولكـــن على المدى البعيد فقد تزيد من هشاشة السوق"، ويقدر هذا المسؤول أنه حتى الآن فإن الاقتصاد الإسرائيلي لم يتضرر.

أمـــا شـــركة المعلومات الاقتصادية "دان أند بردستريت"، فقد توقعت أن يتكبد الاقتصاد الإسرائيلي خسائر يومية بقيمة نصف مليار شيكل (110 ملايين دولار)، بما في ذلك التكلفة العسكرية. وتعتمد الشركة في تقديراتها على إغلاق المـــصانع، خاصة في منطقة الشمال، والتعويضات عن الخسائر المباشرة، وأجور العاملين الذين لا يعملون وغير ذلك، إلا أن الشركة ذاتها تؤكد أنه على الرغم مـــن هذه الخسائر فإنه لا خوف على الاقتصاد الإسرائيلي نظراً لقوته وحصانته "الـــتي تعتـــبر من الأقوى في العالم الغربي" في هذه المرحلة، وتتوقع الشركة أن تـــؤدي الحرب إلى تراجع طفيف في النمو الاقتصادي، الذي هو أصلاً عال في هذا العام، والتقديرات تشير إلى أن النمو سيكون 4,5% بدلاً من 4,7%، وهذا بـــشرط أن يكـــون زمن الحرب قصيراً، وأن يعود الاقتصاد بسرعة إلى وتيرته السابقة، بمعنى أن إطالة فترة الحرب ستخفّض التقديرات بدرجة أكبر، كما أن دائـــرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية أعلنت أن النمو الاقتصادي في الربع الأول من العام الجاري كان 6%.

ويقـــول خـــبراء بنك ليئومي إنه حتى الآن من الصعب وضع تقديرات لتأثير العملـــيات العسكرية الإسرائيلية على الاقتصاد، ولكن حتى الآن أصبح واضحاً أن هـــناك ضـــرراً اقتصادياً في الشمال خاصة في قطاع الصناعة، وقطاعات التجارة والسياحة والزراعة، كذلك يقدر خبراء "ليئومي" أن العجز في الموازنة العامة للعام الجاري سيزداد، على ضوء زيادة الصرف على الجيش.

يـــتوقع خبراء ليئومي أن يتأثر التضخم المالي في الأسابيع القادمة من ارتفاع أسعار البيوت والنفط والوقود نتيجة التغيرات في سعر صرف الشيكل أمام الدولار،

رغم أنه حتى اليومين الماضيين لم يسجل ارتفاعاً خارقاً، ولكن استمرار الحرب قد يعكـــس نفسه على قيمة الشيكل أمام الدولار والعملات الأجنبية، فبعد أربعة أيام مـــن الحرب سجل سعر الصرف ارتفاعاً بنسبة 3%، ولكنه سرعان ما تراجع إلى دون ذلـــك. وقـــال خبراء اقتصاديون إن قيمة الشيكل لم تنخفض بسبب الحرب فقط، وإنما أيضاً بفعل ارتفاع قيمة الدولار في العالم في تلك الأيام، وبعد أسبوعين من الحرب، استمر سعر صرف الشيكل أمام الدولار في تراوح ما بين 4,4 إلى 55, 4 شـــيكل للـــدولار، ويقدر خبراء أن أصحاب رؤوس الأموال، الأجانب منهم خاصـــة، يسودهم الاعتقاد أنهم أمام حرب قصيرة، وأن لا حاجة مرحلياً لسحب إيـــداعاتهم وتوظيفها خارج إسرائيل بسبب "بضعة أيام"، في اقتصاد كل المؤشرات (حالياً) تقول إنه يشهد حالة نهوض جدية.

ويقول الخبير الاقتصادي عيران بيسون، في شركة التوظيفات المالية "غيفت"، أن أقـــصى مـــا يمكن أن يصل إليه سعر صرف الدولار في هذه المرحلة هو 4,65 شيكل للدولار، أي ارتفاع بنسبة 4% عن سعره قبل نشوب الحرب.

من يسدّد هذه الخسائر؟

أعلن رئيس الحكومة أولمرت، ووزير المالية هيرشزون، أن تمويل الحرب سيتم من احتياطي الميزانية في العامين الجاري والقادم، بحيث سيصرف 600 مليون شيكل (132 مليون دولار) من احتياطي هذا العام، و222 مليون دولار من احتياطي العام القادم 2007.

إلا أن هـــذا المبلغ من الصعب أن يغطي الكلفتين العسكرية والاقتصادية، التي نسمعها حتى الآن، فعلى الصعيد العسكري يجري الحديث عن معدل يومي بقـــيمة 15 ملـــيون دولار (يعـــني خلال أسبوعين 210 ملايين دولار)، ولكن الخـــسائر الاقتصادية التي أعلنت الحكومة أنها ستتكفل بها ليست معروفة بعد، وقد تحتاج إلى مبلغ لا أقل، ونحن الآن نتكلم عن أسبوعين، في حين أن الجيش يـــتكلم عن أسابيع طويلة للحرب، ما يعني أن التكلفة ستزداد إلى حد لا يمكن لاحتياطي الميزانية العامة تحمله.

حتى الآن لم تطرق إسرائيل أبواب الخزانة الأميركية، لكن الولايات المتحدة تظهر كمساندة لاستمرار الحرب، وترتفع أصوات في إسرائيل، مثل النائبة من حركة ميرتس زهافا غالئون، وحتى الصحافية سيما كدمون، في يديعوت أحرنوت، وغيرهما الكثيرون، تقول إن هذه الحرب تخدم مصالح أميركية.

ولا يستبعد مراقبون أن يتوجه قادة إسرائيل قريباً إلى الولايات المتحدة قائلين: "نشكركم على دعمكم ومساندتكم لعدم وقف الحرب سريعاً، لكن كل هذا الدعم المعنوي يحتاج إلى ترجمة عملية في الخزانة الإسرائيلية".

ماذا جرى لأكبر وأقوى جيش في المنطقة؟

بقلم: أمير أورن
هآرتس - 2006/8/1

صديق شخصي مقرب من الرئيس جورج بوش، ومتبرع شخصي للحزب الجمهوري، هاتف هذا الأسبوع صديقه الإسرائيلي، وهو ضابط كبير في الجيش الإسرائيلي: "ماذا جرى لكم؟ سأله غاضباً ومحبطاً". أفضل جيش في المنطقة، وأجد أفضل الجيوش في العالم ينشغل طوال ثلاثة أسابيع من تنظيم إرهابي على مسافة ثلاثة كيلومترات عن الحدود الشمالية فقط، والصواريخ مستمرة في الانهمار على المراكز السكانية. لقد أرسلنا جيشنا إلى أبعد من ستة آلاف ميل بعيداً عن الوطن بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، ولكن ماذا جرى لكم أيها الإسرائيليون؟ وماذا يوقفكم عن التقدم شمالاً في الأراضي اللبنانية؟

الجواب على هذه الأسئلة الكبيرة هو المفاجأة الكبرى، أو المفاجأة الحقيقية، أي المفاجأة السياسية وليست الاستخباراتية الخاصة بالمعركة في الشمال، وليس الضوء الأحمر الأميركي، ليس الضوء القاتم الذي يتراقص، وليس مجرد الضوء الأخضر، وإنما الصافرات القوية لسيارات الإطفاء التي تتقاطر الواحدة تلو الأخرى على جميع مفترقات شمال البلاد. الشرطي الدولي يجند إسرائيل ويحولها إلى شرطي إقليمي يحاول الالتفاف على الحكومة اللبنانية لتنفيذ القرار 1559 وتفكيك أسلحة حزب الله.

مصدرا قوة أثّرا على جميع حروب إسرائيل: الوقت وأميركا، وكلاهما واحد. الوقت دائماً يضغط باتجاه الهجوم والوصول بعيداً إلى داخل الأراضي العربية قبل أن يدرك العالم حقيقة ما يجري، لأنه في اللحظة التي يدرك فيها ذلك، فإن مجلس الأمن يجتمع ويجبر إسرائيل على التوقف والعودة من حيث أتت. لم ينقصها أسباب في

الـــرغبة لتقـــصير أمد الحرب، وتقليص الخسائر والتخفيف من الأعباء الاقتصادية، وإنهاء الحرب ولا يزال الاحتياط الاقتصادي كافياً لتجديد النمو الاقتصادي سريعاً، لكـــن الأوامر العليا هي الركض والعدو إلى أبعد حد قبل أن يرفع البيت الأبيض الراية السوداء.

هـــذه المرة، وللعجب العجاب، وبالذات، من السهل على إدارة واشنطن بأن تجعـــل محميـــتها الإســـرائيلية محمية أميركية أخرى، وأن لا تضربها فحسب، وإنما تنــــزل بهـــا ضربات قاتلة. ولكن الفارق كما هو معلوم هو هوية العدو، إيران الخمينـــية وليـــست روسيا الشيوعية. حسن نصر الله، يمثل الوكيل اللبناني للحرس الـــثوري الإيراني، وهو الذراع المتقدمة والطويلة لطهران، نصره يمثل نصراً لإيران وهزيمته هزيمة لها. فليس الغزو الإسرائيلي ودخول الجيش الإسرائيلي إلى لبنان عام *1982 هـــو الذي أدى إلى نشوء حزب الله، وإنما الثورة الخمينية عام 1979، ودور* الرئيس جيمي كارتر في سقوط شاه إيران ونظامه الفاسد هو الذي أسهم في بروز هذه الطامة الكبرى، إسرائيل في نظر حزب الله هي ألد أعداء الإسلام، فالعمليات القاسية والكبيرة التي قام بها حزب الله عشية الإعلان عن قيامه كانت ضد القوات الأميركية والفرنسية. فالحرب التي يخوضها حزب الله ضد إسرائيل هي حرب دينية مقدسة، لا هوادة فيها ولا حلول وسط.

هذه الحرب في نظر حزب الله، تجعل من الشيعة أفضل المحاربين الذين يملكون الاستعداد للتضحية والقتال في سبيل الله. فقد صدق العميد إسحاق جرشون الذي خـــاض معركة قاسية مع مقاتلي حزب الله عام 1988 عندما قال لرفاقه بعد هذه المعركة: "هؤلاء ليسوا فلسطينيين، إنهم محاربون قساة... فهم يحاربون بضراوة دون طائـــرات أو دبابات ومن الصعب جداً هزيمتهم، وعندما انتشر الجيش الإسرائيلي وكذلك جيش لبنان الجنوبي في القطاع الأمني، كان من الصعب عليهم أن يخرجوا مقاتلي حزب الله من معاقلهم التي استحكموا فيها".

الانسحاب الأحادي من لبنان في عام 2000، دون إجراءات أو منظومات تمـــنع تعاظم قوة حزب الله، لأنه حوّل قرار الحرب إلى مسألة إيرانية وسورية، وبتنفـــيذ من قبل حزب الله. مصادر عسكرية إسرائيلية أخطأت التقدير عندما

اعتقدت أن خروج سوريا من لبنان قد أضعف حزب الله أو على الأقل أثّر على قدراته التسليحية والقتالية. ففي السنوات الأخيرة شعر كبار ضباط الجيش الإسرائيلي بالفزع من الصورة التي ظهروا بها جراء عرض حزب الله وكأنه حزب قوي وقاس لا يمكن هزيمته. فهم الآن يشعرون بالأسف لأنهم لم يتمسكوا بهذا العرض. وبهدف الدفاع عن أنفسهم فإنهم بدأوا الآن يعترفوا بأهمية حزب الله لأن الظروف منعت توجيه ضربة وقائية له عشية الحرب الأميركية على العراق، وخلال الأحداث التي أعقبت مقتل الحريري في لبنان وفي الوقت الذي طُرد فيه السوريون من لبنان.

وكذلك الأمر، فقد أخطأ نصر الله حسبما تقول مصادر في الجيش الإسرائيلي هذا الأسبوع. فالإيرانيون الذين شعروا بكامل الرضا جراء تحدي حزب الله لإسرائيل *باتوا يخشون الآن من ردة فعل إسرائيلية عنيفة تستهدف إيران،* **معتمدة** على وجود القوات الأميركية في العراق ويقدرون في هيئة الأركان في الجيش الإسرائيلي، بأن مكانة حزب الله في طهران قد تضعضعت جراء شعور الإيرانيين بالمخاطر الأميركية والإسرائيلية المحدقة بهم.

لا يتوقف الأمر عند حزب الله ولا عند المواقف الإيرانية، ففي جميع الحروب كانت هناك خلافات ونقاط ضعف لدى المستويات القيادية العليا، رؤساء الحكومات، وزراء الدفاع، رئيس الأركان، قادة الأسلحة وقادة الجبهات. والجمهور لم يعرف هذه الخلافات، فقد عرف فيما بعد حول الخلافات بين بن غوريون وإسرائيل جاليلي في حرب عام 1948، وحول الخلافات بين غوريون المريض وبين موشيه ديان في حرب عام 1956، وعن انهيار إسحق رابين في حرب عام 1967، وعن حرب الجنرالات في القيادة الجنوبية في حرب عام 1973 وينطبق نفس الشيء على حرب عام 1982 في لبنان. الآن كل شيء مكشوف، وعلى الرغم من ضبط النفس فإن الحديث يدور عن صراع مرير وخلاف شديد في قمة الهرم القيادي السياسي والعسكري. وفي مركز هذا الخلاف، يتم التركيز على قيادة الجبهة الشمالية، ففي السنوات الأخيرة، ضاعف الجيش الإسرائيلي من مكانة ودور قادة الجبهات والقادة الميدانيين في أرض المعركة. هذا الميل بدأ لدى شاؤول موفاز

رئـيس الأركـان السابق. وزاد هذا الميل في عهد موشيه يعلون ووصل إلى ذروته الآن في فتـرة دان حلوتس إلى أن اصطدم هذا الميل بالواقع. هيئة الأركان العامة، كـان من المفترض أن تنشغل بالاستعداد للمعركة والاستعداد أيضاً للأيام المقبلة. ولكن القرارات السريعة التي يحتفظ فيها قادة الجبهات لها دلالات استراتيجية عندما تكـون نـتائج هذه القرارات مكلفة جداً على صعيد الخسائر البشرية ومن حيث تأثيرهـا على الروح المعنوية للجمهور، مثل سقوط صواريخ الكاتيوشا عليه وعدم توقف هذا السقوط. وعندما تصدر هيئة الأركان تعليماتها بتوسيع قوة النار وزيادة حجمهـا قبل الالتحام المباشر مع مقاتلي حزب الله لذلك ينبغي أن تكون الأوامر المعطاة للجيش سواء من قبل هيئة الأركان أو قيادة الجبهة الشمالية واحدة.

قـادة الجبهة الشمالية السابقون يمتلكون نفس الخلفية، وهم جميعاً خدموا في الجيش وتدرب معظمهم في الجبهة الشمالية. "بيني جنيس" خدم هناك كقائد للواء المظـلات "شـدليج" في إطـار الفـرقة المرابطة على الحدود الشمالية. أما غابي أشـكنازي، فقد قدم من وحدات جولاني، ثم عمل ضابط استخبارات في الجبهة الـشمالية وقائـد وحدة اتصال، عميرام ليفن، عمل قائد لواء ومن ثم قائد فرقة مدرعـة ورئيس أركان الجبهة الشمالية. وأودي آدم، قائد الجبهة الشمالية الحالي، لديـه معرفة عسكرية قليلة في المنطقة، وقد عين قائداً مؤقتاً للجبهة الشمالية وكان مـن المفتـرض أن يتسرح من الجيش باعتباره قائداً للفرع التقني - اللوجستي في الأركان العامة.

الجـيش الإسرائيلي ناور المرة تلو الأخرى على قاعدة خطة هجومية تحت اسم "حماية البلاد" من خلال استخدام قوات نظامية كبيرة على مستوى الفرقة في لبنان في حال نشوب الحرب هناك. ففي سياق المناورات التي سبقت نشوب هذه الحرب، فضّل أدم ألاّ يطبق الخطط العسكرية الموضوعية واكتفى باستخدام قوات برية محدودة ومتدرجة، وقد وقع بذلك ضحية الخطأ الفادح التي ارتكبته هيـئة الأركان العامة والتي لم تضع جداول زمنية محددة لتنفيذ جميع العمليات العـسكرية التي يفترض أن تتم خلال هذه الحرب. وقد اعتمدت هيئة الأركان العامة على المعلومات التي زُوّدت بها على المستوى السياسي وهي أن الأميركيين

ســـوف يمنحون القوات الإسرائيلية القوت اللازم والضروري لجميع العمليات العـــسكرية. والعامـــل الآخر الذي أسهم في هذا الخطأ الكبير، هو سلوك هيئة الأركان العامة في إدارة المعركة وكأنه لا يوجد الوقت الكافي، لأنه من الممكن أن يحـــدث في أي لحظـــة شـــيء ما وتتغير الظروف. هذا الدرس تعلّمه هنري كيسنجر في حرب تشرين في عام 1973. ففي طريقه إلى موسكو هدّأ من روع إســـرائيل ومنحها الوقت اللازم، لكنه في صبيحة اليوم التالي غيّر رأيه ورأى أن الوقت ينفذ، وكذلك عندما تشعر الحكومة أن كيسنجر أو بوش على عجلة من أمـــرهما، فإن على الجيش أن يسارع إلى تحديد الأيام والساعات وأن يسرع في تنفيذ عملياته قدر الإمكان.

قـــرر أدم، فيما تخبطت هيئة الأركان، تجنب نشر جميع القوات (الفرق) التي من الممكن أن تقوم بتنفيذ الخطط العسكرية الكبيرة واستخدام كل هذه القوات في المراحل الأولى من الحرب. هذا القرار بمثابة رد جميل لقرار حلوتس بعدم زج قوات الاحتـــياط في المعارك في لبنان. استمرت العملية البرية أياماً متتالية على الحدود بين لبنان وإسرائيل، وذلك لاعتبارات مختلفة، وبسبب الطقس ومزاج القادة الميدانيين. والأهـــم مـــن ذلك كله، حجم الدهشة الكبيرة التي أصيب بها هؤلاء القادة أمام المقاومـــة العنيدة التي أبداها مقاتلو حزب الله والتي تركزت في المعارك بالقرب من بنت جبيل ومارون الراس والتي دفع الجيش خلالها ثمناً باهظاً من وحدات جولاني والمظليين وطياري الحوامات، وقد كان هذا الثمن باهظاً جداً وأكبر من أي إنجاز، ومـــا كـــان يعتبر نجاحاً أو على الأقل قابلاً للتحمل على صعيد الخسائر البشرية، أصبح فشلاً ذريعاً إزاء الثمن الباهظ جداً. ولذلك فإن الجيش يطالب الآن بتحقيق إنجاز أكبر بكثير، مثل هذا الإنجاز الآن، بدأ بإدخال قوات "فرق عسكرية كاملة" باتجـــاه الـــشمال، لكن التخبط الحاصل الآن هو: الاكتفاء بالشريط الحدودي أم الاستمرار بالتقدم شمالاً حتى الليطاني؟

بالنسبة لأدم، سارت هيئة الأركان على طبقة هشة جداً من الجليد فيما يتعلق بالمـــسؤولية عن المهمة الميدانية، وكذلك فيما يتعلق بحماية الميدانيين، وفيما يتعلق بالجـــنود الذين يعرّضون حياتهم للخطر. وفيما يتعلق بقائد الجبهة الشمالية نفسه،

وقد كان من المستحيل على هيئة الأركان أن تقول "لا" لقائد الجبهة أكثر من مرة أو على الأقل ترويضه بين الفينة والأخرى ودون أن توجّه إليه رسائل بأن جنوده بدأوا يفقدون الثقة به، أو دون التوصل إلى نتيجة مفادها أن القادة الأصغر مرتبة بدأوا يفقدون الثقة به. وفي مثل هذا الوضع، يتم الالتفاف على قائد الجبهة بشكل غير مباشر، من خلال تعيينْ مستشارين له وتحجيم صلاحياته شيئاً فشيئاً دون إحداث تغيير جوهري في الواقع.

بصفته ضابط مدرعات، استخدم في الأسابيع الأولى ألوية من المشاة والهندسة والدبابات، في حين ألقي على كاهل دان حلوتس مهمة توجيه الضربة الجوية الأولى، فيما يحيط به ثلاثة ضباط برتبة لواء جميعهم من سلاح المشاة: نائبه موشيه كابلنسكي، ورئيس شعبة العمليات غابي إيزنكوط، وقائد سلاح البر جنيس الذي يشغل الآن مستشار رئيس الأركان والمسؤول عن تحريك واستخدام القوات البرية.

من أجل عدم الاعتماد على هيئة الأركان العامة، عيّن عمير بيرتس وزير الدفاع "أشنكازي" مديراً عاماً لمكتبه، ويدّعون في هيئة الأركان العامة، بأنه ليس كل التقارير تصل إلى بيرتس بصورة منتظمة واعتيادية. وسواءً أكان ذلك صحيحاً أم لا، فإنهم يتهمون السكرتير العسكري الخاص لوزير الدفاع العميد إيتان دينغوط الذي يعتبر غير مرغوب به من قبل بيرتس.

عقد عمير بيرتس في الأسابيع الأخيرة عدة اجتماعات لطاقمه السياسي، هذا الطاقم خليط من أشخاص لا زالوا يؤمنون باتفاقية أوسلو، وجزء منهم أعضاء في حزب الوسط، فيما الجزء المتبقي هم عسكريون كانوا ضمن هيئة الأركان العامة في التسعينيات مثل أمنون شاحاك، والجنرالات الاحتياط، عامي ساغيس، وعاموس مالكا، ودافيد عبري وداني روتشيلد ودانيال ليفي والمستشار العسكري المقرب من بيرتس حاجي إيلون، والمستشار الأمني والقادم من الموساد بيني ميدان، والسفير السابق آفي يرعور وكذلك رجل الموساد السابق ومدير عام وزارة الخارجية السابق دافيد كمحي. ميدان وكمحي كانا يسافران في مهمات خاصة وسرية خارج البلاد من قبل بيرتس.

إحـــدى المقتـــرحات التي طرحت في الاجتماعات التي عقدها بيرتس، هي السعي للتوصل إلى اتفاق سلام مع لبنان، وكأنه لم تحصل اتفاقات في السابق، كما هـــو الحال بالنسبة للاتفاق مع أمين الجميل في أيار عام 1983 والذي كان مصيره الـــسقوط المريع، حيث كان دافيد كمحي أحد عرابي هذا الاتفاق. كما طرحت بعـــض المقترحات والآراء حول إمكانية إيجاد قنوات اتصال مع المسيحيين. وهذه المـــرة مـــع الجنرال ميشيل عون أو غيره، وربما لأجل ذلك، شوهد رئيس الموساد يـــتجول بـــالأمس في ردهات مكتب بيرتس والذي جاء لعقد اجتماع مغلق معه. اللبنانـــيون يدعون بأنهم ألقوا القبض مؤخراً على شبكتي تجسس تابعتين للموساد، وإذا كـــان الأمر صحيحاً، فإن من المحتمل أن يتم عقد صفقة تبادل أسرى يجري خلالها تبادل أسرى ومخطوفين لبنانيين بعملاء الموساد.

بحـــسب مـــصادر عالية المستوى، فإن الحديث يدور حول تحوّل كبير فيما تتـــسرب نغمة من اليأس والإحباط من سير المعارك الضارية على الأرض اللبنانية ومـــن الوضـــع على الأرض بشكل عام، فقائد الجبهة الداخلية يرى بأن المواطن الإســـرائيلي في الـــشمال لا يزال مصدوماً، إلى جانب ما كشفته هذه الحرب من نقـــاط ضعف كبيرة في المجتمع الإسرائيلي. وقد فاجأ أحد كبار الضباط في الجبهة الداخلـــية وزيـــر الـــدفاع عندما اعتبر أن جميع المؤسسات المدنية الحكومية وغير الحكومية وحتى الشعبية معطلة تماماً في الشمال حتى أن ساعي البريد لا يقوى على القيام بمهمته المتواصلة.

عـــندما تـــتخذ الحكومة قرارات جديدة تتصل بسير العمليات البرية، يتزايد التوتـــر بين مكتب وزير الدفاع وهيئة الأركان العامة من جهة وبين هيئة الأركان العامـــة وقيادة الجبهة الشمالية من جهة أخرى، خاصة في ظل تزايد سقوط الجنود واســـتمرار سقوط صواريخ الكاتيوشا، فإن تواصل التدخل الخارجي يتزايد أيضاً وتـــصبح السيطرة الإسرائيلية على الواقع السياسي أكثر ضعفاً، وأول هذه العوامل هـــو مـــزاج الأميركـــيين، والذي من الممكن أن ينفذ صبرهم أيضاً حيال الأداء العسكري الإسرائيلي الذي بات يعتبر أداءً سيئاً جداً في نظر الكثير من العسكريين الأميركيين، ولكن العامل الأكثر أهمية من هذا وذلك، هي العوامل الداخلية اللبنانية

وبخاصة المخاطر التي أحدقت بكثير من الزعماء السياسيين اللبنانيين وأودت بحياتهم، مثل الزعيم الدرزي السابق كمال جنبلاط، ورئيس الحكومة السابق رشيد كرامي والرئيس السابق رينيه معوض، ورئيس الحكومة رفيق الحريري وكما هو معلوم بشير الجميل أيضاً والذين كانوا جميعاً ضحايا الاغتيال السياسي، لكن التقدير العسكري يظل في نهاية الأمر، بأن إمكانية القضاء على قدرات حزب الله باتت من رابع المستحيلات مثلما يستحيل منع سقوط الكاتيوشا على شمال إسرائيل، فقد جربت إسرائيل حظها في لبنان أكثر من مرة في عام 1983 وعام 1993 وعام 1996. ولكنها كانت تفشل في كل مرة من تغيير الوضع بشكل جذري على الحدود مع لبنان، والسؤال هل هذه الحرب ستختلف على ما سبقها من حيث النتائج؟

حرب مختلفة

بقلم: عاموس هرئيل

هآرتس - 2005/7/29

الكيـــبوتس مجاور جداً للحدود الشمالية، يبدو هذا الأسبوع فارغاً تماماً من سكانه، المسبح الصغير مغلق، وسكرتير مجلس هذا الكيبوتس يتجول في الطرقات، يسأل بأدب الصحفيين، ويتطوع لأخذهم إلى نقطة المراقبة المشرفة على المناطق التي تـــدور فيها المعارك. منذ نشوب الحرب، يقيم لواء جولاني مركز قيادة متقدماً في هذا الكيبوتس، حيث تبدو طرقاته وكأنها معسكرات للجيش، جنود يركضون هنا وهناك، مركبات عسكرية تأتي وتخرج منه باستمرار، وأصوات المدافع تُسمع طوال الـــوقت، وهـــناك في البعـــيد، بطاريات المدفعية تصلي بنيرانها الأراضي اللبنانية، والقذائـــف تمر من فوق رؤوس الأشجار لكن من غير الممكن التخلص من هدير المدافع، وفي الجو يمكن رؤية طائرات أف 16 وهي تلقي بالونات حرارية من أجل أن تـــضلل الـــصواريخ المضادة للطائرات التي يطلقها مقاتلو حزب الله، وهناك في الأفق يمكن رؤية قرية بنت جبيل أو ما تبقى منها وذلك بعد سقوط الجنود الثمانية مـــن الكتيبة (51) التابعة للواء جولاني، ولا يحتاج المرء إلى خريطة من أجل تحديد هـــذا المكان الذي لا يزال ترتفع منه ألسنة النار وأعمدة الدخان في الساعات التي أعقبت نبأ وقوع خسائر كبيرة في صفوف الجيش، وهي من أسوأ ساعات القيادة المتقدمة. فكل عملية عسكرية، وبالطبع المواجهة الواسعة الدائرة الآن في لبنان يلفّها الغموض ومنذ أن قتل وجرح العديد من الجنود فإن صورة الواقع يلفّها الغموض، فمـــن الـــصعب معرفة من أين تطلق النيران على قواتنا، وإن ارتفاع أعداد القتلى والجرحـــى في صـــفوف قواتنا يزيد من غموض الوضع. فالجهود التي يبذلها القادة الميدانيون من أجل إضفاء المزيد من الوضوح حول الوضع العسكري الغامض بعد معـــركة بنت جبيل كبيرة، ومن ضمنها الرد العنيف على مصدر نيران حزب الله، وإخلاء الجرحى والقتلى، وإبعاد تهديدات حزب الله وتحسين الوضع بحيث تتمكن

الأطقم الطبية من إنقاذ وإخلاء الجرحى والمصابين من الجنود. ولكنه مضى وقت طويل قبل أن يتمكن ضباط القيادة المتقدمة من معرفة ما جرى بالضبط، ومرت سبع ساعات حتى تمكنت الطائرات المميتة من طراز "بلاك هوك" وفي عملية شاقة وتحت نيران مقاتلي حزب الله من إنقاذ الجرحى وجثث القتلى الجنود وإحضارهم إلى إسرائيل. في عملية من هذا النوع تكون القيادة المتقدمة على الأغلب تحت إشراف قادة الألوية من الضباط ذوي الرتب الأعلى والأكثر تجربة. ومثل هذه العمليات الصعبة تكون منهكة، وبالإمكان قراءة صعوبة وظروف المعارك على وجوه المقاتلين.

الأسبوع الثاني من الحرب انتهى أول أمس، ومن ثم بدأت الحرب البرية بعد معركة مارون الراس التي قتل خلالها خمسة من جنود وحدة "الأيجوز". أخذت المعركة شكلاً جديداً، حيث أدخلت قوات برية بحجم ألوية إلى أرض المعركة، وبدأت تشن هجمات على معاقل حزب الله، غير أن هذه الهجمات شنت على نحو بطيء جداً، ويُقال في هيئة الأركان العامة إن "المستوى السياسي يدعمنا بشكل كامل" لكن من المشكوك فيه أن تكون التفسيرات التي طرحت حول سير العمليات العسكرية قد أقنعت سكان الشمال الذين وجدوا أنفسهم محصورين داخل الملاجئ منذ أسبوعين. فتدمير أكثر من 200 منصة لإطلاق صواريخ الكاتيوشا وآلاف الصواريخ من شأنه أن يقرب من نهاية المعارك ما لم تنجح إيران في إرسال الذخيرة والأسلحة إلى حزب الله. لكن كل ذلك لم يمس حتى الآن في وتيرة إطلاق الصواريخ على الشمال. فالدخول البري البطيء إلى الأراضي اللبنانية، وكذلك حجم الخسائر، كانا ثمناً لتعلّم هذا النوع من الحروب الجديدة، وبخاصة بعد أن غرق الجيش الإسرائيلي في السنتين الأخيرتين في حرب من نوع مختلف في الضفة والقطاع. فوحدات النخبة الإسرائيلية التي تعودت على الكر والفر في أزقة مخيم بلاطة ووسط مدينة خان يونس، لم تكن معتادة على هذا النوع من الحرب الدائرة في لبنان الآن، كما لا يوجد أي شبه في المستوى القتالي بين مقاتلي حزب الله وبين القدرة القتالية المطلوبة من أعضاء "التنظيم" التابع لفتح. وأمام الصعوبات الكبيرة، أظهر الجيش الإسرائيلي تصميماً كبيراً، ولكن سرعان ما شعر بالإحباط

الكـــبير، فإدخال قوات برية إلى بنت جبيل قبل أن يتم تدمير هذه البلدة من الجو عرّض هذه القوات إلى مواجهة مميتة في القتال القريب، حيث لا يملك جيش كبير ونظامي مثل الجيش الإسرائيلي أية أفضلية أو تفوّق أمام مقاتلي حزب الله المدربين علـــى حرب العصابات، يقول الضباط: لقد احتفظوا في محيط مواقعهم بكثير من المدنـــيين لاســـتخدامهم كدرع بشرية، فقد شبّه ضابط كبير في الجبهة الشمالية إدخال هذه القوات إلى بنت جبيل كمن يدخل إصبعه في مرجل يغلي.

الانـــتقادات حول التباطؤ في استدعاء الاحتياط واستخدام النيران عن بعد تزايدت بعد الأسبوع الأول من هذه الحرب. "دعوا الجيش ينتصر"، شعار رفعه الجـــيش ونظر إليه باحتقار معتبراً إياه بمثابة هوس يميني يفتقر إلى الأساس خلال الحـــرب في الـــسنوات الأخيرة في الضفة الغربية والقطاع. إذ لم يعد لمثل هذا الـــشعار ســـوى صـــدى شيء في الجبهة الشمالية. فالحذر الشديد الذي يمليه المـــستوى السياسي في إدارة الحرب يُفهم من قبل الجيش بعامة ورئاسة الأركان بخاصة على أنه استمرار مباشر لتجاهل التهديد الكبير والخطير المحدق بإسرائيل مـــن الحدود الشمالية طوال السنوات السابقة. "طوال السنوات القليلة السابقة، تـــشكّل أمام أنظارنا تهديد استراتيجي، لكنه ليس تهديداً وجودياً، غير أن مثل هـــذا الـــتهديد من شأنه أن يشل الدولة والاقتصاد لأسابيع طويلة مثلما يحصل الآن" قـــال ضـــابط رفيع المستوى في الجبهة الشمالية، وأضاف: عندما عرضنا الوضـــع قالوا لنا: يا جماعة، اهدأوا، فإن هذا الوضع ليس مطروحاً على جدول إســـرائيل". مثل هذه الادعاءات تداخلت في الجدل حول ميزانية وزارة الدفاع وحول التقليصات المستمرة في قوات الاحتياط.

الـــرائحة السيئة لحرب لبنان عام 1982 لا تزال تلاحق قادة القوات الميدانيين الحالـــيين. فالمـــراقبون مـــن جانب يتشكل لديهم انطباع بأن الضباط تحوّلوا إلى جنـــرالات أكثـــر منهم إلى قادة ميدانيين، وكان جلّ اهتمامهم منع تدهور مكانة إســـرائيل الدولـــية، والسير على "إيقاع ساعة المستوى السياسي". لكن حقيقة أن مؤتمـــر رومـــا انتهى هذا الأسبوع بفشل ذريع أدى إلى منع المستوى السياسي من الـــسير قدماً. التدخل الدولي، وتدخل الدول الإقليمية من أجل التوصل إلى وقف

لإطـــلاق النار، لم يثمرا حتى الآن عن شيء، كما أن الولايات المتحدة تبدو الآن غـــير معنية بوقف إطلاق النار وهو أمر منح إسرائيل مطلق الحرية في ضرب حزب الله. وهـــذا هو أيضاً موقف بعض الدول العربية المعتدلة التي لا تشعر بالضيق جراء سفك دماء حزب الله، طالما أن الدم المقابل الذي ينـــزف هو دم الجنود والمواطنين الإسرائيليين.

حتى أول أمس، فإن الانطباع السائد في العالم العربي هو أن "حزب الله قد وجّـــه صـــفعة قاسية للجيش الإسرائيلي، وبرغم الأخطاء في إدارة هذه الحرب والدمار الشامل الذي لحق بلبنان فإن صمود حزب الله بات العامل المهم في نظر العرب أجمعين. فأحداث اليوم التالي - يوم الأربعاء 7/25 - عززت هذا الرأي وبخاصة في ظل سقوط تسعة جنود قتلى في بنت جبيل ومارون الراس، وأثبتت هذه المعركة بأن حزب الله لا يتراجع أمام الضربات الإسرائيلية، وكان إعلامه حـــول عـــدم ســـقوط مـــارون الراس وبنت جبيل أكثر مصداقية من الإعلام الإسرائيلي ومن تصريحات الكثير من الضباط الإسرائيليين، وإن جميع تصريحاته أثبـــتت دقـــتها وصـــحتها على عكس جميع ما صرحت به المصادر العسكرية والسياسية الإسرائيلية.

أثـــبت حزب الله في معركتي مارون الراس وبنت جبيل بأنه يتحدث بصدق وشـــفافية وأن إسرائيل كاذبة على الدوام. وهاتان المعركتان بالنسبة لنصر الله هما أكثـــر أهمـــية من اختطاف الجنود، ومن إصابة البارجة الحربية الإسرائيلية، ولأن مقاتلـــي حـــزب الله قـــد صمدوا أمام الجيش الإسرائيلي في معارك ضارية، ولأن الخسائر في صفوف الجيش الإسرائيلي أثارت أسئلة كثيرة لدى الجمهور الإسرائيلي حـــول أهـــداف الحـــرب. كما بدأت الأمور تتطور داخل إسرائيل في الأسابيع الأخيرة، واستمر سقوط صواريخ الكاتيوشا على إسرائيل.

الحـــرب الحالـــية، إذا ما استمرت سوف تحصد كثيراً من الجنود في الجبهة الداخلـــية وفي ساحة المعارك، وأسوةً بالحروب السابقة فإن كثيرين ممن سقطوا في هذه الحرب هم من الضباط، فمن بين الجنود الثلاثة والثلاثين الذين قتلوا حتى يوم الخميس، قتل ثمانية ضباط، ثلاثة منهم طيارون، ونائب قائد لواء برتبة رائد، وقائد

كتيبة، وقائد سرية من لواء جولاني وقائد كتيبة من المظلات. فالجيش الذي اعتقد أنـــه استطاع أن يرمم قدراته القتالية في المعارك التي خاضها طوال الأربع سنوات الماضـــية في الـــضفة والقطاع، وبخاصة خلال عملية "السور الواقي"، اكتشف أنه يواجه مصاعب كبيرة خلال عودته للقتال في لبنان مرةً أخرى. واكتشف أيضاً أن المعارك في لبنان هي أكثر تعقيداً وصعوبة مما يظن بل إنها أكثر وحشية وضراوة من الحـــروب السابقة، فالفرصة الاستراتيجية لتغيير الوضع في الجبهة الشمالية لا تزال بعـــيدة ومن غير الممكن أيضاً تجاهل الوضع السيئ في الجبهة الداخلية، ولكن من المهم بالنسبة لنا النظر إلى المصالح الأمنية البعيدة المدى والاستمرار في هذه الحرب. ولكن استمرار هذه الحرب يخلق معضلة من المشكوك فيه إذا كانت إسرائيل قادرة على تحملها وهي استمرار سقوط القتلى وتآكل صمود الجبهة الداخلية من جهة. إن توقـــف العملـــيات العسكرية من شأنه أن يخلق لإسرائيل تعقيدات لا تستطيع الـــتعامل معهـــا وحـــتى تحملها على المدى البعيد. لذلك فإن هذه الحرب بالنسبة لإسرائيل هي حرب ضروس ومختلفة عن الحروب التي سبقتها.

هزة أرضية أخرى

بقلم: عاموس هرئيل وآفي يسسخرون

هآرتس - 2006/8/12

مـــوت جـــنود الاحتياط على الدوام له تأثير عميق على المعنويات في الجبهة الداخلية الإسرائيلية. في الأسبوع الأخير من الحرب سقط أكثر من ثلاثين من جنود الاحتياط، وهذا أعلى عدد في الخسائر منذ كارثة صور في عام 1982، ويبشر على مـــا يـــبدو بتحول كبير في الرأي العام الإسرائيلي فيما يتعلق بحرب لبنان الثانية. الاخـــتلاف ليس حول عدالة الحرب وإنما حول الطريقة الصحيحة لإنهائها: فهل يمكن الآن التمسك بالرواية القائلة: "إننا مجبرون على تحقيق الانتصار" بعد أن مرت أربعة أسابيع، أم أنه آن الأوان لأن نتوقف ونركز جهودنا على تقليص الخسائر؟

هـــذا التغـــيير لن يعبّر عن نفسه بالضرورة بكامل القوة وعلى نحو سريع في اســـتطلاعات الـــرأي. فالجيش الإسرائيلي وعلى الرغم من الحقيقة المرة بأنه يجد صـــعوبة بالغة هذه المرة في تحقيق أي من النتائج، فإنه لا يزال يحظى بدعم كاسح مـــن قبل الجمهور. "أنت لا تستطيع أن تشلّ يدك اليمنى" يقول ضابط كبير. لكن الشكوك حول هذه الحرب تترك تداعياتها المرعبة وتتعمق تأثيراتها على المدى البعيد. فعندما نرى صحيفة "يديعوت أحرنوت" التي حافظت على خطها المهني - الوطني مـــنذ بداية الحرب وقد بدأت منذ الأمس، وعلى صفحاتها الأولى، بالدعوة لوقف الحـــرب والانسحاب السريع من لبنان، من خلال مقالة تحمل عنوان "أولمرت... توقف... وانسحب" بقلم ناحوم بارنيع، وحين نسمع في القناة الثانية يتحدثون عن لجـــنة تحقيق، من ذلك كله، يمكننا أن نفهم إلى أين تتجه الرياح؟ ضابط كبير في الجـــبهة الشمالية قال هذا الأسبوع في حديث مغلق: "نحن على مسافة قصيرة من إقامـــة حركة "الأمهات الأربع الجديدة"، وهذه المرة فإن من يبادر إلى إقامة هذه الحركة، هن نساء جنود الاحتياط وزوجاتهم".

ضـــابط كبير آخر يقول: "الموازين الآن متساوية على نحو دقيق جداً، ويمكن قياس ذلك بالميلغرامات، وهناك أمور كبيرة ملقاة على عاتقنا الآن، فاعتبارات مثل الردع، والروح المعنوية على المستوى القومي، والخوف مما هو متوقع لنا في الشمال وفي مـــواجهة الفلـــسطينيين بعد عدة سنوات، كل هذه الأمور: هل تجعلنا نوقف الحرب الآن؟ وعلى ضوء جميع هذه التوقعات السوداوية والخسائر البشرية الكبيرة، وهل نواصل التقدم باتجاه الليطاني؟".

الفقرة التي أدخلت في اللحظة الأخيرة على قرار المجلس الوزاري والتي ربطت تقـــدم القوات باتجاه الليطاني ببدء العملية السياسية في الأمم المتحدة تمكّن إسرائيل بالـــتلويح في وجه لبنان بعصا كبيرة في وقت لا تزال فيه تعيد النظر بخطواتها المقبلة في الحـــرب. وفي هذا السياق، كانت هناك استجابة إسرائيلية للطلب الأميركي في الاســـتمرار في التقدم باتجاه الليطاني، لكن صيغة القرار الجديدة تثير مخاوف العديد مـــن الـــوزراء من أن الحديث لا يدور عن الجيش الذي عرفناه وخبرناه ويبدو أن الأميركـــيين ســـيكونون سعداء إذا ما استطاعت الصيغة المعدلة الجديدة للقرار أن تشكل حبل النجاة لإسرائيل أو أن تحفظ ماء وجهها.

هـــذا التفـــسير لا يمثل وجهة نظر رئيس الأركان أو القادة الميدانيين. رئيس الأركـــان دان حلـــوتس يؤيد توسيع العملية العسكرية وإن كان ذلك يكلف ثمناً باهظاً بالأرواح. ولدى غالبية قادة الألوية والفرق (خلافاً لمعارضة ضباط الاحتياط بتوسيع العملية، وهم يشككون بفرص نجاح العملية العسكرية من أساسها) إجماع حول دعم العملية وتوسيعها.

بـــالأمس تحـــدث أحد قادة ألوية المدرعات هاتفياً مع العديد من الصحفيين الذين طلبوا منه سماع رأيه حول آخر تطورات هذه الحرب، فقد كان لهذا الضابط العديد من الأسئلة التي طرحها في نهاية حديثه مع الصحفيين: "هل هناك من يعرف القـــرار الـــذي سيتخذه مجلس الوزراء؟ نحن بإمكاننا أن نتوقف هنا أو نتراجع أو نتقدم باتجاه الليطاني".

جـــزء مـــن سبب نفاذ صبر الجيش، هو وجود بعض قواته ووحداته داخل الأراضـــي اللبنانية، وقد أدخلت معظم هذه الوحدات والقوات إلى داخل المناطق

اللبنانية استعداداً للهجوم، وإن وجود بعض هذه الوحدات والقوات في حالة انتظار يعرّضه في كثير من الأحيان للمخاطر ويلقي أصلاً بظلال من الشكوك على إمكانية تقدم هذه الوحدات باتجاه الشمال. مساء يوم الأربعاء سادت فوضى عارمة لدى قيادة الفرق، وفي عديد من الحالات فسّر قادة الفرق قرار المجلس الوزاري وكأنه إيذان بالتقدم باتجاه الليطاني خلال ساعات، وعندما تُلي على مسامعهم نص القرار مكتوباً فهموا جيداً بأن عليهم أن يوقفوا تقدم القوات.

ضباط كبار كثر يعتقدون بأن الجيش مهيأ للوصول إلى خط نهر الليطاني والتمركز على طوله خلال أسبوع من إصدار الأوامر إليه. سوف نصاب بخسائر كبيرة، يقولون، لكننا سوف نحقق هنا إنجازات مهمة على الأرض اللبنانية. ليس الأمر قطاعاً أمنياً نحتفظ به الآن فحسب، وإنما وجودنا على نهر الليطاني سيعطينا ورقة مساومة مهمة في المفاوضات السياسية، وكذلك إنجازات مادية ومعنوية. من الممكن أن تنتهي المعركة بشعور انتصار جزئي على الأقل، انتصار يُحقق عبر فوهات المدافع على طريقة القوات الإسرائيلية في حرب (الغفران) تشرين عام 1973 عندما توقفت على بعد ثلاثين كلم من دمشق في نهاية تلك الحرب، حينها يمكن لنا أن نرفع هاماتنا قليلاً، ونقلّص أيضاً من خسائر وتهديد صواريخ الكاتيوشا.

وبعد... الجيش لم يخدع نفسه، وهو لن يحقق إنجازاً من هذا القبيل، من خلال ما يفقده من خسائر بسيطة بحسب ما يتوقع الآن، فالكل يتوقعون بوضوح حدوث هزة أرضية، وأن حرباً حامية الوطيس ستنشب بين الجنرالات، وأنها ستكون حرباً قاسية وشعواء مقارنةً بحروب الجنرالات الإسرائيليين السابقة، وما تكشّف الآن حول دور المستوى السياسي في هذه الحرب لا يشجع على الإطلاق، ومحاولة رئيس الحكومة أولمرت إلقاء تبعة الفشل الذريع في هذه الحرب على الأداء العسكري، يثير كثيراً من الشوق إلى سلف أولمرت، شارون، وإلى إسحاق رابين، حدّث ولا حرج.

لن تكون استعراضات عسكرية احتفالاً بالنصر في هذه الحرب

بقلم: عاموس هرئيل وآفي يسسخروف

هآرتس - 2006/8/7

استـــضيف وزير الدفاع عمير بيرتس، مساء أول أمس في برنامج عمانوئيل روزن في القناة العاشرة بمشاركة جنود يقاتلون في المعارك وطلب مقدم البرنامج من الوزيـــر عرضـــاً ســـريعاً للأوضاع القتالية في ميدان المعارك. مكتب وزير الدفاع استجاب لذلك، أسوةً برئيس الحكومة أولمرت فإن عمير بيرتس يخطب ود الجنود ويحـــب الظهـــور الإعلامي وهو محاط بهم. فعندما يلتقط الأول صوراً على ظهر بارجة حربية فإن الثاني يفضل التقاط الصور بجانب طائرة حربية من طراز أف 16، وعـــندما يـــصل الأول إلى أحد المطارات العسكرية ويقضي سويعات مع طواقم وطـــياري أحـــد الأسراب، فإن الثاني يسارع إلى زيارة بعض القطعات العسكرية الـــبرية ويلتقط صوراً بجانب المدافع، فليس أهم من الصور التذكارية لبناء شخصية الزعيم الجديد في أوقات الحرب.

الفـــرقة (91) الـــتي تنتـــشر بمحاذاة الحدود اللبنانية، اختيرت لتكون ضيفة البرنامج، معدو البرنامج طلبوا أن يمثل الفرقة ضباط من سلاح المظلات لكنه اتضح أن قـــيادة الفرقة كانت مشغولة، وأن قائد لواء من الفرقة العميد حاجي مردخاي موجـــود في المنطقة منهمك ومشغول بإخلاء جثث جنوده الذين قتلوا وجرحوا في معـــركة قاسية مع مقاتلي حزب الله في قرية عيتا الشعب، نائبه أشرف على سير المعـــركة ومعـــدو البرنامج اكتفوا بمشاركة بعض الضباط الثانويين من قيادة هذه الفرقة.

خلال التحضير لتصوير البرنامج، برزت مشكلة جديدة، قرر الجنود القائمون على توفير الحماية الشخصية في المنطقة أن يجلس بيرتس في منطقة آمنة وبعيدة عن

سقوط الصواريخ ساعة تصوير البرنامج، أما مخرج البرنامج فقد كانت لديه أفكار خلاقـة: مـن الممكن أن يخلي قائد الفرقة اللواء جيل هيرش مكتبه لعدة ساعات. هـيرش رفض بشدة، قال بغضب: هذه الفرقة تحارب منذ ثلاثة أسابيع، وإن أي جـندي لن يتزحزح من مكانه من أجل برنامج في التلفاز، وبعد ساعة من الجدل الـساخن والعقيم، وطاقم البرنامج يحدق في الساعة بعصبية ظاهرة، تم العثور على تـرتيب بديل لتصوير البرنامج، وهو إخلاء ملجأ تتخذه إحدى كتائب هذه الفرقة مقراً لها، وبهذه الطريقة استضاف روزن وزير الدفاع، وكلما استمرت الحرب فإنها تـدار بـشكل جدي ومؤلم، يبدو أن من يجلس على قمة الهرم القيادي يدرك بأن أهمـية هذه الحرب كونها حرب مختلفة، لأنهم يديرونها بحسب رؤيتهم، وبحسب ما تصوره من نجاح على نحو مسبق لأنهم خرجوا إلى هذه الحرب بسرعة متناهية قبل أكثر من ثلاثة أسابيع.

الإجمـاع القومي حول الحرب ما زال قوياً، فهي حرب عادلة فرضت على إسـرائيل، الدولة استجابت للتهديد الذي تجاهلته طوال ست سنوات. في مقابل ذلـك، يتـضح منذ الآن بأنه لن يكون هناك استعراضات عسكرية على شرف النـصر، وكمـا تحدث ناحوم بارنيع في صحيفة يديعوت أحرنوت في بداية هذا الأسبوع، فالجميع يتحدث عن لجنة التحقيق الحكومية التي ستشكل، ولهذا السبب فإن الكثير من خطابات السياسيين بدت في هذا الأسبوع وكأنها تتحدث عن نهاية الحرب وهذا هو تفسير تزايد مقابلات التلفاز التي يقوم بها السياسيون والعسكريون الإسرائيليون في وسائل الإعلام.

إلى جانـب الجدل المضني حول النهاية المطلوبة والمرغوبة لهذه الحرب بالنسبة لإسـرائيل، يـستمر البحث المضني أيضاً حول "صورة النصر"، الصورة التي من الممكن أن تنفذ إلى الوعي الإسرائيلي كنجاح يستخدم فيما بعد تبريراً مقنعاً لحجم الخسائر البشرية الكبيرة والمكوث المستمر لأسابيع في الملاجئ.

كـان للعملية الجريئة التي قامت بها وحدة "سييرت متكال" ووحدة "شيدلج" في مدينة بعلبك ليل الثلاثاء الماضي أهداف عملياتية واستخباراتية بارزة. وبحسب مـصادر أجنبـية، فقد نفذت هذه العملية من أجل الحصول على معلومات حول

مـــصير الجنديين المخطوفين. وأكدت مصادر إسرائيلية بأن المفاجأة في عمق العدو هي التلويح لقادة حزب الله بأن أيدينا ستطالكم في كل مكان. ولاعتبارات خاصة بالـــذين وافقوا على تنفيذ مثل هذه العملية، لم يغب عن بالهم عامل آخر إضافي، وهـــو الحاجة إلى إعادة الوهج إلى عيون الجمهور الإسرائيلي عن طريق استعراض القـــوة الحقيقـــية للجيش الإسرائيلي لكن المشكلة الوحيدة التي اصطدمت بها هذه العملـــية، هـــي حـــذر قـــادة حزب الله وقدرتهم على إفشال مثل هذه العمليات الاستعراضية الفارغة.

رئيس الحكومة أدلى ببعض التصريحات التي باتت مثار خلاف في هذه الأيام. لـــيس فقط حول العملية العسكرية التي "ستغيّر وجه الشرق الأوسط" وإنما حول الادعاء المثير للدهشة بأن "صواريخ الكاتيوشا قد حصنت إسرائيل، لأنها خلصتها مـــن خوف التهديدات" ثم جاءت زلة اللسان الفظيعة عندما قال في مقابلة لوكالة الأنـــباء "أي.بي" بأن المعركة في لبنان سوف تساعد في نجاح تنفيذ خطة الانطواء، الأمر الذي فتح جبهة جديدة مع المستوطنين الذين لا يزالون مجنّدين للجهد الحربي.

أولمـــرت، هكذا يبدو، متفائلاً فيما يتصل بتطور المعركة في الأسابيع القادمة، المعطيات الاستخباراتية التي بحوزته تشير إلى أن حزب الله قد تلقى ضربات قاسية وخـــسائر كـــبيرة وأثرت على الروح القتالية للحزب وحتى لو أعلن مجلس الأمن الـــدولي عن وقف إطلاق النار في الأسبوع القادم فإن باستطاعة الجيش الإسرائيلي مواصلة تمشيط بعض المناطق الحدودية وتدمير منصات الصواريخ ومخازن الأسلحة الـــتابعة لحزب الله. رئيس الحكومة ووزير الدفاع يدركان جيداً بأن حزب الله لن يظـــل بعـــد هذه المعركة دون كاتيوشا وصواريخ بعيدة المدى، لكن السؤال المهم والحقيقي بالنسبة لهما: هل سيجرؤ حسن نصر الله بعد الذي جرى أن يضغط على الزناد ثانية ويخرب كل ما أمل أولمرت وشريكه بيرتس تحقيقه؟

في ظهـــورهما العلـــني والمغلـــق يعطي أولمرت وبيرتس الغطاء الكامل لرئيس الأركـــان ولقمة الهرم القيادي في الجيش الإسرائيلي، وهذه بادرة من شأنها أن تثير الـــشكوك لدى كبار قادة الجيش، ويبدو أن قلوب الاثنين ممتلئة من الجيش الذي اقترح هجوماً جوياً شاملاً كعلاج سحري لصواريخ الكاتيوشا، على الرغم من أن

الجيش لم يكن مصمماً بما فيه الكفاية على مواصلة تنفيذه لهذا الاقتراح. وفيما يتعلق بالهجوم البري يدّعون داخل المستوى السياسي بأن رئيس الأركان أعطي مطلق الحرية، وفي أحيان كثيرة تم تبنّي بدائل أكثر هجومية من بين المقترحات التي قدمها الجيش.

المستوى السياسي هو شريك كامل في قرار الانتظار لأكثر من أسبوعين حتى دخول قوات برية هذا الدخول الذي تم تبريره فيما بعد بالتالي: "إن الدخول المبكر لقوات برية في المعركة قد يزعزع ثقة الجمهور في العملية برمتها".

يتذكر المقربون من عمير بيرتس جلسة التعارف التي عقدها أولمرت مع كبار ضباط هيئة الأركان العامة في اليوم الذي سبق اختطاف الجنديين الإسرائيليين في الشمال. اللواء يشاي بار حذّر السياسيين خلال الاجتماع المذكور من أن "الجيش الإسرائيلي هو جيش متواضع يعيش محنة الامتياز في داخله". أما الآن فإن وزير الدفاع يأمل بأن الأيام الأخيرة، والعملية في بعلبك والاجتياح الذي حصل تتناقض نتائجها مع ما تنبأ به اللواء يشاي بار.

كلما استمرت الحرب كلما انكشف عمق التورط الإيراني في عمليات حزب الله الذي أقام هنا قيادة جبهة متقدمة من قبل طهران على مرأى ومسمع الإسرائيليين. وعندما تنته الحرب، فإن بإمكان الإيرانيين إجراء حساب مع الذات والإجابة على السؤال عما إذا كان مثل هذا الأمر مجرد خطأ كبير، على الرغم من عدم الكشف المبكر عن الورقة الاستراتيجية لمنظومة الصواريخ. الإيرانيون متورطون حتى قمة رأسهم في عمليات حزب الله، وقد شارك المدربون الإيرانيون في إطلاق الصواريخ على السفن والبوارج الحربية الإسرائيلية، وإطلاق صواريخ أرض - جو من طراز سيترلا (أس. أي) ضد الحوامات الإسرائيلية، وخلال الاجتياح الإسرائيلي لأراض في جنوب لبنان تم العثور على مواقع تنصت متقدمة والتي بوساطتها استطاع الحزب التنصت على شبكات الاتصال والهواتف المدنية والعسكرية.

هاني الحسن، أحد زعماء فتح، ووزير الداخلية السابق، تعود أن يرسل بطاقات معايدة سنوية إلى أصدقائه ومعارفه في إسرائيل، واشترك في العديد من

منـــتديات السلام، هذا لا يمنعه من الإعلان خلال مهرجان تضامني مع حزب الله أقـــيم في رام الله بأن "كل ما يطلبه حسن نصر الله منا سوف ننفذه"، الحسن ليس مـــن مـــريدي أفكار حسن نصر الله فيما يتصل بالصراع مع إسرائيل لكنه يفهم التعاطف الذي يبديه الشارع الفلسطيني مع نصر الله.

هاني الحسن، ليس الوحيد في العالم العربي. الرئيس اليمني، علي عبد الله صالح الـــذي أجرى مقابلة مع قناة الجزيرة تحدث بكلام يذكرنا بتصريحات أحد زعماء المـــنظمات الفلسطينية، لكن الكثير من هذه التصريحات هي مجرد أغراض سياسية وبالأساس لتجنيد الدعم للزعماء العرب المختلفين، لكن ما هو ملفت للنظر الجدل العمـــيق والواسع التي يعم العالم العربي في هذه الأيام حول حزب الله والوضع في لبنان.

"عندما تضع الحرب أوزارها، فإن السؤال الكبير الذي سيضطر العالم العربي للإجابـــة عـــنه هو: أيحق لمنظمة صغيرة أو جماعة أن تدخل قيادة دولة كاملة في معـــركة؟" يقول أحد الكتاب العرب خلال مقابلة أجرها معه إحدى الفضائيات التي تتبنى خطاً مؤيداً لخط حزب الله". حتى الآن، وعلى الرغم من الانطباع السائد بـــأن حزب الله يسخر العالم العربي، إلا أن تأثيره لا يزال محدوداً، حتى في أوساط الـــشيعة في العراق ليس هناك أي تغيير يذكر أو تغيير دراماتيكي يذكر في مواقف الشيعة باتجاه تأييد حزب الله، وإن قيام ألفي بتظاهرة في مصر من أصل 80 مليون مصري لا يشكل صورة شعبية مصرية.

نبـــيل شـــعث، عضو المجلس التشريعي الفلسطيني، يفسّر الفجوة القائمة بين منـــسوب التعاطف الكبير مع حزب الله في وسائل الإعلام وبين التعبير المادي لهذا الـــتعاطف: "هناك شعور بالفخر والاعتزاز بحزب الله لدى الجمهور الفلسطيني لأنه هناك على الدوام علاقة عاطفية عميقة بين الشعبين" ويتابع قائلاً لصحيفة هآرتس: "غـــير أن القلائل جداً هم من يريدون أن يربطوا مصيرهم بمصير حزب الله، وأن يكون هناك علاقة بالمفاوضات حول قضية الجنود الأسرى الإسرائيليين".

حـــتى الآن، يـــستطيع حـــسن نصر الله أن يشعر بكامل الرضا حيال وضعه الـــسياسي في لبـــنان. فقد صمت جميع منتقديه وخصومه السياسيين وبخاصة بعد

بجـــزرة قانـــا، لكنه يتوقع لزعيم حزب الله العديد من الصراعات غير البسيطة في الداخل اللبناني بعد انتهاء الحرب وأهم هذه الصراعات السؤال الكبير: "لماذا كان مـــن الـــضروري جر البلاد إلى هذه الحرب في مقابل أسيرين؟ وربما تطرح مسألة انتماء حزب الله وطنياً للجدل الداخلي اللبناني أيضاً".

لا أحـــد يجرؤ اليوم في لبنان على أن يشكك في وطنية حزب الله ومع ذلك، فقد تجرأ الزعيم الدرزي وليد جنبلاط، على طرح هذا السؤال: لمن سيهدي حسن نـــصر الله النصر إلى سوريا أم إلى إيران؟ ومنذ الآن وحتى تنتهي الحرب فإن حسن نصر الله سيواجه المزيد من المعضلات الصعبة، فهل سيوافق على وقف إطلاق النار وفي أيدي إسرائيل أراض لبنانية، فهو مجبر في هذه الحالة على الاستمرار في مواجهة الجـــيش الإسرائيلي من أجل "تحرير الأراضي المحتلة" وفي حينها سوف يعتبر كمن يخل بالاتفاقيات. نصر الله في مثل هذا الوضع سيأخذ بحسبانه إمكانية قيام إسرائيل بحملـــة جديدة من القتل والتدمير ستكلفه ثمناً سياسياً باهظاً. وإذا لم يوافق حسن نصر الله على وقف إطلاق النار سوف يعتبر زعيماً إرهابياً.

معـــضلة أخرى تواجه نصر الله وحزب الله وهي مسألة القوة الدولية المتعددة الجنـــسيات: فرفض هذه القوة يعني تشكيل صورة سلبية لنصر الله، والموافقة تعني التـــنازل عـــن ذخـــر مهم بالنسبة للحزب وهو جنوب لبنان، نصر الله قد يضطر لاختيار بين الخيار السيئ والأكثر سوءاً.

هذه على ما يبدو أسوأ الأسابيع والأكثر صعوبة بالنسبة للعميد جيل هيرش، بعد الفشل الذريع الذي مني به اللواء الذي يقوده. فقد دخلت الفرقة (91) بهدف إدارة معركة محدودة ومتواصلة، حيث بدأت على أساس دفاعي ولكن سرعان ما تحـــولت إلى وضع هجومي بالتدريج، فهذه الحرب تشتمل على خسائر وحالات كـــثيرة يكون الفشل من نصيب قواها. لكن مقاتلي الجيش الإسرائيلي يتجاوزون المصاعب التي يضعها أمامهم مقاتلو حزب الله من حين إلى آخر، لكن هيرش وفي شـــدة المعارك يواجه سيلاً من الانتقادات الحادة والقاتلة في بعض الأحيان وبخاصة تلك الانتقادات التي يوجهها ضده زملاؤه من قادة الوحدات الذين في وزارته من حيث المرتبة العسكرية، على الرغم من أن هناك بعض القضايا التي يحتاج هيرش إلى

توضيحها بشكل معمّق وواضح، مثل (دور الفرقة في منع عملية اختطاف الجنود، ومـــوت الجنود الخمسة في كفر مارون الراس) ومن الصعب تصديق أو تبرير حملة الافتراءات الموجهة ضد هيرش.

في الأيام القليلة القادمة سوف تستكمل قوات هيرش والقوات الثانية لفرقة (162) بقـــيادة العميد غابي تسور السيطرة على شريط حدودي بعمق 6 – 8 كلم علـــى طول الحدود الشمالية، وبعد ذلك، حتى لو حصل وقف لإطلاق النار، فمن المنتظـــر لهذه القوات أن تمكث مزيداً من الوقت في الجنوب اللبناني. إسرائيل تدرك بـــأن القـــوات المـــتعددة الجنسيات لن تبدأ بممارسة عملها قبل أن يتمكن الجيش الإســـرائيلي من تنظيف المنطقة، وخلال المناورات التي أجرتها قيادة الجبهة الشمالية قبل نشوب الحرب، جرى الحديث حول المكوث في الجنوب اللبناني لمدة سبعة أو ثمانية أسابيع بعد استكمال المرحلة الأولى من الحرب.

علـــى أي حال، كل من يتجول على طول الشارع المحاذي للحدود الشمالية في ســـاعات اللـــيل الأخـــيرة، سيلحظ حجم القوات الكبيرة التي أدخلها الجيش الإســـرائيلي إلى الأراضي اللبنانية، وهو أمر يذكرنا بالحرب التي لا نحب الحديث حولها، وهي حرب عام 1982، وعلى الرغم من ذلك، فإننا الآن أمام جدل داخلي ســـاخن جديـــد لم ينـــشب من حيث نوعه منذ عام 1985، حول حجم قوات الاحتـــياط العاملة في لبنان وتعرضها لإطلاق صواريخ الكاتيوشا المستمر، وكذلك وجود مئات آلاف العائلات في الملاجئ، والكل يتمنى ألا تتم معالجة الخطأ بالخطأ، الـــتلفاز الإسرائيلي مهمته في هذه الأيام التركيز على مستوى الشعور الوطني الذي يتمتع به جنود الاحتياط لكنه لا يتحدث ولو بمجرد كلمة حول مستوى الجهوزية الهابطة التي يتمتع بها هؤلاء الجنود وعدم تأهيلهم وتدريبهم لهذا النوع من الحروب والنقص الكبير في العدة والعتاد الذي تعاني منه بعض الوحدات الاحتياطية.

يتحدثون في قيادة الجبهة الشمالية، بأنه ليس لديهم نية حتى الآن في بناء خط مواقع جديد، فسوف تنتشر القوات لأغراض عملياتية ولن يتم شق محاور لوجستية جديـــدة لأن المـــسافرين من خلالها سوف يكونون صيداً سهلاً لمقاتلي حزب الله وبدلاً من إيصال المؤن والذخائر بوساطة شاحنات سيتم إلقاؤها عبر الحوامات.

هــذه التقديــرات تقوم في الأساس على رغبة المجتمع الدولي في الإسراع بتــشكيل قوة جديدة متعددة الجنسيات، وربما يواجه ذلك الكثير من المصاعب والمــشكلات قبل أن يتحقق عملياً ربما يتم ذلك في نهاية أشهر الصيف، ولكن مــتى يخرج الجيش الإسرائيلي من لبنان هذه المرة؟ ربما خلال الأعياد اليهودية، يتنــبأ ضابط كبير ولكنني لا أعرف إذا ما كان هذا التنبؤ سلبياً أم إيجابياً حتى الآن، لا أعــرف مــتى وكــيف سنعود إلى بيوتنا أما زال هناك مزيد من الدم والعرق والضحايا ينتظرنا؟

ماذا حلّ بنا؟ لقد حدث أمر بسيط:
السياسة والمال والإعلام والأكاديميا
أعمت عيون إسرائيل وسلبت منها روحها

بقلم: آريه شاييط

هآرتس – 2006/8/11

في صـيف عـام 2006 الصعب، تعلن إسرائيل بدهشة بالغة، تفاجئنا، لقد فوجئنا على نحو كبير، فوجئنا بصواريخ الكاتيوشا وصواريخ الفجر وصواريخ الزلزال والصواريخ المضادة للدروع، وفوجئنا بجرأتهم وطريقة استخدامهم لخلايا الصواريخ المضادة للدروع، فوجئنا في الملاجئ وفي أساليبهم التضليلية، وفوجئنا بطريقة إدارتهم للمعركة، لسيطرة قياداتهم على أرض المعركة والتحكم التام بميدان المعارك، فوجئنا بالاستراتيجية وبجهوزيتهم القتالية وروحهم القتالية أيضاً، فوجئنا بالقوة المزمجرة التي يمتلكها جيش صغير مميت وبقدرات تكنولوجية متواضعة وبدوافع إيمانية عالية جداً.

ولكنّ أكثر ما فاجأنا صيف 2006 هو قوة حزب الله، وفاجأنا هذا الصيف بضعفنا، وبأنفسنا، بالمستوى الهابط لقيادتنا القومية، وفاجأتنا الرعونة الاستراتيجية الفضائحية، وفاجأنا قصر النظر، وغياب الأفكار الخلاقة وغياب الإرادة والتصميم لدى المستوى العسكري القيادي. فوجئنا بالاستخبارات العسكرية السيئة والجهاز اللوجستي الخرب، بالآلة العسكرية غير المناسبة، وفوجئنا لأننا اكتشفنا بأن الآلة العسكرية الإسرائيلية ليست كما كانت عليه، نعم... لقد تمخض الجبل فولد فأراً.

وبحسب الأغلبية، قد يكون من غير الصواب أن نجري جدلاً عميقاً لفشل هذه الحرب وهي لا تزال مستمرة. غير أنه وبعد انتهاء الشهر المربك، بل والأكثر إرباكاً للأمن الإسرائيلي منذ إقامة الدولة، الحكومة الإسرائيلية لم تستخلص العبر والدروس. وهي لم تهيئ أجهزتها، ولم يثبت أنها درست الواقع

تماماً ولم تظهر أية أخلاق جديدة. على العكس من ذلك كله، فقد أضافت مدماكاً من الظلم على المدماك السابق. بطء ردة فعلها كان خطيراً، وحذرها كان مصيرياً. محاولتها حقن الدماء كلّف ثمناً باهظاً ودماء غزيرة فهي هكذا الآن بالذات. وبالذات في الوقت الذي تتحرك فيه القوات باتجاه الجنوب اللبناني، فلا مفر من السؤال: أين أخطأنا؟ وبالذات، لكي تستطيع إسرائيل أن تحرز النصر في اللحظة الأخيرة، ومن أجل أن تحقق القوات المقاتلة أهدافها ومن أجل أن يتمكن الجنود من العودة بسلام إلى بيوتهم، نحن مضطرون لأن نسأل الآن: ماذا حلّ بنا؟ ماذا حصل لنا بحق الجحيم؟

حصل أمر بسيط: سمّمونا بالإصلاحات السياسية التي استحوذت على الجيل الصاعد من خلال الجدل الإسرائيلي، وعلى الوعي الإسرائيلي الذي كان عملياً منقطعاً عن الواقع الإسرائيلي، ولم تكن لديها أدوات لمواجهة واقع الصراع الوجودي، ولم يكن لديها الأدوات لمواجهة واقع للصراع الطائفي والثقافي والديني ولذلك فقد تركزت برمتها على الموضوع الفلسطيني، وقد أهملت الفرضية القائلة بأن الاحتلال هو مصدر كل شرّ وسوء وقد تجاهلت بأن الاحتلال يمنع السلام ويثير عدم الاستقرار ويديمه.

في مقابل ذلك، فإن الإصلاحات السياسية قد تجاهلت بأن القوة الإسرائيلية هي مُعطى، وأن قوة إسرائيل هي قوة مسعورة، ولهذا السبب فإن انتظام الحياة السياسية تقوم على هذا النوع من القوة المسعورة التي لا تعرف الحدود. ميزانية الدفاع تم تقليصها، واختفت جميع القيم التطوعية، وأصبحت مصطلحات البطولة والصمود مصدر كل يأس وإحباط.

الضعف أصاب وتفشى بين النخب، ولأن الجيش الإسرائيلي أصبح يعرف بجيش احتلال وليس جيش دفاع يدافع عن مواطنين بلا تمييز وعن مجتمع حر، تحفّظ الجميع منه، وانفضوا من حوله وتنكروا له، لأنه في عالم الانتظام السياسي القوة العسكرية تحمل جميع المعاني الدفاعية، فكل فكرة وطنية تم التخلي عنها أمام قدسية الفرد وكل قيمة جمعية فُككت لصالح الفردية والقوة تماثلت مع الفاشية، والبطولة الإسرائيلية القديمة دُفعت إلى أسفل السافلين.

حـــصل أمر إضافي آخر: تسممنا بوهم التطبيع، دولة إسرائيل هي دولة غير طبيعـــية مـــن أساسها. وفي جوهر كونها دولة يهودية في محيط عربي، وفي جوهر كـــونها دولـــة غربية في محيط إسلامي وفي جوهر كونها دولة ديمقراطية في محيط متعـــصب ومتـــسلط تعيش إسرائيل في توتر دائم مع محيطها، من جانب، وبسبب قـــيمها وهويتها البنيوية والاقتصادية والثقافية، لا تستطيع إسرائيل أن تكون جزءاً مـــن الطبيعة الأوروبية، ولهذا السبب فإنها تعيش تناقضاً جوهرياً مستمراً. الطريقة لحـــسم هـــذا التناقض هي إيجاد طريقة إيجابية نظرية وأخلاقية تعطي رداً للطريقة السلبية التي تعيشها إسرائيل.

لـــيس هناك طريقة أخرى: على إسرائيل أن توجد غطاء دفاعياً يشكّل محيطاً داخلـــياً إسرائيلياً ضد المحيط الخارجي الذي يحيط بها، الحياة ضد المحيط هي جوهر الوجود الإسرائيلي، ولكنه لدى الجيل الأخير فإن مثل هذا الذكاء الفظيع قد تبدد، وانتـــشر الوهم بأننا وصلنا إلى وضع مريح وأن باستطاعتنا العيش في هذه المنطقة أســـوةً ببقية شعوبها. هذا الوهم تسبب بتشويش هذه الطريقة الإسرائيلية الإيجابية وانـــتهائها، ونفذت جميع الطاقات المكرسة لإيجاد غطاء دفاعي يعزل إسرائيل عن محـــيطها ويدافع عنها في مواجهته، ساد الضعف وتفشى، وتراجعت بل وضعفت قوة الإرادة.

الانفـــتاح الـــذي عُرف به الإسرائيليين وإنهم لن يألوا جهداً بإحاطتها بسور محـــصّن، أدى إلى ضغط من المحيط الخارجي تزايد على شكل إرهاب منذ عام 2000، وصـــواريخ القسام في عام 2005 وصواريخ الكاتيوشا عام 2006 إلى أن اخترقت عمق أعماق إسرائيل، وهكذا وُجد التناقض الظاهري بين من يريد أن يصدق بأن إســـرائيل تـــستطيع أن تكـــون دولـــة طبيعية تماماً ومن دفعها إلى وضع متدهور وفوضوي فقدت خلاله توازنها.

سواء أكان الانتظام السياسي أم وهم التطبيع قد تفشى أولاً وقبل كل شيء في الـــنخب السياسية، ظل الجمهور الإسرائيلي الواسع يقظاً وقوياً، وهو لم يخطئ ولم يخـــدع بالـــشرق الأوســـط الجديـــد، لكنه لم يدر ظهره للواجب الوجودي وللأســـطورة الأمنـــية والجيش الإسرائيلي وأيضاً لم يفسد جوهر قيمه الأساسية،

ولــذلك، فقد صمد على نحو مثير في خيار عام 2000 – 2001 وكذلك في خيار عام 2006 وهو يظهر، ولا يزال، قوة صمود كبيرة.

في مقابــل ذلك، فإن النخب السياسية في السنوات العشر الأخيرة انقطعت نهائياً عن الواقع، المال، ووسائل الإعلام والأكاديميا في التسعينيات والألفين أعمت أعــين إســرائيل وسلبت منها روحها، إن أوهامهما المتكررة فيما يتصل بالواقع التاريخي الذي تعيشه إسرائيل تسبب في ضياعها وفقدانها الطريق والاتجاه الصحيح. الهجمــات المــستمرة المباشــرة وغير المباشرة على القومية وعلى العسكرة وعلى الموضوع الصهيوني أكلت جذع الشجرة الوجودية الإسرائيلية وتركتها عارية. وفي الــوقت الــذي أظهــر فيه الجمهور الواسع يقظة وإصراراً وطاقة، خيبت النخب الــسياسية الآمــال، فالمال جلب وهم التطبيع وخلق هنا نظام حكم اقتصادي – اجتماعــي رومانسي لا يتلاءم مع الوضع الإسرائيلي التاريخي، والأكاديميا استبقت الانــتظام السياسي واعتمدت هنا أسلوب نقد يقود إلى الضياع لا أكثر، ووسائل الإعــلام انضمت إليهما وخلقت وعياً أشبه بالهذيان المتداخل بالاستهلاك المسعور والتبرير المزيف، وبدلاً من أن تكون نخباً بناءة، تحولت النخب الإسرائيلية في العقد الأخــير إلى نخب مفككة، كل واحدة في مجالها وكلٌّ بحسب أسلوبها انشغلت في بناء المــشروع الــصهيوني، مرحلة بعد أخرى. المتسلقون الكبار انسلخوا تماماً عن الجهد القومــي، وامتــنعوا عــن الخدمة العسكرية، وتوقفوا عن إرسال أبنائهم للخدمة في الــوحدات المقاتلــة، ســخروا من الضباط الذين حذّروا من الانسحابات الأحادية، وســخروا مــن الضباط الذين حذّروا من مغبة إفراغ الوحدات القتالية ومن تعاظم قــدرات الأعــداء، وضللوا أنفسهم ومن يحيط بهم بأن تل أبيب هي "منهاتن" حقاً. وشــددوا على أن المال هو كل شيء وبذلك منحوا الشباب الإسرائيلي ذخيرة قيمية تصعب عليهم جداً التضحية بها عندما تكون التضحية مطلوبة، لأن دولة لا توجد فيها مساواة لا يوجد فيها عدالة ولا أحد يؤمن بعدالة أساليبها، فهي دولة من الصعب جداً التــضحية في سبيلها وهي دولة ليس الجميع على استعداد أن يُقتل ويَقتل في سبيلها. وفي الــشرق الأوســط عام 2000، فإن دولة يجد مواطنوها صعوبة بالغة في أن يَقتلوا ويُقتلوا في سبيلها، هي دولة مؤقتة فقط وهي دولة غير قادرة على البقاء.

هذا ما يتضح الآن أمام ناظرينا، عندما نرى أعمدة دخان صواريخ الكاتيوشا تواصل الصعود في سمائنا ترتفع من المستنقع اللبناني، فهذا ليس فشلاً يمنى به الجيش الإسـرائيلي وإنمـا فـشل ذريـع للنخب السياسية التي أدارت ظهرها للجيش الإسـرائيلي. ما الذي يتجلى في هذه الساعة؟ عندما لا تستطيع إسرائيل أن تدافع عـن مواطنيها، فهذه ليست مشكلة قيادة أو مشكلة تكتيكية، وإنما مشكلة تتصل بعمق المجتمع الإسرائيلي الذي تخلت عنه النخب السياسية، فليس أودي آدم (قائد الجـبهة الشمالية الذي تمت إزاحته من منصبه) هو المشكلة ولا جال هيرش (قائد الفـرقة 91) وإنما المشكلة في الروح الإسرائيلية، الروح التي تفشى فيها الفساد منذ زمن طويل.

الـوقت الآن وقـت حـرب، مواطنو الشمال لا زالوا في الملاجئ، والجنود النظاميون والاحتياط يخاطرون بحياتهم في حرب لم يتم التخطيط لها كما يجب و لم يـتم تحديد أهدافها كما يجب وتدار بشكل سيئ، ولذلك فإن المطلوب الآن هو العمل بسرعة، والعمل بحيوية ونشاط من أجل رفع معنويات هؤلاء الذين يضحون بأنفـسهم في المعارك. ما هو مطلوب الآن هو إجراء نقاش وسجال جديد يتلاءم والوضـع الجديـد، وبدون روح جديدة ولغة جديدة لن نحقق النصر في الحرب، وعلـى هذا الأساس، يجب العثور على الروح وعلى اللغة التي فقدناها في السنوات التي سبقت هذه الحرب.

طاقم البارجة "حانيت" يتحدث عن إصابة بارجتهم

بقلم: يوسي فيلمان

هآرتس - 2006/7/31

الساعة كادت تقترب من التاسعة إلا ربع مساءً، طاقم السفينة اجتمع في قاعة الطعام لتناول طعام العشاء. وكان من المفترض أن يتناول أفرادها هذه الوجبة في الثامنة والربع لكنها تأخرت لأسباب لا أحد يعرفها. "في أثناء تناولنا الطعام، سمعنا انفجاراً ضخماً فوقفنا على سطح البارجة، وفجأةً بدأنا نتراكض في كل الاتجاهات بعد ذلك كل واحد منا أخذ مكانه بحسب التعليمات الصادرة إلينا في حالات الطوارئ، قائد البارجة والطبيب والعديد من طاقم السفينة صعدوا على الفور إلى سطح البارجة".

المتحدث هو واحد من طاقم البارجة "حانيت" سفينة الصواريخ من طراز "ساعر 5" فخر البحرية الإسرائيلية التي أصيبت فجأة في يوم الثلاثاء قبل أسبوعين بصاروخين قبالة شواطئ بيروت. فقد قتل أربعة من طاقمها وجرح العديد منهم ثلاثة جراحهم خطيرة، والبقية بين متوسطة وبسيطة. المتحدث يقول: إنه ارتبك وتخبط كثيراً قبل أن يوافق على الحديث عن الحادثة، وبحسب ما يقول: إنه قرّر الحديث في نهاية الأمر بسبب ما يعتبره محاولة سلاح البحرية التغطية على هذه الحادثة الخطيرة التي تعتبر فشلاً ذريعاً لسلاح البحرية والجيش، وكذلك محاولة سلاح البحرية، دفع هذه الحادثة عن جدول الأعمال ونسيانها.

هذه المرة الأولى التي تصاب فيها بارجة لسلاح البحرية منذ تشرين الأول عام 1967، منذ إغراق الغواصة الإسرائيلية "إيلات" من قبل البحرية المصرية قبالة سيناء بور سعيد، سلاح البحرية اعترف بالفعل بأنه لا يعرف بأن لدى حزب الله هذا النوع من الصواريخ التي باستطاعتها إصابة السفن، ولكنه في ظل غياب المعلومات حول ذلك فإنه يجب الافتراض بوجود مثل هذه الصواريخ لدى حزب الله.

رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، اللواء عاموس يادلين، قال ذلك صراحةً خــلال مقابلة مع وسائل الإعلام في مطلع الأسبوع. لكنه لم يذكر حادثة إصابة البارجة. وأكد بأن الاستخبارات العسكرية تعمل على أساس الفرضية القائلة: إن كل الوسائل القتالية الموجودة لدى إيران من شأنها أن تصل إلى أيدي حزب الله.

حــتى الآن، لم يــشرح ســلاح البحرية لماذا لم يستخدموا المنظومة القتالية الإلكترونية التي من المفترض أن تشكل حماية للبارجة في حال تعرضها للصواريخ؟ هــذه المنظومة التي تعتبر أكبر المنظومات تطوراً في العالم، فهي تشتمل على رادار خاص لتشخيص الصواريخ والتشويش عليها في الجو وإسقاطها بوساطة الصواريخ المضادة والمدفعية المتطورة.

ســلاح البحرية يتخذ العديد من الإجراءات الحذرة منذ هذه الحادثة ومنها إبعــاد السفن والبوارج البحرية الإسرائيلية عن الشواطئ اللبنانية بحيث لا يعرضها للإصابة مرة أخرى.

قبل إصابتها بيومين توقفت البارجة الكبيرة التابعة لسلاح البحرية (ساعر 5) في ميناء حيفا، في القاعدة الرئيسة للبحرية الإسرائيلية المعروفة (بشييطت 3) وعلى متــنها خمــسة وثمــانين بحــاراً يــشكلون طاقم البارجة، بمن فيهم جنود تابعين للاســتخبارات العسكرية وسلاح الجو، لأن البارجة مزودة أيضاً بطائرة عمودية. في تلك الليلة أخلي الميناء من جميع السفن خشية أن يتعرض لصواريخ حزب الله، قائد هذه البارجة العقيد "ي" انضم إليه العقيد "م" قائد سرية سفن صواريخ صغيرة مــن طــراز (405) مهمــة العقيد "م" فرض حصار بحري على لبنان وهي مهمة اضطلعت بها البارجة (ساعر 5) والتي استخدمت بدورها كمركز قيادي للإشراف على الحصار البحري على لبنان "خلال إصدار الإدارة العامة، أبلغونا أن مهمتنا هي فــرض الحصار على لبنان، لا أحد يدخل ولا أحد يخرج، لم يبلغنا أحد بأن مخاطر قــد تواجهــنا، لا علــى تهديد الصواريخ، حتى أن مثل ذلك لم يتم ذكره على الإطــلاق، الأجواء كانت عادية، وهي أجواء الخروج إلى مهمة عادية أو روتينية، ينبغــي عليك أن تدرك بأن سفن وبوارج سلاح البحرية الإسرائيلية تتجول بحرية مــنذ سنوات بالقرب من شواطئ لبنان وسوريا ولم يسبق أن حدثت أية حادثة،

ولكـــن مـــن كان باستطاعته أن يفكر بالصواريخ في سلاح البحرية اعتقدوا بأنهم ســـادة هـــذه الـــبلاد، سادة مياهها وأجوائها ولا أحد يمنعنا من الاقتراب من أي مكان".

هناك مفهوم في البحرية الإسرائيلية اسمه "استباق الصواريخ" وهو تعبير حول إمكانـــية الدخول في منطقة توجد فيها صواريخ أرض - بحر وليس هناك أحد في سلاح البحرية الإسرائيلية من تحدث حول وجود صواريخ من هذا النوع في لبنان. الإبحار باتجاه الشواطئ اللبنانية كان عادياً وهادئاً، و لم يكن هناك شعور بأننا ندخل إلى عمق منطقة العدو أو نخوض الحرب. وصلنا إلى المنطقة المقابلة لشواطئ بيروت في يـــوم الخميس الساعة السابعة صباحاً، كنا نبحر في منطقة لا تبعد عن بيروت أكثر من ثمانية أو عشرة أميال بحرية وكنا نقترب بين فترة وأخرى أكثر وأكثر من الشاطئ وذلك من أجل تأكيد وجودنا، لكننا لم نطلق النيران، و لم يكن ذلك من مهمتنا أيضاً فقد كانت بوارج أخرى تقوم بهذه المهمة.

كانـــت تأتي أيضاً بين الفينة والأخرى بعض السفن واليخوت طالبة الخروج من المـــياه الإقليمية اللبنانية، لكننا كنا نرفض طلبها وكنا نأخذ في بعض الأحيان أوضاع قتالـــية استعراضـــية لتخويف السفن والمراكب المدنية. وتبين فيما بعد أن هناك سفناً أخـــرى مـــن سلاح البحرية تقترب من المكان كانت مستعدة لمواجهة وضع يتم فيه إطلاق الصواريخ نحوها، من خلال تفعيل المنظومة القتالية الإلكترونية المجهزة بها.

بعد أن سمعنا الانفجار، يقول أحد أفراد طاقم البارجة، الذي لم يكن من بين مـــن ســـارعوا إلى ظهر البارجة للوقوف على حجم الخسائر. ولذلك فإن شهادته مـــستمدة ممـــا سمعه من أصدقائه: الصاروخ أصاب الرافعة الموجودة على طرف الـــبارجة، وبسبب قوة الرافعة وسماكة فولاذها، لم ينفذ الصاروخ إلى بطن البارجة الأمر الذي حال دون حدوث كارثة، الرافعة دمرت تماماً، وعلى الرغم من ذلك، فقـــد أصيبت البارجة وبخاصة داخلها وأطرافها بأضرار كبيرة، والطائرة العمودية الجاثمـــة علـــى المهـــبط على ظهر البارجة دمرت تماماً، الصاروخ نفذ من المهبط وأحـــدث بـــه ثغرة كبيرة، بعد ذلك، اشتعل حريق كبير داخل البارجة وأتى هذا الحـــريق على أجهزة البارجة الموجودة تحت المهبط، ثم بدأت المياه تتدفق إلى داخل

البارجة، الدخان عطل البارجة تماماً وبدأت البارجة تميل باتجاه الخلف وبدأت ألسنة النار تمتد إلى الخلف والأمام.

قائد البارجة، مع قائد السفن الصغيرة الملحقة بالبارجة وطبيب وبعض طاقم البارجة تراكضوا باتجاه مؤخرة البارجة وبدأوا يحصرون الأضرار، المرحلة الأولى كانت تقدير الأضرار ومحاصرة النيران وعلاج الإصابات، ولكن الأمر الأخطر كان التعامل مع ألسنة النيران التي بدأت تأتي على كل شيء في البارجة. والشيء الأكثر أهمية كان الإسراع في حصر الخسائر البشرية في أطقم البارجة، قيادة البارجة بذلت جهوداً كبيرة في ذلك، الطبيب عالج المصابين والجرحى، والذين أصيبوا معظمهم من جراء استنشاقهم الدخان، ثلاثة جنود كانوا موجودين في حجرة من مؤخرة البارجة حاولوا الهرب لكن ألسنة النيران أتت عليهم وماتوا على الفور، بقية القتلى ماتوا من جراء الانفجار.

بعد الانفجار مباشرة، هرعت إلى مكان الحادث سفن وبوارج تابعة لسلاح البحرية كانت بالقرب من المكان لمساعدة البارجة "حانيت"، سفن بحرية من طراز "دبورا" شرعت إحداها بضخ المياه على ظهر البارجة المحترقة، التي أصبحت تغلي من الحرارة من جراء الحرائق المشتعلة على ظهرها والتي استمرت لساعات وكان من المستحيل الصعود إلى ظهر البارجة، وكان ذلك ممكناً بعد أربع ساعات فقط عند الساعة الواحدة من صباح السبت خفت حرارة البارجة وكان من الممكن الصعود إلى ظهرها، حيث تم إخماد الحرائق بعد ثلاث ساعات أو أربع ساعات.

بعد تقدير الخسائر قرر قائد البارجة قطرها بسفينة أخرى تابعة لسلاح البحرية والإبحار باتجاه ميناء أشدود جنوب البلاد. وعندما وصلت إلى الميناء المذكور وبعد أربع وعشرين ساعة من إبحارها من مكان الحادث كانت في انتظارها قيادة سلاح البحرية برمتها، بمن فيهم قائد سلاح البحرية اللواء دافيد بن بعشيط: "لم أصدق نفسي بأن أرى هذه الوجوه، و لم أصدق بأنني سوف أرى وجه قائد سلاح البحرية واعتقدت أنه لن يظهر أمام الناس، وأنه سوف يستقيل من جراء ما يشعر به من خجل بسبب هذه الحادثة وبدلاً من أن يستقيل، فقد

تحـــدث إليـــنا وشكرنا على الجهد الكبير الذي بذلناه، وإن البارجة التي نستقلها كانت ستغرق لولا الجهد الذي بذلناه، ولذلك نحن ما زلنا على قيد الحياة، وكانت الـــبارجة أنقذت لأجلنا أو بسبب الحظ، لأن الصاروخ أصاب الرافعة ولم يخترق جسم البارجة".

"أقول بصدق: كنا متعبين، منهكين، لم نذق طعم النوم لمدة ثمان وأربعين ساعة، لكنني لا أفهم الآن لماذا لا يستقيل قائد سلاح البحرية ويتحمل مسؤولية عـــن هـــذا الفشل الكبير؟ لذلك فقد استعاض عن ذلك بقوله لنا: "أنتم كنتم كبار".

والآن: هجوم شامل

بقلم: أليكس فيشمان

يديعوت أحرنوت - 2006/7/13

هـــذا شـــيء أليم جداً، لكنه إسرائيلي جداً: الفشل فقط هو الذي يهب لنا الفهم.

مـــنذ الآن، الرد الإسرائيلي شامل. بضعة أيام متواصلة من عاصفة النار - في الأســـاس من الجو - لا تترك منشأة واحدة لحزب الله على حالها. في المكان الذي يـــوجد فـــيه تهديد استراتيجي يجب أن يأتي رد استراتيجي. كل زاوية تحمل ختم حـــزب الله - القـــيادات، والمعسكرات، والمواقع العسكرية، والقوافل، والمخازن، والمكاتب - يجب أن تُصاب. ليس الحديث فقط عن منظمة وعن قوتها العسكرية. كل هدف تُضعف إصابته حزب الله هو هدف مشروع. يشمل ذلك المس بمصالح الطائفة الشيعية، مصدر قوة حزب الله في لبنان. وتوجد جهات قوة أخرى أيضاً في لبنان تحتاج إلى التنبيه، من الجو. لا يهمهم حقاً أن يُختطف جندي إسرائيلي ما لم يمسهم ذلك. ربما تكون هذه فرصة حثهم على اتخاذ قرارات في قضية حكم حزب الله الذاتي في جنوب لبنان.

لا يـــصدق نـــصر الله أن إسرائيل ستعمل حقاً. إنه على ثقة من أننا بعد أن نُحدث شيئاً من الضجيج سنجري وراءه ونسأله التفاوض. إنه يحتقر هذه الحكومة. يظهـــر هـــذا في أوراق البحث في إسرائيل. إنه يُقدر أنها حكومة ضعيفة ستخضع للـــضغوط. إنه لا يفهم شيئاً واحداً: لأن هذه الحكومة بالذات لديها قدر أقل من الحديد على الكتفين يصعب عليها أكثر الثبات لضغط الرأي العام الإسرائيلي. وقد ضـــاق الـــرأي العام الإسرائيلي ذرعاً بالإخفاقات التنفيذية، والفشل والتضعضع الـــسياسي. إنه يريد أن يتلقى حزب الله الضرب، آخر الأمر. إنه مشارك في كل زاوية بالإرهاب، في غزة وفي الضفة وفي الشمال، فليدفع إذاً.

عجيب أن وزراء الدفاع في السنين الأخيرة، وقدماء المعارك وذوو الخبرة الكبيرة، قدموا النصائح، واكتفوا بالتهديدات وبالتعريض وتركوا حزب الله يقوى ويجلس على شراييننا. إن من بادر إلى المخاطرة وقرر تغيير التوجه الاستراتيجي هو المواطن عمير بيرتس خاصة.

في حقيقة الأمر، الهدف الاستراتيجي لإسرائيل هو الوصول إلى "نظام أمني" على طول الحدود مع لبنان. لم تنجح الإجراءات السياسية في هذا الاتجاه. نشأ توازن مشلول في الجهاز السياسي اللبناني لا يُمكّن من اتخاذ قرار وطني — لبناني، ألا وهو إبعاد حزب الله وتحمّل المسؤولية عن الحدود مع إسرائيل.

تستغل إسرائيل اليوم الفرصة لتستل من مستودعها العسكري طائفة من الإجراءات لتحطيم التوازن المشلول، وهذا التعادل في السياسة الداخلية اللبنانية. بالإضافة إلى إصابة أهداف بارزة لمنظمة حزب الله تستطيع مثلاً أن توجه الضرب إلى بنى تحتية اقتصادية – محطات طاقة، ومصانع، ومحاور حركة – تخدم في الأساس الطائفة الشيعية، التي ينحصر أكثرها في الأجزاء الجنوبية من لبنان. لسنا مضطرين أيضاً إلى شل الكهرباء في بيروت كلها. يمكن فعل ذلك بالذات في أحيائها الجنوبية (الشيعية). وإذا ما شئنا أن نُنبه جهات قوة أخرى لا تجد الطريق إلى مواجهة حزب الله داخل لبنان، فيمكن المس بمصالح اقتصادية لبنانية شاملة. إصابة المطار، مثلاً، والسياحة، والأعمال. شيء يُبين أنه يوجد ثمن لموافقتهم على قبول برنامج العمل الذي يُمليه نصر الله على سائر الطوائف في لبنان.

ما تزال سوريا خارج المجال. هذا هو توجيه رئيس الأركان. لن نُلاعب سوريا. لا توجد قيمة للتلميحات الصغيرة. حسبنا أن نجعل من أنفسنا هُزأة، إما نضرب سوريا حقاً أو لا نفعل شيئاً. إن ضربة قوية جداً لسوريا، قد تصل إلى الحرب، لن يقبلها العالم، الآن.

العملية العسكرية التي بدأها الجيش الإسرائيلي أمس في لبنان تُذكر بـ "عناقيد الغضب" – ولكن بأبعاد وتركيز نار أكبر. وسيكون لها ثمن. يجب أن نذكر أن حزب الله قد استعد لهذه المواجهة خمس سنين على الأقل وأعد لنفسه مراتب رد ابتداء من إطلاق الصواريخ على أهداف عسكرية في الشمال، وبعد

ذلــك إطلاق النار على أهداف مدنية والاستمرار إلى رتبة أخرى: إصابة أهداف اســتراتيجية داخل إسرائيل مثل مطارات وخليج حيفا. وقد يستمر هذا ليتجه إلى الجنوب بعد ذلك، إلى السهل الساحلي.

الــصواريخ التي يمتلكها، تحت مسؤولية الحرس الثوري في لبنان، قد تصل إلى مــنطقة نتانــيا. يجب على إسرائيل أن تكون مستعدة لذلك نفسياً. وأن تدرك أن المــواجهة الــتي ستدخلها قد تستمر زمناً، وقد يسقط ضحايا، وقد تحدث أخطاء وإخفاقات، ولهذا يجب أخذ نفس عميق.

تهــدف فكرة تجنيد الاحتياط إلى الرد على إمكانية ألا تُؤتي العمليات الجوية القوية بإزاء مطلقي الصواريخ والضغط الداخلي اللبناني لوقف إطلاق النار، أُكلها، عــندها لن يكون مناص سوى إدخال قوات برية إلى الداخل ومحاولة إبعاد مطلقي الصواريخ باحتلال الأرض. كلما كان الدخول أعمق فسيضطر حجم القوات إلى أن يكون أكبر. إن استعداد قوات بمقدار كبير كهذا ليس مسألة يوم أو يومين. إنه يستدعي تجنيد الاحتياط بعملية ستستمر أسبوعاً على الأقل. يأملون جداً في الجيش الإســرائيلي ألا نصل إلى هناك. وعندما تضع الحرب أوزارها، سيضطر الجيش إلى تقــديم الكــثير من الشروحات. "إخفاقان تنفيذيان" له - أحدهما في كيرم شالوم والثاني أمس على الجدار الحدودي - ورّطا دولة إسرائيل وقاداها إلى مناطق ربما لم تكــن لتــصل إلــيها. وليست هذه هي الإخفاقات التنفيذية الوحيدة. تُدفع دولة إسرائيل اليوم إلى وضع لم تعرفه في الماضي: ثلاث جبهات لمحاربة الإرهاب: عملية في غزة آخذة في التدهور لتصبح مثل "السور الواقي"؛ وعملية في لبنان ذات مدى بعيد يبلغ إلى حجم "عناقيد الغضب"؛ واستمرار القتال الشاق المرهق في الضفة.

في القــيادة الجنوبــية وُجدت تسويغات للاختطاف. فهناك تجري مواجهة متواصــلة. ولكــن ماذا يوجد عند قيادة الشمال تقوله في الدفاع عن نفسها؟ هل تــوجد لهــا جبهة شرقية فوق رأسها؟ هل الحدود السورية عاصفة؟ كل ما لديها لتفعله، يوماً بعد يوم، هو مراقبة أن الجنود المُقامين على امتداد الــ 70 كيلومتر من الجــدار يــؤدون عملهم كما ينبغي، وعندما يطلقون النار حولها فيجب عليها أن تفترض أنه قد تكون هناك محاولة اختطاف. ليس هذا الأمر معقداً كثيراً.

تجاوزوا الحدود

بقلم: أليكس فيشمان

يديعوت أحرنوت - 2006/7/14

"أنـــا رجـــل ســـلام، ولكن مع كل الاحترام - أنا أعتقد أن صنع السلام يـــستوجب ضربهم ضربة قاسية لم يشهدوا لها مثيل من قبل"، يقول عمير بيرتس، وزيـــر الـــدفاع، وبهذا يحوّل الصراع إلى صراع شخصي ويحذّر قائد حزب الله: "حسن نصر الله سيتلقى ضربة تجعله ينسى اسم عمير بيرتس".

بعـــد جلـــسة الحكومة يوم الأربعاء ليلاً، بساعة من الزمن بدا وزير الدفاع مُـــصمماً جـــداً ومقـــاتلاً ضارياً. "لتعرف أن من دفع لتنفيذ كل العمليات التي ستسمعون عنها غداً صباحاً - هو أنا".

هو لم يتمالك نفسه، وأطلق بعض الانتقادات على من سبقوه في المنصب. هو لا يفهم لماذا ترك أولئك الجنرالات السابقين في وزارة الدفاع حبة البطاطا اللبنانية الملتهـــبة على أعتابه تحديداً. "تعاظم قوة حزب الله لم يبدأ مع وصول عمير بيرتس إلى الـــوزارة. الصواريخ بعيدة المدى ووجودها عند الجدار - كل ذلك تراكم في عهد كل من يوجهون لنا النصائح الآن"، قال بيرتس.

بيرتـــس يـــتحدث بصورة صريحة مباشرة، هو لا يتفلسف، وهو لم يتفحص بعد قامـــوس المصطلحات العسكرية المبهمة. "ما يحدث في غزة لا يشبه ما يحدث في لبنان"، يقول بيرتس، "في غزة كان الأمر سينتهي لو جاء وسيط وسلم الجندي وأوقف صواريخ القسام، أما في لبنان فمن المحظور علينا أن نتحدث مع أي وسيط كان، من المحظور علينا أن نقبل وضعاً يضربنا فيه حزب الله بهذه الصورة من دون أن نغيّر المعادلة".

إرهاب على جبهتين

في يـــوم الأربعاء، وبعد اختطاف الجنديين بساعات، أرسل حزب الله توجهاً علنـــياً للأشـــقاء في قطاع غزة. هذا لم يكن حواراً بين إرهابيين: الأمر بدا وكأنه

توجيه للأوامر من التنظيم الأم لفرعه الجنوبي في قطاع غزة. طلبوا من حماس ومن الفصائل الأخرى المقاتلة في القطاع أن يزيدوا من وتيرة عملياتهم ضد إسرائيل: المزيد من القسام والعمليات. كل أمر يمكنه أن يشغل أكبر عدد من القوات الإسرائيلية على الجبهة الجنوبية. الأقنعة أُزيلت. فجأة يظهر الارتباط المادي بين حماس وحزب الله بصورة واضحة جداً. هناك وحدة في الهدف والصف والمصالح. ليس صدفة أن هناك تشابهاً هائلاً أيضاً بين عمليتي الخطف في كيرم شالوم والجدار الحدودي الشمالي. كلاهما جاءتا من مدرسة واحدة: لبنانية - إيرانية. هم أظهروا الاختطاف كعملية عسكرية مشروعة تحدث بين الأعداء. هذا العمل كان ثمرة لقرار استراتيجي بين الفصائل المختلفة، ليس فقط من أجل تركيع إسرائيل، وإنما أيضاً بلورة قوة داخلية وشرعية في المجتمع الذي ينشطون فيه. كل انتصار من هذا القبيل يعزز قوتهم داخل البيت ويزيد من رصيدهم الجماهيري على طريق الهيمنة الأصولية على المنطقة.

اختطاف الجندي هو تجسيد لنجاح الإرهاب. لا حاجة لتخطيط عملية معقدة في تل أبيب أو فقدان الشرعية الدولية مع عمليات الأبراج السكنية. اختطاف جندي هو بحد ذاته عملية استراتيجية، ولا يحتاج إلا إلى استثمار صغير ومُربح. هذا هو حلم الإرهاب الوردي، ولذلك لن تلبث هذه الظاهرة إلا أن تزداد اتساعاً. نجاحاتهم أو إخفاقاتنا أدت إلى الصحوة. فجأة وجد الجيش الإسرائيلي نفسه في حرب ضد الإرهاب على جبهتين في آن واحد - الأمر الذي لم يحدث معه في السابق، وإلى جانبهما توجد بصورة دائمة الجبهة الثالثة في الضفة الغربية.

هذه الجبهات الثلاث تتنافس على الموارد والاهتمامات، ليس صدفة أن الدبابات المدرعة لم تكن موجودة في زرعيت في الشمال، ذلك لأنها نُقلت إلى الجنوب، إلى الجبهة الغزاوية، بعد اختطاف جلعاد شليت. ليس هناك ما يمكن فعله، فستكون دائماً هناك جبهة أساسية وجبهتان أخريان فرعيتان. وطالما تركز النشاط في الشمال فستخف وطأة العمليات جنوباً.

اليوم تصرف القوات البرية وحدها 60 مليون شيكل زيادة على الميزانية المخططة في الشهر الواحد. الميزانيات المصروفة على الاستخبارات والجو تُضاعف

وتــثلّث المبلغ المذكور. سلاح الجو استخدم في غزة خلال أسبوعين وسائل لجمع المعلــومات الاســتخبارية بقدر لم يصرفه خلال عام انتفاضة 2001 كله. الجبهة الشمالية في المقابل أكثر تكلفة وتعقيداً.

فــتح الجــبهة الشمالية يستوجب دفع ثمن آخر - هو يبعد الحل المحتمل من خــلال المفاوضات لقضية جلعاد شليت. نصر الله أزاح مشعل عن المنصة وحدد تــسعيرة للتبادل، وحماس لا تستطيع أن تنــزل عن هذه التسعيرة. هذا الاستنتاج واضــح لتلك الأطراف الإسرائيلية التي تسعى للوصول إلى مشعل عبر قنوات غير مباشــرة لعقد الصفقة معه. استخدام الضغط العسكري في غزة لم يعد متناسقاً مع إطلاق سراح جلعاد، وهو يصب أكثر في إضعاف قوة حماس.

قــبل عملــية الاخــتطاف في الشمال، كان الجيش قد أضاع فرصة ثمينة للقــضاء علــى قــادة الذراع العسكرية لحماس دفعة واحدة. "الشباك" جلب معلــومات استخبارية جيدة، إلا أن القنبلة لم تكن قوية، فلم تصل إلى الطابق الأرضــي حــيث عُقد الاجتماع، وهكذا نجا محمد ضيف وأحمد غندور بشق الأنفس.

الإنجــاز الاســتخباري الذي توصل إليه "الشباك" كان ذروة جهود مركزة بدأت يوم الاثنين من هذا الأسبوع، حيث سمح بتنفيذ عمليات تصفية لكل من له علاقــة مباشــرة أو غير مباشرة بخط إنتاج الصواريخ. في هذا الإطار تمت تصفية ناشــطين مــن الجهاد واللجان الشعبية. نشطاء حماس العسكريون تحوّلوا منذ يوم الاثــنين إلى هــدف أساسي، والجيش يستعد لمواصلة القتال في غزة لمدة شهرين تقريباً.

فــتح الجبهة الشمالية يملك تأثيراً مثيراً على الوعي الإسرائيلي بالنسبة لقطاع غــزة. منذ صعود حماس برز في إسرائيل، وخاصة في القيادة العسكرية، تيار يدعو إلى تفكيك حماس بأسرع وقت ممكن. هذا التيار لم يستطع حشد أغلبية مؤيدة له حتى اليوم. والآن، بعد اندلاع العنف في الشمال، لم يعد هناك جدل حول المسألة. الاعــتقاد المهــيمن الآن هو أن حكومة حماس ما هي إلا فصل عابر، والعمليات العسكرية في الشمال والجنوب تُقرب نهايتها.

هراوة حزب الله

إسرائيل تستخدم في الحرب ضد حزب الله عصا جوية في الوقت الحالي، والقصف تركّز على 50 مبنى كانت تُخزن فيها الصواريخ بعيدة المدى الموجودة لدى حزب الله، والتي كان الحزب قد هدد بإطلاقها نحو إسرائيل. أما إذا أطلق الحزب صاروخاً نحو مركز عمراني كبير في عمق إسرائيل، فسترد عليه الأخيرة بضرب الضاحية الجنوبية التي يتمركز فيها حسن نصر الله وعائلته وكل قيادة الحزب.

إسرائيل استكملت أمس حصارها على لبنان من كل النواحي، بما في ذلك المعابر البرية الموصلة إلى سوريا. وهي تهدد بإلحاق أضرار بمليارات الدولارات للحكومة اللبنانية. الهدف الاستراتيجي هو تغيير "النظام الحدودي" القائم في الشمال من خلال الضغط على اللبنانيين لإجبار حزب الله على الابتعاد عن الحدود والتخلي عن مناطق الحكم الذاتي التي أقامها هناك.

إسرائيل ترغب بهز الجهاز السياسي الداخلي في لبنان وإضعاف قوة حزب الله العسكرية والسياسية، كل ما سجل عليه "حزب الله" هو هدف مشروع.

ضرب الأهداف العسكرية التابعة للحزب أسهل اليوم مما كان عليه في التسعينيات. حزب الله تأسس وتحول إلى تنظيم شبه عسكري مع قيادات وهيكليات وقواعد ثابتة ومعسكرات تدريبية ومخازن وإمدادات لوجستية. هو ظاهر على الأرض، وضعفه يكمن في قوته.

المستوى الثاني هو الضغط على الطائفة الشيعية المتمركزة في الجنوب وضرب مصالحها، كما حدث في "عناقيد الغضب"، أو كما قال أحد الضباط الإسرائيليين: إعادة لبنان عشرين سنة إلى الوراء من خلال ضرب البنية التحتية خاصة في الجنوب.

المستوى الثالث هو ضرب مصالح مراكز قوى أخرى في لبنان مثل الدروز والمسيحيين. ضرب المطار والسياحة والاقتصاد المركزي قد يحث هاتين القوتين إلى العمل بصورة أكثر حزماً على نزع سلاح حزب الله واستقلاليته داخل لبنان.

قـــرار إســـرائيل في يوم الأربعاء وضع نهاية لسياسة الاحتواء وضبط النفس وتفاهمات عناقيد الغضب، زالت (عدم ضرب المدنيين في الطرفين). وهكذا أصبح حـــزب الله متحـــرراً من قيود هذا التفاهم، وبإمكانه أن يضرب الأهداف المدنية الإسرائيلية من خلال ترسانته الصاروخية، وهذا ما يفعله.

هذه الهراوة الفظيعة المتمثلة بالصواريخ بعيدة المدى حتى عمق إسرائيل موضوعة علـــى المحك الآن. ولكن نصر الله ارتكب خطأ قاتلاً قبل أن يطلق صاروخه الطويل الأول. نـــصر الله يـــستخف بحكـــومة إسرائيل، وهو يعتقد أنها حكومة ضعيفة قابلة للـــضغوط وغـــير قادرة على تنفيذ تهديداتها، وهي عرضة للضغوط الأميركية وتخشى الرأي العام في إسرائيل ولا ترغب في التورط مع السوريين.

أخطاء نصر الله

نصر الله ارتكب خطأ كبيراً في اعتقاده ذاك، والجمهور الإسرائيلي قد سئم ابتزاز تنظـــيم إرهابي صغير له طوال عشرين عاماً. الخطأ الآخر الذي ارتكبه حسن نصر الله هـــو افتراضـــه أن إسرائيل لا تجد أحداً يقف في طريقها، كما كان يحدث في السابق خاصة الولايات المتحدة الأميركية. أميركا تقول الآن لإسرائيل أنها موافقة على تحطيم عظـــام حـــزب الله، ولا يبدو أن أحداً في الغرب يكترث لقيام إسرائيل بسفك دماء الحزب. الأمر الوحيد الذي يمكنه أن يوقف العملية الإسرائيلية في الجبهتين هو حدوث كارثـــة إنـــسانية فظـــيعة، تدمير بيروت أو خطر نشوب حرب شاملة بين إسرائيل وسوريا. ولكن إذا حرثت إسرائيل جنوب لبنان فلن يكترث أي أحد.

مـــن الواضـــح للجـــيش أن اســـتدعاء فرقة واحدة لن يكون كافياً لتغطية احتـــياجات الجبهة الشمالية، ولذلك يستعد لحشد فرق احتياطية أخرى وتوجيهها نحـــو الشمال عند الحاجة. الجيش يستعد من خلال خطتين، واحدة جوية وأخرى بـــرية. الـــبرية ســـتنفذ إذا لم تـــؤدِ الضربات الجوية إلى إسكات مصادر إطلاق الـــصواريخ، حيث سيتم الزج بقوات برية من أجل إبعاد مصادر إطلاق الصواريخ إلى الوراء وتقليل مدى إصابتها في هذه الحالة.

يُغيرون قواعد اللعبة

بقلم: عمير ربابورت

معاريف - 2006/7/14

عائدون إلى لبنان

بقعة زيت كريهة الرائحة تعلو من بقايا مركبة "هامر" التي كان حزب الله قد هاجمها صباح يوم الأربعاء الماضي، شمالي مستوطنة شتولا في الناقورة، حيث توجد تلك الأماكن الخلابة القريبة من بعضها البعض، والتي لا تختلف في منظرها عن تلك الصورة الجميلة في الريف السويسري. هناك فقد ثلاثة من جنود الجيش الإسرائيلي حياتهم، إضافة إلى اثنين آخرين هما الدر ريغف وإيهود غولدويس، أسرهما حزب الله في الجانب الآخر من خط الحدود، وطوال سبع ساعات من ذلك الهجوم لم يتمكن الجيش الإسرائيلي من الاقتراب من تلك النقطة. الجنود الذين كانوا يراقبون مركبة الهامر المحترقة، ظلوا يراقبونها من بين الأشجار لساعات وهم يخشون من أن يذهبوا لفحص حالة جنودهم هناك، حيث كانت قذائف مدفعية الهاون التابعة لحزب الله تقصف تلك المنطقة وتمنع الوصول إليها. خسائر كبيرة خسرها الجيش في ساعة واحدة من يوم قتال واحد، واختطف اثنان من جنوده، وما تزال قوات حزب الله تحاصر الموقع وتمنع جنود الجيش من الاقتراب من هناك. هذا ما سبب الشعور بالخجل، فجيش كبير وقوي، دبابته محترقة، فيها بقايا جنوده، يقف لساعات طويلة لا يقوى على التقدم، هذا ما يُسمى بـ "قواعد لعبة جديدة" فرضتها هذه المنظمة الإرهابية الشيعية على جيش الدفاع الإسرائيلي، مع أن هذا الجيش يملك سلاح جو يعتبر الثاني في العالم من حيث عظمته وحجمه بعد الولايات المتحدة. بكلمات مغسولة ومقبولة هناك، فقد أُطلق على سياسة "الإذلال" التي قبل بها الجيش الإسرائيلي طوال ست سنوات على حدوده مع لبنان، ومنذ الانسحاب من جنوبه اسم "السهولة" بدلاً من الإقرار بأن ميزان القوى يهدد بوجود 13 ألف صاروخ موجهة إلى مواقع في شمالي

إسرائيل، وهذا يعني كأن الجيش الإسرائيلي يُجنب مواطني الشمال هجمات حزب الله بهذه الطريقة ويتيح لهم، بذلك، التقدم والانتعاش جراء الهدوء الموجود هناك.

ولكن، إلى أي حد كانت سياسة "الإذلال" مقبولة هناك؟ ولماذا لم يتم تغيير قواعد اللعبة هناك منذ أن قام حزب الله باختطاف ثلاثة جنود من مزارع شبعا في شـــهر تشرين الأول 2003؟ وإذا لم يكن في ذلك الوقت، لماذا لم تتغير في أعقاب المحاولة الجريئة لاختطاف جنود من قرية الغجر في تشرين الثاني 2005 والتي رافقها هجوم شامل على معظم منطقة المستوطنات اليهودية؟ ولماذا سمح الجيش الإسرائيلي لحـــزب الله بالعودة إلى المواقع على امتداد الخط الأزرق وعلى بعد "بصقة" واحدة مـــن الجـــنود الإسرائيليين، حتى بعد أن استُخدمت تلك المواقع كقواعد لانطلاق مجمـــوعات حزب الله في الهجوم الأخير الواسع الذي حدث قبل شهر ونصف، في 28 أيـــار 2006؟ وفي نفس ذلك الهجوم أطلق حزب الله صواريخ الكاتيوشا على إحدى القواعد القيادية لسلاح الجو في جبل ميرون بالقرب من صفد.

وبـــدلاً من تغيير هذه القواعد في الوقت الصحيح، فإن الجيش الإسرائيلي واصل سياسته التي أكل عليها الدهر وشرب، رغم محاولات الاختطاف المتكررة والمتتالية التي أعلن حسن نصر الله عنها صراحة، وعن عزمه الاستمرار بها حتى ينجح بواسطتها من إطـــلاق سراح سجناء من السجون الإسرائيلية، بدلاً من تصديه الحالي الذي قد يجر إســـرائيل إلى حـــرب إقليمية شاملة رغم احتفاظ هذا الشيخ بالورقة التي سيُجبر بها إســـرائيل علـــى مفاوضـــته والاتفاق معه. من المؤكد والضروري الإقرار بأن الخطأ الاستراتيجي الذي وقعت فيه إسرائيل لم يكن خطأ الجيش وحده، لأن المسؤولية أولاً وأخـــيراً تقـــع علـــى المستوى السياسي، وليس على حكومة واحدة، بل على أربع حكـــومات. كل الحكومات الإسرائيلية منذ الانسحاب من جنوب لبنان عام 2000، اشترت "هدوءاً نسبياً" على حساب الوضع والمستقبل الاستراتيجي بعيد المدى، وعلى حساب قوة ردعها. إذا كان الخطأ في الجنوب هو عدم القيام بعملية على غرار "أمطار الـــصيف" بعـــد ســـقوط القسام الأول الذي أُطلق باتجاه مستوطنات الجنوب بعد الانسحاب، ففي الجنوب اللبناني الوضع أسوأ بكثير لأن إسرائيل لم تنفذ تهديداتها منذ الانسحاب من هناك قبل ست سنوات، مع أنها انسحبت إلى الحدود الدولية.

بيرل هاربر كمثال

مــن نواحي عديدة، يمكن تشبيه هجوم حزب الله صباح يوم الأربعاء الماضي بالهجـوم الياباني على بيرل هاربر فجر 1941/12/7. صحيح أن هذا مختلف تماماً، ولكــن الأبعـاد هي المماثلة بالطبع، فالساعات الـ 48 الأخيرة التي مرت على إسرائيل قاسية للغاية، حيث تسببت في جرّ أمة كاملة إلى حرب، كانت تلك الأمة (الأميركـية) قد فعلت كل ما تستطيعه حتى تبقى بعيدة عنها. وبتأخير كبير فهم الأميركـيون بأنــه لا مناص لهم من القتال والحرب، وأن ذلك الهجوم كان بمثابة إعلان حرب ضروس من جانب اليابان. وبذلك صدق رئيس الوزراء إيهود أولمرت أمس الأول عندما قال بأنه يرى هجوم حزب الله صباح الأربعاء إعلان للحرب.

لا تــوجد طريقة أخرى لتفسير ذلك الهجوم الواضح لحزب الله. ففي المنطقة الــتي عملــت فيها قوات حزب الله لا يمكن له الادعاء بأنه عمل من المنطقة التي تستمر فيها بعض اعتداءاته على أنها مزارع شبعا التابعة للبنان، كما فعل في عملية الاخــتطاف السابقة التي نفذها قبل ست سنوات. في شهر تشرين الأول 2000. وكمــا هي حال الولايات المتحدة في ذلك الوقت، فإن هجوم حزب الله لم يترك لإسرائيل أي مبرر إلا العمل من أجل "تغيير قواعد اللعب" هناك.

المــشكلة هي أن الجيش الإسرائيلي لا يستطيع تنفيذ عملية "الأجر المناسب" – الهجوم الأكبر على لبنان منذ حرب سلامة الجليل في توقيت مناسب من ناحيتها. بل علــى العكس، فإن التوقيت الذي لم يكن صدفة بالنسبة لحسن نصر الله، يفرض على إسرائيل فتح جبهة ثانية في الوقت الذي يغوص فيه الجيش الإسرائيلي في حرب قاسية في غــزة، والــتي ما زالت نهايتها غير واضحة وغير مفهومة. وكذلك في غزة، فإن إسرائيل تحاول "تغيير القواعد العامة"، وحتى الآن هي لم تنجح. والقتال على جبهتين يعتــبر تهديداً وشرذمة لكل جيش، ولا يمكن التعلل والأسف، بأنه في كل واحدة من العمليات التي يواجهها الجيش، فهو يواجه حزب الله في الشمال كما يواجه حماس في الجــنوب، هو ليس إلا جيش يواجه منظمات إرهاب في المنطقتين من خلال قدرات عسكرية محددة. وفي كلتا الحالتين، فقد نجحت هاتين المنظمتين باختطاف جنود وجر إسرائيل وجيشها داخل مناطق سكنية مأهولة على جانبي الحدود في المنطقتين.

علـــى هذا، إذا كانت عملية "الأجر المناسب" مصنّفة لدى الجيش الإسرائيلي في هذه المرحلة على أنها مجرد "عملية"، فإن الأجواء العامة في القيادة العسكرية ليست إلا "أجواء حرب" بكل معنى الكلمة. رئيس هيئة الأركان، دان حلوتس، غاص إلى أحد "المواقع المحصنة" في وزارة الدفاع، حيث يشاهد هناك على شاشات لا تُحصى كل ما يحـــدث في المنطقة من خلال الصور التي ترسلها الطائرات الصغيرة، والطائرات بدون طـــيار، والمـــراقبة الأرضية. وعمليات دراسة الأوضاع وتحليل المعلومات تتم بصورة دوريـــة ومتلاحقة من خلال كمية المعلومات التي تأتي من كل الاتجاهات وعلى ضوء الـــتطورات، كمـــا أن قـــادة الجبهات الأخرى المشاركين في هذه التحليلات وهذه المداولات، ولا سيما قادة الجبهات الجنوبية والشمالية، يشاركون على نحو تفصيلي في تحليل الوضع القتالي على الجبهتين. ومن خلال هذه الأجواء الحربية داخل ذلك الموقع المعـــين، فإنـــك تـــسمع رئيس هيئة الأركان يقول "يمكن إعادة بيروت 20 سنة إلى الوراء"، إلى ما كانت عليه في ذروة الحرب الأهلية التي شهدتها، حيث كانت العاصمة اللبنانية مقطوعة تماماً ومعزولة عن العالم.

ولمعرفة مدى جدية أجواء الحرب السائدة هناك، يمكن معرفة ذلك من خلال الاتفاق بين إيهود أولمرت وعمير بيرتس وتسيبي لفني على دعوة الوزراء الذين لهم خلفـــية أمنية (عسكرية) وخبرة أمنية من أمثال شاؤول موفاز وديختر للاشتراك في "المطبخ المصغّر" الذي تشكّل ليكوّن الجهة الرسمية المخوّلة في بلورة السياسة الأمنية واتخـــاذ القـــرارات العسكرية – السياسية في هذه الأزمة، ولبلورة كل ما تحتاجه عملـــية "الأجر المناسب". معاً تنقّل موفاز مع بيرتس على الخرائط الكبيرة الكثيرة التي نُقلت إلى مكتب رئيس الوزراء في وزارة الدفاع في تل أبيب في ساعة متأخرة مـــن الليل، وفي ظروف غير هذه فإن إجراء كهذا كان سيبدو وكأن موفاز يدوس علـــى أصـــابع بيرتس ويتعدى على صلاحياته، ولكن عندما تدق طبول الحرب، وترعد المدافع، فلا أحد يعمل مثل هذه الحسابات.

أهداف متداخلة

كما هي الحال في عملية "أمطار الصيف" في قطاع غزة، هكذا هي الحال بالنسبة لعملية "الأجر المناسب" في جنوب لبنان، هي ذات أهداف عسكرية غير اعتيادية، بل

إنها شاذة تماماً. ففي المعنى الأولي فإن كلتا العمليتين استهدفتا إيجاد ضغط كبير وشديد ومــؤلم على المواطنين في قطاع غزة وفي لبنان من أجل إعادة الجنود المختطفين، وكل واحــد في جبهته وعلى النحو الخاص به. وإلى حد ما، فإن إسرائيل تراهن على حياة جــنودها المخــتطفين في كلــتا الجبهتين، وتحاول أن تضع حداً لعمليات الاختطاف والابتزاز، ولإصلاح، ولو بجزء بسيط نسبياً، قوة ردعها التي فقدتها منذ سنين طويلة.

ومــع أن عملية "أمطار الصيف" التي تقف على أعتاب الأسبوع الرابع منذ بدايــتها، معقــدة للغاية لأن الجيش الإسرائيلي يواجه صعوبة في استمرار عمليات ضــغطه دون التورط والانجرار إلى مستنقع الدخول إلى غزة، إلا أن عملية "الأجر المناســب" في لبنان، التي تبدو سهلة، هي عملية أكثر تعقيداً من تلك التي نراها في غزة، وذلك من حيث التهديد المتوقع من غزة، ذلك التهديد المتوقع على المواطنين الإســرائيليين في العمق الإسرائيلي، والذي يأتي من الشمال. كمية الصواريخ التي توجد في أيدي حماس تعتبر صغيرة وقليلة نسبياً، وصواريخ القسام التي يُصنعونها في المخارط البدائية والتي تحتوي على مواد متفجرة من النوع الذي يمكن الاحتفاظ به علــى الــرفوف لمــدة ثلاثة أسابيع فقط، ومعدل الإنتاج اليومي لا يزيد عن 20 صــاروخ في أحسن الأحوال. هذا يعني أن حماس في أحسن قدراتها تستطيع إنتاج وتخزين ما لا يزيد عن 400 صاروخ فقط.

وبعــد أن أُطلقــت عشرات الصواريخ في الآونة الأخيرة، وبعد أن أخذت طائرات سلاح الجو بقصف وتدمير هذه المخارط التي يُنتجون فيها الصواريخ، فإن مخــزونهم انخفض على نحو واضح، وهذا يُفسر تراجع كثافة إطلاق الصواريخ من غزة باتجاه مستوطنات وبلدات الجنوب في الأسبوع الأخير. وزيادة على ذلك، فإن مدى صاروخ القسام، حتى ذلك الذي يضرب ويصيب عسقلان، لا يزيد على 12 كيلومتــراً، كمــا أن قوته التدميرية التي تُحدد بكمية المواد المتفجرة الموجودة في طرف الصاروخ، تعتبر محدودة ونسبية، فعدد المصابين جراء سقوط عشرات، وربما مئات الصواريخ، يعتبر صغيراً للغاية.

وفي مقابل ذلك، فإن الصلية الأولى من صواريخ الكاتيوشا التي أطلقها حزب الله يوم أمس باتجاه مدينة نهاريا رداً على الهجمات الليلية التي شنتها طائرات سلاح

الجـــو على مواقع لبنانية، بما فيها المطار الدولي في بيروت، قد تسببت صباح أمس بأضرار بالغة، بما في ذلك مقتل سيدة في صباح نفس اليوم. ومدى الصواريخ التي بحـــوزة حـــزب الله تصل إلى 75 كيلومتراً، ويمكنها أن تغطي كثيراً من المناطق في العمـــق الإسرائيلي، بما في ذلك مدينة حيفا. وهنا لا نتحدث عن النوعية، بل أيضاً عـــن الكميات، ولكي تصيب كميات كبيرة تتجاوز في عددها 13 ألف صاروخ مُخـــزن في مخازن تحت الأرض، بُنيت خصيصاً لهذه الغاية بعمل وجهد متواصلين لعـــدة ســـنوات، فإن الجيش الإسرائيلي يحتاج على الأقل إلى أسبوعين متواصلين ســـتلحق بالمواطـــنين الإســـرائيليين في شمالي البلاد ضربات قوية وخسائر فادحة، وخلال الأسبوعين يمكن أن تطلق صواريخ باتجاه مصافي البترول في حيفا، مما يعني خسائر وأضرار كبيرة، بما فيها أضرار بيئية ستنجم عن مثل هذه الضربات.

وإذا مـــا تمكـــن حزب الله من إصابة مواقع في مدينة حيفا، فإن لدى الجيش الإســـرائيلي خططـــاً يمكـــنه بواسطتها أن يتسبب للبنان بخسائر فادحة قد تُكلفه ملـــيارات الـــدولارات، وذلـــك عن طريق تدميره لمحطات الطاقة الكهربائية التي سيحتاج لبنان إلى شهرين على الأقل لإصلاحها، وهذا ما يقصده مصدر عسكري آخر رفيع المستوى بقوله "إذا اضطررنا، فإننا لن نُعيد لبنان 20 سنة إلى الوراء، بل سنُعيده إلى 50 سنة إلى الوراء". وهذا كان تعقيباً على عبارة رئيس الأركان.

في الجـــبهة الداخلية، وخاصة في منطقة حيفا والخليج، أغلبية المنازل لا توجد فيها ملاجئ. وهذه واحدة من نقاط الضعف الأساسية في هذه العملية التي خرجت إسرائيل لتنفيذها الآن. كما أن سلوك وتصرف المواطنين سيكون أحد الأساسيات الحاسمـــة في تطور واستمرار القوات الإسرائيلية (وموافقة الحكومة) على الخطوات العملـــية الـــتي تنفذها في إطار هذه العملية العسكرية، وخصوصاً في منطقة حيفا، إضـــافة لمـــستوطنات الشمال. وإسرائيل قد تدخل في مشكلة قاسية وصعبة جداً. وهـــذا ربمـــا ما جعل قيادة الداخل في إسرائيل توجه نداءات وتوجيهات لسكان حـــيفا وجوارها في حالة هجوم صاروخي عليها (وذلك بحكم عدم وجود ملاجئ في منازل حيفا) بأن يقوم السكان في الدخول إلى إحدى الغرف الداخلية الواقعة في آخر البيت والابتعاد عن النوافذ بالقدر الممكن. أما الرسالة الموجهة إلى السكان في

الشمال، المُعرضين فعلياً للخطر الكبير، فإنها تضمنت تعليمات تدريجية توصلهم إلى مرحلة دخول الملاجئ وعدم الخروج منها إلا وفقاً للتعليمات.

ما بين غزة ولبنان

كما هو في غزة، فإن احتمال أن يكون باستطاعة العملية العسكرية (مهما كانت قسوتها) أن تتمكن وحدها من إعادة الجنود المختطفين سالمين إلى بيوتهم، تعتبر ضئيلة. ولكن العملية حقاً قد أُعدت، ولو على الورق، لكي تُغيّر إسرائيل قواعد اللعب، ولكي توجّه ضربة قاسية لصواريخ حزب الله. وكذلك، فإن الهدف الإضافي هو إجبار الحكومة اللبنانية على نزع سلاح حزب الله. وفي الجيش الإسرائيلي يعرفون جيداً بأنه يوجد فرق كبير وأساسي بين غزة ولبنان. ففي الوقت الذي تحظى فيه حماس بتأييد ودعم شعبي في الأوساط الفلسطينية، ففي لبنان نجد أن الأغلبية ليست معنية بحدوث هذه المواجهة مع إسرائيل، وهذه الجماهير التي لا ترغب باستمرار أعمال حزب الله، هي نفسها الجماهير التي تمكنت بفعالياتها من إخراج القوات السورية من لبنان، ولذلك فإن لإسرائيل أمل بأن تكون نتيجة هذا الضغط الذي تمارسه أن تقوم جماهير لبنان بالضغط على حزب الله والتخلي عنه، وذلك لأن هذه المنظمة لا تحافظ إلا على المصالح الإيرانية.

أما من ناحية عسكرية، فإن سلسلة الهجمات (الجوية بالأساس) لم تكن عفوية أو أنها تأتي صدفة. فالحقيقة أنه كانت للجيش الإسرائيلي خطط وبرامج أعدها سلفاً، وكانت مُعدة في الأدراج، كما يقال، وبانتظار أي تصعيد على الحدود الشمالية، والذي كان حسب خطط الجيش أنه أمر لا بد من وقوعه عاجلاً أم آجلاً. بل إن الجيش الإسرائيلي أجرى مناورات عديدة وتدرب على تنفيذ هذه الخطط قبل أكثر من شهرين. وهذا ما فسر على نحو "صورة إرجاعية" وجود قائد الوحدة المدرعة في القيادة الشمالية صباح يوم الأربعاء، باعتباره القائد المسؤول عن تنفيذ هذه الخطة، لكن قائد الجبهة الشمالية، الجنرال أودي آدم، الذي أشرف شخصياً على تلك الفرقة قرر في نهاية الأمر، وعلى مسؤوليته الخاصة، استدعاء فرقة احتياط.

قادة هذه الفرقة كانوا قد استُدعوا صباح الأربعاء الماضي، إلى إعادة تدريب، ويوم أمس تقرر تجنيد هذه الفرقة رسمياً، ورغم كل الأوضاع، تقرر يوم أمس البدء بإرسال هذه الفرقة نحو الشمال، والفرقتين ستشكلان وحدة واحدة في القتال على الجبهة الشمالية كقوة برية مدرعة عند اللزوم، وهي الخطة التي ما زالت في هيئة الأركان في مراحل التخطيط الأولي، والجيش الإسرائيلي سيعرض هذه الخطط أمام الحكومة ويطلب الموافقة عليها كموافقة استثنائية لتنفيذ عملية برية إذا وُجدت ضرورة لذلك.

الانتقال إلى العمليات البرية رُهن بمدى رد فعل حزب الله وضرباته. فكلما زادت الأهداف المدنية التي سيهاجمها حزب الله في العمق الإسرائيلي، فإن هذه الخطة ستنفذ أسرع.

حالياً، المراحل الأولى من عملية "الأجر المناسب" ما زالت جوية في معظمها. وتقريباً فقد تم تجنيد كل سلاح الجو لهذه العملية الحربية. ومئات الطائرات صعدت إلى الجو وأخذت تشن غارات تدريجية منظمة ومرتبة، بدأت بطائرات قليلة وسارت على نحو تدريجي - تصعيدي، وهكذا ستسير. الهدف الأول في هذه المرحلة هو استمرار الغارات التدميرية التي تهدف إلى تدمير العدد الأكبر من مواقع حزب الله وتدمير أماكن ومواقع صواريخه وبنيته التحتية على امتداد لبنان، ولكن هذه المرحلة شهدت أيضاً تدميراً وتخريباً لجسور وأنفاق تربط المناطق اللبنانية بعضها ببعض وما بين الجنوب والشمال، وذلك لفصل وقطع مناطق إطلاق الصواريخ باتجاه إسرائيل.

إن الهدف من وراء مهاجمة مطار بيروت الدولي لم يكن فقط من أجل دفع لبنان ثمناً لما يحدث، بل لمنع قطارات جوية تبدأ بتدفق الأسلحة على لبنان وخصوصاً صواريخ من إيران خلال الفترة القادمة. وفي النهاية بذل جهود لإصابة قواعد إطلاق صواريخ "فجر 3" و"فجر 5" التي يصل مداها إلى 40 - 75 كيلومتراً، والتي تسبب الخطر الأساسي الأول الذي يهدد به حزب الله إسرائيل. وكذلك، فإن إسرائيل قامت بفرض حصار بحري على لبنان، وفي نهاية الأمر قررت إسرائيل مهاجمة بعض الأهداف في الضاحية الجنوبية من بيروت، حيث توجد مكاتب ومقرات قيادة حزب الله وأماكن سكن قادة هذا التنظيم. وقد قامت

إســـرائيل بنقل إنذار مسبق إلى لبنان لتقوم بإخلاء سكان من الضاحية الجنوبية في بيروت.

حتى صباح أمس، قامت إسرائيل بتدمير جميع الجسور الموجودة بين بيروت وبـــين رأس الـــناقورة حسب "بنك الأهداف" المُعد سلفاً في القيادة العسكرية. وقد تم اقتسام هذه الأهداف بين أسراب الطائرات التي أقلعت من قواعد سلاح الجـــو في أرجـــاء البلاد واحداً بعد الآخر. وأن مهاجمة قواعد إطلاق صواريخ "فجـــر" الـــتي نُفـــذت علـــى أمل إبعاد الخطر الذي يهدد به حزب الله حيفا والهجمات الصاروخية بعيدة المدى، هذه الهجمات تم تنفيذها في المرحلة الأولى من الغارات. حتى صباح يوم أمس تمت مهاجمة نحو 40 قاعدة لإطلاق صواريخ بعيدة المدى من هذا النوع، والتي كانت مخبأة في مواقع في جنوب لبنان وداخل بيوت سكنية، وقام الجيش الإسرائيلي "ببساطة" بتدمير تلك البيوت. وبعد ذلك جـــرى تحلـــيل للصور ما بعد الهجوم، وتبين أن جزءاً لا يُستهان به من قواعد الإطـــلاق قـــد لحق بها ضرر كبير، وقتل أيضاً في الهجمات ما لا يقل عن 30 عنصراً من حزب الله.

وللتفـــريق بين هذه العملية التي استهدفت مهاجمة قواعد إطلاق صواريخ "فجر" بعيدة المدى وبين الكشف عن مواقع إطلاق صواريخ الكاتيوشا الصغيرة التي ليس من السهل اكتشافها إلا في لحظة قيامها بالقصف، حيث أنها لا تحتاج إلا لـــثوانٍ معـــدودة لتجهيـــزها وإطلاق الصواريخ، إلا أن الأولى تحتاج لصبر ووقت طويل للتجهيز والتوجيه لا سيما إذا كان الحديث يدور عن قصف لمواقع في العمق. الجيش الإسرائيلي يعرف أن حرية العمل التي يملكها حتى الآن، سواء على الصعيد الدولي بشكل عام، أو من قبل الأمم المتحدة بشكل خاص منوطة ومـــرتبطة بمـــدى استمرار إسرائيل بالحرص على عدم ضرب المدنيين، وبالقدر الأكبر من الابتعاد عن الأهداف المدنية كما هي الحال بالنسبة لضرب مواطنين فلسطينيين أيضاً.

أمي، عدنا إلى لبنان

بقلم: إيتان هابر

يديعوت أحرنوت - 2006/7/14

(1) قبل ستة أعوام وشهرين، في نهاية شهر أيار 2000، قرأت عيوننا ذلك العنوان "أمي، خرجنا من لبنان". شعور الجنود بالراحة في موقع العيشية (هل تذكرون؟ كان اسمه هكذا). هكذا سمعوها في معبر طابا. هذا السرور الذي راج في جميع أنحاء البلاد وهكذا شاهدوه على شاشات التلفزيون قد وجه أيضاً إلى العالم بأسره. فـ 18 سنة من الدماء والحرب قد انتهت، وأكثر من 1.500 قتيل سقط، كل هذا قد وصل إلى نهايته مع الشكر لقرار رئيس الحكومة آنذاك، إيهود براك. هناك من يقول بأن ذلك القرار هو القرار الوحيد الناجح الذي اتخذته تلك الحكومة. اليهود يذكرون وجميع الإسرائيليين أيضاً يعرفون بأن ذلك كان يكفي بأنه لا حاجة للمزيد من نشرات الأخبار التي تتحدث: من الذي قتل اليوم؟ وأين قتل؟ وكم قطرة دماء أخرى ستضاف إلى تلك السنوات الطويلة؟ حوالى 120 شاباً إسرائيلياً على قيد الحياة، يحبون ويمتعون أنفسهم الآن بعد خروجهم أحياء من تلك الحرب ومن تلك الفترة ولا يزالوا يقولون بأنهم أحبوا تلك الأيام ولكنهم خافوا منها وصرخوا: أمي ها نحن عدنا من لبنان.

(2) ست سنوات تقريباً انتظر الجيش الإسرائيلي مثل هذه اللحظة. فمنذ خروجه من لبنان خرج هذا الجيش وجلس على خط الحدود وآذانه تسمع كل ما يقال في الطرف الآخر اللبناني، كان يراقب الكيفية التي يقيم بها حزب الله مواقع صواريخه، ويطورها، ويقدّمها ويعود ويبني غيرها. مدى إطلاق النار لهذه الصواريخ البعيدة كانت يومياً تشعر الجنود بخطر إطلاقها وأين ستصيب في العمق الإسرائيلي، وطوال تلك السنين كان الجيش الإسرائيلي يتطلع إلى اليوم الذي يقضي فيه على هذه الشبكة من قواعد إطلاق الصواريخ - ويمكن القول، وانتظر - لكن الإذن بذلك لم يعطَ للجيش والطائرات لم تنطلق في الجو، والمدافع صمتت، والآن كل شيء تحرر وخرج من عقاله.

(3) الجـــيش خرج إلى هذه الحرب ضد عدو قادر ومنظّم، صارم ووحشي ويعرف كيف يتهرب، العدو الصلب جداً والذي يقف أمامنا باستمرار. ولا نقصد الفلسطينيين أو السوريين، المصريين أو الأردنيين، بل هو أقصى وأعنف من الجميع، ألا وهو عناصر حزب الله. وهذه حقيقة: فإنهم مهنيين، يستعدون باستمرار للقيام بعملـــيات ويـــنفذونها علـــى نحو كامل ودقيق، حيث ينفذون كل خطوة بشكل تفصيلي لأنهم يستعدون ويمتلكون القدرة النفسية والعملية لتنفيذ هذه المهام، وكل ذلك يجري ويتم أمام أنظار الجنود الإسرائيليين.

(4) لن تنعموا بأغصان الأرز أو حبات الأرز التي ستلقى فوق رؤوسكم. لن تـــنعموا بالـــتقاط الصور مع عائلة الجميّل. لن تلفتوا أنظار الصغار ليقودوكم إلى مخابـــئ حـــزب الله كما تظنون أن هذا حدث في الماضي. فلا أحد سيدلكم الآن والكل إما يتعاون وإما يضمر المحبة والوفاء لهذا الحزب في كل قرية على حدة، فلا تـــصدقوا الابتسامات فلبنان لم يعد لبنان الدولة التي خرجتم إليها ذات يوم: فلبنان هي منظر، ومنظر بالغ التهديد والقوة.

(5) فـــرقة إسرائيلية متعبة ومنهكة القوى تعرف كيف تروي لكم أن رئيس جهـــاز الاســـتخبارات العسكرية، قبل عدة سنوات، الجنرال اهرون يريف، الذي كان في كل يوم في الساعة السادسة مساء يغلق على نفسه لمدة نصف ساعة باب مكتـــبه ويفكر كما هو عادة القادمين من العراق. وفي ذات يوم سُئل يريف، ماذا يحـــدث هـــناك ما بين الباب ومكتب العمل. "كل يوم أنا أسمع خبراءنا"، هكذا أجاب يريف، وأضاف: "وفي السادسة مساء فإنني أجلس لأفكر ما هو رأي العدو وكـــيف يفكـــر". وأيـــضاً الآن، وبعد سنين تحوّل حزب الله لإحدى منظمات الإرهاب القاسية والأكثر مرارة في عدائها لدولة إسرائيل، وجسم مركزي في صنع السياسة اللبنانية، وتعرف كيف تضغط وتؤثر على القيادة السياسية والعسكرية في الـــبلاد، وأيضاً بين أوساط الأكاديميين، فيما يخص" الفهم الممكن". فهناك خبراء ممـــتازون، وهـــناك الأقل جودة منهم، ولكن يبدو لكل من يحاول أن ينظر إليهم ويحلل وضعهم بأنهم فعلاً وللحقيقة يعرفون ماذا يفعلون وربما ليس من الممكن فهم ذلك حتى الآن.

(6) إسحق رابين قال ذات يوم إنه كان لإسرائيل حرباً واحدة منذ نشوئها. وهـــي الحرب التي بدأت سنة 1948 وأنها لا زالت متواصلة حتى اليوم. فبين حين وآخـــر أطلقـــوا عليها أسماء: مرة حرب الاستقلال، ومرة حرب السويس، ومرة أخرى حرب الأيام الستة، وأخرى حرب يوم الغفران، ولبنان وهكذا من الأسماء. ولكنها في الحقيقة هي نفس الحرب. لكن الأسماء هي التي تتبدل فقط، فالحرب، إما أن يكـــون اسمها فقط هو يوم صراع طويل وقتال ضد حزب الله، فإن هذا اليوم وهذا القتال لن يتمكنا من محور هذه المنظمة الإرهابية عن الخارطة، وهذه الحرب لـــن تـــضع حداً للحروب ولا للمخربين، ولن تضع حداً للتجهيزات القتالية، أو للكراهية. فهي تستطيع أن تضرب الإرهاب ضربة قاسية، في بنيه، وربما في وحداته القتالـــية، ولكن آجلاً أم عاجلاً - ويبدو أنه عاجلاً - ستعود وحدات حزب الله لمـــواقعها وقدرتها، فهذه كالأفعى المتعددة الرؤوس التي كل رأس لها ينتج رؤوساً أخرى تكبر وتكبر من جديد.

وكما يبدو، فهذه حرب واحدة طويلة، بدأت سنة 1948 ودفنت.

حرب سلامة الجيش الإسرائيلي

بقلم: جدعون ليفي

هآرتس - 2006/7/16

في كـل حي يوجد أزعر عربيد يحظر التحرش به وإثارة غيظه. وماذا بالنسبة لإهانته؟ في هذه الحالة سيُشهر سكينه. أما إذا بصقت في وجهه فسيُشهر المسدس ويطلق النار في كل الاتجاهات، ليس لأنه ليس على حق وهو الذي تعرض للإهانة، ولكـن رده ليس طبيعياً. المسألة هي أن الجميع يخافونه، إلا أن أحداً لا يحترمه أو يُقـدره. الاحترام الحقيقي موجه تحديداً للأقوياء الذين لا يسارعون إلى استخدام قـوتهم فـوراً. لـشدة الأسف، يظهر الجيش الإسرائيلي مرة أخرى مثل زعران الحـارات: جـندي يختطف في غزة، فتدفع غزة كلها الثمن. ثمانية جنود يُقتلون واثنين يُختطفان في لبنان فيدفع الثمن لبنان كله. لغة واحدة ووحيدة لدى إسرائيل: لغة القوة.

الحرب التي فرضها الجيش الإسرائيلي الآن على لبنان، ومن قبله على غزة، لا يمكـن أن تعتبر أبداً "حرباً لا مفر منها"، حرباً مفروضة علينا كما يقولون. هيا بنا نعفـي المؤرخين من هذا الجدل: هذه حرب اختيارية صارخة، الجيش الإسرائيلي تلقـى ضربتين موجعتين ومهينتين بالأساس، فخرج إثر ذلك في حرب تهدف في الأساس إلى استعادة كرامته الضائعة التي يُسمونها عندنا "استعادة قوة الردع". ليس في لبـنان، ولا في غـزة بالتأكيد يمكن لأحد أن يحدد الأهداف الحقيقية للحرب، لـذلك لا يعرف أحد ما الذي يعتبر انتصاراً أو إنجازاً. هل نقاتل ضد لبنان أم ضد حـزب الله؟ لا أحـد يعـرف الصحيح. إذا كان الهدف هو إبعاد حزب الله عن حدودنا فهل جرّبنا الطرق السياسية أولاً خلال الفترة الماضية؟ وما هي العلاقة بين تـدمير نصف لبنان وبين هذا الهدف؟ الجميع يوافقون على أن الدولة السيادية لا يمكـنها أن تصمت عندما تتعرض للهجمات على حدودها، رغم أن سيادة لبنان كانـت في نظر إسرائيل مداساً مستباحاً على الدوام. ولكن لماذا أيضاً يتوجب أن

يتجسد عدم صمت هذه الدولة السيادة على استباحة حدودها بضربة عسكرية كبيرة جداً وعلى الفور؟

في غزة اختطف جندي من جنود دولة تقوم باختطاف المواطنين من منازلهم بصورة متواصلة وتسجنهم لسنوات مع أو من دون محاكمة - ولكن هذا الامتياز لنا وحدنا دون غيرنا. لنا وحدنا يُسمح أن نقصف التجمعات السكانية - الخطوات الموجعة التي اتخذت في غزة - ومن بينها إلقاء قنبلة وزنها طن على منزل سكني وقتل عائلة بأكملها من سبعة أطفال في ظلام الليل الدامس في لبنان، وقتل عشرات المدنيين وقصف مطار مُدمر وقطع التيار الكهربائي وخطوط المياه عن آلاف المواطنين - كانت كلها رداً لا مبرر له شرعياً أو نسبياً. أي هدف خدمت هذه الهجمات؟ هل تم إطلاق سراح الجندي؟ وهل توقف إطلاق صواريخ القسام؟ هل تمت استعادة القدرة الردعية؟ لا شيء من هذا ولا ذاك. ما حدث فقط هو استعادة الكرامة، كما يزعمون، وعلى الفور ظهر الشر المستطير الجديد من الشمال: اختطاف جنديين آخرين، الأمر الذي برهن بصورة صارخة على أن إسرائيل لم تستعد لا قدرتها الردعية ولا أي شيء من هذا الكلام الفارغ - إخفاقات جديدة فقط لسجل الجيش الإسرائيلي. كيف يمكن إزالة هذه الإخفاقات الموجعة؟ على ظهر وحساب السكان الأبرياء.

في لبنان الوضع أكثر تعقيداً: هناك لا يوجد احتلال، ولا توجد ذريعة مبررة للتحرش بإسرائيل. لو كان حزب الله حريصاً على إخوانه الفلسطينيين لكان عليه أن يتحرك من أجل تحسين وضع مئات آلاف اللاجئين في المخيمات البائسة التي لا تقل قسوة عن ظروف الاحتلال الإسرائيلي من قبل أن يقوم باختطاف جنود من أجلهم.

ولكن هل تبرر حقيقة أن حزب الله هو تنظيم ساخر يستغل الفلسطينيين البائسين لأغراضه، قيام إسرائيل بهذا الرد الذي يفتقد إلى النسبية والتناسب؟ المصطلح الذي نسيناه هو النسبية والتناسب. في الوقت الذي لا نتحمس فيه للتوجه إلى طاولة المفاوضات نسارع بكل عنفوان للعودة إلى ساحة المعركة من دون التوقف من أجل التفكر ونعزز الارتياب بأننا بحاجة إلى حرب كل عدة سنوات في دورية فظيعة حتى نعود بعدها إلى الوضع السابق تماماً.

الحرب التي أعلناها على لبنان تكلفنا من الآن - وتكلف لبنان بالطبع - ثمناً باهظــاً، فهــل فكر أحد ما إذا كان هناك مبرر لهذا الثمن؟ الجميع يعرفون كيف بــدأت هذه الحرب، ولكن هل يعرف أحد كيف ستنتهي؟ خسائر فادحة؟ حرب مــع سوريا؟ حرب شاملة؟ هل يجدر أن يحدث ذلك كله؟ أنظروا ما الذي يمكن لحكومة أغرار مبتدئة أن تفعله خلال فترة قصيرة جداً. من خلف العمليات في غزة ولبــنان يقــف نفس التفكير الأهوج - الضغط على السكان سيؤدي إلى الضغط وإحـــداث التغيير السياسي الذي ترغب به إسرائيل. هذه الوسيلة جُربت في تاريخ الصراع الإسرائيلي - العربي، وقادتنا من قطب إلى آخر. "طهرنا" جنوب لبنان من الفلــسطينيين في 1982 فمــا الذي حصلنا عليه؟ "حزب الله ستان" بدلاً من "فتح لاند". حماس لن تسقط عندما يتم إغراق غزة كلها في الظلام، ولا من قصف مقر وزارة الخارجية الفلسطينية في هذا الأسبوع. هذه أعمال حمقاء جديدة، وحزب الله لــن يــنهار من تدمير مطار بيروت الدولي. إسرائيل لا تميّز مرة أخرى بين الحرب العادلة ضد حزب الله والحرب غير العادلة ضد الشعب اللبناني. وزير الدفاع تحديداً هو الذي أماط اللثام عن أهداف هذه الحرب الحقيقية: "نصر الله سيتلقى ضربات مــوجعة تجعله ينسى اسم عمير بيرتس"، قال بغطرسة وتصلف مثل أسوأ الزعران. الآن نحــن نعرف على الأقل أن إسرائيل قد خرجت للحرب من أجل أن يتذكروا اســم عمير بيرتس إلى الأبد. حرب تخليد اسم عمير بيرتس من أجل طمس معالم إخفاقات دان حلوتس. أما الثمن فليذهب إلى الجحيم.

لا شيء يتغير

بقلم: شلومو غازيت

معاريف - 2006/7/16

أنا أُصنّف نفسي مع مجموعة الأشخاص الذين استقبلوا رئيس الوزراء أولمرت بالتبريك، وكذلك كان موقفي بالنسبة لوزير الدفاع، وكلاهما دون خلفية أمنية (عسكرية). الاعتبار الذاتي عندي كان يتمثل بالاعتقاد أن المستوى العسكري ليس بحاجة لوزير دفاع، أو لرئيس وزراء لكي يتدخلوا ويحاولوا التشويش أو إصلاح خططهم. نحن يمكننا الاعتماد والثقة، على رؤساء الأجهزة العسكرية في الجيش الإسرائيلي، وجهاز "الشباك" والموساد الذين يعرفون واجباتهم وليسوا بحاجة إلى "موجهي نصائح" واستشارات. ولكن، مقابل ذلك، كنت آمل في رؤية تغيير في التوجه لهذا الطريق. كنت آمل أن نرى في النهاية، تماماً في نهاية الأمر، أن المجلس الوزاري المصغر يتردد في قبول واحد من البدائل الممكنة الحقيقية المطروحة. وكنت آمل بأن السيدة تسيبي لفني ستطرح سياسة خاصة بها وأن لا تردد كلمة "آمين"، كما اعتاد وزراء الخارجية في الماضي أن يرددوا في أعقاب المعزوفة الأمنية. كنت آمل أن نكون قد تعلمنا من تلك التجربة المريرة والمملة مع مجلس الأمن القومي الإسرائيلي، وأن يكون رئيس الوزراء يعي ضرورة وكيفية الاستفادة من المجلس وممن كان يقف على رأسه، هذا كما يفعل صاحب التركيبة الذي يعرض أمام نفسه وأمام الآخرين تحليلاً شاملاً، ذلك من خلال رؤية عدد من الخطوات التي ستسير به إلى الأمام، قبل أن يتم اتخاذ القرار.

الهجوم الذي يشنه حزب الله، كان يجب أن نستغله لكي نبدأ بإعداد الخلفية السياسية، التي ستمهد الأرضية فيما بعد للبدء بشن عملية عسكرية لا يمكن منعها. وبحق، فقد قال رئيس الوزراء أننا لا نتحدث عن خطوة وحركة إرهابية، بل نتحدث عن خطوة حربية جاءت من الأراضي اللبنانية إلى داخل الأراضي السيادية

لدولة إسرائيل، من خلف خط الحدود الذي كانت الأمم المتحدة هي التي فحصت ورسمت معالمه وخطوطه على طول المنطقة.

فماذا توقعت أن أرى وأن أسمع:

أولاً، بعد إطلاق النار في الموقع القريب من النقطة التي وقع منها الهجوم، لأنه كان يحظر على إسرائيل في المرحلة الأولى القيام بأي عملية عسكرية مبادر إليها داخل الأراضي اللبنانية. وثانياً، توجيه طلب لانعقاد فوري لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وأن تطالب إسرائيل المجلس بأن يقوم بشجب الهجوم اللبناني، الذي نفّذته مجموعة من داخل الأراضي اللبنانية داخل الأراضي الإسرائيلية، والذي لم يسبقه أي تحرش أو اعتداء من جانب إسرائيل، بل كان يمكن للسفير الإسرائيلي في الأمم المتحدة أن يلفت انتباه سكرتير الأمم المتحدة بأن الحادثة التي وقعت يوم الأربعاء صباحاً لم تقع في جنوب لبنان، كما قال ذلك في كلمته الجوابية، بل إن الحادثة وقعت في شمال إسرائيل. وربما تكون هذه الملاحظة لفظية، لكنها في حقيقة الأمر تغيّر كثيراً في القاعدة والأساس التي بُنيت عليها المداولات وكانت ستغيّر جذرياً في حقيقة تصنيف ذلك الهجوم، وبالتالي، يطالب بتوجيه نداء إلى الحكومة اللبنانية بإعادة الجنود المختطفين دون انتظار، وإذا لم يتم إعادتهم فإن لإسرائيل الحق الكامل باستعمال قدرتها للعمل على إعادتهم وبالطريقة التي تجدها مناسبة. وفي المقابل، وقبل البدء بالخطوات العسكرية – مطلوب القيام بعملية سياسية بين أوساط السفراء الأجانب المعتمدين في إسرائيل، وعملية شرح إعلامية واسعة في العواصم العالمية، وهذه كانت عملية بالغة الأهمية مقابل العملية العسكرية، وسابقة لها على كل الوجوه. كذلك، كان لا بد من قيام إسرائيل بإلقاء الكثير من المنشورات فوق المدن اللبنانية التي تشرح الخطوات التي ستقوم بها إسرائيل، وما الذي تنتظره مدن الأرز إذا لم تتم إعادة الجنود المختطفين.

إنني لا أستغفل نفسي ولا عقلي، فأنا لا أصدق ولا أعتقد بأن تكون صيغة القرار الذي سيصدر عن مجلس الأمن بالروحية والفكرة التي تريدها إسرائيل أو التي انتظرتها، بل ستكون أقل من ذلك بكثير. وأنا لا أتوقع بأن أرى حزب الله ينذهل بسرعة وتتبلبل خطاه، أو أنه سيخاف من مجلس الأمن الدولي

وأن يـــسرع بموافقـــته على إعادة الجنود المختطفين. ولكن مثل هذه الخطوات (وأنا لا أُسيء أو أحط من قدر وزيرة الخارجية أو القائم بأعمال رئيس الوزراء إذا مـــا كانـــوا يـــرون بضرورة إضافة عدد من الاقتراحات الأخرى وبنفس الـــروحية)، فهذه هي التي كانت ستمهد الأرضية اللازمة للخطوات العسكرية المطلوبة فيما بعد. قبل نحو 39 عاماً، كانت تلك حكومة رئيس الوزراء "المدني" ليفـــي أشـــكول، والـــتي أدارت على مدى ثلاثة أسابيع العديد من الخطوات الـــسياسية والتي مهدت آنذاك للهجوم الإسرائيلي العسكري على مصر. فذلك الانـــتظار والاعتدال في توقيت الهجوم، كان أحد الأسباب التي أدت إلى إنجاح تلك الخطوات العسكرية المباركة التي لم تعرف إسرائيل مثيلاً لها في تاريخها وفي قصر مدتها، والويل لنا إذا نسيناها.

الحادثـــة الـــتي وقعت على حدود إسرائيل الشمالية مع لبنان، كانت وكأنها خطط لها بالأساس لكي تخدم إسرائيل في إيجاد أرضية سياسية مريحة لها. لكن ذلك لم يحدث. فقد فوّتنا هذه الإمكانية، بل وأكثر من ذلك، فهمنا بأن لا شيء تغيّر في طريقة وأسلوب اتخاذ القرارات في إسرائيل.

من هو الغبي هنا؟

بقلم: يغئال سيرنا

يديعوت أحرنوت – 2006/7/17

إذا كـــان 1200 شـــخص لا يترددون عن الكتابة بأنك غبي، لأنك تكتب وتقول بأن هذه الحرب لا ضرورة لها، وإذا كان ذلك إثباتاً بأنك غبي، أو أن هذا دليل على أن ردود الفعل لدى الـــ 1200 شخص الغاضبين، فإن هذا لا يغيّر من الأمر شيئاً، وأنه في نفس الوقت يمكن لكل شخص أن يدفع بالبيّنة عن رأيه ويؤكد بتـــساؤله هـــل هـــذه القيادة مخطئة؟ وإلى أي حد يمكن لهذا التفكير أن ينضم إلى المجمـــوع الـــذي يقول بأن هناك إمكانية بأننا (الإسرائيليين) نسير وراء الخاطئين، وكـــم هذا الكلام يعني تهديداً على البنية الفكرية التي نحن نعمل من خلالها. وكما ســـارت الأمور وتجري باستمرار، عندما تتدحرج المسائل إلى أن تصل إلى مستوى الحـــرب، ففي كثير من الأيام اتضح فيما بعد بأن الأخطاء كانت سبباً في مسيرة طـــويلة من العمل العسكري دون هدف. إنني أعترف، وأنا أيضاً كانت الأفكار تُهدئ من روعي، عندما أتساءل هل أنا غبي أيضاً! فهذه مشكلة شخصية لا توجد لها أبعاد على مصير الدولة بكاملها، وهي تُهدئ عشرات المرات من مسألة احتمال أن مـــا يجري الآن سوف يجر الدولة بكاملها إلى حرب شاملة، وخصوصاً بعد أن نـــسمع أن زعامـــة الدولة تُقر بأنها تريد أن تمسح عن الوجود آخرين وأن تحقق الانتـــصار النهائـــي، فإن من يقول مثل هذا الكلام هو في رأيي غبي ويُعرّض حياة الناس والعائلات والأصدقاء للخطر.

أنا أفضل التنازل عن احترامي وأن أعرف بالتأكيد بأنني مخطئ. فلا توجد أي كارثـــة يمكـــن أن لا تحدث كنتيجة من مجرد كتابة مقال. فالحرب المستعرة على صفحات الإنترنت، وكذلك على الفاكسات والتي تختفي بين يوم وآخر، هي التي تقول بأن هناك ما يجب أن نخاف منه، وأن هذا سيجر منطقة الشرق الأوسط إلى

الــنار المـشتعلة، وأن مـا يحدث هو مبني فقط على الرغبة بالانتقام العسكري، والبرامج والخطط المُعدة سلفاً والتي أُخرجت بسرعة من أماكنها بسبب حالات من الفــشل واجهها البعض، والآن بسبب افتقاد الدولة إلى يد مدنية (غير عسكرية) تقود البلاد وتكون واعية لما يحدث، لأن الدولة تنجر إلى كارثة كبيرة، والتي تشبه مــا حـدث لنا يوماً ما في الماضي، وفي نفس البلاد التي نعيش فيها. الشيء الذي يخيفـنا أكثـر من غيره هو الفكرة التي تقول بأن الكاتب يخرج نفسه ليس بسبب غبائه فقط، بل بسبب عدم خبرته بالخطوات والإجراءات العسكرية. فالوسائل التي يـنفّذون بها هذه الخطوات سبق وأن تضررت أكثر من مرة، لأن من يذكر أيام الانتفاضــة يتذكر كيف سُحقت هذه الوسائل وتضررت سمعتها، لأن أيام سلطة ونفـوذ مـوفاز وشارون، ورجال الجيش الذين كانوا يعملون ولكن برتب مدنية ووظائــف مدنــية، قد أضرت كثيراً بنجاعتهم وقدرتهم. يجب أن نلعب هنا لعبة تُمكنـنا مـن الحفـاظ على ما تبقى لنا من الديمقراطية لإخراجها من يد العسكر وطريقة عمله، وكذلك الفكرة التي تطغى على أذهاننا والتي تمنع كرد فعل من عدم إبـداء الانتقاد لمثل هؤلاء الناس. ويبدو بأن هذه اليد أخذت تختفي شيئاً فشيئاً في مـرحلة العبث والتراجع الاقتصادي الذي يتأثر بذلك. "هذه الحرب لم توقع ضرراً بفرع الهاي تيك، ولكنها حكمت عليه بالموت كما حكمت في نفس الوقت على فـرع الـسياحة"، هكذا قال لي أحد الأصدقاء المُثقل بالأعباء في فرع السياحة في البلاد، والذي يرى ما فعلته يداه من إنعاش للسياحة وهو يغرق في الدماء، "كانت في ذلك الوقت تُبذل جهود وضغوط كبيرة من فرع الهاي تيك على رئيس الوزراء الحالي أولمرت ووزيره بيرتس، ومعهم ديسكن وحلوتس، وتفرض عليهم التفكي، وذلك لكي يفكروا كثيرا من الرأس وليس من قبضة اليد لأن الهاي تيك يوجد له لـوبي قوي في البلاد وله تأثير قوي ويمكنه أن يضغط وأن يلجم خطوات وأفعال لامسؤولة في البلاد. ولكن فرع السياحة المسكين الذي يواجه الخراب الآن والذي سيؤثر عليه لسنوات طويلة، لا أحد ينصره وليس له مثل هذا اللوبي".

لـذلك، فإنـه في الاقتـصاد أيضاً القليل من الناس يتذكر مدى قوة الفكرة العـسكرية التي يريد سلاح الجو مثلاً، أن يعمل بها من أجل القضاء ومحو منظمة

دينـــية في بلد آخر، لأن مثل هذا العمل أثناء القيام به يعني القضاء من خلفه على هـــذا الفرع الذي نتحدث عنه، وهو يتصور – سلاح الجو – أنه بعمله هذا يمكن أن يمحو الأفكار من رؤوس الناس عن طريق قذائفه.

"تداخلـــنا كـــثيراً بين أوساط المصادر المتطرفة في المنطقة، ونحن الآن نرد علـــيها من البطن وليس من الرأس"، هكذا قال لي هذا الأسبوع أحد المؤرخين المعـــروفين في البلاد، والذي درس وأرّخ كثير من الحروب. "يوجد هنا في هذه الـــبلاد ائتلاف غريب لمجموعة من الذين يشعرون بالقوة القادرة، ويتداخل فيها ذوو مبادئ أساسية عادلة تطرح أفكاراً لا نهاية لها، وتخلط ما بين المبادئ وبين القـــيم الدينية. ومن هذه الناحية، وبدلاً من إدارة حرب حكيمة وضرورية ضد حـــزب الله، فإننا نعلن حرباً مثل حرب يأجوج ومأجوج على كل ما يوجد في هـــذه البلاد (لبنان)". هذا المؤرخ طلب مني عدم ذكر اسمه، ولا أحد من بين الخـــبراء والمـــثقفين إلا ولـــه رأي خاص، لكنه بات يخشى في هذه الأيام من الإعـــراب عنه، خوفاً من اتهامه بتأييد الحركات الدينية المتعصبة، مثل حماس أو حزب الله، التي يقولون عنها بأنها لا تنمو إلا من خلال القتل والخراب، أي مثل نـــباتات المـــستنقعات التي لا تنمو إلا في المستنقعات فقط، لكنهم لا يريدون الاعتـــراف بمدى الخطر الذي يمكن أن نواجهه في حالة الفشل بضرب مستقبل واحـــدة من هذه مثل حزب الله. في داخل هذه الـــ "لبنان" سوريا ضعفت إلى الحد الذي أُجبرت فيه على المغادرة، وبعد ذلك ضعف المتديّنون وأخذت الدولة تحشرهم في زاوية. والآن، وعندما بدأت مدارج الطائرات ترتعد تحت القذائف ويمـــوت المدنـــيون دون ذنب لهم، وفي الوقت الذي بدأت فيه معالم بيروت لا تظهـــر إلا مـــن خلال الأنقاض والهدم والقتل، فإن مستقبلنا لا يمكن أن نراه ورديـــاً. لأنه لا يوجد شيء جيد للدين والتعصب إلا أن ينمو من خلال الأزمة والضائقة والخراب. وسأكون مسروراً إذا أثبت لي أحدهم بأنني كنت غبياً.

تغيير الاتجاه
نحو تعدد الجوانب

بقلم: عكيفا الدار

هآرتس - 2006/7/17

إطـــلاق صواريخ القسام على سدروت وعسقلان، والقتلى في حيفا ونهاريا، تـــضفي كلها مغزى جديداً للشريط الأمني والجدران الفاصلة. صواريخ القسام من قطـــاع غزة والكاتيوشا من جنوب لبنان تتسبب بسمعة سيئة للانسحابات أحادية الجانب. توجيه ضربات شديدة لترسانة السلاح التي يملكها المتشددون الإسلاميون، هو حل جزئي جداً، كما تبرهن في مرات عديدة. أما تصفية قائدهم، مهما كانت أهميـــته، فتمنحنا بضعة أسابيع من الهدوء في أقصى الحدود. ومن الناحية الأخرى، نجـــد أن الأطـــراف البراغماتية المعنية بالتسوية والهدوء عاجزة عن تحقيق برنامجها. عـــندما يختبئ أحمدي نجاد من خلف خالد مشعل وحسن نصر الله، فليس هناك ما يمكـــن البحث عنه لدى الرئيس الفلسطيني محمود عباس، ورئيس الحكومة اللبنانية الـــضعيفة، فؤاد السنيورة. عندما يتعلق الأمر بالمصالح الجانبية مثل المشروع النووي الإيـــراني، فـــإن التسويات الثنائية بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية وحكومة لبنان تصبح غير ذات صلة.

تغـــيير الاتجـــاه مـــثل الاســـم المغامر الذي أُطلق على الحملة العسكرية، يـــستوجب طرح اتجاه سياسي مغاير. إسرائيل لا تستطيع وغير ملزمة بمواجهة الـــتهديد الإيـــراني من لبنان بصورة "منفردة". حتى دولة عظمى مثل الولايات المـــتحدة تحـــتاج إلى تحالف دولي واسع النطاق حتى تؤثر على توازن القوى في الشرق الأوسط. مصر والأردن والسعودية وغيرها من دول الخليج هي أطراف طبيعـــية مرشحة لتشكيل كتلة مانعة في وجه الأصولية الإسلامية، وحتى تتعاون هـــذه الـــدول مع الدولة اليهودية لعزل إيران، يتوجب على إسرائيل أن تدفع

بالعملة الصعبة. الثمن هو إجراء مفاوضات سياسية حثيثة تقود إلى إنهاء الاحتلال في الضفة الغربية.

لسوريا أيضاً، التي تعتبر محطة انتقالية للصواريخ الإيرانية المتوجهة لمعاقل حزب الله – ثمن يتوجب دفعه. البروفيسور إيال زيسر، من مركز يافي للدراسات الاستراتيجية، قدّر أن الأسد لن يتنازل عن مواقفه التقليدية بما فيها التعاون الاستراتيجي مع التنظيمات الإرهابية الفلسطينية، بعد أن حلقت طائرات سلاح الجو فوق قصره في دمشق. زيسر يتوقع أن تتخذ سوريا مواقف متصلبة تجاه الضغوط الأميركية والإسرائيلية لأن ذلك يزيد من الدعم الشعبي للأسد داخل بلاده وفي أرجاء العالم العربي.

الأسد لن يتخاصم مع إيران، ولن يكبح جماح حزب الله من دون مقابل سياسي هام وملموس. هذا الثمن يمكن أن يكون حسب رأي زيسر استئناف المفاوضات مع إسرائيل حول الجولان. خطوط التفاوض مع سوريا كما هي مع الفلسطينيين موجودة ضمن قرار الجامعة العربية في قمة بيروت 2002 (علاقات طبيعية بين العرب وإسرائيل مقابل الانسحاب حتى خطوط حزيران، وحل متفق عليه لقضية اللاجئين حسب قرار الأمم المتحدة رقم 194).

مبادرة ولي العهد السعودي، عبد الله في عام 2002، التي تبنتها الجامعة العربية – حسب خريطة الطريق – "هي عامل أساسي وحيوي في الوسائل الدولية الهادفة إلى دفع عملية السلام الشامل في كل المسارات، بما فيها السوري – الإسرائيلي واللبناني – الإسرائيلي". نفس الوثيقة (خريطة الطريق) التي تحمل توقيع بوش، تقرر أن المرحلة (ج) التي يتوجب أن تنتهي حتى أواخر 2005، تتضمن دعوة الرباعية الدولية إلى مؤتمر دولي يستهل عملية مفاوضات لإيجاد تسوية دائمة في المناطق وتسوية شاملة بين إسرائيل ولبنان وسوريا "في أسرع وقت ممكن".

إلى متى سيترك العالم العاقل الأطراف في هذا الحي حتى يفقدوا صوابهم، ويتنكر لتعهداته، بل ولمصالحه الحيوية في المنطقة؟ الرباعية الدولية صرحت في خريطة الطريق بأنها ستؤيد المفاوضات السياسية بصورة "نشطة ومتواصلة وعملية".

رئيس الحكومة اللبنانية والرئيس الفلسطيني أيضاً يدعوان الولايات المتحدة وأوروبا والأمـــم المتحدة وروسيا لتطبيق دعمهم الفاعل والمتواصل والعملي هذا من خلال إرسال قوات إلى كوسوفو الشرق الأوسط. في إسرائيل أيضاً قد يؤدي قصور القوة في مـــواجهة الصواريخ إلى التغلب على الخوف التقليدي المتأصل فيها من "تدويل الصراع".

لم يتبق الآن لمن أفشل الحل الثنائي للصراع الدموي، ومن اعتقد أن هناك حلاً أحادي الجانب لهذا الصراع، إلا أن يتمنى نجاح الحل متعدد الجوانب.

التسوية في آخر النفق..

بقلم: أليكس فيشمان

يديعوت أحرنوت – 2006/7/19

نهايـــة الحـــرب في الـــشمال بدأت تستقر على جدول زمني لأسبوع. صيغة التسوية التي ستنهي الهجوم الإسرائيلي ستنضج حتى منتصف الأسبوع القادم، حتى أنهـــم في الإدارة الأميركية يذكرون يوماً محدداً هو يوم الاثنين بعد ستة أيام. الكثير جـــداً منوط بما ستأتي به إسرائيل إلى هذه الرزمة، أو بتعبير آخر ما ينجح الجيش الإسرائيلي في عمله حتى ذلك الحين. وفي مقر هيئة الأركان بدأوا يفكرون بمفاهيم مـــا ســـيعتبر "انتصاراً" في اليوم التالي للتوقيع على الاتفاق. والإحساس هو أنه إذا كـــان في الـــيوم التالي لا يزال نصر الله هناك فيلقي خطاباً ما – فإن هذا بالتأكيد سيثقل بظله على الإنجازات العسكرية.

لا أحـــد يضغط على الجيش الإسرائيلي لإنهاء القتال. العكس هو الصحيح. فالإدارة الأميركية قلقة بعض الشيء من أننا لم نفعل ما فيه الكفاية، وأن حزب الله لا يزال يقف على رجليه. وهم مستعدون لأن نفعل هناك كل شيء تقريباً – عدا الاجتـــياح الـــبري. وابـــتداء مـــن اليوم السادس للحرب، تتقدم عمليات الجيش الإســـرائيلي في خلق الظروف العسكرية التي تسمح بإنجاز "التسوية" منذ الأسبوع القادم. والجيش الإسرائيلي يضغط بشدة على الدواسة. وكل ما فعله حتى اليوم – سيفعله من الآن فصاعداً بشدة أكبر. والتشديد هو على مجالين هما شرطان حيويان لكـــل تـــسوية: ضرب قيادة حزب الله، والتدمير التام للبنى التحتية لحزب الله في جـــنوب لبنان. وبالمقابل سيتواصل التآكل المكثف للقوة العسكرية للمنظمة على طول وعرض لبنان.

40 في المائة من "بنك الأهداف" الأصلي، الذي انطلق فيه الجيش الإسرائيلي إلى الحرب أبيدت. هذا لا يكفي، ناهيك عن أن بنك الأهداف يتضخم مرة أخرى

في ظــل القتال. القيادة والتحكم في منظمة حزب الله لا يزالان يعملان. والضربة للقــوات الــبرية لا تــزال غــير كافية. وقد أصيبت القوات العاملة على إطلاق الصواريخ نحو إسرائيل بأكثر من 30 في المائة. وإذا لم تتحقق الخطوة السياسية، فإن مــا يتبقــى للجيش الإسرائيلي هو بالتقريب "أسبوع عمل" آخر. وهو ملزم برفع الغيار. رئيس وزراء فرنسا يوجد الآن في لبنان. وكان وصل أمس إلى إسرائيل من لبــنان مــبعوث الاتحاد الأوروبي خافيير سولانا، مندوب الأمم المتحدة في الشرق الأوســط تــيري لارســن، وانضم إليهما المبعوث الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة. وقبل بضعة أيام أعلن رئيس الوزراء أولمرت أنه لا يعتزم لقاء المندوبين. أما هذا الأسبوع سيحل لارسن والعصبة معه ضيوفاً مرغوب فيهم في إسرائيل. هؤلاء المبعوثون هم "جساسو النبض". فقد أرسلوا ليجمعوا أطراف خيوط كي يبدأوا في حبك التسوية، التي اتفق عليها في اجتماع الثمانية الكبار في سانت بطرسبورغ في روسيا. والصيغة التي تبلورت هناك هي الخطة السياسية الحقيقية الوحيدة التي ترسم خط إنهاء الأزمة.

بنود التسوية هي:

- إعادة الجنود الإسرائيليين الثلاثة المخطوفين سالمين.
- وقف القصف على الأراضي الإسرائيلية.
- وقــف العملــيات العــسكرية الإسرائيلية في لبنان وانسحاب إسرائيلي من غزة.
- تحرير الوزراء والنواب الفلسطينيين من حركة حماس.
- تطبــيق قــرار مجلس الأمن 1559 الذي يتحدث عن حل المليشيات وانتشار الجيش اللبناني في كل أجزاء الدولة ولا سيما في الجنوب.

ولما كان واضحاً أن الجيش اللبناني لن ينجح في فرض إمرته على حزب الله، ناهــيك عن أن أجزاء لا بأس بها من الجيش اللبناني يعطفون على حزب الله، فقد نــشأت الضرورة لإقامة قوة أمنية دولية. ويدور الحديث عن قوة عسكرية برعاية الأمم المتحدة يكون لها تفويض بفرض قرارات مجلس الأمن. ووجود رئيس الوزراء

الفرنسي في لبنان فيه ما يرمز إلى أن الجنود الفرنسيين سيكونون عنصراً مركزياً في هــذه القــوة. وستنتــشر القوة في منطقة جنوب لبنان لتشكّل فاصلاً مادياً، بين إسرائيل ورجال حزب الله الذين سينتقلون إلى شمالي نهر الليطاني.

البند الأخير في التسوية المتبلورة هو حوار سياسي بين إسرائيل ولبنان.

رئــيس الــوزراء أولمرت ألمح أمس إلى أن هذه التسوية مقبولة من إسرائيل. وتشير مصادر سياسية في القدس إلى أنه لو طلب إلى إسرائيل صياغة اتفاق حقيقي لوقــف القتال لوصلت إلى صيغة مشابهة. التسوية المقترحة تتضمن أربعة أهداف وضــعتها إســرائيل لنفسها: إبعاد حزب الله عن خط الحدود، إعادة المخطوفين، إضــعاف حزب الله وتعزيز عنصر الردع. ومع حلول نهاية الأسبوع ستصل وزيرة الخارجــية كونداليزا رايس إلى المنطقة لالتقاط ما جمعه "الجساسون" ونسج تسوية حقيقية. وفي الإدارة الأميركية يقدرون أنها تحتاج 3 – 4 أيام.

الحكــم اللبناني لا يتمتع فقط بتأييد الكبار الثمانية، بل بتأييد جارف من مــصر، الأردن والــسعودية – التي أقامت جبهة مشتركة تعطي إسناداً سياسياً للــصفقة. كمــا تعهد السعوديون بمنح لبنان مساعدة مالية لإعادة بناء سريع للــدمار. الأموال السعودية، الأوروبية والأميركية ستتنافس مع الأموال الإيرانية الــتي وعد بها حزب الله، كأداة لترميم لبنان وترميم مكانة حزب الله في لبنان بعد الضربات الأليمة التي تلقاها.

ولكن توجد فقط مشكلتان "صغيرتان". واحدة: حزب الله يمكنه ألا يتعاون وبدونــه ســتجد حكــومة لبنان صعوبة في التوصل إلى اتفاق. الثانية: حزب الله وحماس لن يوافقا على تحرير المخطوفين بدون مقابل. والجواب على هذين المجهولين ســيكون بسيطاً بقدر ما يكون حزب الله قريباً من الانهيار – ومفضّل بدون نصر الله. الإيرانيون سيحاولون تحقيق الحد الأقصى، وهم يحتاجون إلى حزب الله كفرع لهــم يخــدم مــنظومة الردع الإيرانية حيال إسرائيل في يوم الدين. والكشف عن صاروخ زلزال أمس أوضح الدور الذي تعده إيران لحزب الله. من ناحية الإيرانيين من المفضّل حزب الله شمالي الليطاني، يسمح بإعادة بنائه من جديد على ألا يكون لها حزب الله على الإطلاق.

وكــي تــتمكن القوة متعددة الجنسيات من الانتشار في جنوب لبنان على إســرائيل أن تمحو كل البنى التحتية العسكرية التي بناها حزب الله هناك. ومن هنا الجهود الكبيرة التي يبذلها الجيش الإسرائيلي هذه الأيام في قرى الجنوب.

المستــشارة الألمانــية أنجيلا ماركر، أدخلت إلى التسوية التي بلورها الكبار الثمانــية بنداً يقرر تنفيذ الاتفاق على مراحل. أي أن تنفذ كل مرحلة على انفراد، والمــرحلة الأولى هي إعادة الأسرى. ولكن إذا ما وصلت الأمور بعد أسبوعين إلى وضــع يكــون ممكناً فيه تحقيق تسوية انتشار القوة الدولية وإبعاد حزب الله عن الحــدود، ولا يــزال حزب الله وحماس يرفضان تحرير المخطوفين دون مقابل، فما العمل عندها؟

الولايات المتحدة:
نحو أسبوع لإنهاء القتال..

بقلم: ألوف بن وعاموس هرئيل

هآرتس - 2006/7/18

قدرت محافل سياسية رفيعة المستوى بأن الولايات المتحدة ستسمح لإسرائيل بوقت لاستكمال الحملة ضد حزب الله على الأقل حتى يوم الأحد القادم. وفي ذات الموعد من المتوقع أن تصل وزيرة الخارجية الأميركية كونداليزا رايس في زيارة ثانية إلى إسرائيل. الزيارة الأولى للوزيرة إلى القدس ستحل يوم غد وفي إطارها ستجري محادثات تمهيدية مع القيادة السياسية الإسرائيلية، تبحث فيها سبل إنهاء الأزمة وتصميم نظام جديد في لبنان. ويوم الأحد القادم ستعود إلى القدس في محاولة للتقدم نحو النار.

وستغادر رايس القدس متوجهة إلى روما للقاء مندوبين كبار من أوروبا، من الأمم المتحدة ومن الدول العربية للبحث في بلورة التسوية السياسية وخطة إعمار لبنان. ومن روما ستتجه إلى مؤتمر آسيوي في ماليزيا ومن هناك ستعود إلى القدس. وتحمل "الرحلة المكوكية" التي تخوضها رايس هدفين مركزيين: محاولة بلورة تسوية سياسية لإنهاء القتال في لبنان وإرسال قوة دولية كبيرة تفرض قرار مجلس الأمن 1559، الداعي إلى تفكيك حزب الله من سلاحه وانتشار الجيش اللبناني على طول الحدود الإسرائيلية.

وإلى ذلك، وسع الجيش الإسرائيلي في نهاية الأسبوع عملياته في جنوب لبنان فقد عملت قوات كبيرة في القرى شمالي الجدار الحدودي مع إسرائيل وأجرت تمشيطات، في الوقت الذي استأنف فيه الجيش دعوته للسكان في جنوبي نهر الليطاني إلى مغادرة منازلهم خوفاً على حياتهم. ومنذ يوم الجمعة تعمل في منطقة قرية مارون الراس، شمالي القرية الزراعية أفيفيم، قوة كتيبة من المظليين. وهذه هي

حالـياً ساحة القتال الرئيسة مع حزب الله، ولكن يبدو أن الجيش يسيطر بالتدريج علـى سلسلة التلال شمالي الحدود، في محاولة لتشويش نار الكاتيوشا على الشمال. وفي هـذه المرحلة لم تصادق القيادة السياسية على دخول واسع إلى المنطقة جنوبي صور.

واستمر إطلاق النار في اليومين الأخيرين - حيث أطلق أكثر من 200 صاروخ كاتيوشا وأصيب 17 شخصاً، اثنان منهم بجراح خطيرة واثنان بجراح متوسطة. وقد تلقت معظم الإصابات كرميئيل، نهاريا، صفد وكريات شمونة. ويبدو أن مستوى الدقة للصواريخ قد قل. وفي عمليات الجيش الإسرائيلي أصيب ثلاثة جنود بجراح بين طفيفة ومتوسطة.

وجّه وزير الدفاع عمير بيرتس أمس ضباط الجيش الإسرائيلي لمواصلة الضغط علـى حزب الله وذلك على حد قوله من أجل تحقيق هدفين: إضعاف الاستعداد العسكري لحزب الله ولا سيما منظومة صواريخ والسماح بمجال مناورة أوسع للقيادة السياسية قبل تحقيق تسوية تسمح بإنهاء الحملة. أما رئيس الأركان الفريق دان حلوتس فقال أول أمس إن الجيش الإسرائيلي تحدّث عن "أسابيع غير قليلة" يحتاجها لتحقيق أهداف الحملة. وأضاف يقول: "إننا نحتاج إلى وقت. لا أريد أن أحدد موعداً، ولكننا نعمل كل الوقت على تقصير مدى العمليات وتحقيق الإنجازات". واعترف حلوتس بأن الجيش الإسرائيلي لا يمكنه أن "يلغي تماماً إطلاق الصواريخ. فدوماً سيوجد المخرب المتبقي الذي يطلق صلية من الصواريخ المتبقية. ولكني أقدر بأننا سننجح بأن ندحرهم شمالاً ونمس بدقة النار. وفي النهاية، يتعين على الجانب الآخر التوصل إلى الاستنتاج، في ضوء عملياتنا، بأن الثمن الذي يدفعه لقاء استمرار النار لا يطاق". متطرقاً لزيارة وزيرة الخارجية الأميركية وغيرها من وزراء الخارجية الأوروبيين إلى المنطقة وتأثيرهم على استمرار الحملة قال رئيس الأركان إن "وزراء الخارجية لا يقررون لنا نافذة الزمن. من يقرر هذا هو حكومة إسرائيل".

وصادق وزير الدفاع يوم الجمعة للجيش الإسرائيلي بتجنيد ألفي رجل احتياط آخرين، بأوامر طوارئ. وحتى الآن جرت المصادقة على تجنيد ألفين -

تسع كتائب مشاة، مدرعات وهندسة، ولكن أيضاً من سلاح الجو، الاستخبارات، قيادة الجبهة الداخلية وغيرها من الأسلحة. جزء هام من كتائب المشاة المجندين يوجهون هذه المرة بشكل عام إلى المناطق لاستبدال قوات نظامية تصعد إلى الشمال، فيما أن القيادة السياسية رفضت، مخيّبة لأمل الجيش، اقتراحاً بتجنيد كمية أكبر من القوات.

وفي قيادة المنطقة الشمالية يقولون إن الأوصاف في وسائل الإعلام عن سير القتال تخطئ في وصف الوضع الحقيقي. عملياً، كما يقولون هناك، للجيش الإسرائيلي الغلبة وفقط في حوادث في مارون الراس قتل منذ يوم الأربعاء نحو 30 من رجال حزب الله. ومع ذلك، فإن معلومات أولية عن الحادثة في القرية يوم الخميس والتي قتل فيها خمسة من مقاتلي "أغوز" يطرح الشك في نقاط خلل عسيرة في تخطيط محور السير الذي اتخذته القوة. فقد صعد الجنود إلى القرية وهم مكشوفون نسبياً، في وضح النهار في ساعات الظهيرة. وقد أصيبوا بنار صواريخ مضادة للدروع وراجمات بينما كانوا في منحدر مكشوف للنار من بلدة مجاورة هي بنت جبيل. واعترف ضابط كبير أمس بأن "للجيش الإسرائيلي فوارق أهلية في القتال في لبنان. هناك مجالات لم تتدرب عليها الوحدات كما ينبغي على مدى السنين، لأننا كنا منشغلين بالمناطق".

الخروج من المستنقع

بقلم: عاموس كرميل

يديعوت أحرنوت - 2006/7/19

الأجـــواء والأوراق معاً امتلأت بكل ما يثير ويخطف الأبصار. أحد الحكماء اقتـــرح وقفـــاً لإطلاق النار من جانب واحد لمدة 72 ساعة، يتم خلالها تشكيل حكـــومة وطنـــية لإدارة هذه الحرب في الشمال، وفي نفس الوقت إدارة المعركة الـــسياسية على الساحة الدولية. وذكي آخر اقترح أخذ جميع صواريخ حزب الله ووضـــعها في المخازن وختم أقفالها بـــ "الشمع الأحمر الدولي". وهناك من أبدى شوقه وتحسره على أريئيل شارون وعلى تلك الإنجازات الكبيرة التي كان سيحققها مـــن مجرد وجوده وظهوره الشخصي الذي سيضغط على مؤتمر "الثمانية الكبار". وهـــناك من يظن بأن اقتراحاته لو سمعها الآخرون لأصبحت الأساس الذي يمكن العودة منه والخروج من هذا "المستنقع اللبناني".

من كل هذه المناورات الكلامية اللفظية التي لا تُقدم ولا تُؤخر، فإن التحذير الـــتالي هـــو واحد فقط يمكن أن يكون له أبعاد واقعية وممكنة التحقق. فحكومة مشكّلة على هذا النحو لن تقوم، بالطبع إنها لن تقوم خلال 72 ساعة، يمكن لجنود نـــصر الله أن يطلقوا خلالها الكثير الكثير من صواريخ الكاتيوشا دون أي رد من جانـــب إسرائيل. صواريخ حزب الله أيضاً لن يتم تخزينها في مواقع محصنة يحافظ علـــيها مندوبو العالم المتنور (وإذا تمكن أحد يمتلك القوة من وضع يده عليها، فمن الأفضل له أن يُدمرها في نفس المكان). رئيس الحكومة السابق، أريئيل شارون، لن يستيقظ من غيبوبته سريعاً، ولو حصلت في إسرائيل ومعها أشياء أكبر وأخطر من ذلـــك (وحتى إذا تمكن وفعل ذلك بمعجزة، فمن المشكوك فيه أن يقوم بأي عمل ويـــنفذه بعد أن خرجت الأمور من تحت يده في السابق). ولكن الخيال والصور الأخـــرى الـــتي تأتينا من لبنان يمكن أن نتوقع لها بأن وجود قوات برية إسرائيلية سيزيد الأمر صعوبة في حال دخولها إلى هذه البلاد.

باســم "المــستنقع" و"اللعــنة" و"الشكل والوجه" لهذه الدولة المجاورة في الــشمال، فإن المطلوب لها ليس أكثر من حكومة لا تتخلى عن حقها في العمل ومعالجة الأوضاع في الجنوب كما هي في الشمال. فباسم هذه العبارات التي لا نــريد الاستعانة بها، بل ويجب التخلي عنها نهائياً وألا تكون أحد الخيارات التي تظهر أمام إسرائيل لضمان الهدوء على حدودها وبالتالي ضمان الحدود والأمن ما وراء الحدود مثل حيفا وجنوبها وباقي هذه السلسلة، فمن الأفضل أن نكون صــبورين ولا نتــسرع في اتخــاذ القرار. ولكي نــزيل أي شك ممكن، فإننا نــتحدث عــن خيار، وليس على غرار الفوز المضمون. يمكن أن يكون دخول قــوات مدرعــة وقوات مشاة برية إسرائيلية إلى جنوب لبنان، لن يجلب تدمير البنــية التحتية لحزب الله في هذه المنطقة التي نتحدث عنها. يمكن أن يكون لمثل هذه العملية البرية إمكانية في القضاء على مخازن الصواريخ وأن توجه لها ضربة قــوية تُفقدها الإمكانية بالعمل ثانية عن طريق تكثيف الغارات الجوية وكذلك القصف البحري. يمكن أن يكون ثمن الدماء التي ستُسفك أكثر فأكثر: حيث أن عدد القوات المحاربة الإسرائيلية التي يمكن أن تُقتل، لا سمح الله، في المعارك التي ستدور في مثل هذه المنطقة الكبيرة أكبر بكثير من عدد المواطنين المدنيين الذين ســيُقتلون - مرة ثانية، لا سمح الله - في حالة إطلاق الصواريخ عليها من قبل العدو.

ولكــن جميع الاحتمالات السابقة يجب أن تكون مطروحة للبحث والتفكير. وفي الحالات والظروف الحالية التي نراها في المنطقة، وفي الوقت نفسه الذي نعيشه الآن، مــع الأخذ بعين الاعتبار الدروس والعِبر السابقة، يجب أن تُدرس بعناية وأن ننظر إليها باستمرار دون إغفالها أو نسيانها.

لبنان يتميز بتاريخ غريب ومفكك وغير مترابط، فهو مليء بالكثير من الدماء والــسقطات التاريخــية. ولهــذه البلاد تراكم كبير من الخلافات الطائفية والإثنية الديمغــرافية الــتي كانت تبلغ مراتب عالية من العنف والتي تستدعي في كثير من الأحــوال تعقلاً إسرائيلياً، كما كان ذلك لغيرها من الدول. ولإسرائيل تجربة سيئة جــداً في حاجتها للامتناع عن الدخول في حرب مبادرة لهذه الدولة المجاورة، من

الــسهل جــداً الــبدء في حرب، التي ستكون مرحلة أولى لبداية حرب شاملة في المنطقة. وباختصار، هناك الكثير من الأسباب ما يجعلنا نتردد في الدخول إلى مرحلة جديدة وسجل جديد من الحروب التي لسنا بحاجة إليها. والأفضل لنا إعادة الجيش الإســرائيلي وبــسطه على امتداد هذه الحدود في منطقة خالية من السكان سواء كانــت لبنانــية أم لا، والأفــضل الأخــذ بطبيعة الظروف التي يمثلها النموذج الإسكندنافي وتوفير الدماء. ولكن إذا كانت هناك حاجة إلى استلال السلاح ضد جهــات معاديــة مــزعجة تعمل من داخل الحدود السيادية للدولة اللبنانية، فمن الأفــضل أن نفعــل ذلك بنجاعة عالية. وعند الضرورة وبعملية مستهدفة للقوات الأرضــية الــتي يمكن، وفي شروط محددة، أن تعمل وبوقت محدد، ولكن على أن تكــون مراقبة من المستوى السياسي. وإذا لم يكن للحكومة وللجيش الإسرائيلي القدرة للوصول إلى ذلك دون الغوص في "المستنقع" اللبناني فإننا نكون قد انغرسنا في هذا المستنقع بصورة حقيقية.

حزب الله لم ينكسر بعد

بقلم: عاموس هرئيل

هآرتس - 2006/7/20

كان هذا يوم من الأنباء السيئة. في الصباح تعقدت عملية الجيش الإسرائيلي في الأراضي اللبنانية، على بعد نحو كيلومتر ونصف من شمالي افيميم وقتل جنديان. بعد الظهر بدأ حزب الله قصفه الكثيف على كل منطقة الشمال. أكثر من مائة كاتيوشا أطلقت وطفلان من سكان الناصرة قتلا. بعد ثمانية أيام من الضرب وآلاف أطنان القذائف التي ألقيت على لبنان، حزب الله لا يزال هو ذات الخصم العنيد الذي عرفناه في بداية المعركة. حتى الآن، المنظمة لا تظهر بوادر الانكسار. عملية جنود مجلان، في منطقة معقّدة على نحو خاص داخل ما كان ذات مرة منطقة الحزام الأمني كانت تستهدف المس بمطلقي الكاتيوشا. وتفيد المعلومات التي لدى الجيش الإسرائيلي بأن وحدة "ناصر"، وهي بالذات قوة حزب الله المسؤولة عن معظم نار الصواريخ لمدى أقصر، لم تتضرر بما فيه الكفاية.

الخطوة الهجومية الأولى لسلاح الجو قبل أسبوع، كانت موجهة ضد الصواريخ بعيدة المدى في وسط لبنان، وهناك كانت ضربة واضحة. والآن يستخدم الجيش القوات، في سلسلة من العمليات الصغيرة والبرية داخل المتاهة المجاورة للحدود.

الجنود الذين عملوا في منطقة مارون الياس وجدوا حرشاً فيه نطاق كامل من المخابئ للذخيرة، الملاجئ للنشطاء ووسائل إطلاق أعدت منذ زمن مسبقاً. من هنا هوجمت صفد، معلوت وقاعدة سلاح الجو في ميرون. وخلية حزب الله التي اختفت في المكان فاجأت القوة من مسافة قريبة وفي تبادل لإطلاق النار قتل جنديان واثنان من رجال المنظمة.

هذه الحادثة تفيد بثلاثة أمور: الأول، أنه تماماً مثلما استعد الجيش الإسرائيلي ست سنوات لهذه المواجهة، أعد أهدافاً وجمع معلومات، هكذا

تصرّف حزب الله فقد نشر بحكمة مواقعه واستعد للدفاع عنها. الثاني، هو أنه ليس كل شيء ممكن عمله من الجو. سلاح الجو أيضاً، بكل وفرة وسائله المتطورة، وجد صعوبة في العثور على مطلقي الصواريخ في المكان الذي استخدمت فيه. والثالث، هو أن عملية برية كهذه ستنطوي على إصابات غير قليلة، وأن القيادة السياسية سيتعين عليها أخذ ذلك بالحسبان إذا ما قررت في السياق القيام باجتياح أكثر كثافة.

الجبهة الداخلية تتضامن مع الحملة العسكرية

عندما قرر حسن نصر الله الشروع في الهجوم الحالي على إسرائيل، فإنه لم يأخذ بالحسبان تطوّر هام بدأ منذ "خطاب خيوط العنكبوت" الذي ألقاه، غداة انسحاب الجيش الإسرائيلي في أيار 2000. فقد غيّرت إسرائيل من الأساس موقفها من الخسائر، لمواطنيها ومواطني العدو. هناك، بالطبع، ثمن إنساني ونفسي فظيع لمقتل 15 مدنياً إسرائيلياً في أسبوع، ولكنه يأتي بعد أن عشنا أسابيع وأشهر أسوأ من هذا. ففي "آذار الرهيب" في العام 2002 قتل أكثر من 130 إسرائيلياً في شهر واحد. ومن جهة أخرى، فإن تلبّد الأحاسيس الذي نشأ في إسرائيل بالنسبة لمقتل مدنيين فلسطينيين يبث إشعاعه على لبنان أيضاً. فهو الذي سمح للحكومة بأن تقرر، في الخطوة الأولية للحملة، بمهاجمة مخزون الصواريخ داخل منازل في القرى، مع علم واضح أنه سيقتل هناك مدنيون كثيرون.

الحرب في الشمال، التي لم يوجد لها بعد اسم رسمي، هي مواجهة مغايرة تنخرط فيها الجبهة مع الجبهة الداخلية. حرب الخليج في العام 1991 كانت أطوال (نحو شهر ونصف الشهر) وهددت الوسط أيضاً، ولكنها انتهت بقتيل إسرائيلي واحد. هذه المرة، الشمال يعيش تحت تهديد أكبر بكثير. ولكن بعد أسبوع صعب لا تبدو هناك مظاهر هستيرية مثلما في تل أبيب في عهد الخليج. وبالإجماع سجلت هذه المرة الطاعة لتعليمات الدفاع عن النفس. من يريد ويمكنه أن يغادر يفعل ذلك، ولكن لا تنطلق التنديدات الوطنية للجولات السابقة. سكان كثيرون يقررون البقاء في بيوتهم طوعاً واختياراً.

استطلاع أجرته قيادة الجبهة الداخلية في بداية الأسبوع يظهر أن معظم الجمهور في منطقة الشمال يقدر قدرته على التصدي مع الوضع الأمني بأنها "متوسطة حتى عالية". رجال شعبة سلوك الجمهور في القيادة يعتقدون، استناداً إلى نتائج الاستطلاع بأن "مستوى الحصانة الجماهيرية عالية جداً". معظم السكان في الشمال لا يعتزمون مغادرة منازلهم في ضوء نار الصواريخ، ونحو ثلثي الجمهور يشعر بأن لديه ما يكفي من المعلومات عن الوضع الأمني. مستوى التضامن مع الحملة العسكرية عال جداً والمطّلعون منحوا علاقات تقدير عالية لأداء الجيش الإسرائيلي، قيادة الجبهة الداخلية ونجمة داود الحمراء. أما وزير الدفاع عمير بيرتس فلا يسارع إلى الاحتفال في ضوء هذه المعطيات، ففي بحث مع ضباط الجيش الإسرائيلي أول أمس قال إنه في زيارته للملاجئ في الشمال بالذات أخذ الانطباع بنقص المعلومات وأمر بتحسين عملية نقل التفاصيل للمواطنين.

الاتصالات الدولية: إسرائيل في ورطة

أعضاء وفد الوساطة من الأمم المتحدة، والذين وصلوا إلى المنطقة في محاولة لحل الأزمة، ليسوا متفائلين. أحدهم يقدر بأنه ستمر 5 – 6 أسابيع قبل أن ينتهي القتال. وحسب تحليل الضيوف، فإن حزب الله ليس معنياً الآن على الإطلاق بوقف النار، وإسرائيل لا يمكنها أن توافق عليه.

رغم خسائره (التي حجمها موضع جدال) وتدمير قياداته (الظاهرة للعيان)، فإن المنظمة الشيعية بعيدة عن الشعور بأنها مهزومة. ويبدو أن إيران تشجعها على مواصلة القتال، فيما أن السلاح الحقيقي الوحيد في حوزة إسرائيل هو الضغط العسكري. وما أن تخففه، فإن حزب الله لن يكون له أي سبب للتوصل إلى تسوية. نشر الجيش اللبناني، قوة متعددة الجنسيات أو كلاهما على طول الحدود هو مصلحة إسرائيلية وربما مصلحة للحكومة في بيروت وهو غير مرغوب فيه من حزب الله، وبالتأكيد من إيران، فكلاهما لن يوافقا على ذلك إلا تحت ضغط شديد.

بعــيون أوروبــية، شجعت إسرائيل نفسها على الدخول في الورطة، فهي لا يمكــنها أن توقف الحملة دون نتائج سياسية حقيقية تعرضها على مواطنيها، ولكن استمرار القتال لزمن طويل سيجعل قدرة الصمود لدى مواطنيها عسيرة، ولا يوجد يقــين في أنه سيضمن الإنجازات المنشودة لذا يجب البدء بترجمة استطلاعات قيادة الجبهة الداخلية إلى الإنجليزية.

خطأ استراتيجي..

بقلم: زئيف شيف

هآرتس - 2006/7/21

في خلاصة اليوم الثاني للحرب ضد حزب الله لا مفر من الاستنتاج بأن الحرب تتعقد. والدليل الأفضل على ذلك هو القرار بطرد جماهير الشيعة من قراهم في الجنوب اللبناني وذلك فقط لأن حزب الله يخفي فيها الصواريخ. وهذا قرار مغلوط من ناحية استراتيجية. وإذا بقي هذا القرار على حاله، فستكون هذه هي المرة الأولى التي يمكن فيها الادعاء ضد إسرائيل بأنها تتخذ ردود فعل عسكرية غير متوازنة. ففي دفاعها عن نفسها ضد منظمة إرهابية، لا ينبغي لإسرائيل أن تتخذ مثل هذه الخطوة. في بداية الحملة أعلن في الجيش الإسرائيلي بأن هذه ليست حرباً ضد الشعب اللبناني. وإذا ما استمر دفع جموع السكان إلى الفرار، فستترجم هذه الخطوة كعقاب للشعب اللبناني، وهذه صيغة لتعميق الكراهية.

ومع أن حزب الله يريد أن يمنع مثل هذا القرار كي لا يتهم بالمسؤولية عما يجري ولمنع الضغوط عليه كي يوافق على تقديم التنازلات، فإن من الأفضل لإسرائيل أن تمتنع عن ذلك.

الانزلاق إلى قرار كهذا جاء على مراحل. في البداية تقرر أنه طالما يريد الجيش الإسرائيلي العمل في قرية شيعية معيّنة، يضرب مخبأ تحت الأرض، أو صواريخ وما شابه، فينبغي أن يبلغ السكان مسبقاً بأن عليهم أن يخلوا القرية. وكانت النية هنا صحيحة من ناحية أخلاقية لأنها ترمي إلى تقليص الإصابات في أوساط المدنيين اللبنانيين حتى لو كانوا تعاونوا مع حزب الله إلى الحد الأدنى. وقد أخذت هذه الخطوة في الاتساع. فالصعوبة العسكرية لمنع نار الصواريخ قصيرة المدى أدت إلى أن تطرح أفكار حول كيفية خلق "رافعة ضغط" بواسطة السكان. بمعنى، دفع الكثيرين نحو الفرار، الحراك والتنقل شمالاً باتجاه بيروت. غير أن الطرق مغلقة في أماكن عديدة لأن سلاح الجو قصف جسور عديدة لمنع وحدات حزب

الله مـــن نقـــل الصواريخ والتعزيزات. أما حزب الله من جانبه فيعمل لمنع الفرار الجماعـــي من خلال حواجز في أماكن مختلفة. "رافعة ضغط" كهذه استخدمت في الماضـــي في أثناء الحملات السابقة، تصفية الحساب في 1993 وعناقيد الغضب في 1996 ضـــد حزب الله. وكانت تلك الحملات بدأت في أعقاب قصف الكاتيوشا علـــى البلدات الإسرائيلية، وموجات اللاجئين من القرى في جنوب لبنان أدت في حيـــنه إلى إحـــداث ضغط كبير على حكومة لبنان وتوجهت هذه على الفور إلى حـــافظ الأسد وكذلك إلى الإيرانيين كي يطلبوا من حزب الله وقف النار وأدى الأمـــر إلى وقف النار ولكن ليس لزمن طويل وذلك لأن قيادة حزب الله لا يهمها حقاً معاناة الجماهير ويحتمل أنهم يعتقدون بأن الأمر يساعد المنظمات وجيّد لتعميق الكراهية تجاه إسرائيل. أفكار خاطئة أخرى تدل على تعقّد القتال هي الاقتراحات المتزايدة من اتجاهات مختلفة، سياسيين من رجال اليمين ولا سيما عسكريين كبار ســـابقين في الشروع بعملية برية واسعة في لبنان. هذه الاقتراحات غير مقبولة في القـــيادة العليا للجيش الإسرائيلي. ومع أنه واضح أن سلاح الجو وحده غير قادر على حل مشكلة الصواريخ المطلقة ضد إسرائيل حلاً تاماً، فلا يوجد تأييد حقيقي لشن عملية برية واسعة وطويلة في لبنان.

الهدف: قتل نصر الله..

بقلم: بن كاسبيت

معاريف – 2006/7/20

شخصية إسرائيلية رفيعة المستوى جداً رسمت أمس في حديث مغلق المسار المتوقع بل والمرغوب فيه الذي يمكن أن ينهي "حملة نصر الله".

شرط مسبق للاتصالات المختلفة للحل هو الفصل التام الشامل، بين الأزمة في لبنان حيال حزب الله والجنديين المخطوفين، وبين الأزمة في الجنوب حيال حماس والجندي جلعاد شليت. وقال المصدر الكبير جداً أنه "لن تكون صفقة رزمة تشمل الأزمتين، ولن يكون ربط بين المخطوف في الجنوب وبين المخطوفين في الشمال، ولن يكون ربط من حزب الله لمسألة السجناء الفلسطينيين والقضية الفلسطينية. هذا لن يكون.

فماذا سيكون إذن؟ يدور الحديث في المسار المرغوب والمخطط من ذاك المصدر الكبير إياه. وهو يقوم على أساس الاتصالات التي أجريت حتى الآن بين المحافل المختلفة. ولا يعني الأمر أن يطبق هذا المسار على الأرض، ولكن يعطي هذا فكرة عن الاتجاهات المحتملة. في الساحة الجنوبية: إعادة الجندي جلعاد شليت إلى إسرائيل. والإعلان عن وقف شامل لإطلاق النار. الجيش الإسرائيلي يسحب قواته إلى خارج القطاع إلى الخط الدولي، ويتوقف عن العمل من الجو أيضاً. ويتوقف الفلسطينيون تماماً عن إطلاق القذائف الصاروخية، وفور ذلك تحرر إسرائيل كل السجناء الفلسطينيين الذين ألقي القبض عليهم بعد بدء الحملة، بمن فيهم الوزراء والنواب وبالتوازي يعلن عن لجنة دولية إقليمية تنعقد في نهاية السنة والهدف المفضل: القاهرة. وفي إطار اللجنة يجري بحث بين الأطراف للتوصل إلى وقف شامل للنار على مدى طويل، أو بتعبير آخر هدنة. وفي هذا الإطار، وكخطوة لبناء الثقة، تنظر إسرائيل في إمكانية تحرير سجناء فلسطينيين آخرين. القوائم سبق أن أعدت، في حينه، من أجل أبي مازن.

الساحة الشمالية: حزب الله ينقل معلومات عن وضع المخطوفين (الجيش الإسرائيلي مقتنع بأن أحدهم على قيد الحياة. وبالنسبة للآخر يوجد عدم يقين). ويعلن عن وقف نار شامل. الجيش الإسرائيلي يوقف هجماته وعملياته. حزب الله ينقل المخطوفين إلى حكومة لبنان. تبدأ مفاوضات على تحريرهما بين حكومة لبنان وحكومة إسرائيل. وعلى جدول الأعمال: تحرير الجنديين اللذين هما سجينان إسرائيليان، مقابل سجناء لبنانيين فقط وليس فلسطينيين. يوجد في إسرائيل بعض مثل هؤلاء السجناء، بمن فيهم سمير قنطار. وبالتوازي، ينزل الجيش اللبناني وينتشر على طول الحدود مع إسرائيل. والخطوة يمكن أن تنفّذ أيضاً بمساعدة أو بتعاون من جهات دولية، وربما أيضاً قوة متعددة الجنسيات، شريطة أن تضم دوراً من الولايات المتحدة وبريطانيا، ويثبت بأنها قوة جدية مقاتلة. وبالتوازي، يتحقق اتفاق مراقبة دولية على إدخال السلاح، الصواريخ والقاذفات الصاروخية إلى لبنان، الذي سيحظر تماماً. ومع استكمال الخطوة يطوي حزب الله قواته من جنوب لبنان ويركّز على النشاط السياسي.

حتى الآن خطط في الجارور. وينبغي التشديد على أنه خلافاً للموقف في بداية الحملة (الجيش الإسرائيلي أوصى بعدم قتل نصر الله كي يكون هناك من يمكن عقد صفقة معه بعد ذلك)، فإن الهدف المعلن الآن هو قتله. في كل حال، وبكل ثمن. وإذا ما قتل، فإن الحملة قد تنتهي. وعلى الأرض، حالياً، يتواصل القتال وبقوة أكبر. كم من الوقت بقي للجيش الإسرائيلي؟ إذا لم يطرأ تغيير جوهري، فإن الحديث يدور عن عشرة أيام على الأقل. وستؤجل كونداليزا رايس على ما يبدو وصولها إلى البلاد والآن يدور الحديث عن يوم الاثنين أو الثلاثاء. وهي ستقوم بجولة في كل الدول المعتدلة (مصر، الأردن، السعودية، إسرائيل)، وتواصل طريقها إلى كوالا لمبور، إلى القمة الآسيوية. وفقط بعد ذلك، في بداية الأسبوع التالي، ستعود إلى إسرائيل كي تحرك حقاً الخطوات السياسية. وعليه، فإن الحديث يدور عن عشرة أيام حتى أسبوعين. هذا إذا لم تقع كارثة غير متوقعة، بالطبع.

التأييد الدولي مذهل. وهو يكمن في حقيقة أن الإرهاب اليوم ليس كما كان عليه ذات مرة. وأميركا تقف تقريباً كرجل واحد إلى جانب أولمرت بكل معنى

الكلمـــة. وأوروبا لا تذرف دمعة. والعالم العربي يترك نصر الله لمصيره. كل هذا ينبغي صيانته طوال الوقت. وهذا هو السبب الذي لا يزال لا توجد فيه عملية برية واســعة. فطــوابير الدبابات عندما تنطلق إلى داخل لبنان، تعلق في طرق الوصول الــضيقة في الجنوب، وتتفجر تحت العبوات، ستبدد هذا الإجماع بسرعة في البلاد وفي العــالم على حد سواء، ومن جهة أخرى ليس كل شيء ممكن عمله من الجو. مصدر أمني كبير جداً قال أمس: "نحن لا نستبعد عملية برية، وإذا تقرر أن لا مفر، فهــذا ما سيحصل". وزير الدفاع عمير بيرتس الذي يقود هذا الخط، قرر بنفسه مبدأ واحداً واضحاً: لا يوجد وضع يجر فيه صاروخ على تل أبيب عملية برية. لا يوجد وضع كهذا. وحسب بيرتس، فإن دم سكان الشمال ونهاريا ليس أقل حمرة مــن سكان الوسط. مثل هذه الرسالة ستبدد كل المفهوم الإسرائيلي الجديد في أن كـــل مـــس بالسيادة سيجر رد فعل دموي. وعليه، فإن القرار بعملية برية، إذا ما اتخذ، يجب أن يتخذ في الوقت القريب القادم. وحسب هذا المسار، يدور الحديث عـــن تجنيد احتياط لفرقة واحدة، وربما اثنتين. وعمليات هجومية في جنوب لبنان وفي عمق لبنان في خطوات مفاجئة. وفقط هكذا سيكون ممكناً حقاً انتزاع حزب الله مـــن أنفاقه. على الأقل الأفعى ستطل من جحرها، وهذا سيجبي حياة عشرات الجنود، ولكنه سينظف الجنوب. هذا وحده سينظف الجنوب.

وفي هذه الأثناء توجد الكثير من العمليات البرية الموضعية. والوحدات الخاصة تتواجد في الميدان منذ أسبوع. تجمع المعلومات الاستخبارية، تصيب رجال حزب الله، تفكّـــك قـــواعد، تفجّـــر مخازن كاتيوشا. وكل المحللين الذين يصرخون في التلفـــزيون "لا يوجد ما يمكن عمله أكثر من ذلك" و"الخطوة العسكرية استنفدت نفـــسها"، لا يعرفون ماذا يجري هناك. جنديان قتلا أمس في أثناء عملية مماثلة، في أعقاب كمين من حزب الله، ثمن أليم واضطراري.

يوم انعطافي؟

رئيس الوزراء، إيهود أولمرت، عاد ووعد أمس بأن عملية الجيش الإسرائيلي ضـــد حزب الله في لبنان ستستمر "لكل الوقت اللازم". ومع ذلك، فقد تراكمت

أمـــس مؤشرات أولية على أن اتجاه الريح يتغير، والحملة اجتازت ذروتها. ويحتاج أولمـــرت الآن إلى "استراتيجية خروج" تسمح له ببث إنجاز وعدم الغرق في حرب اســتنـــزاف. بيان المجلس الوزاري السياسي الأمني أمس أقل قطعاً من التصريحات السابقة لرئيس الوزراء الذي تحدث عن "القتال حتى استعادة الجنود المخطوفين" أو "حـــتى إزالة التهديد على إسرائيل". أما المجلس الوزاري فلم يتعهد إلا بالسعي إلى هذه الأهداف، ولكن ليس القتال إلى أن تتحقق.

رئـــيس الأركـــان دان حلـــوتس حذّر الوزراء من أن حزب الله يحاول جر إســـرائيل إلى حـــرب استنـــزاف، "ننثني" فيها تحت الضغط الداخلي والخارجي. وبالـــتالي فـــإن الحملة تقترب من لحظة الحسم، والسؤال هو من سينكسر أولاً. مـــصادر سياسية في القدس تحدثت أمس بثقة عن قدرة الجيش الإسرائيلي والإسناد الـــدولي الـــذي تحظـــى بـــه إسرائيل، حيال بوادر القلق في الجانب الآخر، لدى السوريين، الإيرانيين والساحة السياسية في لبنان. وفي نفس الوقت، فإن حزب الله لا يظهـــر بوادر انكسار، حتى بعد أسبوع من القصف. نار الصواريخ نحو الشمال اســـتمرت أمـــس أيضاً بأعداد كبيرة. والمعركة التي قتل فيها جنديان من الجيش الإســـرائيلي في الأراضي اللبنانية قرب أفيفيم أظهرت بأن اندفاع جنود نصر الله، الذين يقاتلون في سبيل الوطن، لا يزال عالياً.

يـــشتد الـــنقد في وســـائل الإعلام الدولية على إسرائيل، بسبب المس بالمدنيين اللبنانـــيين والإخلاء العاجل لآلاف الأجانب من لبنان. واضطر أولمرت إلى الاعتذار أمـــس أمام ستيفن هاربر من المؤيدين البارزين لإسرائيل في الأسرة الدولية، على مقتل ثمانـــية مدنيين لبنانيين – كنديين، وحظيت الحادثة التي قتلوا فيها بنشر كثير وغيّرت الاتجاه في وسائل الإعلام في طالح إسرائيل والظروف التي اندلعت فيها الأزمة آخذة في التـــشوش. أما أولمرت فيعيش الآن في معضلة، إذا أوقف الحملة سيجد صعوبة في أن يـــشرح لـــسكان حـــيفا لماذا ادخلوا إلى الملاجئ. وسيظهر حسن الله كمن نجح في الـــصمود في وجـــه آلة الحرب الإسرائيلية و لم يستسلم، ولكن إذا ما استمرت عملية الجـــيش الإسرائيلي بل وتصاعدت، فإن أولمرت سيخاطر بتآكل التأييد الدولي وفقدان إنجاز بيان الثمانية الكبار يوم الأحد، والذي أيد الموقف الإسرائيلي.

تحت تصرفه بضعة بدائل:

المواصلة. هذا بديل مفضّل على القيادة السياسية: مواصلة العملية في صيغتها الـــراهنة، دون اجتياح بري للبنان، إلى أن تستنفد جدواها. وإسرائيل تتوقع تقسيم عمـــل مع الأسرة الدولية: الجيش الإسرائيلي يضعف القوة العسكرية لحزب الله، و"العـــالم" يملـــي تسوية جديدة في لبنان، تصفي تهديد الصواريخ وتفرض سيطرة حكومة بيروت على كل الدولة.

إنجاز تظاهري. عملية موضعية ناجحة يمكنها أن تظهر أمام الجمهور بأنه كان هـــناك ما يستحق القتال من أجله ويمكن التوقف. وفي رأس قائمة الأهداف تقف عملـــية تـــصفية زعيم حزب الله حسن نصر الله. وقد دعا المجلس الوزاري أمس صـــراحة للمـــس برئيس المنظمة. ولكن مثل هذا الإنجاز منوط بنجاح استخباري وعسكري حتى الآن فلت من يد الجيش الإسرائيلي.

الـــضغط مـــن الـــداخل. زيارة وزيرة الخارجية الأميركية كونداليزا رايس الأسبوع القادم ستكون فرصة طيبة لتفعيل "ساعة الرمل السياسية" ووقف العملية بدعـــوى الاســـتجابة لطلـــبها. وكتبت "نيويورك تايمز" أمس تقول إن إسرائيل والـــولايات المـــتحدة توصلتا إلى تفاهم في أن الحملة في لبنان ستستمر حتى زيارة رايس. المشكلة هي أن أولمرت يحتاج إلى إنجاز عملياتي قبل أن تهبط رايس في مطار بن غوريون. مجرد زيارتها لا يضمن هذا بالطبع.

عملـــية بـــرية. أســـبوع القـــتال في لبنان يثبت حالياً الادعاء القديم لخبراء عـــسكريين بأنه من الصعب - إن لم يكن متعذراً - إلحاق الهزيمة بالعدو من الجو فقـــط، ولا ســـيما في القيود الزمنية التي يعمل فيها الجيش الإسرائيلي. فليس لدى إســـرائيل شهران ونصف الشهر لتدمير لبنان مثلما فعلت قوات الناتو للصرب في كوســـوفو. وهناك أيضاً لم يستسلم الصرب إلا بعد شل شبكة الكهرباء في الجبهة الداخلية.

القـــصف من الجو يسمح باستخدام قوة نار كبيرة بمخاطرة قليلة على جنود الجـــيش الإســـرائيلي. ولكن القوات البرية وحدها يمكنها أن تصل إلى كل مخزن ذخـــيرة وصاروخ لحزب الله وإخراجهما عن نطاق العمل. المشكلة هي أن عملية

بـــرية من شأنها أن تكلف ضحايا عديدة وتستوجب تجنيداً واسعاً للاحتياط، الأمر الذي سيدفع إلى تآكل التأييد الجماهيري للعملية. وهذا هو السبب في أنه رغم أن الخطـــط جاهـــزة، فلا يوجد بعد ضوء أخضر لدخول فرق الجيش الإسرائيلي إلى لبنان.

تقلـــيل الأهـــداف. إســـرائيل رفعت هذا الأسبوع سقف مطالبها بتسوية مـــستقبلية في لبنان وقررت أن على الحملة أن تؤدي إلى تطبيق قرار مجلس الأمن 1559، وبالتالي فإن الجيش الإسرائيلي يقاتل كي يفرض إمرة حكومة لبنان في كل أراضـــيها أو بلغة أقل دبلوماسية، حلوتس يقصف بيروت كي يعزز رئيس الوزراء فؤاد السنيورة.

في المرة السابقة التي حاولت فيها إسرائيل إيجاد نظام جديد في لبنان في 1982 ، انتهى هذا على نحو سيئ جداً. واليوم مثلما في حينه، لا يمكن لإسرائيل أن تغيّر بقـــواها الذاتية ميزان القوى وهي تحتاج إلى تدخل دولي من الصعب التعويل عليه. وإذا تـــبين أن "العـــالم" يسحب رجليه ويجد صعوبة في جمع القوات لإعادة تنظيم لبـــنان، فإن أولمرت يمكنه أن يتخذ بهدوء بضع خطوات إلى الوراء، أن يضع هدفاً أقل طموحاً وينهي الحملة عندما يتحقق هذا الهدف.

1982 حيال 2006

بقلم: زئيف شيف

هآرتس - 2006/7/21

الكثيرون لا يميزون الفرق بين حرب إسرائيل في لبنان في العام 1982 وبين الحرب الحالية. هناك عرب، مثلاً، يعجبون من أن معظم الجمهور يؤيد اليوم الحكومة وخطواتها العسكرية. ومن المهم الإشارة إلى الفوارق الكبرى بين الحربين - الخلفية مختلفة، الأهداف مغايرة وكذا أساليب العمل.

الفرق الجوهري هو أنه في العام 1982، رمت الحرب فيما رمت إلى تنصيب رئيس جديد، مؤيد لإسرائيل، في لبنان؛ الدفع باتجاه تعيين بشير الجميل رئيساً. الجميل قتل، والشراكة مع كتائبه بدت كخيار سيئ والهدف في حينه كان ليس فقط إبعاد منظمة التحرير الفلسطينية ووحداتها عن لبنان، بل إلحاق الهزيمة بالفلسطينيين في لبنان كي يهزهم الأمر في الضفة. وأدى هذا بالجيش الإسرائيلي إلى الحرب داخل مخيمات اللاجئين في لبنان. الأهداف اليوم مغايرة جوهرياً، فواضح للجيش الإسرائيلي أن حزب الله لا يمكن إبعاده عن لبنان؛ فهذه منظمة لبنانية أصيلة. ولو كانت هذه حزباً فقط، لما كانت إسرائيل تهاجمها. ولكن المشكلة هي أن حزب الله هو أيضاً ميليشيا عسكرية، تهاجم إسرائيل خلافاً لإرادة الحكومة اللبنانية وحتى بعد انسحاب إسرائيل إلى الحدود الدولية.

في العام 1982 فكرت الحكومة الإسرائيلية بمفاهيم الحل العسكري. أما اليوم فيقول الجيش الإسرائيلي بأن المطلوب هو حل سياسي وليس عسكري للمشكلة، فيجب ضرب الذراع العسكري المهاجم لإسرائيل، ولكن في النهاية ستكون تسوية دولية. في العام 1982 عارضت إسرائيل كل دور دولي، أما اليوم فهي ترى في قرار مجلس الأمن 1559 مناسباً لهدف الحرب الاستراتيجي. هذا القرار يدعو إلى نزع سلاح ميليشيا حزب الله وإلى أن تكون حكومة لبنان وجيشها مسؤولة عن جنوب لبنان حتى الحدود مع إسرائيل.

الحرب في 1982 سميت بـــ "حرب سلامة الجليل"، ولكن إسرائيل وصلت حتى بيروت واستولت على أجزاء منها، واعتبر الأمر احتلالاً، كما أن إسرائيل شـــنت الحرب فيما كانت قواها في الأراضي اللبنانية. أما هذه المرة فقد بدأت الحملـــة بعد أن كانت إسرائيل انسحبت إلى خط الحدود وتلقت مصادقة على ذلـــك مـــن الأمـــم المتحدة. ورغم ذلك واصل حزب الله مهاجمتها، بالقصف واخـــتطاف الإســـرائيليين. في العـــام 1982 اعتبر وزير الدفاع في حينه أريئيل شارون كمن لم يرفع تقارير صادقة للحكومة ورئيس الوزراء مناحيم بيغن، اما الـــيوم فيوجد اتفاق في الرأي وتقارير مفصلة للحكومة. في نهاية الحرب قررت لجـــنة تحقيق رسمية، بعد مذبحة صبرا وشاتيلا بوجوب إقصاء شارون عن منصبه كوزير للدفاع.

هناك فارق جوهري بين الحربين في كل ما يتعلق بسوريا. في العام 1982 كـــان الجيش السوري يسيطر على لبنان. وفي منطقة بيروت كان يرابط لواء، والقوة الأساس كانت تنتشر في البقاع اللبناني، بما في ذلك 19 بطارية صواريخ أرض - جـــو. في الـــبداية لم يصادق بيغن على مهاجمة السوريين وقال لممثل الولايات المتحدة فيليب حبيب أن يقول لحافظ الأسد أن إسرائيل لن تهاجمه. أما شـــارون فدحـــرج الحملة بحيث يهاجم الجيش الإسرائيلي الجيش السوري في الـــبقاع. وبعد ذلك لم يكن مفر من مهاجمة بطاريات الصواريخ. أما اليوم فلا يوجد جيش سوري في لبنان، ولكن إسرائيل تعرف منذ زمن بعيد في أن دمشق أعطـــت حزب الله صواريخ ثقيلة بقطر 220 ملم. ورغم ذلك، ومن أجل عدم توسيع الحرب، قيل للجيش الإسرائيلي أن ليس لإسرائيل رغبة في إدخال سوريا إلى الحـــرب شريطة ألا تهاجم هي. كما أنه في أسلوب العمل توجد فوارق بين الحربين. في العام 1982 اقتحمت فرق الجيش الإسرائيلي براً الجنوب وأنـــزلت مـــن البحر للوصول إلى بيروت وشمالها والارتباط بالكتائب - أما اليوم فسلاح الجـــو والاستخبارات هما اللذان يقودان المعركة. سلاح الجو يمكنه أن يضرب بـــسرعة، أن يكون دقيقاً أكثر بفضل السلاح الموجه القائم اليوم، وكذلك أن يوفـــر بالخسائر، ومع ذلك فواضح أن سلاح الجو لا يمكنه أن يحل بنفسه كل

المـــشاكل بمـــا في ذلك مشكلة آلاف الصواريخ. والكثيرون يدركون، وهكذا أيضاً الدول العربية بأن إسرائيل تقف هذه المرة ليس ضد منظمة فلسطينية تقاتل من أجل استقلال شعبها، بل ضد منظمتين إرهابيتين إسلاميتين متطرفتين ودولة كإيران، يدعون لإبادة إسرائيل، وإلى جانبهم تقف سوريا. إسرائيل تمتنع عن أن تكـــرر في العـــام 2006 حرب 1982. ولا غرو أن الكثيرين هذه المرة يؤيدون إســـرائيل لـــيس مـــثلما في الماضي عندما كان الرأي العام الدولي ضدها. وإذا امتـــنعت إســـرائيل عن تغيير جوهري لأهدافها وحرصت أكثر على عدم المس بالشعب اللبناني، وعلى التوازنات السليمة في عملياتها - فإن التأييد لها في حربها سيبقى على حاله.

ينـــزلون إلى الأرض

بقلم: أليكس فيشمان

يديعوت أحرنوت – 2006/7/21

في كل يوم في الرابعة والنصف بعد الظهر، يعقد رئيس هيئة الأركان، دان حلوتس، اجتماعاً للقيادة العسكرية التي تشرف على التخطيط والتفكير لمجريات المعـــركة في لبـــنان. نائب رئيس هيئة الأركان، رئيس قسم العمليات ورئيس "أمـــان" ورئـــيس قسم التخطيط وقائد سلاح الجو وغيرهم يتحققون معاً من موقـــف الجيش والنقطة التي وصل إليها في سبر غور حزب الله. من المفترض أن تـــؤدي العملـــيات العسكرية إلى تقشير طبقة جديدة وكشف قطعة أخرى من بـــازل اتخاذ القرارات والقيادة والتحكم لدى العدو: ما الذي فقده في الحرب حـــتى الآن، وكـــيف يعـــوّض نفسه عن هذه الخسارة، وأين تعززت قوته أو ضعفت.

مجموعة الضباط هذه تجلس معاً وتبحث عن "النقاط الحاسمة" التي لا يردّ فيها حـــزب الله كما يجب على العمليات العسكرية الإسرائيلية. الأمر الملموس هو أن هـــذا الحزب يبدي قدرة على تكييف نفسه بعد عشرة أيام من القتال. هو اجتاز مرحلة الصدمة الأولى واستطاع أن ينظر إلى اليمين وإلى اليسار وأن يقيّم القدرات وأن يُكـــيّف نفسه للرد على النار بالنار. المفاجأة لم تعد عاملاً أساسياً في سلوكه. في هـــذه الـــنقطة يـــتوجب ممارســـة مستويات ضغط إضافية ومفاجآت جديدة وتحركات غير متوقعة من أجل إبقائه في حالة اضطراب.

لم نصل إلى هذه النقطة بعد – قوات الحزب البرية في جنوب لبنان ما زالت صـــامدة وجاهزة للاجتياح البري، حسب التدريبات التي اجتازها خلال السنوات الســـت الأخـــيرة. الأفراد موجودون في الكمائن بانتظار الاجتياح القادم، حسب تقديـــراتهم. الأطـــراف العسكرية العليا تعتقد أن هناك حاجة إلى أسبوع آخر من

الضربات القوية من أجل بلورة الوضع الذي تدخل فيه القوات البرية الثقيلة لتوجيه "ضـــربة الرحمة" وتغيير مجريات الأحداث بصورة جوهرية مُبعدة عناصر حزب الله عن الجنوب.

الجيش لا ينوي إدخال قوات برية في المرحلة الأولى بالحجم الذي تعودنا عليه في حرب لبنان السابقة. ما يفعلونه هو توجيه ضربات موقعية وتدمير أهداف محددة ومن ثم العودة.

هيـــئة الأركـــان العامة تعتقد أن لا مناص من خوض المرحلة البرية. في اليوم الذي سيوقع فيه الاتفاق يتوجب أن ترفرف أعلام إسرائيل على النقاط التي سيقوم الجيش الإسرائيلي بتسليمها للقوات الدولية أو للجيش اللبناني الذي من المفترض أن ينتشر في المنطقة. وهذه مسألة لن تحدث من الجو بالطبع.

الجـــيش يتدارس نقطة الحسم المطلوبة هذه وأبعادها، ليس على صعيد العدو وإنمـــا يأخذ بعين الاعتبار الجبهة الداخلية في إسرائيل والرأي العام الدولي والمواقف الرسمية في دول العالم. كما أن هيئة الأركان تحاول تشخيص النقطة التي ستستنفد فـــيها القوة العسكرية ذاتها وتبدأ في التكرار الروتيني للعمليات، الذي لا يؤدي إلى أي نتيجة سياسية.

حالـــياً لا يـــوجد في القيادة العسكرية شعور بالوصول إلى هذه النقطة، ولكنـــنا لـــسنا بعـــيدين عـــنها. لذلك هناك حاجة إلى سلسلة من الخطوات الدراماتيكية التي من شأنها أن تغير اتجاه الحرب وتغير النتائج. على سبيل المثال، خطـــوة دراماتيكية بتصفية قيادة حزب الله وخاصة القيادة السداسية التي تقود العملـــيات: حـــسن نصر الله ونائبه نعيم قاسم والقائد العسكري عماد مغنية. المجمـــوع يصل إلى بضع عشرات من القيادات المركزية التي يؤدي القضاء عليها إلى تـــدمير هيكلية القيادة والسيطرة، ويزرع البلبلة في صفوفها. بحثوا عن هذه القـــيادة في الضاحية الجنوبية، والآن يبحثون عنها في شرق وغرب بيروت من خـــلال محاولات استخبارية مركزة. أمس الأول بحثوا عن قيادة الحزب في برج الـــبراجنة غـــربي بـــيروت. قنابل بوزن 23 طن أُلقيت هناك. المهمة لم تتحقق والبحث سيتواصل.

الرئيس السوري يُحلّق

الخبراء والمستشارون الإيرانيون وعناصر حرس الثورة الإيراني كلهم غادروا لبـــنان الآن. الدبلوماســـيون الإيرانيون يحزمون أغراضهم حيث يسود قلق بأن تقـــوم إســـرائيل بمهاجمـــة السفارة الإيرانية في بيروت. ولكن ليست هناك أي مؤشرات على أن إيران في ضائقة. ما زالوا هناك يعتقدون أن إسرائيل ستنكسر وســتجري مفاوضات حول الأسرى. كما أن قيادة حزب الله لا تشعر بالهزيمة بعد. أما الرئيس السوري، فهو مُحلّق في الهواء. سوريا في حالة تأهب للحرب وعلى قناعة أن إسرائيل توشك على مهاجمتها يومياً. ولكن بشار الأسد يواصل التـــصرف كمغامـــر صـــبياني ومقامر استحواذي. الإذن الذي أعطاه للسماح بإدخال شاحنات الذخيرة للبنان في هذا الأسبوع يشير إلى أنه ما زال يعتقد أن مواصـــلة الـــضغط على الجبهة الداخلية الإسرائيلية سيمنع إسرائيل من مهاجمة ســـوريا. دوائـــر في الإدارة الأميركية تحث إسرائيل بقوة على مهاجمة سوريا. وإســـرائيل بدورها هي التي قررت ترك سوريا خارج اللعبة. ولكن الطريق نحو التدهور على الجبهة السورية قصير.

القنبلة الثقيلة التي أُلقيت على برج البراجنة أمس الأول ما هي إلا جزء صغير مـــن ترســـانة تعدادها 3 آلاف قنبلة سقطت على لبنان في الأيام العشرة الأخيرة. إســـرائيل تحاول القضاء على راجمات الصواريخ لدى حزب الله، والوتيرة الآن هي تـــدمير 6 – 8 راجمـــات يومياً، وهذه ليست بالكمية الكافية لإضعاف القدرات الـــصاروخية لدى حزب الله، وسيتطلب فترة تمتد إلى أسابيع وربما أشهر. القضاء على البنية التحتية الصاروخية يستوجب إبعاد السكان إلى ما وراء الليطاني، خاصة الـــشيعة منهم. خلو المنطقة من السكان يتيح لسلاح الجو القيام بعملية إبادة مبرمجة ومنهجية.

المـــداولات التي تجري لدى رئيس هيئة الأركان في كل يوم تكشف النقاب عن إحدى نقاط الضعف في حرب لبنان: هذه الحرب لم تكن مخططة، وإنما فُرضت على إسرائيل فرضاً.

يُجهزون اقتراحات لكونداليزا رايس

مـــا لم يأخـــذه الجيش في تدريباته المسبقة لهذه الحرب بالحسبان هو الإنهاء الـــسياسي لها. هيكلية هذا الإنهاء بدأت تتبلور في هذا الأسبوع في قمة الثمانية في سانت بطرسبورغ. في يوم الأحد ستأتي كونداليزا رايس إلى إسرائيل. هي لا تحمل اقتراحات، وإنما ستأتي لحل مشكلة أميركية داخلية ومحاولة إنقاذ سمعة الرئيس الذي يطالَب من الداخل الأميركي بالقيام بشيء ما من أجل لبنان. رايس تتوقع الخروج مـــن هنا مع شيء ما في جعبتها، وديوان أولمرت يعمل على صياغة خطة مفصّلة للتسوية مع لبنان.

الخطة ترتكز على قرارات مجموعة الثمانية ومجلس الأمن. أمام إسرائيل فرصة الآن لإمـــلاء خطتها، وأن تكون المبادرة إلى ذلك. السوريون واللبنانيون يتحدثون عـــن وقـــف لإطلاق النار، والفرنسيون كعادتهم يثرثرون حول وقف إطلاق نار إنساني. وقف إطلاق النار الآن هو بالنسبة لإسرائيل أسوأ أمر يمكن أن يحدث، لأنه يعـــني انتـــصار حزب الله وإيران، وعليها أن تطرح البديل: خطة تخدم مصالحها وتضمن لها في نفس الوقت بقاء الدعم الدولي للحرب.

الخطـــة هي: إعادة المخطوفين، وفرض منطقة خالية من حزب الله في جنوب لبنان، وحظر إمداده بالأسلحة مجدداً من إيران وسوريا. أما تفكيك حزب الله فهو تطلّع تأمل إسرائيل أن تطرحه الأسرة الدولية.

الخطة التي يُعدها ديوان رئيس الوزراء تتحدث أيضاً عن قيام القوة الدولية التي سترســـل إلى جـــنوب لبنان بمراقبة المعابر اللبنانية: المطارات والحدود مع سوريا. التقديـــر الواقعي السائد لدى القيادة الإسرائيلية هو أن أمام إسرائيل أسبوعين إلى ثلاثة فقط لتحقيق الإنجازات السياسية القصوى من العملية العسكرية. وبعد مرور هـــذه الفتـــرة، ستتلاشى الترجمة السياسية للعمليات العسكرية، ولن تكون قابلة للتحقق.

ملامسة خيوط العنكبوت

بقلم: شمعون شيفر

يديعوت أحرنوت – 2006/7/21

في يـــوم الاثـــنين فجراً دخل مقاتلو كتيبة خروب لخوض مجابهة مع كتائب شـــهداء الأقصى الذين أقسموا على القتال حتى النهاية كهدية رمزية منهم لمقاتلي حزب الله في لبنان. المعركة كانت ضارية وقُتل فيها أحد أفراد الوحدة الإسرائيلية، أوشر دماري، بينما أصيب آخرون وبقيت كف قدم أحدهم في الموقع.

بعـــد ذلـــك تواصلت الضغوط والوساطات من قبل كافة القوى والفعاليات الفلـــسطينية على كتائب شهداء الأقصى لإعادة كف القدم المفقود، وقالوا لهم إن إســـرائيل ستمحو المدينة عن بكرة أبيها إذا لم يفعلوا ذلك، وهكذا عادت الكف بعد ست ساعات من الاحتجاز.

العـــبرة التي توصل إليها بعض أفراد القيادة العسكرية من هذه المسألة هي أن العرب يخافون من إسرائيل، وأن إسرائيل قد استعادت قوتها الردعية بفضل هجماتها القوية في لبنان وغزة وصمود الجبهة الداخلية.

تـــسيبي لفـــني حددت لهذه الحرب هدفين، الأول تغيير مكانة حزب الله في لبـــنان، والثاني كيفية النظر لها بعد الانتهاء. أكثر شيء ترغب لفني في حدوثه هو مـــشاهدة نصر الله وهو ميت، حتى يكوي ذلك وعي العرب أكثر من أي قاعدة صاروخية يتم القضاء عليها هنا وهناك. إسرائيل لا تعرف أين هو الآن، ومحاولتها الأخيرة في برج البراجنة لم تنجح.

هذه الحرب هي فريدة بالنسبة لباقي حروب إسرائيل. صانعو القرار كانوا في الحروب السابقة يخافون من أمرين: القوة العسكرية التي يقاتلونها، والحصرية الزمنية التي تدفع الأميركيين لفرض وقف إطلاق النار في اللحظات الحاسمة، كما حدث في حرب حزيران وحرب الغفران وحرب لبنان.

أمـــا الآن، فـــلا توجه إسرائيل ضغوطاً لإنهاء الحرب مع ساعة توقيت. حتى السعودية ومصر والأردن وقطر وأبو ظبي والأمم المتحدة - يريدون رؤية إسرائيل وهـــي تفـــتك بحـــزب الله حتى آخر قطعة. ولكن أحداً من بين صانعي القرار، عسكريين وسياسيين، لا يعتقد أن حزب الله سيستسلم، والاعتقاد هو أنه سيبتعد عـــن الجنوب في أحسن الأحوال، وفي ختام عملية طويلة سيُجرد من سلاحه. هذا السيناريو المتفائل، ولكن هناك سيناريوهات أخرى أقل تفاؤلاً.

هـــناك فجـــوة كبيرة وغير مريحة بين التوقعات والقيود التي يدركها صانعو القرار وبين التوقعات العالية لدى الجمهور. كلما استطال البقاء في الملاجئ، كلما كانت التوقعات أعلى. والإحباط قادم على الطريق.

العـــدو، خلافـــاً للحروب السابقة، ليس دولة، وإنما تنظيم يقاتل ضد حقيقة وجود دولة إسرائيل. الاعتقاد خلال العقود الثلاثة الأخيرة هو أن النـــزاع إقليمي، وأن الثمن محدد: حدود حزيران. ولكن مع حماس وحزب الله وإيران يعود الصراع إلى جذوره وهو وجود إسرائيل في قلب العالم الإسلامي.

إيهـــود أولمـــرت صد الادعاءات بأن شارون هو الذي أدى إلى تعاظم قوة حـــزب الله مـــن خلال سياسة ضبط النفس. أولمرت يفند ذلك بالقول أن وضع إســـرائيل الـــيوم هو الذي يمكنها من شن حرب على عاصمة عربية، والانتقادات الخارجـــية تنحصر فقط في مطالبة إسرائيل بتوخي الحذر من إصابة الأشخاص غير الصحيحين.

يتوقف عند الإشارة الحمراء

صادق أولمرت أمس الأول مساء على قصف مكمن قيادة حزب الله في برج البراجنة بعد تردد كبير خوفاً من الوقوع في الخطأ الذي قد يدفن العملية كلها تحت الأنقاض كما حدث مع شمعون بيرس في "عناقيد الغضب" في 1996.

أولمرت رأى في تصفية حسن نصر الله هدفاً مشروعاً لأن القوانين التي تنطبق علـــيه تختلف عن تلك التي تنطبق على قائد الدولة. وعليه، هو لا يؤيد شن الحرب على سوريا ولا يوافق على أن يجره أي أحد إلى تلك الحرب. وهو مقتنع أيضاً بأن

صواريخ إيران لحزب الله تهدف إلى تهديد إسرائيل، وخاصة المنشآت النووية فيها، وأنها لم تعطه إياها فقط من أجل اختطاف جنديين اثنين.

أولمرت يقول إن لدى إسرائيل مؤشرات على وجود قلق شديد لدى حزب الله، ومع ذلك ما زالت لديه كميات كبيرة من الكاتيوشا خاصة قصيرة المدى. وإسرائيل من ناحيتها ستوافق على وقف إطلاق النار عندما تتأكد أن الجيش قد وفّر لها أرضية جيدة لعقد تسوية سياسية.

دبلوماسي أجنبي يتنقل في هذا الأسبوع بين بيروت والقدس وغزة حدّد نقطة الانتقال من القتال إلى الدبلوماسية بكلمات أخرى: "أولمرت وفؤاد السنيورة يملكان مصلحة مشتركة في شل قدرة حزب الله العسكرية، ولكن هناك فجوة كبيرة بينهما في النظرة إلى جوهر التسوية. النار ستتواصل طالما لم تتقلص هذه الفجوة".

يطلقون النار ويفرّون

وقف إطلاق النار الوحيد الذي فرضه حزب الله على حكومة إسرائيل هو وقف إطلاق النار بين عمير بيرتس وإيهود أولمرت. الاثنان ارتكبا كل الأخطاء الممكنة خلال الأسابيع الأولى لحكومتهما. أما اليوم فنحن أمام جبهة موحدة، وقد فشلت كل المحاولات الصحفية لانتزاع كلمة سيئة من أحدهما عن الآخر.

هذه الحرب مرهقة لوزير الدفاع، إلا أنها وضعته على المسار الذي تطلّع للوصول إليه طوال كل السنين: الوصول إلى بؤرة الحسم الوطني. هو الآن يقود الخط الذي يقول بأن كل البلاد جبهة واحدة الآن، لا فرق بين الوسط والضواحي. عمير بيرتس وأولمرت قاما معاً بحثّ الحكومة في يوم الجمعة على توسيع عمليات القصف في الضاحية الجنوبية وقرى الجنوب التي كان يقطنها نشطاء حزب الله مع عائلاتهم والصواريخ الجاهزة للإطلاق. التقديرات لدى سلاح الجو كانت أن عدد القتلى من المدنيين سيصل إلى 250. المستوى السياسي بدوره هو الذي أخذ قرار توسيع دائرة القصف (لفني وديختر عارضا قصف المنزلين في الضاحية، إلا أن تحفظهما رُفض). لحسن الحظ تبين أن عدد القتلى أقل بكثير مما قدره سلاح الجو، وأن أغلبية المنازل التي قصفت كانت فارغة.

قـــرار مشابه اتخذ بصدد الفلسطينيين في غزة حيث يتصرف الجيش دون تمييز بين العسكريين والمدنيين الذين يشكّلون درعاً بشرياً لهم.

عمير بيرتس يقول إن علينا أن ندرك أن المستفيد من عملياتنا في نهاية المطاف همـــا فؤاد السنيورة وأبو مازن وعمر سليمان وحسني مبارك، وليس حماس وحزب الله. هو يعرف في الوقت نفسه أن هذه أُمنية يصعب تحققها. حزب الله يختفي ومن الملزم أن يكون جزءاً من التسوية. وهناك خطر أن ينضم إلى جيش لبنان وينتشر في الجـــنوب مجدداً، ولكن مع زي عسكري في هذه المرة. إبعاده هام عسكرياً، ولكن الأمر الأهم هو ضرورة خروجه من هذه الحرب مهزوماً ومُهاناً.

من خلف القضبان

أحد الأمور التي يحاولون تجنب الحديث عنها في سياق مرحلة ما بعد الحرب هي قضية تبادل الأسرى. المبدأ الذي تصر الحكومة عليه هو الفصل بين الأسير في غزة والأسيرين في لبنان. إعادة الأسيرين هي أحد أهداف الحملة العسكرية المعلنة، ولكـــن الجمـــيع يعـــرف أن الهجمات الجوية لن تعيدهما، وأن ما يكفل ذلك هو مفاوضات مرهقة وباهظة الثمن.

ليـــست هـــناك اتصالات مع حزب الله بعد ولو بصورة غير مباشرة. أما مع حمـــاس فالوضع مختلف. المصريون يعملون وما زالوا بصورة مكثفة لإعداد صفقة. هم يعتقدون أن إعادة شليت ستعيد الاستقرار النسبي لغزة.

مـــن الممكـــن تحديد ملامح الصفقة القادمة بصورة محدودة الضمان: حماس ستطالب الحصول مباشرة على عدد من الأسرى الذين توافق إسرائيل على إطلاق ســـراحهم وستعد بأن تقوم بإطلاق سراح شليت إذا وجدت أن العدد ملائم من وجهة نظرها. إسرائيل ستقول أعطونا جلعاد وبعد مدة من الزمن، ستة أشهر مثلاً، ستحصلون على سجناء بصورة سخية، ولكن من دون إعطاء عدد مسبق.

الـــصفقة مـــع حزب الله إذا حدثت ستكون جزءاً من التسوية السياسية في لبـــنان. إســـرائيل تستطيع أن تعرض على حزب الله اللبنانيين المعتقلين هنا وعلى رأسهم أقدم السجناء سمير القنطار المخرب الذي قتل أبناء عائلة هارن.

نحن والعالم

في اللــيلة الفاصــلة بين الثلاثاء والأربعاء صمتت قواعد إطلاق الكاتيوشا، وســاور صــانعي القرار الأمل بأن مخزون حزب الله قد انتهى، ولكنه سرعان ما تبدد: أكثر من مائة صاروخ سقطت تاركة وراءها طفلين قتيلين في الصنارة ويوماً آخر من الشلل والرهبة في الجليل.

وفــد الأمــم المــتحدة خــرج من غزة بعد يوم متعب من المداولات مع الفلسطينيين. عبوة ناسفة انفجرت على مسافة غير بعيدة من القافلة. الناطق بلسان الــوفد قــال إن العــبوة ليست ضدنا. أما إسرائيل التي تتعامل مع الأمم المتحدة بارتــياب فقــد لاقــت الوفد بالاحترام اللائق لأن لفني تعتقد أن الانطباع الذي ســيحمله الــوفد إلى نــيويورك سيؤثر على صانعي القرار في واشنطن وفي الأمم المتحدة.

كان هناك اتفاق بين الوزراء الإسرائيليين وبين وفد الأمم المتحدة على أن قوة حفــظ السلام يجب أن تختفي من الخارطة مهما حدث في لبنان. هذه القوة كانت ضــارة فقــط خلال سنوات عملها، وإذا اتفق على وضع قوة متعددة الجنسيات فــيجب أن تكــون ذات وضعية مختلفة عن تلك التي تتمتع بها قوة حفظ السلام. وزراء الخارجــية مــن كافة الأقطار الغربية أخذوا يتصلون على لفني طالبين منها إفساح المجال أمامهم لإخلاء رعاياهم من لبنان. لفني بدورها اتصلت بدان حلوتس وقالت له: "إذا كنت تريد من العالم أن يعطيك المزيد من الوقت فمن الأجدر بك أن تمنح وزراء الخارجية الأجانب مسارات آمنة للإخلاء".

الجيش بدوره اقتنع واستجاب للطلب.

السباق مع الزمن

بقلم: يوئيل ماركوس

هآرتس – 2006/7/21

الحروب تولّد الزعماء وتصفّيهم أيضاً. الأمر منوط بامتحان النتيجة. قرار إيهود أولمرت وعمير بيرتس بإلهام من دان حلوتس بشن الحرب ضد حزب الله رفعهما حالياً إلى مسرح "ولادة نجم". أكثر من 80 في المائة من الجمهور يؤيدون حملة "تغيير الاتجاه" وأكثـــر من 70 في المائة يؤيدون شخصياً قيادة أولمرت وبيرتس في الهجوم على حزب الله ســـتان، وبالتوازي ولدت أيضاً قصة حب متبادلة بين الجبهة الداخلية وزعمائها. وخلافاً لفزع "اشربوا ماء" الذي كان سائداً في عهد صواريخ سكاد في 1991، هذه المـــرة في سقوط الصواريخ على بلدات الشمال بداية وحتى حيفا فإن الجبهة الداخلية تظهر قدرة على الصمود. وهي تواصل الثقة بالحكومة ولا سيما بسبب الإجماع على عدالـــة الحملـــة. وبالـــتوازي، فإن زعماء الحرب يثنون على الجبهة الداخلية لموقفها ويغدقون المديح لها بالأقوال في أنهم يستمدون منها القوة لتعميق الحملة. غير أن نقيصة قصص الحب كهذه بين الجبهة الداخلية والحكومة هي أن ليس لها ميلاً للصمود لزمن طويل. هنا أيضاً كل شيء منوط بامتحان النتيجة.

التأييد الأميركي وتأييد الكثير من دول العالم للحملة، بما فيها بضع دول عربية، يعطي تبريراً وتعزيزاً لإسرائيل. وليس هذا من قبيل الأمور التي تحصل كل يوم أن تتلقى إسرائيل تأييداً بهذا الاتساع لعملية حربية. وبنقيض نغمة "العالم كله ضدنا" جميل على مسامعنا حتى وإن كنا نعرف أن هذا ليس أيضاً للأبد. ومع ذلك فمن المعروف أن من يـــدخل إلى لبنان لا يعرف دوماً كيف يخرج منه. 18 سنة استغرقنا الخروج من لبنان في حملة وعد أريئيل شارون قائدي المعارضة إسحق رابين وشمعون بيرس بأن تستغرق 48 ســـاعة. وينبغي التعلل بالأمل بأن الحكومة أخذت في اعتبارها المخاطر الكامنة في إدخال قوات برية كبرى إلى لبنان. رجال سلاح الجو يقولون إن ما ينجحون في عمله بوســـائلهم المـــتطورة لن تفلح فيه أي قوة برية. ومن يقول إنه لم يحصل أن حسمت

حرب ما بمجرد هجوم جوي مخطئ برأيهم. ففي حرب الخليج حسمت المعركة دون مـــشاركة قوات برية في العراق. إذن ففي أي ظروف يمكن القول عندنا أن أهداف الحملة تحققت؟ عندما يكون ممكناً فرض تسوية تخلق على الحدود منطقة فاصلة تكون فـــيها قوة دولية والجيش اللبناني ولا يكون فيها لحزب الله موطئ قدم جنوبي الليطاني. صـــحيح أن حـــزب الله كمنظمة إرهابية غير قابل للتصفية الجسدية إذ أن الشيعة هم جـــزء مـــن الشعب اللبناني، ولكن يمكن تحييده كقوة عسكرية مقاتلة ضد إسرائيل. وليس مثلما في حرب سلامة الجليل، فإسرائيل لا تتطلع إلى تغيير الحكم وتعيين رؤساء وملـــوك. الهدف هو فقط ألا تكون قوة عسكرية، ذراع إيران وسوريا يحلقون ذقونهم علـــى حـــدودنا. ومن كل زاوية نظر ممكنة، فإن هذه عملية دفاعية صرفة. الحق مع إســـرائيل حين تهاجم منشآت في لبنان أيضاً. وهي تتحمل المسؤولية حينما تعمل من حدودها الدولية وتهدد قوة مسلحة ضد إسرائيل.

ليس واضحاً ماذا بالضبط توقعه مفكرو حملة "تغيير الاتجاه" بستة أو بثمانية عيون. فهل كانوا يعرفون مسبقاً ما هي الكميات والنوعيات للقذائف الصاروخية لدى حزب الله؟ وهـــل قـــدروا مسبقاً بأنهم سيتجرأون على إطلاق عشرات ومئات الصواريخ من كافة الأنواع على الجبهة الداخلية لإسرائيل يومياً؟ على قتل عشرات الإسرائيليين وإصابة المـــئات وزرع الدمار والهلع وتهريب عشرات آلاف الأشخاص من منازلهم والاستعداد لإطـــلاق الـــصواريخ على تل أبيب؟ ناطق حكومي يقول إن رد فعل كهذا من جانب حزب الله أُخذ بالحسبان. ربما نعم، ربما لا. هنا أيضاً، امتحان النتيجة سيقرر. وفي هذه الأثناء يظهر حزب الله جسارة مفاجئة. فرغم أن أميركا وأعضاء الثمانية الكبار يؤيدون إسرائيل وينسجون تسوية لوقف النار - فإن حزب الله كهيئة كفاحية لن يصفى. حسم عـــسكري شـــامل لن يكون. ورغم أن الضرب الموجع من سلاح الجو يمزقهم، إلا أن الاستسلام لن يكون. وإذا ما صفي حسن نصر الله، فسينهض معبود جديد.

في مـــثل هـــذه الحالات لا توجد ضربة واحدة وانتهينا. من المهم أن تتسلل الضربة الإسرائيلية إلى وعيهم كالصدمة، بحيث لا تجعل نهضتهم سريعة سهلة. وقبل أن يفقد مفكرو الحملة ثقة الجبهة الداخلية، قبل أن تقول أميركا: "حتى هنا"، فإن سباقنا هو الآن مع الزمن.

هذا هو المفترق

بقلم: عمير ربابورت

معاريف - 2006/7/21

مــــن كـــــان يبحث عن علامات تحطّم حزب الله يوم الأربعاء الماضي، أمام المـــستوطنة الــــزراعية أفيفيم، المحترقة هذا الأسبوع، فإنه لن يجد لها أي علامة تدل علـــيها. أفـــضل أنواع التكنولوجيا التي يملكها الجيش الإسرائيلي كانت مكدسة هـــناك. هناك صواريخ قادرة على إصابة الهدف بدقة عالية وبدائرة أمتار قليلة من الجو والبر. ودبابات الميركافا ذات الدقة في التصويب جعلتها الأكثر كفاءة في العالم مـــن هذه الناحية، وطائرات بدون طيار ووسائل أخرى غيرها من التي تعمل على جمع المعلومات والصور والوسائل القتالية من أول نقطة في الشمال وحتى آخرها في الجنوب. ومع ذلك، فإن هذه التكنولوجيا لم تحقق الحسم مع تل أبيب.

في القـــتال الطـــويل الذي دار حول التلة المطلة على أفيفيم، قُتل جنديان من وحـــدة "مغلان"، وأصيب سبعة آخرون. حتى الانسحاب من لبنان في أيار 2000 كـــان موقع "شيكد" مقام على هذه التلة. وحتى صباح يوم الأربعاء الماضي كان هذا الموقع يشكل جزءاً من الشبكة الدفاعية القوية لحزب الله هناك، الذي يتشكل من مواقع مبنية من الأسمنت القوي إضافة إلى عدد من الكهوف على طول الحدود. وقـــد حـــاول الجـــيش الإسرائيلي أن يقطع أوصال هذه المواقع بواسطة القصف المتواصـــل مـــن الجو والبر طوال أسبوع كامل، قبل أن تبدأ المعارك البرية في هذه المنطقة، إلا أن عناصر حزب الله أظهروا قدرة قتالية عالية. وفي ظهيرة يوم الأربعاء، عـــندما بـــدأ الجيش الإسرائيلي بالهجوم بواسطة الوحدات المختارة، وبعد إطلاق قذائف الدبابات بصورة مباشرة باتجاه منازل الفلاحين في مارون الراس المقابلة، في محاولة لإسكات مصادر النيران، رد مقاتلو حزب الله بـــ "مطر من قذائف الهاون". وفي حـــالات قلـــيلة ومتقطعة كانت تُسمع من فوق ساحات الصدام والقتال في

أفيفيم صفارات مرور صواريخ الكاتيوشا وهي منطلقة في طريقها لضرب أهداف في العمق الإسرائيلي.

1 - قدرة التهرب

لا شك بأن حزب الله يدير معركة ويحارب بإصرار وضراوة دون أن يكون له ظهور حقيقي على وجه الأرض. فهو يعمل تماماً كما هو متوقع من منظمة "عصابات" يشن أحد الجيوش عليها حرباً، ويتفوق فيها عليها بالعدة والعتاد: لقد اختفى حزب الله بالقدر الممكن، يضرب من مواقع خفية، وينتظر حتى تمر موجة الغضب لكي يجمع البقايا ومن ثم يضرب مرة أخرى. وحتى المواقع تحت الأرضية التي يشن منها معاركه ويوجه ضرباته، لم تكن سرية على الجيش الإسرائيلي و لم يكن حزب الله ليخفيها، في حين يخفي مواقعها فقط. فعلى مدار ست سنوات من عدم التدخل الإسرائيلي وقصر نظر القيادة العسكرية الإسرائيلية، وبعد إخلاء المنطقة الأمنية، فإن حزب الله لم يكتف بتلك المواقع التي ورثها عن الجيش الإسرائيلي، بل زاد عليها الكثير منها بما في ذلك شبكة من الاتصالات والاستخبارات وجمع المعلومات عن المواقع وعن الجيش الإسرائيلي. وقد أقاموا الكثير من الثكنات القوية التي لا يظهر منها أحد، ولا يصاب فيها أحد عندما تقوم طائرات سلاح الجو الإسرائيلي بالإغارة عليها، بل تُمكنهم من إخراج فوهات قاذفات الصواريخ وإطلاقها دون إزعاج، التي تكون موجهة سلفاً إلى أهداف إسرائيلية قبل نشوب أي معركة. هكذا، وبالضغط على "زر واحد" يستطيع أحد قادة حزب الله أن يعزف على جوقة من النيران توجه إلى إسرائيل، وهو يستطيع أن يحدد بالضبط أين تقع هذه الصواريخ التي أُعدت أهدافها من قبل، وبهدوء.

2 - غوبِلس اللبناني

ومع ذلك، ومع كل القوة التي يمتلكها حزب الله الذي تسانده سوريا وإيران، فلا ضرورة للانجرار. فالجيش الإسرائيلي قوي وقادر على مثل هذا التنظيم. الميزانية السنوية البالغة مائة مليون دولار، التي يتلقاها حزب الله من إيران، ليست مبلغاً

قليلاً، ولكننا نتحدث بذلك عن ثمن طائرة حديثة واحدة من نوع (أف 16) التي نسميها "عاصفة"، تماماً من ذلك النوع الذي التهمته النيران صباح أمس الأول بسبب خلل فني في إحدى القواعد الجنوبية، عندما كانت تستعد للانطلاق لتنفيذ عملية قصف في لبنان. حزب الله الذي يمتلك سبعة آلاف مقاتل، بما في ذلك الاحتياط، يشكلون أقل من فرقة عسكرية في الجيش الإسرائيلي، و لم نتحدث بعد عن الأفضلية الجوية الإسرائيلية التامة التي تزرع الخراب والدمار في لبنان.

على صفحات هذا الملحق، خلال الأسابيع الماضية، كتبت عدة مقالات توضح الفرق بين الواقع الحقيقي الذي تتعامل معه إسرائيل على جبهات غزة ولبنان وبين حالات موازية أثناء الحرب العالمية الثانية، ولكن يمكن أن يكون الموازي، إذا أردنا البحث عن ذلك، شخص يشبه زعيم حزب الله، فإننا سنرى جورج غوبلس، الإعلامي الشهير الذي كان عند النازيين إبان الحرب العالمية الثانية. فكما هي حال نصر الله، فقد تمكن غوبلس من جر جماعات ضخمة من الناس وراء حربه، هذا دون التحدث عن قدرته في إغناء الحرب بالمؤيدين الذين مكنوا ألمانيا من السيطرة على العالم، ومن ثم إخفاء اليهود كإضافة على ذلك. الجرأة والحدة وطريقة تحريك نظرات العيون، أدت أكثر من مرة إلى إحداث نوع من الرهبة في قلوب الأعداء. ولكن، في نهاية الأمر، فإن الأمر الذي حسم تلك المعركة كان القدرة العسكرية والاقتصادية الهائلة التي تمكن الغرب من حشدها، وآخر أيام غوبلس كانت عندما تمكنت الدبابات السوفياتية من الوقوف على مشارف برلين، حيث قام هو وزوجته بإطلاق الرصاص على أنفسهما في المكان الذي كان "الفوهرر" يختفي فيه، وليس قبل أن يضمنا إدخال كمية لا بأس بها من السم إلى أفواه أولادهما الستة أثناء نومهم.

3 - الاستراتيجية

لن يصل نصر الله في هذا الصراع إلى المرحلة التي يطلق فيها النار على نفسه. لكن إسرائيل تحاول أن تقوم بهذا العمل وأن تُنهي حياته بطريقة غير طبيعية، وعن طريق قذفه بقنابل يزيد وزنها على طن في كل مرة. الاستراتيجية الإسرائيلية كانت

حـــتى ذلك الحين إهمال منصات إطلاق صواريخ الكاتيوشا من جنوب لبنان نهائياً خـــلال الأسبوع الأول من بداية هذه الحرب، وعدم محاولة ضرب قيادة حزب الله نفـــسها في تلك الأيام. وبدلاً من رصد وتوظيف هذه القدرات العالية التي يمتلكها الجـــيش الإســـرائيلي في اصطياد منصات إطلاق الصواريخ التي لا يُعرف عددها، والـــتي لا يُعـــرف مكانها (تقديرات إسرائيل أنها تبلغ 3 آلاف قاذفة صواريخ من مخـــتلف الأنواع)، والتي يمكنها أن تطلق نحو 13 ألف صاروخ من مختلف الأنواع، وكما كانت الحال في عملية "عناقيد الغضب" قبل نحو عشر سنوات، فقد تقرر في البداية ضرب ومحاصرة كل الإمكانيات لكي يقوم الجيش بعدها بمفاجأة حزب الله وتوجيه ضربة قاتلة لمركز قيادته وقدراته في الضاحية الجنوبية في بيروت.

لقـــد ضرب الجيش الإسرائيلي عدداً من قاذفات الصواريخ بعيدة المدى مثل "فجـــر" و"زلزال"، ووجه الضربات الجوية القوية للبنية التحتية اللبنانية وللتنظيم في بعلـــبك في الشمال، ودمر عدداً من الجسور في الجنوب. في البداية تم فرض حصار على الدولة اللبنانية بصورة تامة، وذلك لمنع إدخال تعزيزات ووسائل قتالية لحزب الله من سوريا وإيران. ويبدو أن الفكرة الاستراتيجية التي كانت وراء هذا التصرف هـــي أنه يحظر علينا أن نصل إلى وضع يمكن فيه لكل طرف أن يُصعّد ويرفع من مـــستوى المواجهة وردوده على نحو تدريجي، كما كان نصر الله يتوقع ذلك، ربما، بل أن نبدأ مباشرة، وفور بدء المعارك بدرجة عالية من استعمال القوة ومن الدرجة العالية جداً، ودون مراحل.

4 - تل أبيب

رغـــم شـــن الغارات والقصف على مواقع منصات إطلاق الصواريخ بعيدة المـــدى، التي نجحت في معظمها، فالأحجية هي ما إذا كان نصر الله ما يزال يمتلك الكـــثير من هذه الصواريخ التي يمكنها أن تصل إلى تل أبيب. هذه الأحجية بقيت مفـــتوحة و لم نحـــصل على إجابة لها، حتى بعد مرور عشرة أيام على هذه المعارك معهم. إذا تمكن نصر الله من إجبار ملايين الناس في منطقة غوش دان على الدخول إلى الملاجـــئ، فـــإن هـــذا سيكون إنجازاً كبيراً من ناحيته. ولكن التقدير في هذا

الأســبوع كان يشير إلى أنه لم يعد يمتلك مثل هذه القدرة الهجومية. وحزب الله، كما يبدو، كان يمتلك مع بداية المعارك بضع عشرات من منصات إطلاق صواريخ زلــزال ذات القدرة على الوصول إلى أهداف على بعد 120 - 200 كم، من التي زودتــه بهــا إيــران، وذلك لتشكل نوعاً من الردع حتى لا تُهاجم هي من قبل إســرائيل. وجزء من هذه الصواريخ تم تدميره، ولكن إذا سقط صاروخ زلزال في تل أبيب، فإنه سيسبب في سقوط ضحايا كثيرين، أكثر بكثير من تلك الصواريخ الــتي ســقطت في الشمال. ولكن احتمالات نجاح حزب الله بإخراج واحدة من الــشاحنات التي تكون منصة إطلاق لمثل هذا الصاروخ من المخبأ دون أن تصيبها الطائرات الإسرائيلية، تعتبر ضئيلة جداً.

5 - عمليات غزو

اعتــباراً مــن يوم الأربعاء، وبدقة أكثر، من نهاية هذا الأسبوع، فإن الأنظار والاهــتمام للجــيش الإسرائيلي موجهان للمنطقة الموجودة تحت مسؤولية القيادة الــشمالية، جــنوباً من خط نهر الليطاني، وليس للمنطقة الموجودة تحت مسؤولية رئاســة هيــئة الأركــان مباشرة، والشمالية أكثر. وهذا يعني أن معظم الطائرات ستخــصص لصالح القيادة الشمالية لكي تعالج مخازن صواريخ الكاتيوشا الضخمة الموجــودة في جــنوب لبــنان على نحو منهجي. وهذا يعني أن الجيش الإسرائيلي سيــضطر إلى إدخال قوات برية لشن عمليات محددة ومستهدفة ضد مواقع حزب الله جنوب لبنان لكي تجبر مقاتلي المنظمة على القتال. ويسود الاعتقاد في أوساط الجــيش الإســرائيلي أنه ما لم يتم ضرب بضع مئات من عناصر قوات حزب الله بصورة مباشرة في معارك ميدانية - بسرية (حتى الآن لم يصب إلا بضع عشرات، لأن أغلبــية القتلــى هم في الحقيقة من المدنيين كما يروون ذلك في لبنان)، فإنه ســيكون مــن الصعب توجيه ضربة لهذه المنظمة لا يمكنه أن يبرأ منها سريعاً بعد انتهاء المعارك.

لقــد جهــدت القــيادة العسكرية الإسرائيلية كثيراً حتى الآن في عدم زج الــوحدات البرية في هذه المعارك داخل العمق اللبناني. ولكن، هل هذه الطائرات

المقاتلـــة الحديثة والمتطورة جداً يمكنها أن تقوم بهذا الهدف وأن تؤدي المهمة دون زج القوات البرية إلى المعركة، وبالتالي توفير حجم الأضرار البالغة التي سيتكفل بها الجيش في المعارك المنتظرة مع قوات حزب الله في الجنوب؟ هذه النظرية التي يحاول كـــل مـــن رئيس هيئة الأركان ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية الترويج لها، حـــيث أن كلاهما من خريجي سلاح الجو الإسرائيلي، هل ستنجح؟ ولكن نائب رئـــيس هيـــئة الأركان موشيه كابلنسكي، وهو من رجال غولاني في الأصل، هو الذي يوازن هذه الصورة.

هناك شبه اتفاق في القيادة العسكرية على ضرورة إجبار عناصر قوات حزب الله أن تغادر المخابئ المحصنة والكهوف والدخول مع القوات الإسرائيلية في معارك برية، وإلا، فإن هؤلاء سينهون الحرب من مواقع مريحة لهم. ولكن، حول الطريقة الـــتي يمكن بواسطتها إخراج هؤلاء من مواقعهم الخفية، فإن القيادة عندنا ما زالت تحطـــم رأســـها بالتفكير ومحاولة إيجاد الطريقة، وليس من المؤكد أن الطريقة التي أُديـــرت بها المعركة في منطقة أفيفيم هي الأنجح والأفضل حيث حصدت خسائر كبيرة عندنا، وما زالت بقيتها في الطريق.

اتفاق آخر تبلور في القيادة العسكرية بأن لا تكون هناك عملية برية بمعايير كبيرة في جنوب لبنان، كما حدث في حرب لبنان الأولى قبل 24 سنة. المستوى السياسي لن يوافق على ذلك، وفي كل الأحوال، فإن الجيش نفسه لا يريد ذلك. نعم ستكون هناك عملـــيات اقـــتحام محددة، في نقاط انتقائية، وتعتمد في الأساس على وحدات قتالية جيدة، بل ربما تكون هذه العمليات بمشاركة وحدات مدرعة، ولكن هل هذا سيعمل علـــى وقف إطلاق صواريخ الكاتيوشا باتجاه الشمال؟ لا. صواريخ الكاتيوشا ستبقى تسقط على مدن الشمال حتى اليوم الأخير من هذه الحرب. ولكن، هل يمكن أن يقل عدد هذه الصواريخ؟ في القيادة العسكرية يأملون ذلك خلال منتصف الأسبوع القادم. وهـــذه ستكون نقطة الامتحان لسياسة عمليات الاقتحام المحدودة. وفي كل الأحوال، فـــإن نهاية الحرب ما زالت بعيدة كما نرى، وهي ستستمر على الأقل لمدة أسبوع أو أســـبوعين، هـــذا إذا ما حدث تدخل سياسي في سير الأمور. والتقديرات تؤكد بأن خسائر كبيرة ما زالت في انتظارنا، فهذه حرب، ولا بد من مواجهتها.

6 - الأهداف

في مقـــر وزارة الـــدفاع في تل أبيب يعتزمون بناء الاتحكام المستقبلي (المقر المُحكـــم) لهيـــئة الأركـــان، والـــذي سيكون الأكثر تحصيناً وامتلاكاً للقدرات التكنولوجـــية للألفية الثالثة. الآن، حرب الـــ 2006 تجري وتُدار من نفس الموقع الحصين الذي أُديرت منه حرب يوم الغفران عام 1973، وهناك ليس سيئاً كما هي الحال في الاستحكامات المقصوفة لقوات نصر الله، ولكن الظروف ليست مشابهة. استعداداً لهذه الحرب تم افتتاح الموقع المحصن للقيادة العليا والذي وُضعت في مركزه ثـــلاث طـــاولات على شكل حرف "يو". رئيس الأركان حلوتس يجلس في خلف الطاولـــة المركزية، ووفقاً لما هو معمول به في أوقات الحرب، ونائب رئيس الأركان وقائد العمليات في هيئة الأركان وقائد الوحدات القتالية في هيئة الأركان، الذي يجب أن يكـــون متنبهاً في كل لحظة ليكون مشرفاً على قيادة وتوجيه المعركة التي يخوضها الجـــيش. هؤلاء الأربعة، وبصورة فعلية، هم الذين يديرون الحرب، وكلهم متنبهون باستمرار لكل ما يجري وكيف يتطور. وفي بعض الأحيان، فإن الجنرال دان حلوتس، والجنـــرال موشـــيه كابلنسكي يسرقون بضع ساعات من النوم على سرير سفري تم إدخاله إلى المكاتب التي تطل على هيئة الأركان العامة، حيث الهواء فيها غير مضغوط.

وإذا أردنا الإثقال على قادة الجيش الإسرائيلي بالأسئلة، فإنك ستعرف فوراً بأن الأهداف الحقيقية لهذه الحرب، التي هي في منتصفها، غير واضحة بالنسبة لهم. بـــل إن الموضـــوع يشير إلى عدم وضوح مقصود. ففي الوقت الذي يتحدث فيه رئـــيس الوزراء بصوت عال جداً حول شرط إعادة الجنود المخطوفين وعن نـــزع سلاح حزب الله كشرط لا بد منه لوقف إطلاق النار، كان الجيش الإسرائيلي قد بدأ بخفض مستوى التطلعات. وعلى سبيل المثال فإن رئيس هيئة الأركان يتحدث فقط عن ضرورة ضرب قوة حزب الله، وعن تقوية قوة الردع العسكرية الإسرائيلية ولإيجاد ظروف جديدة تُمكّن الحكومة اللبنانية المركزية من بسط سيطرتها فيما بعد علـــى كل لبنان. لقد اعتقدت القيادة العسكرية الإسرائيلية أن اللبنانيين سيتهمون حـــزب الله بأنه سبب هذه المعاناة التي حدثت لهم (خلافاً لحماس، حزب الله ليس تنظـــيماً شـــعبياً في كل لبنان، بل إن معظم قدراته وبؤرة قوته في المحيط الشيعي

فقـــط). والحق أنه يوجد منطق في هذا التحليل. ولكن هذا الهدف يبدو على أنه الحلقة الأكثر ضعفاً في كل ما تريده إسرائيل من لبنان في هذه العملية. وذلك لأن القرار الإسرائيلي بضرب بيروت بوحشية بالغة وإيقاع إصابات كثيرة بين المدنيين، هذا كله كان بثمن كبير. وفي ظروف كهذه، فحتى إذا كان اللبنانيون يعربون عن الاستياء من حزب الله، فإنهم يكرهون إسرائيل أكثر بكثير.

7 – الخطاب

رغم كل شيء، وبتحليل لكل الأيام العشرة لهذه الحرب، هناك من يصر على رأيه في جهاز الاستخبارات في هيئة الأركان، أن أحد التطورات المهمة جداً – إذا لم تكن الأكثر أهمية – لم تكن عسكرية أبداً، بل كانت تلك المتمثلة بظهور رئيس الوزراء اللبناني، المحبوب من الغرب والعزيز على قلب الرئيس بوش، فؤاد السنيورة، الـــذي أعلن بكلمات متعثرة بأن لبنان سيأخذ على عاتقه في نهاية الأمر المسؤولية الكاملـــة عن كل الأراضي اللبنانية، وإذا كان هذا سيحدث بالفعل، فإن هذا يعني إنجاز هدف مهم لهذه الحرب. ويمكن الاكتفاء بذلك وبالضربة الجسدية والاعتبارية لحزب الله. ولكن، من الصعب القول بأن إسرائيل يمكن أن تنهي هذه الحرب بينما الجنديين المخطوفين لم يتخطيا الحدود بطريق العودة.

8 – السُحُب

رغـــم فرح الكثيرين في الجيش الإسرائيلي، يوم الأربعاء صفت السماء فجأة واختـــتفت الغيوم شيئاً فشيئاً، التي كانت تزعج عمليات سلاح الجو. ورغم ذلك، فإن الجيش الإسرائيلي طلب تمديداً من رئيس الوزراء ووزير الدفاع في نفس اليوم، وحـــصل علـــى الموافقة. والآن، هم يتحدثون عن تمديد آخر، لأسبوع أو أسبوع ونصف. ولكن الجيش الإسرائيلي يقدّر بأنه حتى نهاية هذا الأسبوع فقد تم ضرب نحو 40 في المائة من الوسائل القتالية لحزب الله من خلال العمليات العسكرية، وفي الجـــيش يطالـــبون باستمرارية هذا "التقطيع" وهذه الحرب التي ستضرب الأرضية والفئة التي يتشكل منها هذا التنظيم.

9 - المواجهة القادمة

بشكل عام،فإن الاهتمام الدولي الذي حظيت به هذه الحرب في لبنان، والدعم بشكل عام لإسرائيل، شبه الموحد في هذا الموقف الدولي، نبع في الأساس من تفهّم العالم بصورة عامة أن هذه الحرب ضرورية ولا بد منها. وكسابقة، ذلك القتال الذي لم يحسم بعد مع حماس في غزة، والذي دفعت به الأحداث على الجبهة الشمالية إلى زاوية بعيدة في الوقت الحالي، ذلك القتال الدائر على الحدود الشمالية يحظى بالاهتمام الكبير لأنه يعتبر مقياساً وبديلاً وربما مقدمة لتلك المواجهة التي قد لا يكون هناك مبرر ولا إمكانية لدحرها بين الغرب وإيران. بل إن إيران تفهم ذلك بدورها، وبناء على ذلك، فإن إيران ستفعل كل ما تستطيع حتى لا يصل حزب الله إلى حالة الاستسلام لإسرائيل. فهل سيرفع نصر الله العلم الأبيض؟ معظم الاحتمالات والتقديرات تقول "لا". وفي الجيش الإسرائيلي لن يثوروا إذا كان حزب الله في نهاية المعركة ضعيفاً جداً، وفقاً للتقديرات العسكرية، ويتم في أعقاب ذلك إطلاق سراح عدد ليس كبير من الأسرى، من الذين قاربت محكوميتهم على الانتهاء، لكي تعيد إسرائيل جنودها المخطوفين إلى عائلاتهم. كذلك لا بد من أن نتذكر أن مستقبل ومصير الجنود في لبنان مرتبط بصورة تامة مع مصير ذلك الجندي الإسرائيلي المختطف في غزة، لذلك فإن إيجاد حل للحالتين سيكون مسألة بالغة التعقيد، لكنه ضروري ولا مناص من مواجهته.

10 - المفاجآت

وبعد كل الاستنتاجات المطروحة أمام الجيش الإسرائيلي، بعد هذه الأيام العشرة من القتال، لا بد من الإقرار بأن هذه الحرب كلها مبنية ومستندة تماماً على كثير من المفاجآت.

المستوى السياسي في إسرائيل، وبمعنى أدق، رئيس الوزراء ووزير الدفاع، لم يفاجئنا نصر الله وحده، بل إن هذه المفاجآت مست الجيش الإسرائيلي أيضاً. فقد تفاجأ نصر الله عندما قصفته إسرائيل بكل قوتها في الضاحية الجنوبية في بيروت، وفاجأ نصر الله إسرائيل والجيش الإسرائيلي عندما أخرج، وللمرة

الأولى، صـــاروخاً تمكن بواسطته من ضرب سفينة صواريخ في البحر، و لم يكن معـــروفاً مـــن قـــبل، وهذا ما دفع إلى الاعتقاد بأن نصر الله يمتلك كل ما هو موجـــود بحوزة الإيرانيين. وإذا ما حاول حزب الله أن يقصف مواقع إسرائيلية حـــساسة في الشمال، وبصورة دقيقة بواسطة طائرات بدون طيار محملة بالمواد المتفجرة يمكن تفجيرها في الأهداف، فهذه ستكون المفاجأة المنتظرة، ذلك لأن الجـــيش الإســـرائيلي يعـــرف أن حزب الله يمتلك مثل هذه الطائرات. ولكن، بصورة عامة، يجب التأمل بأن مثل هذه المفاجآت القادمة في هذه الحرب ستأتي من الجنوب وليس من الشمال.

من تكسيح إلى تغطية المؤخرات

بقلم: ب. ميخائيل

يديعوت أحرنوت -2006/7/20

من خلف أعمدة الدخان بدأت تطل علينا حقيقة مريرة وكئيبة: هذه الحرب هـي فشل مهين. إنجازها الوحيد حتى الآن - وعلى الدوام حسب ما يظهر - هو ضـرب خطـوط حـزب الله علـى طول الحدود اللبنانية. هذه العملية المطلوبة والـضرورية بسبب هجمات حزب الله، ولكنها كانت قابلة للتنفيذ بصورة واقعية وباردة ومتزنة من دون إلحاق كارثة بشرية واقتصادية وسياسية بلبنان كله.

كـل مـا تبقى ليس إلا عربدة غريزية من رئيس هيئة أركان متغطرس يسعى للتغطـية على إخفاقاته، وحكومة انبطاحية منجرة من ورائه وراغبة في الحصول على رصيد جماهيري رخيص لذاها سلاح الجو يصب حممه الموجودة في المخازن على كل مـا يتحـرك على الأرض موجهاً "ضرباته" الكاسحة للبنانيين وكأهم أسماك في علبة سردين، ومتسبباً في كل يوم بقتل عشرات الأبرياء ومن ضمنهم عائلات بأكملها، نساءً ورضعاً، مُطهّراً ضميره من خلال المنشورات التي يلقيها على السكان.

النتـيجة - مليون لاجئ تقريباً. محطات الطاقة قُصفت، والقرى مُسحت عن وجه الأرض، وطرقات محفورة وجسور مدمرة، ومطارات مدنية محترقة، وحكومة لبنانية آيلة للسقوط، وأكثر من 300 لبناني قتيل (وإن كانت دزينة منهم من أفراد حـزب الله..)، ودمـار اقتصادي متصاعد، وتحويل حي بيروتي كامل إلى حارة أشباح مدمرة.

وهنا؟ مئات المصابين وعشرات الآلاف في الملاجئ وسياحة منهارة واقتصاد لم يستوعب بعد الثمن الذي نـزل على رأسه مثل الصاعقة.

عـشرة أيـام من النار وشبح الموت - إلا أن طرفاً واحداً على ما يظهر لم يتضرر بصورة حقيقية منها: حزب الله.

من الصعب فهم ما الذي يتحدث عنه الجيش الإسرائيلي في المؤتمرات الصحفية اليومية التي يتفاخر فيها بإنجازاته المثيرة التي لا تتجاوز تدمير المواقع الأمامية الحدودية لحزب الله وبعض قواعد الكاتيوشا. وهذه الكاتيوشا ما زالت تنهمر وكأن شيئاً لم يحدث، والجنود الإسرائيليون ما زالوا في الأسر، وقيادة الحزب ما انفكت تعمل وتواصل قيادة أتباعها.

أسبوع أو أسبوعان آخران من هذه العربدة ويصبح حزب الله الرابح الأكبر من هذه الحكاية. الأموال الإيرانية ستصلح ما دُمر، والفراغ السلطوي في لبنان سيمتلئ من خلال الأصولية الإسلامية. وعندها يجب أن لا يستغرب أحد إذا شعر اللبنانيون المحبطون والمهانون بغريزة الانتقام أن حزب الله هو الذي يتوجب أن يحكم بأمرهم في الانتخابات الديمقراطية القادمة.

هل تبدو لكم هذه الحكاية معروفة؟ وهل هي واقعية؟ وهل هي منطقية لدرجة تثير الرهبة؟ هذا الأمر ليس مفهوماً بالنسبة لحكماء هذه الحكومة وقادتها العسكريين، هؤلاء لا ينجحون في تعلّم شيء من تجربتهم الذاتية حتى. ولكن يبدو في الأيام الأخيرة أن قادة الجيش هم من بدأ يشعر أن النصر الأكبر لن يتحقق في هذه المعركة. والأهداف المضخمة المنفوخة التي حددت لها ليست في متناول اليد. الذين يملكون سمعاً وبصراً حادين يستطيعون منذ الآن تشخيص بواكير ومؤشرات عملية تغطية المؤخرات الكاسحة التي ستبدأ فيما بينهم.

هذا هو السبب وراء شروع الجيش بالتمتمة حول حاجته إلى أسبوعين على الأقل لاستكمال المهمة. ولم يكن صدفة أيضاً تزايد الأصوات التي تلمح إلى أن سوريا، وسوريا وحدها، هي مفتاح الانتصار، لذلك يتوجب توجيه الضربات إليها. الجيش يعرف جيداً أنه لن يحصل على "أسبوعين على الأقل"، ولا حتى على ضوء أخضر لمهاجمة دمشق. وهكذا تبدأ القيادة العسكرية بحزم وإصرار بإعداد ذريعتها المعروفة "لم يتركوا الجيش يُحرز النصر". السياسيون الجبناء والعالم القاسي الذي لا يعرف الرحمة واللاسامية الدولية واليساريون المتعفنون الخونة، كل هؤلاء معا وفرادى انتزعوا الانتصار الأكيد من بين أيديهم.

بعد عدة أيام، وربما أسبوع، ستنتهي الحكاية. في لبنان ستكون هناك فوضى دموية ونزيف متواصل. الجنود سيبقون في الأسر. والكاتيوشا والطائرات ستصمت. وعندها فقط ربما يبدأ ما كان من المفترض أن يبدأ منذ زمن: المفاوضات القبيحة والطويلة والملتوية والمحبطة التي تعيد الجنود في النهاية، ومعهم عدد – من يعرف كم – من الفلسطينيين واللبنانيين إلى منازلهم.

لو أن ذلك كان قد حدث من قبل تدميرنا الوحشي والمخزي والذي لا يوجد له داعٍ للبنان، لربما كانت أنانية الجنرال حلوتس ستبقى مجروحة، ولكن بعض الموتى كانوا سيبقون على قيد الحياة ومئات آلاف اللاجئين كانوا سيبقون في منازلهم وقراهم، ولكان واصل لبنان عملية الإعمار والازدهار التي بدأ فيها، ولما تلقى الاقتصاد الإسرائيلي ضربة موجعة عدمية، ولما تلطخت سمعة إسرائيل الأخلاقية بالمزيد من الأخاديد الجارحة القبيحة. وحزب الله؟ حزب الله سيبقى مشكلة. لنا وللبنان أيضاً. مشكلة مع انفجارات دورية. مشكلة ستُحل فقط بعد أن تُحل المشاكل التي يتشبث فيها حتى يحافظ على شرعيته ورصيده الجماهيري: أيضاً في فلسطين وفي مزارع شبعا وفي السجون الإسرائيلية.

أما الضاحية الجنوبية التي يصفها الإعلام الإسرائيلي والعسكري بأنها معقل للإرهاب والإرهابيين ما هي إلا منطقة يقطنها مئات آلاف المدنيين العاديين، وليست معقلاً يحتوي على مخازن وترسانة عسكرية وصواريخ. من يسمع الوصف الإعلامي في إسرائيل للضاحية الجنوبية يعتقد أنها منطقة عسكرية بحتة ويعيش فيها مخربون كبار مع شعر على الأسنان، لذلك يمكن القضاء عليها وتدميرها تدميراً كاملاً. هؤلاء الذين يُزيّفون الواقع جديرون بالسخرية والارتياب الملائم لمثل هذا الزيف.

حزب الله حيال الجيش الإسرائيلي أكثر تدريباً..

بقلم: عاموس هرئيل وآفي يسسخروف

هآرتس - 2006/7/20

النجاح الجزئي لسلاح الجو والنار المتواصلة على الشمال، دفعا الجيش الإسرائيلي إلى الداخل، في الجزء الجنوبي لما كان ذات مرة منطقة الحزام الأمني. ولكن هناك تجد إسرائيل حزب الله منظّماً، أكثر قتالية وتدريباً مما كان في جولات القتال السابقة. وفي يومين من القتال قتل ما لا يقل عن أربعة جنود من الوحدات الأفضل التي لدى الجيش الإسرائيلي ليستخدمها في هذه المواجهة. الخسائر في الجانب الآخر أكبر، وإن أبقيت تحت ساتر من السرية. ومن الجهة المقابلة كان ملموساً أمس تخفيف نسبي في نار الكاتيوشا. وحتى ساعات المساء أطلق أمس 35 صاروخاً، على مناطق مفتوحة في الجليل الأعلى أساساً. وكان هذا هو اليوم الأكثر هدوءاً الذي يمر على سكان الشمال بعد ثمانية أيام من القصف غير المنقطع. وأول أمس دخل جنود مجلان إلى نطاق أقامه حزب الله بجانب قرية مارون الراس شمالي أفيفيم. ومع أول ضوء في الصباح، اكتشفوا على مسافة قصيرة جداً منهم باباً حديدياً أدى إلى شبكة من المخابئ التحت أرضية. ومن هنا كانت تنطلق الكاتيوشا إلى صفد والجليل الأعلى، فيما كان يختبئ رجال حزب الله تحت الأرض كلما كانت تصل الطائرت. وكانت هناك مدينة صغيرة لإطلاق الصواريخ أعدت للعمل على مدى سنين. وأساس الاشتباكات تجري الآن حول مواقع عسكرية كهذه يسميها الجيش "محميات طبيعية".

طريق الشمال كان أمس جزء من منطقة الحرب. وبين السيارات الخاصة القليلة التي كانت هناك، سارت الدبابات والمجنزرات. قرية أفيفيم الزراعية تلقت وابلاً من قذائف الراجمات والكاتيوشا ما أن بدأت الحادثة في مارون الراس. قائد

فـــرقة كان يقود في الماضي المقاتلين المصابين، سارع بدخول القرية الزراعية دون رتـــبه وبـــدا وجهـــه متكدراً. وفي طريق الشمال وشماله تنتشر ممثليات عن كل الـــوحدات المختارة في الجيش الإسرائيلي. والاحتياط الذين جندوا بأمر رقم (8)، انتـــشروا في الضفة، فيما أن جزءاً من وحدات المشاة صعدت إلى الشمال. ولكن ضـــباطاً عاشوا اليومين الأولين من الحرب لا يخفون الحقيقة. قائد سرية سبق له أن خدم في لبنان قبل الإخلاء قال: "هذا أكثر تعقيداً بكثير. لقد تعلمونا، حسّنوا قدرة المقاومـــة لـــديهم وغـــدوا خصماً مريراً أكثر بكثير مما كانوا في الماضي. أما نحن فخسرنا الإحساس بالأرض في لبنان".

دخول القوات البرية إلى جنوب لبنان هو اضطرار وليس اختياراً. سلاح الجو ألحق ضرراً هائلاً بحزب الله، ولكنه لم ينهِ المعركة. وحزب الله يستخدم في إطلاق الكاتيوشا استراتيجية كلاسيكية في الاختفاء. خلايا الكاتيوشا لديه منتشرة بحيث توفر الحد الأدنى من الأهداف لضربها من الجو. وحسن نصر الله نفسه تطرّق لذلك قـــبل سنة عندما قال إن حزب الله سيؤدي دوره حيال الجيش الإسرائيلي بشكل أفضل من الجيش اللبناني. فقد قال في حينه إن "الجيش لا يمكنه أن يختبئ ولكن أنا يمكـــنني ذلك. وحتى لو بحثت عنا إسرائيل فلن تجدنا". وأمس، في مقابلة مع محطة "الجزيرة" أثبت نصر الله أنه على قيد الحياة.

الأســـبوع القـــادم سيستوعب الشمال المزيد من القوات التي ستوسع منطقة العمـــل حتى لو لم تبقَ فيها على نحو دائم. هذا الانـــزلاق إلى الداخل يجري تقريباً دون بحـــث جماهيري. فإسرائيل انسحبت من لبنان في العام 2000 لأن الجمهور لم يعد يوافق على أن يتكبد خسائر بمعدل 25 جندياً في السنة. وفي الوعي الإسرائيلي لا يـــزال ثابـــتاً موقف خاص من الخسائر بأرواح الجنود. ولكن نقطة التحول في الاســـتعداد للتكـــبد بالخسائر جاءت عندما تصبح الجبهة الداخلية الهدف الأساس للعـــدو. هـــذا ما حصل في حملة السور الواقي في 2002، وهكذا يحصل الآن هذا الأسبوع عندما يقتل الأطفال في الناصرة وميرون.

معنى الخطوة العسكرية في الشمال يستوعب ببطء. وأمس في جنازة العريف أول يونـــتان هداســـي في كيـــبوتس مرحافيا، شاركت أيضاً أورنا شمعون، من

نـــشيطات حركة أربع أمهات، والتي سقط ابنها ضابط المدرعات إيال في لبنان. وقالـــت هي هناك إنه "ربما هذه المرة سنكون على ما يكفي من الحكمة لنعارض الدخول، عندما تكون هذه القصة لا تزال في بدايتها".

نصر الله أصبح بطلاً لا يُهزم

نصر الله ثبّت أول أمس نهائياً مكانته كأسطورة عموم عربية. فمن نجا على ما يـــبدو من 23 طن من المتفجرات ألقتها طائرات سلاح الجو يعتبر في العالم العربي بطلاً لا يُهزم. وسائل الإعلام العربية ذكرت بانفعال أن إسرائيل بعثت إلى نصر الله بعـــشرات طائرات أف 16 ولم تتغلب عليه. وهو يعتبر زعيماً شعبياً في كل الدول العـــربية ويحظـــى بالتقدير في أوساط عرب إسرائيل، والمرة تلو الأخرى ينجح في الـــتملص من يد الجيش الإسرائيلي فيما يواصل رجاله ضرب إسرائيل. ولا يكتفي حزب الله بنجاح نصر الله في البقاء على قيد الحياة، وجهازه الدعائي يخلق للمنظمة صـــورة المحـــصّن في وجه الهجمات الإسرائيلية. وصورة "قلة حيال كثرة" يجري التـــشديد علـــيها بمنهاجية، ويعرض حزب الله في "المنار" الذي يواصل البث رغم الهجمات عليه، شهادات مزعومة عن تفوّقه على الجيش الإسرائيلي: أدوات صلاة لجنود إسرائيليين تركت في الميدان. ورغم مصداقيته، فإن حزب الله ينشر معلومات كاذبـــة في الآونة الأخيرة. فقد ادعى أمس بأن نشطاءه أسقطوا مروحية إسرائيلية. وأول أمس عندما قتل جنديان، أفاد حزب الله بأنه قتل ستة. وفقط في مكان واحد نشأت شروخ في الأسطورة: لبنان، حيث اشتد أمس النقد على أن نصر الله يعمل بتكليف من سيدين: إيران وسوريا.

ليس مؤكداً الجدوى من التصفية..

بقلم: يورام شفيتسر

معاريف - 2006/7/19

في الـــتاريخ القـــتالي لإسرائيل ضد الإرهاب كان دوماً تطرح مسألة تصفية نـــشطاء مركـــزيين في منظمات الإرهاب وزعمائهم. ولإسرائيل تقاليد طويلة من تـــصفية نشطاء إرهاب مركزيين، ابتداء من نشطاء منظمة التحرير الفلسطينية ممن كـــان لهـــم ضلع في قتل الرياضيين في ميونخ، عبر وديع حداد، الذي وقف خلف عملية الاختطاف إلى عنتيبة وغيرها من العمليات، وانتهاء بأبو جهاد نائب عرفات وفتحي الشقاقي زعيم الجهاد الإسلامي الفلسطيني.

كمـــا أن نشطاء ميدانيين مركزيين في حزب الله تلقوا ضربات من إسرائيل. عمليات التصفية وصلت ذروتها مع تصفية الزعيم السابق للمنظمة عباس موسوي في العام 1992. وانتقم حزب الله لتصفية موسوي من خلال مخرّب انتحاري فجّر ســـيارة مفخخـــة في السفارة الإسرائيلية في الأرجنتين. وفي السياق بعثت المنظمة بسائق انتحاري إلى مبنى الطائفة اليهودية في بوينس آيرس كرد على قصف معسكر الـــتدريب للمـــنظمة في لبنان. وهكذا خلقت المنظمة ميزان ردع حيال إسرائيل. وقررت المنظمة قواعد لعب وخطوط حمراء، تجاوزها كان يعني أن خيار الإرهاب الدولي ضد إسرائيل شرعي في نظرها.

وفي الـــسنوات الأخـــيرة امتـــنع حزب الله عن استخدام الساحة الدولية في نشاطاته، واكتفى بمهاجمة أهداف على الحدود الشمالية ومساعدة النشاط الإرهابي للمـــنظمات الفلسطينية في إسرائيل وفي المناطق. ويمكن لنا أن نعزو هجر العمليات في الخـــارج إلى قـــرار مشترك من إيران وحزب الله حول ثمن مثل هذه العمليات مقابـــل فوائدها، ولا سيما عندما انخفض مستوى التسامح تجاه الإرهاب الدولي، وبعـــد عمليات 11 أيلول غدت خطراً على المنفّذين ومسؤوليهم. فائدة الإرهاب الدولي بالنسبة لحزب الله وإيران تقلصت أيضاً لأنهم تمكنوا أيضاً من دفع مصالحهم

في الساحة المحلية حيال إسرائيل من خلال المنظمات وشبكات الإرهاب الفلسطينية.

وتتميز المعركة الحالية بين إسرائيل وحزب الله باجتياز كل الخطوط الحمراء والذي أدى في الماضي إلى ردود فعل عنيفة من المنظمة في الخارج. فالمس المكثّف بالبنى التحتية للمنظمة في لبنان، المسّ بالبنى التحتية والمدنيين اللبنانيين الذين عيّن حزب الله نفسه مدافعاً عنها، الهجوم المباشر على مقر قيادة المنظمة وقادتها - كل هذه تشكّل ذريعة كافية لرد شاذ من جانب المنظمة. ويمكن الافتراض باحتمالية عالية بأن قيادة المنظمة فحصت على الأقل الساحة الدولية كخيار حقيقي لاستغلال القدرات المثبتة للجهاز الخاص بالمنظمة.

كما أن لدى حزب الله خيار استخدام محافل فلسطينية كالجهاد الإسلامي أو تنظيمات سرية إسلامية أجنبية، تمتعت في الماضي بدعم حزب الله وإيران. والقرار في استخدام هذا الخيار ومتى هو بيد نصر الله. ويحتمل أن تكون هذه إحدى المفاجآت التي تحدث عنها في خطابه في بداية المعركة.

تصفية نصر الله كفيلة ربما بمساعدة إسرائيل في معركة الوعي - الإعلام حول من انتصر في المواجهة، ولكن إلى جانب ذلك فإن مثل هذه العملية ستشدد على نحو شبه مؤكد تطلّع الانتقام الذي على أي حال يتغلغل في أوساط زعماء المنظمة وأسيادها. وإذا كان من المحتمل في هذه المرحلة أن تكون هناك اعتبارات كابحة للجماح في إيران وفي حزب الله، بالنسبة لاستخدام الذراع التنفيذي للمنظمة ضد أهداف إسرائيلية في الخارج، فإن مقتل زعيم المنظمة سيضمن على ما يبدو أن تحاول المس بإسرائيل بشكل استثنائي.

مقاتلون في الوحدات المختارة:
"لم نتوقع مثل هذه المقاومة"

بقلم: يوسي يهوشع

يديعوت أحرنوت – 2006/7/19

"دخلنا إلى المنطقة المعقّدة وانبطحنا في كمين، بانتظار خلايا إطلاق النار من حزب الله"، روى مقاتلون شاركوا في المعركة شمالي أفيفيم يوم الأربعاء، "ومع أول ضوء الفجر اكتشفنا بوابة حديدية أدت إلى مخبأ تحت أرضي مبني بالأسمنت المسلح ضـــم غرفاً ومخزناً لوسائل قتالية". وروى قادة مقاتلي وحدة مجلان، الذين خرجوا من منطقة مارون الراس، حيث سقط يونتان هداسي ويوتام غلبوع بأن "هذه المرة يـــدور الحـــديث عـــن منظمة استعدت جيداً لهذه اللحظة. تعرف كل نبتة وكل حجـــر". هذا ويصطدم مقاتلو وحدات مختارة من الجيش الإسرائيلي، وغيرها من الوحدات في جنوب لبنان بمقاومة عنيدة من حزب الله في الأراضي اللبنانية المجاورة للحـــدود. وهذه منطقة عمل فيها المقاتلون على مدى سنوات حتى الانسحاب في العـــام 2000. والآن يروي قادة قاتلوا في الماضي ويعرفون المنطقة جيداً بأن القتال اليوم أشد بكثير مما كان حينئذ، وحزب الله اليوم لم يعد تلك المنظمة التي عرفناها من عهد القتال في التسعينيات".

وروى أحـــد القـــادة في الـــوحدة المخـــتارة يقـــول إننا "خسرنا الاتصال الاســـتخباري بالمنطقة فيما واصلوا هم تثبيت أنفسهم. وإذا كنا ذات مرة نعرف المـــنطقة على ذات المستوى الذي يعرفونها به تقريباً، فيكاد اليوم لا يوجد أناس في الوحدات التي قاتلت في حينها يعرفون المنطقة المعقدة ونوع النشاطات التي كانت فيها. ومع أننا كنا نتدرب بين الحين والآخر على مواقع مشابهة لتلك في لبنان، إلا أن أســـاس النـــشاط في السنوات الماضية كان في الضفة وليس في لبنان". فالجيش الإســـرائيلي يسمون المناطق المليئة بالزرع حيث يقيم المخربون مواقعهم "محميات

طبيعـــية" ويقولون إن "أحداً غير المخربين لم يدخل السنوات الست الأخيرة هذه المواقع، وقد فعلوا فيها ما يشاءون. وقد نجحوا بالمثابرة، وتحت العيون المفتوحة التي لا تـــرى لنقاط المراقبة الإسرائيلية، في بناء معسكرات تحت الزرع. وبسبب كثافة الأشجار فإنه لا يسع أي طائرة إسرائيلية صغيرة بدون طيار أن ترى ما يجري تحت الأرض"، هكـــذا روى ضباط في الوحدات الخاصة. ويشار إلى أن وحدات أخرى تستخدم في المنطقة، مثل كتائب المشاة للمظليين وقريباً غولاني، ممن يصعدون إلى القاطع، لم تخض تدريبات جدية للقتال في منطقة كثيفة الزرع في السنوات الأخيرة وذلـــك لأنهم تدربوا في فترات التدريب القصيرة على مواقع تتلاءم بقدر أكبر مع المناطق المبنية.

هل قتل نصر الله
في مصلحة إسرائيل؟

بقلم: تسفي برئيل
هآرتس - 2006/7/18

نصر الله ميت أم حي؟ هذه مسألة شغلت أمس بال قاصفي المبنى في حي برج البراجنة في بيروت. فالمسألة ينبغي أن تقلق على نحو خاص مصممي أهداف الحرب الحالية في إسرائيل. فهل قتل نصر الله هو هدف حيوي؟ أم ربما من شأن نتيجته أن تكـون هدامـة بقـدر لا يقل عن قتل زعماء لمنظمات أخرى، مثل أبو مصعب الـزرقاوي، زعيم حماس أحمد ياسين، أو الأمين العام لحزب الله، الذي سبق نصر الله، عـباس موسوي؟ الجواب على هذا السؤال يكمن بالمعرفة الحميمة لمبنى حزب الله والـسياسة اللبنانـية. فنصر الله يعتبر سياسياً وقائداً عسكرياً كفؤاً. وقوته في المـنظمة بـناها مـن خلال دعم التيار الراديكالي في الحكم الإيراني، برئاسة علي خميناني. فقد دعم الأخير تعيين نصر الله أميناً عاماً لحزب الله في العام 1992، بعد أن اغـتالت إسـرائيل موسـوي. وذلك رغم أن نعيم قاسم كان التالي في الدور لـوراثة المنصب. وقبل ذلك، مع اندلاع حرب لبنان في العام 1982، أقام نصر الله مركز قوته على أساس شق ونـزاع مع حركة أمل الشيعية برئاسة نبيه بري، الذي يشغل اليوم رئيس مجلس البرلمان اللبناني. وقد نصر الله انسحب في حينه من أمل مع بـضع مئات من النشطاء ليقيم حزب الله. لم يكن نصر الله دوماً مؤيداً متحمساً لـسوريا. فمثلاً في العام 1982 عارض التوقيع على اتفاق الطائف الذي أدى إلى إنهـاء الحـرب الأهلية في لبنان وذلك لأنه اعتقد أن الاتفاق يمنح هيمنة سياسية لسوريا في لبنان. وعلى هذه الخلفية تنازع مع موسوي الذي أيد الاتفاق. وكنتيجة لـذلك غـادر نـصر الله لبنان وسافر إلى إيران "لاستكمال الدراسة". منظومة العلاقـات هذه، وكذا النـزاعات الداخلية على خلفية إيديولوجية وسياسية تدل

على أنه رغم الصورة المنسجمة التي خلقتها لنفسها المنظمة، فإن فيها قوى داخلية تعتمر وربما تنتظر انصراف نصر الله.

هـــذه القوى كفيلة بأن تتبين أكثر اعتدالاً منه ولا سيما على خلفية الحرب الحالـــية وتآكل شرعية المنظمة، على الأقل في هذه المرحلة من المعارك. ولكن إلى جانب ذلك يحتمل أن يتطلع انشقاقيون من حزب الله إلى إقامة منظمات جديدة. وفي ظل غياب قيادة من جهة مركزية، فإن مثل هذه المنظمات من شأنها أن تكون أكثـــر عنفاً وتطرّفاً من حزب الله اليوم. ظواهر مشابهة يمكن لنا أن نراها في قطاع غـــزة حيث بنت منظمات شوارع - انشقت من حماس وفتح - معارضة داخلية لمنظمتـــيهم الأصـــليتين. وفي حالة غزة فإن الهدف - الحرب ضد إسرائيل - بقي مـــشتركاً، ولكن سبل العمل تغيّرت. وأمثلة أخرى عن الظاهرة يمكن إيجادها في الشيشان، في العراق وفي الجزائر. في ظل غياب قوة لبنانية مركزية وقوية يمكنها أن تكـــافح مثل هذه المنظمات، فإن قتل نصر الله كفيل بأن يكون هداماً وليس فقط لحـــزب الله بـــل وللوضع الراهن الطائفي والسياسي في لبنان. وحتى حزب سعد الحريري الذي حظي بالأغلبية في البرلمان، فهم بأن الصراع الشخصي ضد نصر الله خطير من ناحية لبنان. وعليه فقد تطلّع الحزب، ونجح أخيراً في ضم حزب الله إلى الحكـــومة وإقامة حوار وطني مع المنظمة. واليوم أيضاً، عندما تدمر الحرب لبنان، فـــإن الحريـــري ورئيس الوزراء فؤاد السنيورة لا يدعوان إلى تصفية حزب الله أو تصفية نصر الله وأبعد ما يطلبانه هو نـــزع سلاح المنظمة.

يـــبدو أن القـــيادة اللبنانية تعرف بضعة أمور بشكل أفضل من أولئك الذين يتحمسون لتصفية نصر الله، ولا سيما في كل ما يتعلق بتقاليد الشهادة التي تصمم فكـــر الجـــناح الـــشيعي في الإسلام. فاللبنانيون، بمن فيهم الشيعة العلمانيون، لا يحـــتاجون إلى شهيد شيعي هام مثل نصر الله ليذكروا من حرّر لبنان وليس كمن ألحق به كارثة.

حرب من قرية إلى قرية

بقلم: أليكس فيشمان

يديعوت أحرنوت - 2006/7/23

في الليلة بين الجمعة والسبت، في اليوم الحادي عشر من المعركة في لبنان، نُقل التأكيد من الفصل الجوي "الجراحي"، في كتاب الحرب الإسرائيلي إلى فصل جديد هو "دم وعرق ودموع" الفصل البري. في السبت قبيل الصباح انطلقت عملية "خيوط الفولاذ". من يُرد يجد في هذا الاسم رمزاً إلى جواب الجيش الإسرائيلي على خطاب نصر الله "خيوط العنكبوت". نفذ لواء المظليين الإجراء الأول في الفصل البري من المعركة في لبنان، وسيطر على قرية مارون الراس وعلى المنطقة حولها. بعد ذلك يفترض أن يسيطر الفريق القتالي اللوائي من المظليين على سلسلة مواقع لحزب الله أخرى في جنوبي لبنان. سينضم إلى المظليين فرقة قتالية لوائية - غولاني، وناحل وغيرهما - يفترض أن تدخل في قطاعات أخرى لتنفيذ سيطرة على مواقع لأفراد حزب الله في القرى وفي المواقع الطبيعية جنوبي لبنان.

مدينة صور وما حولها، حيث تُطلق الصواريخ على خليج حيفا، ستحظى بعلاج منفصل خاص. سيكون حصار منطقة صور والمدينة نفسها بقوة مضاعفة أضعافاً كثيرة.

منذ أسبوع يطلب الجيش الإسرائيلي إلى سكان القرى جنوبي الليطاني ترك المنطقة. في الأيام الأخيرة استعملت نار من الجو ومن الأرض "لتشجيع" السكان على الخروج. تمت أمس محاولات "إقناع" أكثر تحديداً، وطُرحت منشورات على 13 قرية، وهو أمر قد يدل على سعة الأهداف التي يخطط الجيش الإسرائيلي لمهاجمتها في إطار العملية البرية "المحدودة" جنوبي لبنان.

الاستعدادات للمعركة البرية ابتدأت في منتصف الأسبوع الماضي. جرى التعبير عن هذا الاستعداد علنياً مع التجنيد الأول لكتائب الاحتياط، التي دُعيت لتحل محل قوات نظامية نُقلت من أنشطة في المناطق إلى الخط الشمالي. استعدوا في

القيادة الشمالية على الخط الحدودي مع لبنان استعداداً مخالفاً. الجبهة، وطولها 70 كيلومتراً والتي سيطرت عليها قيادة فرقة الجليل، قوّيت جداً وقُسمت إلى قطاعات. اليوم تسيطر عليها قيادات ستستعمل الأفرقة القتالية اللوائية، كل واحد في قطاعه. وكذلك في مستوى قيادة الشمال تمت تنسيقات بنيوية. مثلاً، أُقيمت قيادة ميدانية للتمكين من سيطرة أفضل على التطورات.

من أجل الامتناع عن التداعي المُلح لـــ "عدنا إلى المراوحة في الوحل اللبناني" يعـــود الجيش الإسرائيلي ويُبين أن الحديث عن غزوات أفرقة قتالية مدرعة داخل خلايـــا أرض محدودة جنوبي الليطاني لأوقات محدودة جداً، تشبه غزوات الأفرقة القتالية اللوائية التي تتم في قطاع غزة. كل هذا صحيح. ولكن خلافاً لقطاع غزة، الأفـــرقة القتالـــية اللوائية التي دخلت في نهاية الأسبوع للعمل في لبنان تعمل كما كانت تعمل بإزاء مواقع عسكرية لجيش معادٍ نظامي - الجيش السوري، مثلاً، أي أن قيود استعمال النار الموجودة في قطاع غزةً عندما ندخل مناطق فلسطينية مأهولة غـــير موجـــودة في جنوبي لبنان. في يوم الجمعة، عندما تبين أنه يوجد في منطقة مـــارون الراس منطقة مليئة بالشحنات الناسفة، استُعمل هناك "ثعبان المدرعات": وهو قذيفة تجر إلى سلسلة شحنات ناسفة تهدف إلى اختراق محور نقي من الألغام طـــوله 120 متراً. من الفضول أن نذكر أنه في مسار انفجار "الثعبان" لم يبقَ أي شيء حي.

يخطَـــط لأن يكون القتال بطيئاً، ومنظماً، وبحسب جميع قواعد القتال لفريق قـــتالي لوائـــي في قتال تقليدي بإزاء موقع للعدو. إذا كان يُحتاج إلى ستار دخان مدفعـــي يتحرك أمام القوات، ومصاحبة دائمة من الجو أو "تليين" نار الإبادة على الهـــدف - فستكون هنالك. هذا هو التصور، لهذا يكررون تحذير السكان المحليين ليتركوا لأن طابع عملية كهذه قد يُسبب الكثير جداً من الإصابات.

انتظـــر حزب الله المعركة البرية. لقد دفن ألغاماً وشحنات ناسفة على امتداد المحاور الموصلة (الشحنة الناسفة التي فجرت دبابة الميركافا في يوم الاختطاف كانت بمقـــدار نصف طن من الـــ تي. أن. تي). أفراد حزب الله مسلحون بأفضل سلاح وحـــدات الكـــوماندوس الإيرانية والسورية. إنهم يملكون "آخر صيحة" في مجال

الـــصواريخ المـــضادة للـــدبابات الـــتي نقلها الروس إلى السوريين. مثلاً صاروخ "كـــورنت"، الذي اخترق دبابة الميركافا في يوم الخميس الماضي وجرح فردين من الفـــريق. وهـــم يملكون أيضاً قذائف مضادة للدبابات من نوع آر. بي. جي 29 مطورة، ونظم تحكم واتصال جديدة، ونظم رؤية ليلية وما أشبه.

قـــد تلقـــى قـــوات الجيش الإسرائيلي إطلاق قذائف، وكاتيوشا وقناصة. سيحاول حزب الله أن يجر الجيش الإسرائيلي إلى قتال على أبعاد قصيرة وفي مناطق متشابكة مكتظة.

بـــإزاء أفـــضلية أفـــراد حزب الله في قتال حرب العصابات يقيّم الجيش الإســـرائيلي أفـــضلياته النـــسبية: التكنولوجيا والمعلومات الاستخبارية. تعني التكنولوجـــيا نـــاراً كثيرة دقيقة من مسافات بعيدة وتدريع كبير. أما القدرات الاســـتخبارية فيفتـــرض أن تعطي صورة جيدة جداً عن العدو وأن تزود، في الوقت اللازم، بأهداف إطلاق النار.

يـــشعر حـــزب الله بأنه يملك في المعركة البرية أفضلية بإزاء عجزه في المعركة الجـــوية الجراحية. من أجل عدم السقوط في الشرك الذي يُعده حزب الله – وهو يُعـــد الكـــثير مـــن هذه الأشراك – يجب أن تكون حركة القوات مخططة جداً، وحذرة، وألا تكون متسرعة. لا أحد يقيّد الجيش بالوقت. ولا يتوقع أحد أعمالاً متـــسرعة جريئة. أرسلت الإدارة الأميركية أمس فقط إشارة إلى العالم كله. النشر في شـــأن تعجيل تزويد إسرائيل بالقنابل الذكية يقول: استمروا في ضربهم وعلينا السلاح.

يفترض أن تنتهي هذه العملية "لتطهير" مواقع حزب الله حتى نهاية الأسبوع. وُلـــد الفصل البري لأن "الضربة من الجو" استنفدت نفسها بعد عشرة أيام من غير أن يصل الجيش الإسرائيلي إلى "نقطة الحسم". وهي النقطة التي يمكن منها البدء في دخول العملية "التسلسلية" السهلة. لمنع العدو من أن يعتاد هذا الوضع للضرب من الجـــو كان يجب أن يضاف إلى القصف من الجو عامل جديد: العامل البري. وقد اتـــضح أيضاً أن جنوب لبنان ما زال يعمل عملاً مستقلاً. استمر إطلاق صواريخ الكاتيوشا بعد أن أُصيبت طرق نقل واتصال وقيادة وسيطرة في الشمال.

الآن يأمل الجيش الإسرائيلي أن إضافة العملية البرية هذه ستفضي بالمعركة إلى "نقطة الحسم". وهكذا بعد أسبوع ستنشأ ظروف أسهل لتسوية سياسية، ولن يكون حزب الله مسيطراً على المنطقة جنوبي الليطاني، وسيكون في الإمكان الحديث عن إدخال قوة أخرى في جنوبي لبنان تحل محل أفراد حزب الله.

ولكن قد يمكن وضع لا ينشئ فيه استكمال الأهداف في جنوب لبنان "نقطة الحسم" تلك: كأن يستمر حزب الله في إطلاق صواريخ الكاتيوشا من شمالي الليطاني برغم القتال الجوي والبري. وأن تظل المنظمة واقفة على رجليها، وألا يكون هناك استعداد خارجي، سياسي للتدخل. عند ذلك سنعود إلى نفس مرحلة ماذا سنفعل بعد؟ هل نقف في مكاننا؟ هل نبحث عن عامل آخر؟ هل ننتقل إلى فصل آخر؟

الهدف: القتل

بقلم: أليكس فيشمان

يديعوت أحرنوت - 2006/7/24

الهدف الرئيس للعملية البرية الحالية في جنوب لبنان هو القتل. أي إصابة أكبر عدد من أفراد حزب الله. لا جعلهم يهربون إلى الشمال. بل محاولة الوصول إليهم، وإخراجهم من مكامنهم وإصابتهم.

تأتلف الوحدات الجنوبية لمنظمة حزب الله من نواة قوة منظمة عدها نحواً من ألــف إنــسان. من بينهم نحواً من 700 فرد يعرفون كمقاتلين. يجب أن يزاد على هــؤلاء نحواً من ألفي شخص من الاحتياط يسكنون جنوب لبنان على نحو دائم. يصعب على حزب الله أن يجند احتياطيين من شمالي لبنان، لأن الطرق إلى الجنوب قد أصيبت. دمر سلاح الجو أكثر من مائة جسر في لبنان.

تأتلــف بنــية قوة حزب الله في جنوب لبنان من إطارين. أحدهما وحدات مطلقــي صــواريخ القسام، والثاني وحدات مشاة تحرس المطلقين. هذه في حقيقة الأمر الكتلة الكبيرة لمقاتلي حزب الله الذين سيصادمهم الجيش الإسرائيلي.

لقي الفريق القتالي اللوائي من المظليين الذي دخل أول من أمس قرية مارون الراس ومواقع حزب الله حولها تلك الوحدات من المشاة التي مهمتها حماية مطلقي صواريخ الكاتيوشا. إن الفريق الذي عجّل دخوله للمساعدة في تخليص جثة مقاتل أغــوز، نفّذ هناك في الحقيقة ما يشبه "عودة شاملة"، تدرب فيها على التدمير من البر ومن الجو. استعانت القوة بقوة نار مدفعية وأخرى غطت على تقدمها. يوجد دور رئيــسي أيضاً لنظم الطيران بلا طيارين الذي يملكها سلاح الجو في سماء لبنان في المساعدة في هذا القتال. كانت العودة الشاملة ناجحة جداً في رأي جميع القادة.

إلى الآن تم هجر بضع عشرات من القرى. هرب سكانها شمالاً. ولكن توجد قرى بقي فيها نحواً من 20 في المائة من السكان: في بنت جبيل مثلاً، حيث الحديث

هناك عن آلاف المواطنين لم يهربوا. تجاوزاً للمشكلة الإنسانية توجد هناك أيضاً مشكلة تنفيذية للجيش الإسرائيلي، لأن أفراد حزب الله يبرزون في القرى الخالية من الناس. عندما تحط اليوم كونداليزا رايس في إسرائيل ستكون المعركة البرية في جنوب لبنان في بدايتها فقط. الجيش في اليوم الـ 13 للقتال، ما زال غير ناضج ليقدم للمستوى السياسي الشروط التي تمكن من البدء بإجراء سياسي جدي. لا توجد أية علامة - لا سياسية ولا عسكرية - تستطيع الدلالة على أن شيئاً ما في مواقف حزب الله - إيران - سوريا، قد بدأ يتصدع. ما تزال توجد قيادة مركزية لحزب الله تدير القتال. صحيح أن جزءاً من أجهزة القيادة والسيطرة قد تضررت ولكن يوجد بديل منه. يوجد في الجانب الثاني يد موجهة ويد ممولة أيضاً. في المناطق التي تبعد أكثر من الشمال إلى لبنان يوجد كما قيل آنفاً بضعة آلاف من مقاتلي حزب الله من قوات الاحتياط، لم يدخلوا المعركة بعد.

ربما مع كل ذلك يمكن رؤية علامة صغيرة على قلق لقادة حزب الله: فقد بدأت الوحدة التي تعمل في الإرهاب الخارجي تتنبه أخيراً. إن العمليات الخارجية المضادة لمواقع إسرائيلية، ويهودية أو غربية - التي تتم باشتراك الاستخبارات الإيرانية - هي جزء من ترسانة "المفاجآت" التي تعدّها المنظمة، والتي تحدّث نصر الله عنها. إن عملية في الخارج هي مفاجأة تحفظ لوضع ضيق حقيقي. يعتقدون في حزب الله أن إسرائيل تريد في الحرب الحالية تدمير منظمة حزب الله ونقض عُراها. سلاح الإرهاب الدولي هو أحد الوسائل الأخيرة التي تحتفظ بها لوضع تنفد فيه جميع الوسائل. هذا التنبه الوحيد يستطيع أن يدل على أفكار تأتلق في قلب قيادة حزب الله.

يريد المستوى السياسي في إسرائيل أن يضائل جداً من العملية البرية. ليس هذا جيداً من ناحية سياسية ولا من ناحية معنوية. ما يزال الوحل اللبناني جديداً في الذاكرة الإسرائيلية الجمعية. وفضلاً على ذلك، فإن دخول قوات كبيرة على نحو خاص في جنوب لبنان قد يسبب أزمة حقيقية مع سوريا. فأعصاب السوريين مشدودة. والجيش السوري على استعداد. يمكن أن يرى استعداده لتلقي ضربة، من هضبة الجولان. إن الوجود العسكري الذي تمسك به السوريون في لبنان طوال

الـــسنين كلها لم يهدف فقط إلى إدارة حكومة لبنان. فقد استعملت سوريا لبنان "خـــط كبح" لهجوم إسرائيلي على دمشق. قدر السوريون أنه عندما يستقر رأي إســـرائيل علـــى غزو سوريا فإنها ستجري الحركة نحو العاصمة، دمشق، في المحور الأقصر والأسهل: من طريق لبنان. يشعرون اليوم أن جناحهم الغربي "مكشوف". إن كـــل دخول لقوة برية في لبنان يدخلهم في استعداد تلقٍ حقيقي لضربة. إنهم لا يصدقون إسرائيل التي تزعم أن سوريا ليست الهدف.

في وضع متوتر كهذا - كل خطأ صغير، لأحد الأطراف، قد يفضي إلى نتائج غير مرادة. وهو سبب آخر يجعل المستوى السياسي في إسرائيل يحرص على مضاءلة الظهور للعملية البرية. في تقدير شديد للجيش: العملية البرية كلها ستتم في غضون أســـبوع إلى عشرة أيام. وسيحاول الجيش أيضاً إدخال قوات وإخراجها - ليظهر أنـــه لا يـــنوي إنفاذ وجود دائم في مناطق معينة. وسينتهي أيضاً هدم خط المواقع العـــسكرية، في عمـــق كيلومتر واحد، على طول الحدود مع إسرائيل، حتى نهاية الأسبوع.

لا تـــأتي كونداليزا رايس معها بأي شيء إبداعي. إنها تأتي في الحقيقة لدراسة الوضـــع، ولتبادل الآراء، ولتتلقى خطة التسوية التي أعدتها وزارة الخارجية وديوان رئـــيس الحكـــومة ولتـــشخص من هنا إلى روما، حيث ستتابع التباحث ووزراء الخارجـــية الأوروبيين والعرب. وهكذا ما يزال الإجراء السياسي يجلس متفرجاً، ينتظر أن ينهي الجيش عمله ليدعوه إلى صعود المنصة.

التسوية السياسية التي ترغب فيها إسرائيل جداً مع انقضاء العملية، تقوم على ثـــلاث أرجـــل. إحداها: رئيس حكومة لبنان فؤاد السنيورة وحكومته. والثانية: جـــيش لبـــنان، الذي يفترض أن يظهر السيادة اللبنانية في جنوب لبنان. والثالثة: الـــسياسة الدولية، التي يفترض أن تحرّك العملية، وأن تنشئ القوة الأممية وأن تنفق على إعادة إعمار لبنان.

في أيـــام القـــتال الـــ 13 التي مرت تلقت كل واحدة من هذه الأرجل رصاصـــة في قدمها. فجيش لبنان - 68 في المائة من أفراده من الشيعة - هاجمه الجيش الإسرائيلي، ولم يكن على حق في ذلك دائماً. إن المس بالطائفة الشيعية

لـــن يـــشجع أحداً من الجنود على الخروج لمواجهة أفراد حزب الله. بدأ فؤاد الـــسنيورة يبدو في عيون اللبنانيين في الداخل مثل أبي مازن: فهو إنسان طيب، وحبيب الأميركيين، وبغير قاعدة سياسية، وعميل تقريباً. إذا استمر هذا الاتجاه فـــإن هـــذه الحكـــومة لـــن تستطيع فرض طاعتها. وقد يرى النظام الدولي، والأميركـــيين في الأســـاس - الذين لا ينظرون حتى أنه يهمهم معاناة الشعب اللبناني - وسيطاً غير نـــزيه.

لا يوجد للجيش الإسرائيلي وقت غير محدود.

إسرائيل: نشأ أساس للمفاوضات على المخطوفين.. خطوة أولى في الطريق إلى المفاوضات

بقلم: بن كاسبيت

معاريف - 2006/7/24

العبء على كاهل إيهود أولمرت هذه الأيام أثقل من أن يحمل. فللوهلة الأولى، الولايات المتحدة تمنحه كل الزمن الذي في العالم. ومنذ الأسبوع الماضي نُشر هنا عن التأخير في وصول كونداليزا رايس وحقيقة أنها لن تعود إلى هنا إلا في الأسبوع القادم لاستكمال المهمة. غير أن هذه صيغة سحرية عابثة: الزمن الحقيقي لأولمرت ينفد، وهو يعرف ذلك على نحو ممتاز.

كل يوم آخر يمر في الوضع الحالي، يزيد الضغط على الجبهة الداخلية الإسرائيلية، يرفع مستوى الأضرار اللاحقة بالاقتصاد، يعمّق فرار المستثمرين، ويثقل العبء المالي على ميزانية الحكومة في السنة القريبة القادمة.

رؤساء البلديات في الشمال مستاؤون، وعن حق، لأن الحكومة تسوّف وتمتنع عن إصدار إعلان شامل عن التعويض للمتضررين الكثيرين من الوضع. وأولمرت يعرف أيضاً بأنه في الوضع الحالي، عندما تنتهي المواجهة ويخرج حسن نصر الله من مخبئه، سينفض الغبار عنه ويلقي للأمة العربية العظمى خطاب حياته بينما رجاله يطلقون النار على إسرائيل، هكذا لمجرد البهجة، الكاتيوشا المتبقية للنصر. نعم، سيقول، خسرنا 60 شهيداً (ولكن تبقى ما فيه الكفاية)، أطلقنا 3 آلاف صاروخ (ويوجد المزيد)، ولكن صمدنا بشجاعة أمام الجيش الصهيوني الهائل، وقدرنا عليه. في هذا الوضع سيتعين على أولمرت أن يجيب على أسئلة غير سهلة. وفي هذه الأثناء، فإنه يفي بالعبء. العمليات البرية للجيش الإسرائيلي انطلقت على الدرب منذ الأسبوع الماضي، ولكن لا يمكن التوقع لأحداث صاخبة. فالجيش الإسرائيلي لا يمكنه أن يكرر أنماط العملية في مارون الراس مرات أخرى. وفي كل مرة سيتعين

عليه أن يخترع نفسه من جديد. على كل عملية أن تكون مغايرة، أصيلة، جسورة وأكثر مفاجئة من سابقتها. وهذا سيسير ببطء وبصعوبة. فحزب الله بنى منظومته شرائح شرائح، مثل البصل. أنت تدفعهم شمالاً فإذا بك ينتظرك في الشمال منظومة أخرى. وهكذا دواليك.

لعبة القط والفأر

أولمرت يعرف أنه محظور عليه التراجع. وكلما مرت الأيام تظهر أمام ناظرينا المنظومة الهائلة التي أقامها حزب الله حيال الجدار. الآبار المفخخة التي تضم كل واحدة منها طناً من المواد المتفجرة. الأنفاق التي لا تنتهي. المواقع التحت أرضية المحصّنة غير القابلة للتغلغل أو الإصابة بالقصف الخارجي. الطائرات الصغيرة بدون طيارين المحملة بالمواد المتفجرة والتي طوّرت لغرض العمليات في سماء البلاد. الكاتيوشا المنفصلة أو المحسّنة، التي تصل إلى مدى 25 كم (وليس 18 مثلما اعتقدوا من قبل). الوسائل الاستخبارية المتطورة. الصواريخ الحديثة. نقاط التحديد الدقيقة على كل هدف استراتيجي في إسرائيل، على كل قرية نائية. الإصابات التي لا بأس بها. الأداء تحت الضغط. القتال العنيد. كل هذه تجعل حزب الله العدو الأكثر مرارة الذي يمكن تصوره. من جهة، هو يتمتع بكل الفضائل، ومن جهة أخرى لا توجد لديه مسؤولية. لا توجد سيادة، لا حاجة لتقديم الحساب، وتكاد لا توجد أهداف في الميدان. في الجيش الإسرائيلي يشتاقون للأيام التي وقفت حياله فرقة مدرعات كان يسهل ضربها والانتصار عليها. أما اليوم، في لعبة القط والفأر التي لا تنتهي هذه، ينتصر من يثبت أنه خسر أقل. وبتاتاً ليس مؤكداً أن يكون هذا نحن.

سوريا هي مورّدة السلاح الكبرى لنصر الله. ومؤخراً فقط نقلت إرسالية صواريخ سورية أخرى بنجاح إلى حزب الله. بشار الأسد لا يسمح للواقع بأن يضرب وجهه ويواصل طريقه الهاذي. الأسد هو المؤيد رقم واحد لحزب الله. ومثلما عمل نصر الله عند الأب، هكذا يعمل الابن عند نصر الله. هذا انتقل من الأب إلى الابن، ولكن بالعكس. في الجيش الإسرائيلي مقتنعون بأن الصبر يجلب

النـــتائج. وهـــم سيهزمون نصر الله، منصة منصة، كاتيوشا كاتيوشا، قرية قرية. والـــسؤال هو إذا كان يوجد هنا الزمن لكل هذا. وهل سيلقي في النهاية نصر الله خطـــاب الإهانة النهائي، ويضحك للجيش الإسرائيلي في الوجه، مثلما فعل حتى الآن؟ الـــسؤال جيد. "إذا عاش، فقد يكون هناك خطاب كهذا في النهاية"، قال أمس ضابط كبير. "إذا عاش". صحيح حتى الآن، نسبة الرهان في صالح احتمال أن يعيش.

حكومة لبنان أعلنت أمس أن وضع المخطوفين من الجيش الإسرائيلي جيد، وهمـــا على قيد الحياة. ويدور الحديث عن تطور هام أكثر بكثير مما يبدو تجاه الخـــارج. هـــذا في واقـــع الأمر خطوة أولى لتحريك المسيرة السياسية الهامة. وحسب المسارات التي نشرت هنا في الآونة الأخيرة، فإن الخطوة الأولى لحزب الله في الطـــريق إلى التسوية ستكون تسليم معلومات عن المخطوفين. وها هي حكـــومة لبـــنان، بصلاحية وبإذن، تسلّم المعلومات. وبالتوازي، يعلن رجال حـــزب الله (وكـــذا نبيه بري) بأن حكومة لبنان مخولة بإدارة المفاوضات حتى باســـم المـــنظمة. خطوة أخرى ذات أهمية. رويداً رويداً، من اللامكان تقريباً، يظهـــر لنا الشريك. وهذا هو السبب الذي يجعل كونداليزا تصل في نهاية الأمر إلى المـــنطقة أخيراً وإن كانت تسحب أقدامها. وأولمرت بات يتحدث عن قوة مـــتعددة الجنـــسيات ("شـــريطة أن نقرر تشكيلتها"، قال في محادثات مغلقة) والأمور تبدأ بالتبلور.

"هذا تطور ذو معزى"

إيران وسوريا، بالمقابل، تواصلان تثبيت نفسيهما كمخلصين ومنقذين اليوم. إيـــران تحث "خطة إيرانية" نقلت إلى الدبلوماسيين الروس، مرروها بدورهم (حتى القدس). ولا يوجد ما يمكن كتابته عن هذه الخطة إذ أنها مأخوذة من مدرسة نصر الله وتتضمن أيضاً شهادة كفاءة لمواصلة البرنامج النووي الإيراني.

"هـــذا بالتأكـــيد تطور ذو أهمية"، تقول محافل سياسية في القدس، بعد بيان الحكـــومة اللبنانـــية في أن الجـــنديين الإسرائيليين المخطوفين في حالة جيدة، وهما

محتجـــزان في مكـــان آمن. "هذا في واقع الأمر هو أول مطلب لإسرائيل في هذا الموضوع"، يقولون في القدس، "الحصول على معلومات عن مصيرهما". والتقدير في القدس هو أن حزب الله نقل المعلومات إلى الحكومة اللبنانية. كما أن تخويلهم إياها بـــإدارة مفاوضات باسم حزب الله يعتبر في القدس كفعل إيجابي. وهم يقولون إن "المفاوضـــات السياسية يمكنها أن تتطور وأن تنال الزخم". ومع ذلك تشدد محافل سياســية في القـــدس على أن هذه خطوة غير مرتبطة بمواصلة القتال العسكري. "فالجـــيش الإسرائيلي يواصل العملية العسكرية ضد حزب الله كالمعتاد، دون قيد زمني، ولتحقيق حسم واضح"، يقولون في القدس.

لن تُرفع راية بيضاء..

بقلم: عمير ربابورت

معاريف – 2006/7/24

نحـــو أسبوعين انقضيا منذ بداية الحرب، وصليات الكاتيوشا القاتلة واصلت السقوط أمس أيضاً مما يدل على عناد حزب الله. وإن وجد ضباط الجيش صعوبة في وصـــف إحساسهم (حقاً)، فإن الكثيرين منهم يقولون "صعب، صعب"، مثلما هـــي شخصية "لوبا" من برنامج "بلاد رائعة". وعلى خلفية هذه الأحاسيس، فإنه كلمـــا اقتربت الحرب من نهايتها (وهي تقترب)، ترتسم صورتها النهائية. منذ الآن واضح أن الجيش الإسرائيلي وإن كان سيسجل الإنجازات، إلا أن ضربة قاضية لن تكون هنا.

حزب الله

لوصـــف صورة الوضع قبل السطر الأخير، يجب البدء بحزب الله، والاعتراف باســـتقامة بأنه حتى بعد عشرين يوماً من القتال، فإن كل منظومات حزب الله لا تزال تؤدي دورها جيداً. والأخطر من ذلك: الجيش الإسرائيلي لم يتمكن من قطع الاتصال بين القيادة في بيروت وبين باقي هيئات المنظمة.

وها هي منظومات حزب الله الأساس التي لا تزال بحاجة إلى معالجة:

ناصـــر: كلمة ناصر تعطى لقوات حزب الله المنتشرة في منطقة جنوب لبنان، جنوبي نهر الليطاني. وفي وحدات ناصر يخدم نحو 600 مقاتل نظامي مدربون جيداً (مـــن قبل إيران) ونحو 2000 رجل احتياط آخرين. وهذا هو العدو الأساس الذي بانـــتظار الجـــيش الإسرائيلي في الأيام القريبة القادمة، عندما تعمّق القوات البرية دخولها في جنوب لبنان. العدد غير كبير، ولكن التحدي صعب. مقاتلو العصابات يختبئون عميقاً تحت الأرض أو في قلب القرى. والمحاور المؤدية إليهم مليئة بالعبوات والألغـــام. وفي ناصر يوجد مقاتلو هندسة، سلاح مشاة وراجمات مثلما في الجيش

النظامـــي، ولكـــن المهمة الأهم هي المس بخلايا مطلقي الكاتيوشا الذين زرعوا في المنطقة. ويتباهى الجيش الإسرائيلي في أنه منذ بداية القتال نجح في المس بنحو 130 منـــصة كاتيوشا، مقابل صفر إصابة للمنصات في حملة "عناقيد الغضب" قبل نحو عقـــد من الزمن. ولكن بالقياس إلى عدد المنصات (نحو 3 آلاف على الأقل كانت قـــادرة علـــى إطلاق قبل الحرب 13 ألف صاروخ)، إن هذه نقطة في بحر. ورغم الجهـــود الكثيرة حتى الآن، فإن عدد إطلاق الصواريخ نحو الأراضي الإسرائيلية لم يتقلص.

بدر: مثل ناصر، فإن وحدات بدر تنقسم إلى مجالات. الفارق هو أنها منتشرة شمالي الليطاني. ولما كان الجيش الإسرائيلي من غير المتوقع أن يصل حتى هناك بريا، فإن معظم مقاتلي بدر سينهون الحرب وهم على قيد الحياة.

الوحدة لإطلاق الصواريخ على مدى متوسط: رجال هذه الوحدة يوجدون شمالي الليطاني، معظمهم في منطقة صيدا، ويطلقون الصواريخ على مدى حتى نحو 50 كـــم باتجاه حيفا ووراءها. وهم أيضاً يواصلون أداء مهماتهم جيداً، مثلما تعلم ذلـــك علـــى جلدهم سكان حيفا وخليجه. ولحزب الله أيضاً قدرة على إطلاق صـــواريخ على مدى بعيد أكثر بمسافة 70 — 200 كم، قد تصل إلى قرب غوش دان، ولكن هذه الصواريخ لم تستخدم بعد.

القـــيادة في بيروت: بعد كل القصف على المقرات التحت أرضية، فإن قيادة حـــزب الله لا تـــزال تؤدي وظائفها. نصر الله سينهي هذه الحرب وهو على قيد الحياة، على نحو شبه مؤكد.

الجـــبهة الداخلية اللوجستية في بعلبك: في شمالي البقاع اللبناني، على مقربة شـــديدة مـــن الحـــدود السورية، تقع قواعد التدريب لحزب الله وقياداته الخلفية. والقـــصف في هـــذه المـــنطقة أحدث ضرراً شديداً، ولكن أساساً للمباني وليس للأرواح.

الوضـــع في القـــرى: القتال في الأيام القريبة القادمة من المتوقع أن يتركز في الجنوب اللبناني. وحسب آخر التقديرات، فإن دعوة إسرائيل لسكان القرى بمغادرة منازلهم لم تقع على آذان صماء. ففي القرى الشيعية الكبرى المتماثلة مع حزب الله

مثل بنت جبيل والخيام، بقي نحو 20 في المائة من السكان، ونحو 20 قرية أصغر من هذه هجرت تماماً.

قوات الجيش الإسرائيلي

منظومة حزب الله التي لا تزال تؤدي وظائفها هي هامشية، مقابل القوة الكاملة للجيش الإسرائيلي (فيما لو طُلب إليه استخدامه في حرب شاملة متعددة الجبهات)، ولكن لما كانت المنظمة تنفذ بدقة نظرية قتال العصابات (الاختفاء من الميدان عندما يوجد هجوم للعدو إلى أن يمر الغضب)، من الصعب جداً إلحاق الهزيمة بها. وتتضمن منظومة الجيش الإسرائيلي استعداداً للفصل النهائي للحرب نشر فرقتين، على طول الحدود الشمالي وتقتسمان المنطقة بينهما: فرقة الجليل في الغرب والوحدة الفولاذية في القاطع الشرقي. وقد حصل الجيش الإسرائيلي على ضوء أخضر لقصف كل ما يتحرك في مجال عدة كيلومترات وراء الحدود الشمالية، وذلك في محاولة لإخراج حزب الله من المخابئ. أفضل العقول في جهاز الأمن تحاول التفكير هذه الأيام أيضاً بحلول إبداعية أخرى تقوم بالعمل.

ولكن الخطوة الهامة للجيش الإسرائيلي لن تأتي من عقل نافذ لخبير ما، بل من حركة الطواقم اللوائية المتداخلة، وهو التعبير الذي يعطيه الجيش للقوات المختلطة من سلاح المشاة، المدرعات والهندسة تحت غطاء المدفعية وسلاح الجو، والذين يخرجون إلى عمل لوائي في العمق. قادة الجيش الإسرائيلي ألمحوا بأن العمليات البرية التي نفّذت حتى الآن في جنوب لبنان استهدفت أولاً وقبل كل شيء الإعداد لعملية أكثر أهمية في القرى التي تعتبر معاقل حزب الله، والتي لا بد ستتم.

دون صلة بالعمليات المتوقعة في العمق، فحتى نهاية الأسبوع القريبة سينهي الجيش الإسرائيلي تدمير كل المواقع التي أقامها حزب الله على مدى حتى كيلومتر من جدار الحدود الإسرائيلية. وقد خصصت لهذه المهمة قوات متداخلة منفصلة، تستند في معظمها إلى جرافات سلاح الهندسة. وبالتوازي مع القتال في المجال جنوبي الليطاني، سيواصل الجيش الإسرائيلي مهاجمة مناطق إطلاق الصواريخ من الجو ومن البحر قرب صيدا، ومن غير المستعد مواصلة الهجمات على قاطع يعلبك بوسائل مختلفة.

صورة النهاية

الحرب ستنتهي أغلب الظن دون أن يرفع حزب الله الإعلام البيضاء. وإذا ما تناولنا بشك التقارير عن بوادر المفاوضات لتحرير الجنديين المخطوفين الداد ريغف وأودي غولدفاسر، فمن المعقول الافتراض أن الجيش الإسرائيلي سيوقف النار دون أن يعــودا إلى الديار، وهو سيكتفي بأن يعلن قادته: "أضعفنا حزب الله" و"نشأت الظروف لإعادة المخطوفين إلى الديار".

مــن ناحية عسكرية، الحرب ستنتهي بضرر هائل (ولكن قابل للإصلاح) للــبنى التحتية اللبنانية. البنى التحتية المادية لحزب الله ستكون محطمة بشكل ذي مغــزى أكــبر، ولكــن الإصــابة لمقاتلي المنظمة أنفسهم لن تكون واسعة في حجمها. وينبغي الافتراض بأنه مع نهاية القتال سيكون الجيش الإسرائيلي يحتجز سجناء لبنانيين جدد. الكاتيوشا ستواصل السقوط في الشمال حتى اليوم الأخير للحــرب وحزب الله سينفذ كعادته، آخر إطلاق الصواريخ. وينبغي الافتراض بأنه في نهاية الحرب سيسيطر الجيش الإسرائيلي على عدد من القرى الكبرى في جــنوب لبــنان وســيكون هــذا هو الوضع عندما تنتقل الساحة برمتها إلى المفاوضــات السياسية. فهل سيشعر حزب الله بأنه خسر أم سيدعي الانتصار؟ هــل هذه الإنجازات العسكرية ستكفي لنشر قوات أخرى في جنوب لبنان بدل حزب الله، ولتحسين احتمالات إعادة الجنديين؟ في غضون أسبوع - أسبوعين سيكون بوسعنا أن نعرف كل الإجابات.

صور أم حيفا؟

بقلم: زئيف شيف

هآرتس - 2006/7/25

حرب الاستنـــزاف التي تُشن ضد مدينة حيفا وسكانها تأتي من مدينة صور اللبنانية. وحدة تابعة لحزب الله المنتشرة في مدينة صور وفي المناطق المجاورة لها، هي الـــتي تقوم بقصف مدينة حيفا بواسطة صواريخ كاتيوشا سورية وكاتيوشا إيرانية مـــن النوع المتطور. وإذا لم تقم إسرائيل بإزالة هذه الوحدة من صور، فإن ضرب مدينة حيفا سيستمر.

مـــن ذلك نرى أنه من الغريب أن تكون العمليات البرية التي يقوم بها الجيش الإســـرائيلي قد بدأت يوم أمس بمعايير كبيرة في جنوب لبنان، ولم توجه فوراً إلى مديـــنة صـــور ومحيطها. وسلاح الجو كان قد ضرب في الأيام الأخيرة مناطق في مديـــنة صـــور، ولكن يبدو أن القصف لم يتوقف: فعشرات صواريخ الكاتيوشا وُجّهت وأُطلقت باتجاه حيفا وضواحيها وأوقعت خسائر يوم أمس هناك.

مـــن الواضح أن نقطة تشكل ثقلاً في حرب الاستنـــزاف التي يشنها حزب الله، تتركـــز حول مدينة حيفا، وأن إطلاق صواريخ الكاتيوشا من جنوب مدينة صـــور وضواحيها هو لهذا الغرض. هذا الهدف - مدينة صور وضواحيها - مهم جـــداً في هـــذه المـــرحلة ومدعاة لشن الهجوم أكثر من مهاجمة بيروت والضاحية الجنوبـــية الشيعية فيها. صحيح أن هذا الهدف مهم والقرى المختلفة أيضاً مهمة في المنطقة الجنوبية من لبنان. ولكن إذا لم توقع أضراراً بسرعة - الطائرات الإسرائيلية - فـــإن استمرار سقوط الكاتيوشا المنطلقة من صور وضواحيها سيستمر وحرب الاستنـــزاف ضد حيفا وضواحيها سيستمر.

في الخطـــوط الأمامـــية في جـــنوب لبنان وضع حزب الله مقابل إسرائيل وحـــدتين خاصتين. الأولى هي وحدة "ناصر" التي تضم نحو 500 مقاتل، الذين

يتمركزون في مواقع على الخطوط الأمامية المختلفة الممتدة بين القرى في مركز وشـــرق القطاع الأول من الجبهة. وهذه الوحدات مزودة بالأساس بصواريخ قصيرة المدى. وهذه الوحدة تستطيع إطلاق الصواريخ والنيران بصورة أساسية تجاه الأهداف المختلفة في مناطق مركز الجليل والشرق، ابتداءً من خط الحدود وحـــتى داخـــل العمـــق الإسرائيلي. ومعظم الإصابات كان ينـــزل في مناطق مفتوحة، ومع ذلك حدثت هناك إصابات في أهداف ومستوطنات زراعية بما في ذلـــك مدن صفد، ميرون، والناصرة وغيرها. والوحدة الثانية منتشرة في منطقة صور وصيدا ومزودة بصواريخ بعيدة المدى أكثر. هناك تنتشر قاذفات صواريخ ســـورية ذات قطـــر 220 ملـــم، والـــتي تحمـــل رأساً متفجراً يزن عشرات الكيلوغـــرامات. والاســـتخبارات الإســـرائيلية كانت الأولى من بين منظمات المخابـــرات المختلفة التي تعمل هناك، التي اكتشفت أنه بالإضافة إلى إيران، فإن سوريا أيضاً تزود حزب الله بمثل هذه الصواريخ.

إضـــافة إلى ذلـــك، فإن هذه الوحدة التابعة لحزب الله العاملة من صور، مزودة بصواريخ بقطر 122 ملم، من التي طورها إيران والتي زادت مدى قصفها بعد أن كان الصاروخ يصل إلى 22 كم، أصبح بإمكانه إصابة أهداف على بعد 35 كم.

الـــصاروخ الأول الذي أُطلق باتجاه حيفا وسقط في منطقة ستيلا ماريس، كـــان صاروخاً إيرانياً مُعدّلاً. ومدينة صور وضواحيها تحولت إلى موقع مدفعية مـــتقدمة لحـــزب الله. فـــإذا مـــا ضغطنا عليهم سوف يحاولون استغلال باقي الصواريخ وإطلاقها من هناك حيث أنه يمكنهم إطلاقها باتجاه المواقع الإسرائيلية المختلفة.

أيضاً من الناحية الإعلامية فإن إسرائيل لم تنجح في تفسير مشكلتها مع مدينة صـــور، وبـــسبب النيران الثقيلة والمتواصلة التي تُطلق باتجاه مدينة حيفا. الصحف العالمـــية نـــشرت في الآونـــة الأخيرة، وفي صفحاتها الأولى، صوراً لـــ 82 جنازة للضحايا الذين قُتلوا هناك. ووفقاً لادعاءات اللبنانيين وحزب الله، فإن كل تابوت كـــان يوجد فيه جثة للبناني قُتل بالنيران الإسرائيلية. يمكن أن يكون ذلك صحيحاً

ويمكـــن أن لا يكون صحيحاً، ولكن من يفهم الحقيقة، يعرف بأن ذلك ضروري بـــسبب اســـتمرار إطـــلاق الصواريخ باتجاه حيفا وضواحيها. ففي حادثة معينة اخترقت قذيفة مضادة للأعماق وقتلت جميع السكان الموجودين هناك. وبعد ذلك اتـــضح بأنه من بين القتلى 32 من الذين أصيبوا في ذلك الملجأ وأغلبيتهم قد قُتلوا، كان هناك 11 من عناصر حزب الله المسلحين.

هـــذا الملجـــأ استخدمه حزب الله، ولجأ المدنيون اللبنانيون إليه ليحتموا من القـــصف الإسرائيلي. ففي وضع القتال الحالي لا مفر من إقناع المواطنين في المدينة التخفيف عنهم وذلك بإخلاء المدينة. ومع ذلك ليس واضحاً ما إذا كان حزب الله سيوافق على إخلاء المدنيين من مدينة صور.

من فرط القوة طار العقل

بقلم: يوئيل ماركوس

هآرتس - 2006/7/25

إنجـــازات إسرائيل بعد أسبوعين من خروجها للقضاء على حزب الله محدودة جداً من الناحية العسكرية. الدولة التي كانت أقلية في مواجهة أغلبية، ووقفت قبالة ســبع دول عربية في حرب التحرير، وصاحبة الجيش الذي نجح خلال ستة أيام في دحــر ثــلاث دول عــربية، كانت قد قامت ضدها، تقف الآن في وضع مُربك معاكس لماضيها التليد وقد أصبحت الآن في وضعية الأكثرية ضد الأقلية.

مــن كــان يُصدق أن تنظيم عصابات من بضع مئات من المقاتلين النظاميين الــذين يــبلغ تعدادهم كتيبة ونصف كتيبة ربما، سينجحون في شل نصف دولة بعملــيات قصف يومية لعشرات ومئات الصواريخ يومياً (2200 حتى يوم الأحد صباحاً، حسب ما أفاد به وزير الدفاع). من كان يُصدق أن مدناً مثل صفد وعكا ونهاريا والناصرة وطبريا، وخصوصاً حيفا عاصمة الشمال، ستنهض في كل صباح علــى صافرات الإنذار وعمليات القصف الفتاكة التي دفعت بعشرات الآلاف إلى وضعية اللجوء، وشلت الحياة في جزء كبير من الدولة. وهذا كله من قبل أن يحاول حزب الله إطلاق صواريخه الثقيلة على تل أبيب.

مــن كــان يُصدق أن الجيش الإسرائيلي، الجاهز للحروب الكبيرة، هذا الذي تخشاه إيران وتتوجس من قيامه بمهاجمة منشآتها النووية، القادر خلال ليلة واحدة على إلقــاء 23 طناً من القنابل، لا ينجح في إيقاف الرشقات الصاروخية. كيف حدث أنه بعــد بيان الجيش الإسرائيلي بأن قناة "المنار" التابعة لحزب الله قد قُصفت، ظهر علينا حسن نصر الله من خلالها سليماً معافى وأخذ يطلق تصريحاته الاستفزازية لنا؟

إســرائيل خــرجت إلى الحرب مع هدف القضاء على حزب الله كتنظيم عــسكري معادي وناشط على حدودنا، رداً على الاستفزاز وعملية الاختطاف

التي تسنت بسبب غفوة الروتين التي تفشت في الجيش الإسرائيلي في الآونة الأخيرة. وكل ذلك بدعم دولي برئاسة الرئيس بوش، ودعم أغلبية الجمهور من الداخل. بوش والجمهور افترضوا أن الجيش يعرف ما الذي يفعله، وأن وجود قوى بشرية مزودة بالعتاد والمهارة ستؤدي إلى دحر حزب الله كقوة مهددة لإسرائيل، ولكن رويداً رويداً بدأت تتكشف معطيات ومؤشرات مقلقة ووجدنا أمامنا جيشاً غنياً وكبيراً وغبياً بدلاً من "الجيش الصغير والذكي" الذي نعرفه.

الظهور العشوائي للضباط الكبار أمام شاشات التلفزة، قائد الجبهة الداخلية الذي لا يتوقف عن إعطاء العلامات التقديرية للجبهة الداخلية ولا ينتبه أنه في اللحظة التي ستشعر فيها هذه الجبهة الداخلية بأن الجيش لا يؤدي دوره المنوط به، فإن الناس لن يفروا من منازلهم فقط، وإنما من البلاد كلها، في أعقاب عشرات آلاف السياح الذين قد فروا من هنا. رئيس هيئة الأركان الذي قال بزلة لسان بأننا "سنُعيد لبنان عشرين سنة إلى الوراء"، والذي يهدد الآن بأنه سيدمر عمارة من عشرة طوابق مقابل كل صاروخ يسقط، وقائد المنطقة الذي يصرح بأننا "لا نحصي القتلى خلال المعركة" - كطبعة محسنة لمقولة من كان عميداً في عام 2001، بني غينتس "عندما يتم تقطيع الأشجار تتطاير الأغصان"، والذي لم ينتبه بأن هذه الأغصان هي أناس يمشون على الأقدام.

رئيس هيئة الأركان يظهر علينا يومياً وكأنه في حيرة من أمره، متى يرتدي البدلة الزرقاء ومتى يرتدي الكاكي، الذي يخرج علينا في خطابات للأمة هي من مجال اختصاص رئيس الوزراء، ويكرس يوماً كاملاً لجولة مع مراسل القناة الثانية روني دانييل. العميد احتياط رافي نوي، محق في تحليله الإذاعي عندما يقول إن تفوق الاختفاء ما زال بيد حزب الله، وأن الجيش الإسرائيلي الكبير والعملاق لم يُصب حتى الآن كامل قدرة هذا التنظيم.

خلافاً لاعتقاد بعض زملائي، أعتقد أننا هنا أمام حرب اللاخيار، التي تلزمنا بالخروج منها منتصرين. يتوجب ضربهم براً وبحراً. حتى يتراجع حزب الله المضروب والضعيف إلى ما وراء الخطوط الدولية، وحتى ينتشر الجيش اللبناني على

الحدود الدولية وفقاً للقرار 1559. إذا لم يتعاون حزب الله مع تسوية برعاية الأمم المتحدة تنــزع سلاحه الثقيل، ورفض الانتشار شمالي الليطاني، لن يكون هناك مفر أمام الجيش الإسرائيلي من مواصلة توجيه الضربات له والقيام بعمليات تطهير ضده مـــن موقـــع إلى موقع. قواعد اللعبة التي فرضها حزب الله يجب أن تتغير. الوضع الراهن ليس ممكناً ومقبولاً.

مـــن المحظـــور ترك المجابهة مع حزب الله تتدهور إلى حرب استنـــزاف. من المحظور أيضاً توسيعها بما يتجاوز أهدافها. ومن المحظور وضع الجمهور الإسرائيلي في اختـــبار كـــبير جـــداً حـــتى لا تنفجر الجبهة الداخلية التي نتفاخر بها في وجه الحكـــومة. المشكلة هي أننا لا نملك كل الوقت المتاح في العالم. كونداليزا جاءت وســـتخرج وستعود، وتأتي لحظة التسوية ووقف إطلاق النار. يا ليت الجيش يعيد لنفسه التصميم والعزيمة والحكمة وأن يعرف كيف يضع النقطة في التوقيت الملائم وفي النتيجة الصحيحة.

لا في جنوب لبنان

بقلم: موشيه يعلون
معاريف - 2006/7/25

استعداداً لتفكير وطني عميق في الترتيبات الأمنية في لبنان مع انقضاء الحرب، من المناسب أن نحدد النقاش في اقتراح إقامة قوة دولية في لبنان، وهو اقتراح رفضته إسرائيل في الماضي البعيد والقريب.

تُعرف أربعة أنواع من القوة الدولية:

أ. قوة تهدف إلى الرقابة على اتفاقات موقعة بين دولتين - على هيئة القوة الأممية (أم. أف. أو)، التي تراقب الاتفاق بين إسرائيل ومصر في سيناء.

ب. قــوة مهمتها أن تقدم تقريراً عما يتم في الميدان الذي تنتشر فيه، من غير قدرة ودور يفرض سياسة ما - على شاكلة القوة الدولية في جنوب لبنان (يونيفيل).

ج. قــوة تهدف إلى أن تفرض الهدوء في منطقة فيها قدرة كامنة لقوى متنازعة - مثل قوات حلف شمال الأطلسي في كوسوفو.

د. قــوة تهــدف إلى المحاربــة باسم دول ما - وكانت كتلك قوة الأمم المتحدة في حــرب كــوريا في الخمــسينيات، وقوى حلف شمال الأطلسي اليوم في أفغانستان.

لــيس من الواضح فيما يفكرون وأي شكل من القوة الدولية يخططون لطلبه في لبنان، ولكن يحسن عدم تجاهل التجربة المتراكمة في الموضوع.

انــسحبت قوات المارينــز الأميركية التي وصلت لبنان في نهاية عام 1982، بعــد بضعة أشهر، عندما استعمل عليها حزب الله إرهاباً كثيفاً. وجدت اليونيفيل في الميدان منذ 1978 وزاد ضررها على فائدتها - فهي لم تمنع الإرهاب الفلسطيني (حتى 1982)، أو هجمات حزب الله، وأضرت بحرية عمل الجيش الإسرائيلي. من كــل القوات الدولية حولنا، تنجح فقط القوة الدولية في سيناء في تنفيذ مهمتها.

وذلـــك في الأســـاس لأن الدولـــتين المشاركتين، مصر وإسرائيل، مصممتان على الحفاظ على التسويات الأمنية.

في كوسوفو أيضاً، حيث أُقيمت قوة دولية كبيرة، الحديث عن نجاح نسبي – لأنها، بمجرد وجودها، تُقدم مصلحة الجهات المحلية، التي تريد استقلالاً أو انضماماً إلى ألبانيا، ولا يوجد لأحد مصلحة في الإضرار بدورها.

في أفغانـــستان، بمقابلـــة ذلـــك، تدير القوة الأممية بقيادة حلف الناتو حرباً حقيقـــية، على نحو ناجح جداً – برغم أنه لا توجد لها أي صلة بالأمم المتحدة أو بمؤسساتها.

مـــا الـــذي يجـــب علـــى إسرائيل أن تتوقعه من قوة دولية؟ أهي القوة التي ستحارب حزب الله لتنـــزع سلاحه – لا يجب الاتكال على ذلك. للأمم المتحدة صيت سيئ في كل ما يتعلق بمواجهة قوات قوية في المناطق التي توجد فيها.

أهـــذه قـــوة ستفـــصل بين إرادة حزب الله ونشاطاته وهو القوي القادر في الشمال، وبين دولة إسرائيل في الجنوب؟ – هذه وصفة لكارثة. ستفشل قوة كهذه في شـــبه تأكـــيد في محاربـــتها حزب الله، لكنها ستشوش على حرية رد الجيش الإســـرائيلي. يـــبدو أن المنطق الوحيد الذي يستطيع تسويغ قوة دولية، مؤلفة من جـــنود حق، هو مساعدة جيش لبنان. جيش لبنان هو الذي يجب عليه أن يتحمل عـــبء تجريد حزب الله من سلاحه، وجيش لبنان هو الذي يجب عليه أن يستيقن من أنه لا توجد بعثات عسكرية لخبراء الحرس الثوري الإيراني في لبنان (وكل هذا علـــى حـــسب صيغة قرار مجلس الأمن 1559). يجب على جيش لبنان أن يراقب حدود لبنان – لئلا يُهرّب سلاح إيراني أو سوري من سوريا إلى لبنان، ولمنع حزب الله من أن يبني مواقعه الحصينة من جديد قريباً من الحدود مع إسرائيل.

جيش لبنان قوي بما يكفي ولا يجب الخوف، كما يبدو، من انتقال الشيعة فيه إلى حزب الله. لكنه سيحتاج إلى مساعدة ودعم – وستعطيه ذلك قوة دولية قوية. لهـــذا يجب على قوة كهذه أن تكون مستعدة قريباً من بيروت، في المعابر الحدودية مع سوريا وفي عمق البقاع اللبناني. يجب أن تكون مستعدة لمساعدة جيش لبنان في المـــناطق الـــتي كان حزب الله فيها قوياً. لا يوجد ما تبحث عنه القوة الدولية في

جنوب لبنان، حيث إسرائيل مستعدة للدفاع عن نفسها ولمنع تعزز حزب الله، إذا ما حاول الانحدار جنوباً. في جنوب لبنان سيكون لجيش لبنان جبهة داخلية مشايعة على هيئة الجيش الإسرائيلي، ولكن بمقابلة ذلك، يحتاج جيش لبنان إلى جبهة دولية في وسط لبنان وشرقه.

واستكمالاً لذلك، ربما يحسن أن تُنقل من مناطق أخرى في العالم فكرتان مهمتان تساعدان في ضمان نماء لبنان كدولة مستقلة، بغير تهديد حزب الله:

أ. أن يُمنع باتفاق مع لبنان بناء مواقع عسكرية جنوبي لبنان، كما يظهر في الاتفاق بين إسرائيل ومصر. وبهذا سيتلاشى خوف أن يعود التهديد في الحدود الشمالية ويتجدد الدافع إلى الحرب.

ب. أن تقيم الأمم المتحدة قوة رقابة مثل يونيسكوم، تعمل في تحديد مواقع مخازن حزب الله لإفراغها، وتمنع إقامة مخازن جديدة. أنفذت الأمم المتحدة هذه المهمة تنفيذاً غير سيئ في العراق، ولا يوجد سبب لعدم فعلها ذلك في لبنان.

ثمن المعارك يتجلّى

بقلم: عاموس هرئيل وآفي يسسخروف

هآرتس - 2006/7/25

في ختـــام الأســـبوع الثاني من الحرب في لبنان، يمكن ملاحظة كيفية تبلور الغضب، المكبوت حالياً، في المستويات الميدانية المشاركة في القتال. عدد غير قليل مـــن القادة يجدون صعوبة في فهم ما الذي يريد المستوى السياسي وهيئة الأركان تحقيقه في هذه الحرب (وهي ليست دائماً أهدافاً متماثلة تماماً)، بل ويُشككون إذا كانت كل الوسائل المتاحة قد وضعت رهن إشارتهم للنجاح في هذه المهمة.

هـــناك مـــسألة مركزية تعتبر مثار خلاف تتعلق بحجم القوات المستخدمة في جـــنوب لبـــنان الآن. الجـــيش أرسل إلى معارك بنت جبيل طاقمين من غولاني والمظليين بدعم خلفي من اللواء السابع. ولكن البلدة هي فقط أحد مراكز إطلاق صـــواريخ الكاتيوشـــا بالإضافة إلى كونها رمزاً شيعياً. الآن تجري تحضيرات لشن عملـــيات مشابهة في مناطق أخرى. بعض قادة الألوية والكتائب يعتقدون أن هذا الأمـــر يحدث بقدر أقل مما يجب ومتأخر جداً وأن إسرائيل لا تملك وقتاً فائضاً في الوقت الذي أصيب فيه ثلثها في الشلل والخوف من رهبة الصواريخ.

في الخلفـــية تحلّـــق فوق عقل الحكومة صدمة حرب لبنان الأولى. المستوى السياسي يريد "السير مع والشعور بدون" ذلك. هو يسعى إلى تجنب المشاهد التي تذكّر بالمستنقع المتحرك في الماضي (وكذلك يبذل جهوداً إعلامية للتقليل من حجم العملية البرية). وهو يخشى أيضاً استدعاء عدد كبير من الاحتياط لأن إدخال جنود الاحتـــياط إلى لبنان سيزيد من حدة الخلافات والانقسامات الداخلية حول الحرب وحول العبء الذي يتسبب فيه ذلك للاقتصاد (أي استدعاء الاحتياط).

الأســـبوعان الأخيران علّمانا أن الأسلوبين المستخدمين حتى الآن (الهجمات الجـــوية وإدخـــال قوات برية صغيرة) لم يكونا كافيين لإيقاف إطلاق الكاتيوشا.

النقاش الآن يدور حول خيارين بديلين: "تواصل سلسلة الهجمات البرية أو السيطرة المؤقتة على الأرض مع استخدام قوات أكبر حجماً".

في بنت جبيل وفي مارون الراس يتكشف الثمن الحقيقي للقتال. صور المصابين الذين تم إخلاءهم إلى أفيفيم لم تشاهد عندنا منذ الأيام التي سبقت انسحاب عام 2000. إسرائيل تواصل تلقي الضربات في رموزها: بعد ضرب البارجة وخسائر الوحدات الخاصة في مارون الراس أصيبت بالأمس مروحية أخرى ودبابات ميركافا شيمن (4) وهي أحدث طراز يملكه الجيش. الإصابات الكثيرة في الدبابات ليست صدفة. وحدات المدرعات التي اعتادت طوال سنوات على التفوق المطلق في استخدام الدبابات في المناطق تجد صعوبة أكبر من القوات الأخرى في التكيّف مع هذه النقلة إلى ساحة الحرب. الحركة الكثيرة في وضح النهار تحوّل الدبابات إلى أجسام مكشوفة ومعرّضة لضربات مضادات الدروع التي يملكها حزب الله، وقد كان عليهم استغلال الليل حيث توجد وسائل رؤية أفضل مما يوجد لدى الخصم. من الناحية الأخرى لا يتوجب أن تطمس الخسائر والأخطاء ميزان القوى. أحد قادة الكتائب في غولاني تحدّث بالأمس عن أن حزب الله لا يملك قروناً ولا يلفظ الحمم النارية. لقد شاهدناهم "عن كثب بعضهم يفر وبعضهم يموت". البشائر تصل حتى المخابئ في بيروت. الشيخ نعيم قاسم أحد قادة حزب الله قال بأن الحزب سيحاول من الآن تجنب التصادم المباشر مع الجيش الإسرائيلي.

الأحاديث في إسرائيل عن مؤشرات انكسار في صفوف حزب ا لله تبدو الآن مجرد أمنيات خصوصاً في ظل سقوط (80) كاتيوشا بالأمس. وما زال على حزب الله أن لا يشعر بالرضى من نفسه رغم ذلك. رايس التقت بالأمس مع نبيه بري الذي يحافظ على علاقات جيدة مع نصر الله. اللقاء كان صعباً حسب الوصف ووجه بري المتجهم عبّر عن كل شيء عندما صافح رايس. بري سمع منها الخط المتشدد الذي تتبناه واشنطن وهو إطلاق سراح الجنديين فوراً ومن دون شروط. نصر الله علم بالتأكيد بمجريات اللقاء مع أعداء تنظيمية: وليد جنبلاط الدرزي وأمين الجميل المسيحي ورئيس الحكومة فؤاد السنيورة الذين يعدون الخطط لمرحلة ما بعد نزع سلاح حزب الله.

حـــتى الفلسطينيين يعتبرون سبباً لقلق نصر الله. الأمر يبدو من الآن كخطة "فـــك ارتباط" لبعض قادة حماس عن حزب الله. نصر الله يحظى بالتأييد الشعبي في المناطق إلا أن قادة الفصائل في غزة ومنهم قادة حماس بدأوا يستوعبون الخطر الذي يلوح من تحالفهم القوي مع حزب الله. بالأمس صرّح بعض قادة حماس وفتح عن استعدادهم لعقد صفقة مع إسرائيل وتتضمن إطلاق سراح شليت ومجموعة صغيرة مـــن الـــسجناء الفلـــسطينيين ووقف إطلاق شامل للنار. إذا عقد الفلسطينيون وإسرائيل الآن صفقة منفردة في غزة فسيعزل نصر الله وتنظيمه في الساحة العربية. الكثير يعتمد على سماح سوريا لقيادة حماس في دمشق بإعطاء ضوء أخضر للفصل بين حماس وحزب الله.

هل فشل الجيش الإسرائيلي؟

بقلم: عاموس هرئيل
هآرتس - 2006/7/26

موشيه آرنس قلق. يعتقد الرجل الذي كان وزير الدفاع لثلاث ولايات، في الفتـرة التي سيطر فيها الجيش الإسرائيلي على جنوب لبنان، أن العملية العسكرية الحالـية في الشمال تُصرف تصريفاً سيئاً. إذا لم يطرأ تحول سريعاً، كما يحذّر، فإن حزب الله قد يخرج غير مهزوم من هذه المواجهة. وما المعنى؟ "سيكون هذا كارثياً على إسرائيل. سيُرى نصر الله في العالم كمن أطلق آلاف صواريخ الكاتيوشا على بلدات إسرائيلية لأسابيع وخرج ولم يُمس بذلك". وفي الحكومة والجيش يرفضون الـنقد. فهم يزعمون هناك أن الحرب تُصرف تصريفاً حسناً في المجمل، وسُجلت فيها إنجازات وأن إسرائيل يدها العليا. والآن، يبدو أنه لو سُئل أكثر الإسرائيليين في ظهـيرة يـوم الأربعاء، 12 تموز، هل يمكن أن يُقصف الشمال لمدة أسبوعين على الـتوالي ولا ينجح الجيش الإسرائيلي في وقف إطلاق صواريخ الكاتيوشا (أو حتى تقليصه) لكانوا ردوا بالنفي. بعد مرور أسبوعين، هاكم عدداً من القضايا الرئيسة التي تتعلق بالحرب:

1. الاسـتخبارات. تلقـت التقديرات الاستخبارية والمعلومات الاستخبارية التي امـتلكها الجـيش الإسـرائيلي نقداً لاذعاً في الأسابيع الأخيرة. زعم الجيش الإسـرائيلي بعـد اخـتطاف الجنديين، وبحق، أن يديه كانتا مكبلتين بتوجيه المستوى السياسي. عندما حذر قادة المنطقة الشمالية من أن الوضع الأمني على امتداد الحدود لا يحتمل وتكمن فيه بذور الاختطاف التالي، اختارت الحكومة تجاهـل ذلك. إن حقيقة أن حزب الله قد تلقى ردوداً ضئيلة فقط من إسرائيل على الهجمات السابقة، جعلته يُقدر خطأً أنه لن يحتاج إلى دفع ثمن باهظ عن هذا الاختطاف أيضاً. أما خط المواقع العسكرية الذي سُمح له بامتلاك، برغم

تحذيرات الجيش الإسرائيلي، على مبعدة أمتار من الجدار، فقد سهّل إنجاز الاختطاف نفسه.

لكن الجيش أيضاً لم يتحدث بصوت متجانس في القضية. زعم جزء من المسؤولين الكبار، وأفراد العمليات والاستخبارات معاً، أن تهديد الصواريخ ليس حقيقياً (كانت طريقة علاجها المفضلة في رأيهم "جعلها تصدأ"). لقد تنبأ أحد الألوية، قبل أقل من شهرين من الاختطاف، بأن حزب الله منظمة منضبطة، تهدف إلى الاندماج التام في الحلبة السياسية اللبنانية.

في مجال الحقائق، يبرز عدد من الاختلالات الصعبة: عدم العلم بنقل صاروخ إيراني إلى حزب الله مكّن من إصابة البارجة (بالرغم من أنه وجّه نقداً إلى سلاح البحرية لأنه لم يستعمل النظام الدفاعي للسفينة على أية حال). أما القوات التي عملت بإزاء مواقع حزب الله فقد فوجئت بسعة النظام الدفاعي والهجومي الذي بناه، قريباً من الحدود وفي عمق الميدان. زعموا في "أمان" أمس أن الجيش الإسرائيلي قد امتلك معلومات استخبارية تكتيكية واسعة عن استعداد حزب الله. إذا كان الزعم دقيقاً، فإن المعلومات لم تُنقل كاملة إلى الميدان. سُمع جزء من قادة الوحدات هذا الأسبوع وهم مذهولون تقريباً مما كُشف عنه في مارون الراس وبنت جبيل.

2. أداء القوات الميدانية عملها. الخطاب العام مليء في الأسبوعين الأخيرين بشكاوى من الجيش الإسرائيلي كفاشل دائم. سلسلة القصور مقلقة في الحقيقة: من الاختطاف نفسه، مروراً بإصابة البارجة، وتحطم ثلاث مروحيات في اصطدام جوي وبنار قواتنا، وموت خمسة من مقاتلي "أغوز" إلى الإصابة الشديدة بعدد من دبابات الميركافا. يبدو أنه قد حُذف المنظار من النقاش: كل حرب (وفي لبنان تجري حرب لاعملية)، وفي ضمنها "الناجحة فيها" كانت مصحوبة بسلبيات، وباختلالات وبعشرات القتلى بنار قواتنا. والفرق هو أن كل شيء يجري هذه المرة تحت متابعة إعلامية فورية، وبث دائم لا ينقطع في التلفاز وبغير القيود التي كانت متبعة في أيام "هدوء، يطلقون النار".

لا ينبغي تجاهل سلسلة الإخفاقات، لكن يوجد لها خلفية وسياق: لم تبدأ الحرب كإجراء إسرائيلي مخطط له. لقد اندلعت في المنطقة التي صرف إليها الجيش الإسرائيلي انتباهاً ثانوياً فقط في ست سنين من القتال في المناطق. تختلف مواجهة مطلوبي فتح وحماس اختلافا كاملا عن المعركة مع محاربي حزب الله، ويبدو أن الجيش يتعلم أسرع مما نعتقد.

المحللون الذين سيخرجون من قاعات البث إلى الشمال، سيكشفون أنه ليس الحديث عن جماعة من الجنرالات الأغبياء، بل عن ضباط يفكرون، ويحاولون أن يصوغوا بسرعة حلولاً ناجعة بإزاء خصم مُركب. ومرة أخرى، يجب أن نذكر ما حدث في المناطق: كان الجيش في 2001 جيشاً بطيئاً، غير مهندم، يتعلم من إخفاقه. بعد ذلك بسنة احتُلت مدن الضفة، وحُسّن التنسيق مع "الشباك"، وابتدأت سعة الإرهاب تقل. يجب أن نأمل أن تكون العملية هذه المرة أسرع.

3. صورة المعركة. الاستنتاج السائد من البحث في الاختلالات هو أن حزب الله لا يُذلنا فقط، بل ينتصر. وفي الواقع، عندما يلقى الجيش الإسرائيلي حزب الله وجهاً لوجه، لا يوجد خلاف البتة من الذي يهزم الآخر. تنسحب العصابات بإزاء كتل كبيرة من القوة العسكرية، مع خسائر. السؤال الرئيس مغاير: هل يستعمل الجيش الإسرائيلي ما يكفي من القوة للحصول على امتياز، أو أنه تكفي طريقة "سلسلة من التأثيرات" - أي غزوات محدودة لقرى - لإبعاد حزب الله عن الجنوب. قيود القوة الجوية واضحة. يتبين أن الطائرات لم تكن كافية للقضاء على تهديد منصات الإطلاق. سينقضي وقت بعد إلى أن يتضح هل يكون إدماجها بقوة برية ضربة لحزب الله بحيث يزن جدوى الاستمرار في المعركة.

4. إلى أين نمضي عن هنا؟ في هذه الأثناء، لا يحدث هذا. اعترفوا في هيئة القيادة العامة أمس، أن نصر الله يريد ويستطيع الاستمرار في إطلاق الصواريخ أياماً كثيرة بعد. أصبح جزء من الضباط يتحدثون هذا الأسبوع عن الحاجة إلى عملية سياسية سريعة، تُحرك بموازاة العملية البرية وتُمكّن من إنهائها في

القريب، قبل أن يُكلّف دخول قرى أخرى الجيش الإسرائيلي إصابات كثيرة. اقتــرح فــريق خارجي من الخبراء، على جهاز الأمن، في هذا الأسبوع البدء بتقلــيص أهــداف المعركة المعلنة، استعداداً للتسوية. ولكن ما تزال إسرائيل تواجه مشكلتين رئيسيتين: إحداهما - مس كثيف فقط، لم يتم الحصول عليه بعد، بقدرة حزب الله، قد يضائل من خنقه لحكومة لبنان. والثانية - حتى لو تم الحــصول علــى هذا الشيء، فسيُحتاج إلى تسوية سياسية قوية على نحو خــاص، لمــنع إيران من العودة إلى تسليح حزب الله في اللحظة التي تنقضي الحرب فيها وحثه على البدء بمواجهة جديدة في السنة القادمة.

حرب الصبيان

بقلم: عوزي بنــزيمان

هآرتس - 2006/7/26

حرب لبنان 1982 قامت على مكيدة: كانت لدى وزير الدفاع ورئيس هيئة الأركـــان خطة خفية حتى عن الحكومة ذاتها، أما في حرب لبنان 2006 فالأوراق مكشوفة، ولكنها هي الأخرى تنطوي على خطر انجرار المستوى السياسي من وراء الخطوات التي يقترحها المستوى العسكري.

كـــان لدى أريئيل شارون ورفائيل إيتان قبل 24 سنة تصوّراً لم يكن مشتركاً لكـــل صانعي القرار: تحريك الجيش الإسرائيلي نحو بيروت. أما الآن فلدى إيهود أولمرت وعمير بيرتس ودان حلوتس هدف متماثل في الحرب الحالية: توجيه ضربة قاضـــية لحـــزب الله مـــن أجل إنشاء نظام جديد على الحدود الشمالية حتى يُزيل الـــتهديد الصاروخي لإسرائيل. في عام 1982 تكشفت نوايا وزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان الخفية من الأيام الأولى للحرب: وزراء وضباط كبار لاحظوا ذلك، وتحفظـــاهم تـــسربت إلى وســـائل الإعلام. في الحرب الحالية لا نلمس حتى الآن تـــصدعات هامـــة في الرواية التي يُدلي بها المستوى السياسي والمستوى العسكري الأعلـــى حول حدود الحرب وأهدافها. من هنا نستنتج أنه لا يوجد لدى صانعي القرار الأساسيين جدول أعمال مقنع من وراء هذه الحرب، وبالرغم من ذلك بعد مرور أسبوعين على اندلاع هذه الحرب، تبدو كحدث متشعب، وسيطرة الحكومة عليه آخذة في الضعف.

قـــرار إدخـــال قوات برية كبيرة إلى جنوب لبنان، وتحديد أهداف آخذة في الابتعاد عن الخط الحدودي أمامها، يبدو وكأنه اشتقاق للديناميكية العسكرية أكثر مـــن كونه نتاجاً للتفكير السياسي المدروس. ما أن تبدد الأمل بتصفية قدرة حزب الله على إطلاق الصواريخ بواسطة سلاح الجو وحده، وجدت القيادة العليا للجيش نفـــسها متحمـــسة ومندفعة إلى تلبية التوقعات المعلقة عليها، ولذلك تقوم بتجنيد

وحـــدات الاحتياط وتدفع بألوية المشاة والمدرعات إلى لبنان. هذه القيادة قد تصل إلى الاســـتنتاج بأنه لا يمكن إسكات قوة حزب الله النارية من دون سوريا. هذا لا يعني أن هذا هدف هيئة الأركان، وأن رئيس الوزراء ليس على قناعة بأنه سيعرف كيف يضغط على الكوابح في الموعد المحدد. هذا يعني أن لهذه الحرب منطق داخلي خاص بها وقادر على جر صانعي القرار إلى أماكن لم يقصدوا الذهاب إليها مسبقاً.

عندما تُدوّي المدافع، ويقوم الجنود بالمخاطرة بأرواحهم، ويسقطون في معارك تـــبدو كالذود عن الحمى، ليس من اللائق التركيز على البُعد السياسي للأحداث. ولكن لا مناص من ذلك على اعتبار أن إسرائيل مجتمع منفتح ومتطور. هذه الحرب تتدحرج إلى وضع تتبلور فيه علامة استفهام محلقة فوق المستقبل الجماهيري لرئيس الـــوزراء ووزيـــر الـــدفاع ورئيس هيئة الأركان وعدد من القادة، على ما يبدو. ســـيكون من السذاجة القول إن هذه الإمكانية لا تؤثر الآن على قرارات صانعي القرار خلال الحرب الحالية.

أولمـــرت وبيرتـــس ألقيا بثقلهما على تحليلات دان حلوتس المهنية، ووصفه لنـــتائج المعركة. رئيس هيئة الأركان موجود الآن في وضع من يتوجب عليه تلبية الـــتوقعات، وإلا فإنه سيتحمل مسؤولية فشل زعامة رئيس الوزراء ووزير الدفاع، ذلك لأنه من الواضح أن الجمهور سيتحاسب مع الاثنين إذا لم تنته الحرب بانتصار مُقنع كما وعدا في بدايتها. أولمرت أوضح مسبقاً أن الحرب قد تكون طويلة وأنها ستتضمن إصابات موجعة بالنسبة لإسرائيل، ولكنه سيحاسَب رغم ذلك وفقاً لمحك النتـــيجة الـــذي لا يرحم: ما هي نسبة الثمن المدفوع في هذه الحرب بالمقارنة مع إنجازاتها. إذا كانت هذه الحرب مخيبة للآمال فإنه سيُقدم الحساب للناس.

كان من الممكن أن يكون الوضع مختلفاً من أساسه لو أن أولمرت كان سياسياً مجـــرباً، أو لو كان إلى جانبه طاقم مستشارين ضالع في العمل السياسي - الأمني (علـــى شـــاكلة دان مريدور وأفرايم هليفي وغيورا آيلاند)، ولكنه اختار تركيب حكومة أغرار، وهو نفسه، رغم كونه سياسياً مخضرماً ومديراً فاعلاً، لم يواجه أبداً مثل هذا التحدي الذي يواجهه منذ 14 يوماً.

بدأت العملية البرية
بعد أن احتل الجيش الإسرائيلي قرية
من غير أن يقصد ذلك

بقلم: عميرام بركات وعاموس هرئيل

هآرتس - 2006/8/29

في ظهـــيرة يوم الخميس، 20 تموز، اليوم السابع من عملية "تغيير الاتجاه"، بدأ جنود وحدة "إيغوز" تسلقاً مرهقاً لقمة الجبل. وكان الهدف: قرية مارون الراس، الـــواقعة في قمـــة الجبل. شق المقاتلون مُحملين بالمتاع طريقهم داخل الحُرج. قبل ذلـــك بيوم، على مبعدة بضع مئات من الأمتار شرقي ذلك المكان، قُتل اثنان من وحـــدة "مغلان" في تصادم ومحاربي حزب الله. في أعقاب ذلك التصادم أُرسل في اللـــيلة بين يوم الأربعاء والخميس جنود دورية المظليين لاحتلال مواقع مُسيطرة في مـــنطقة مارون الراس. لكن المظليين في الصباح أرسلوا إشارات وقوعهم في أزمة. بقرار مصيري، مُتعجّل، أُلقيت "إيغوز" في المعركة.

"احتللـــنا مـــارون الراس من غير أن نقصد إلى ذلك"، اعترف في الأسبوع الماضي مسؤول رفيع في هيئة القيادة العامة، "حدث هذا مبكراً جداً. لم يكن يجب علينا أن نصل إلى هناك". في اللغة العسكرية الدارجة اعتُبرت المعركة حدثاً "يكوي الوعي" أوضح للجيش الإسرائيلي مبلغ كون القتال في لبنان أشد صعوبة من القتال في المـــناطق. لكن للمعركة آثاراً تتجاوز ذلك. إذا كانت هناك حادثة وحيدة، أصبحت بسببها عملية "تغيير الاتجاه" حرب لبنان الثانية، فإنها معركة مارون الراس.

مـــساء المعركة، وقف الوجود البري للجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان عند نـــشاطات فـــرق صغيرة من الوحدات المنتخبة في عمق بضع مئات من الأمتار في الأرض اللبنانية. بحسب أوامر هيئة القيادة العامة، في الأسبوعين الأولين من القتال كـــان علـــى قوات الجيش الإسرائيلي الامتناع من دخول منطقة القرى في عمق

كيلومتـــرات معدودة والتي سُميت "القشرة". لكن سلسلة من التورطات، بلغت أوجها في معركة مارون الراس، جعلت هيئة القيادة العامة تواجه واقعاً جديداً. بعد يـــوم من انتهاء هذه المعركة كانت ثلاثة ألوية من الجيش الإسرائيلي قد أصبحت موجودة في عمق منطقة جنوب لبنان.

دُهشوا في هيئة القيادة العامة

ابـــتدأ الـــتورط بمقدار ضئيل. أُرسل فريق من "مغلان" في يوم الأربعاء، 19 تموز، في مهمة مراقبة على مئات الأمتار داخل لبنان، في حُرج عند سفوح مارون الـــراس. توقـــع 12 جندياً من "مغلان" أن يُصادموا في الأكثر اثنين أو ثلاثة من مقاتلـــي حزب الله. لم يخطر في بالهم أن يوجد بقرب موقع مراقبتهم نظام ملاجئ محـــصنة وأنفاق لحزب الله، يُسمى "محمية طبيعية". قرابة الساعة 11 شاهد جنود "مغـــلان" نشاطاً مريباً. بعد أن حصلوا على إذن أطلقوا النار وتبين لهم عندها أنهم مُحاطـــون بمواقع لحزب الله. في غضون وقت قصير أصيب تسعة جرحى من القوة الصغيرة وقُتل اثنان: يونتان هداسي ويوتام غلبوع.

دهـــشوا في هيئة القيادة العامة لسماعهم عن معركة "مغلان". يقول ضابط رفـــيع "لم يقصد أحد منا إلى مشط "المحمية الطبيعية" في هذه المرحلة. وافقنا على إدخال قوة لمنع إطلاق قذائف صاروخية على أفيفيم لا لدخول المحمية الطبيعية، بلغ التوجيه إلى الفرقة لكنه لم يبلغ إلى قوة مغلان".

في أعقـــاب هـــذه الحادثة الأليمة مع "مغلان" استقر الرأي على إدخال قوة أكـــثف في المنطقة، لتسيطر على أعلى نقطة في المنطقة ولتغطي من هناك على نحو مجد عمليات الجيش الإسرائيلي على امتداد الجدار. في الليلة بين يوم الأربعاء ويوم الخمـــيس أُدخلـــت فرق من دورية المظليين في المنطقة الشمالية من مارون الراس، وهي جبل يرتفع 917 متراً فوق سطح البحر.

في الغـــد صباحاً استُصرخ قائد منطقة أغوز، المقدم مردخاي كهانا، إلى قائد المـــنطقة العميد حام لفني. "القوة (قوة المظليين)، متورطة وتجب مساعدتها"، قال لفني لكهانا، "أُدخل هنالك واحسم المعركة".

قائد الوحدة عارض

أُقيمت "إيغوز" التي تتبع للواء "غولاني" في سنة 1995 من أجل القتال في لبنان. بعد انسحاب الجيش الإسرائيلي من لبنان أيضاً تابع جنود الوحدة تدربهم استعداداً للقتال في الأرض اللبنانية. لكن في واقع الأمر، انشغلت الوحدة في العمليات في المناطق و لم يُصادم جنودها النظاميون قط مقاتلين من حزب الله.

في اليوم الأول من عملية "تغيير الاتجاه" نفّذ جنود "إيغوز" عمليات في قرية الغجر. منذ ذلك الحين كانوا في ترقب. أُبطلت عملية معقدة، خُطط لها أن تُجرى في التاسع عشر من تموز، في اللحظة الأخيرة، لأن مخططاتها التُقطت في كاميرات فريق تلفاز إسرائيلي زار القاعدة الأم للوحدة. برغم ظمئه الشديد إلى عملية تنفيذية، عارض كهانا بحزم إدخال جنوده في وضح النهار إلى مارون الراس. زعم في مقابلة مع "يديعوت أحرنوت" أنه حاول مرتين إقناع لفني بتأجيل الدخول لليلة، من غير نجاح. وقال إن لفني قال له "لا تطمس ذلك. لن يكون الأمر في الليل ذا صلة". بعد ذلك تبين أن وضع المظليين لم يكن فظيعاً. لقد خرجوا من مارون الراس من غير مصابين وزعموا أنهم قتلوا 13 مقاتلاً من حزب الله.

لم يعرفوا في "إيغوز" شيئاً تقريباً عما ينتظرهم في القرية. تحدث ضابط في الوحدة قال "قالوا لنا إن المظليين في وضع كارثي، وأن القرية هجرها سكانها وفيها حزب الله. علمنا أن حزب الله يملك صواريخ مضادة للدبابات لكن لم نعتقد أنه يجب علينا الاستعداد لذلك. ما الذي يمكنك فعله عندما يطلقون عليك صاروخا؟".

الصواريخ المضادة للدبابات أصابت

في حوالى الساعة 15، بعد تسلق شديد، طوّق أوائل جنود إيغوز القرية وقطعوا الطريق بينها وبين بلدة بنت جبيل. رأى جنود السرية الرائدة، السرية ج، بقيادة الرائد بنجامين هيلمان، سيارة وفيها منصة إطلاق صواريخ داخل القرية، ودمروها. بعد ذلك فوراً أُطلق على القوة صاروخاً "ساغر" من جهة بنت جبيل. الصاروخ الأول هشم سوراً حجرياً دافع عن الجنود. والصاروخ الثاني أصابهم

مباشرة وقتل هيلمان، وحامل الرشاش المتقدم، الرقيب أول رفنئيل موسكال ورجل الاتصال، الرقيب أول ليران سعادية.

استُدعي جنود السرية ج للمساعدة في تخليص الجرحى والقتلى. تم التخليص تحت النار التي وصلت من عدة مواقع. قُتل أحد المخلصين، الرقيب أول يونتان فيلسيوك، بإصابة مباشرة بصاروخ "ساغر"، لكن رفاقه لم يشاهدوا جثته، لأنها دُفنت تحت جدار حجري انهار.

بمقابلة ذلك بدأت السرية بالسيطرة على بيوت في القرية. بحسب أمر جاء من الأعلى، تمت السيطرة بهدوء وبغير إطلاق نار تمهيدي نحو البيوت، بافتراض أنهم يُضائلون بذلك خطر التعرض للصواريخ المضادة للدبابات. في دخولهم أحد البيوت لاحظ حامل الرشاش المتقدم، الرقيب أول نداف بالوا، حركة مريبة. صاح بالعربية "قِف" وأطلق النار داخل البيت. أُطلقت رشقة طويلة من البيت وأصابته. مات بالوا في غضون زمن قصير. بعد ذلك بعد أن فجّر الجنود البيت، تبين أن مراقبين من حزب الله استعملوه وهم الذين سددوا الصواريخ التي أصابت هيلمان وجنوده.

حتى ساعات المساء نجح جنود إيغوز في إبعاد الجرحى الخمسة وجثث أربعة من القتلى إلى أحد البيوت التي احتلت في القرية. لم تكن حياة الجرحى مُعرضة للخطر، ولكن بسبب تعويقات لاستعمال دبابات التخليص وسيارات الإسعاف، نُقلوا إلى إسرائيل في الساعة الرابعة قُبيل الفجر فقط. في تلك الأثناء تبيّن للجنود، أن فلسيوك غير موجود. أمرهم قائد الوحدة كهانا بالبقاء في القرية إلى أن يتم العثور على الجثة. بعد ذلك جرى تحديد موقع الجثة ونُقلت إلى إسرائيل في الليلة بين الجمعة والسبت.

في ليل الجمعة دخلت مارون الراس قوات كبيرة من لواء المظليين. في الغد، عندما تبين أن إطلاق النار من بنت جبيل لا ينقطع، استقر الرأي على الاستمرار قُدماً نحو البلدة.

لم يكن لجنود إيغوز الكثير من الوقت للانتعاش من اليوم الأصعب في تاريخ الوحدة. بعد يومين من معركة مارون الراس انضموا إلى جنود غولاني في

معارك بنت جبيل. "بعد مارون الراس كان تجند مدهش"، كما يروي ضابط في إيغــوز، "ترك جنود وضباط الدورات وانضموا. وظهر جنود الاحتياط وطلبوا الانــضمام إلى الفــرق". ولكـــن طيلة القتال كله بقي إحساس عند إيغوز أن الــوحدة الأكثر "لبنانية" في الجيش الإسرائيلي لا تحظى بالتقدير الذي تستحقه. "استعملنا الجيش للسيطرة على مناطق، في مهام تشبه المهام التي حصلت عليها كــتائب ســـلاح المشاة العادية"، قال الضابط، "من المؤسف أننا لم نحصل على فرصة لإثبات قدراتنا المتميزة".

جنرالات ضد رئيس الأركان..

بقلم: مراسلين

هآرتس - 2006/7/29

رئيس الأركان الفريق دان حلوتس استدعى في أعقاب الحرب نحو مائة جنرال إلى لقاء يوم الثلاثاء القادم. وفي الجيش الإسرائيلي يقولون إن رئيس الأركان دعا الجنرالات كي يضعهم في صورة سياقات الحرب، طريقة اتخاذ القرارات والمعارك والسماع منهم.

وفي هذه الأثناء بدأ ثلاثة جنرالات في الاحتياط بصياغة رسالة انتقادية لرئيس الأركان عقب الإخفاقات في الحرب. وحسب القناة 10 طالب الجنرالات باستقالة رئيس الأركان. وقال أمس أحد مبادري الرسالة أنه "ظهرت مشاكل خطيرة في استخدام القوة وإدارة الحرب. وكان هناك سوء فهم جوهري كيف تدار الحرب. وهذا إضافة إلى الطعام، الماء والذخيرة. هذه الأمور أردنا أن نقولها لرئيس الأركان. وكانت هناك نية للحديث معه في مواضيع تتعلق بالمسؤولية الشخصية والمسائل المهنية التي ظهرت في الحرب. لدينا انتقاد لاذع على السلوك. وكم هو معروف، فقد أعدت صيغ مختلفة. الرسالة لم تكتب. ولا توجد إلا مسودة لها، بل وهي ليست موقّعة. ولا ريب أن أحداً ما ينبغي أن يستخلص الاستنتاجات ولكن الانتقاد موضوعي. ليس واضحاً إذا كانت الرسالة في نهاية الأمر سترفع إلى رئيس الأركان أم ستسلم له".

اللواء احتياط يورام يئير (يايا): "الميدان يعتمل. لا ريب أنه ظهرت بضع مشاكل جوهرية في سلوك الجيش. أنماط وقيم تآكلت. الجيش لا يحتاج إلى لجنة تحقيق رسمية كي يعالج هذا. نحن حقاً قلقون. التقيت ألوية، أعمدة، قادة ألوية في الاحتياط يعربون عن قلق صادق. بحثنا عن سبيل لإبلاغ رئيس الأركان بذلك، فيما نحن نبحث عن إبلاغه ذلك دون أن يتخذ الأمر تفسيرات. اتصلوا من مكتب رئيس الأركان وأبلغونا بأن هناك لقاء. الضائقة والقلق بالفعل قائمان. هذا هو

القـــسم الـــسليم. رغبتنا في المساهمة، في التأثير، في منح تجربتنا من أجل الإصلاح والتحسين لكثير من الأمور التي حصلت في الحرب. التجربة لا تشترى من البقالة. 24 سنة مرت منذ الحرب الأخيرة. واضح أن القادة الحاليين لم يراكموا - لحظهم - تجربة في الحرب، بينما في الاحتياط يوجد قادة كبار شاركوا في الحروب وكان يمكـــنهم أن يشكّلوا مستشارين لفرق التفكير حول الجنرالات، وحول قادة الفرق مثلما كان متّبعاً حتى هذه الحرب".

اللـــواء احتـــياط أوري سجي: "يوجد هنا قلق عميق لما حصل في الجيش في الفتـــرة الأخيرة وبالأساس تطلّع لإحداث تغيير. سنساعد قدر ما يلزم. أنا لا أدعو أحداً إلى الاستقالة. هذه ليست من صلاحياتي. المسؤول لا يحتاج إلى حوافز مني. أنـــا أطـــرح قلقي ومن حسب رأيه لديه مسؤولية عما يجري يفترض به أن يفعل ذلك. هذه ليست مهمتي أو مهمة رفاقي. نحن قلقون جداً. المسؤولية كانت على أكتافنا في الماضي. لم تكتب رسالة، لم نرسل رسالة. ما لدينا للقول سنقوله لرئيس الأركان. حان وقت الكلام". وبالنسبة لما نشر أمس قال يايا: "آسف لما نشر. هذا النـــبأ وكأنـــنا حاولنا دعوة رئيس الأركان إلى الاستقالة هو مشوّه ولا يضيفنا أو يـــضيفه أي احتـــرام. ما أريد أن أقوله لرئيس الأركان سأقوله له ولن أتحدث عبر الصحيفة أو التلفزيون". جنرال آخر ذكر أمس في القناة 10 اللواء احتياط دورون المـــوغ قـــال: "لم تكـــن هناك أي نية لإصدار هذا الأمر إلى الصحافة قبل اللقاء الشخصي مع رئيس الأركان".

رئيس الأركان ووزير الدفاع:
أزمة ثقة..

بقلم: بن كاسبيت

معاريف - 2006/7/29

أزمـــة ثقة حادة تسود مؤخراً بين وزير الدفاع عمير بيرتس ورئيس الأركان الفـــريق دان حلوتس. وحسب مصادر مقربة من الرجلين، فإن الحديث يدور عن شـــرخ حقيقي وعن علاقات عمل بعيدة عن أن تكون سليمة. ويعتقد بيرتس بأن حلـــوتس ينسّق مع رئيس الوزراء إيهود أولمرت، وكلاهما يعملان في محور مشترك ضده. أما حلوتس بالمقابل فيعتقد أن بيرتس يحاول أن يسقط على ظهره قصورات الحـــرب. وفي الوضع الحالي، فإن أجواء العمل بين الوزير ورئيس الأركان عكرة، ولـــيس هـــناك من يضبط الموجات، والشك كبير والثقة تهتز من يوم إلى يوم. أما الاثنان، بالمناسبة، فيجتهدان لإخفاء الشرخ، ويبذلان الجهود للحفاظ أمام الخارج على مظهر من أجواء العمل، وينفيان الأحاديث عن المشكلة بينهما.

وبلغـــت الأمور ذروتها عندما عرقل رئيس الأركان تشكيل لجنة الفحص التي أعلـــن عنها بيرتس قبل نحو أسبوعين، برئاسة رئيس الأركان الأسبق أمنون ليبكن شـــاحك. وســـارع حلوتس إلى طلب فتوى قانونية من النائب العسكري الرئيس لـــوّح بهـــا وأعلن لمقرّبيه بأنه لا يعتزم التعاون مع لجنة التحقيق وأنه سيأمر ضباط الجيش بعدم التعاون".

أما بيرتس فتميز غضباً، ولكن في ضوء التعاون بين حلوتس وأولمرت في هذا الموضـــوع اضطر للتنازل. وبالمقابل، عرقل بيرتس عمل لجان التحقيق التي أقامها حلـــوتس. ويفترض أن يترأس هذه اللجان رئيس الأركان الأسبق دان شومرون، المعـــروف بأنـــه مناور، ولكن القصة هي أن العضوين الآخرين: أحدهما هو اللواء احتياط إسحق إيتان، رئيس اللجنة من أجل الجندي. وقد أبلغ بيرتس إيتان بأنه لن

يمدد ولايته. وأبلغ إيتان من ناحيته أعضاء مجلس أمناء اللجنة من أجل الجندي بأنه يعتــزم الــبقاء في منصبه لسنوات طويلة بعد أن ينهي بيرتس منصبه هو في وزارة الدفاع. والرجلان يوجدان حالياً في وضع حرب وبيرتس مقتنع بأن تنصيب إيتان في لجــان الفحــص هذه يأتي ضده. وهكذا أيضاً في حالة العضو الثالث، يعقوب عميدرور، الذي يتبنى آراء يمينية ويعتبر عدواً لدوداً لبيرتس ومعسكره.

في هــذا الوضع للأمور، حيث يعطل رئيس الأركان ووزير الدفاع ويعرقلان الــواحد الآخر، من الصعب مواصلة العمل. وحسب المصادر ذات الصلة بعلاقات العمل بين الرجلين، فإن رئيس الأركان يجعل عمل وزير الدفاع في غاية الصعوبة، ويكثــر مــن العرقلة والتأخير لمبادراته. ويلوح بالفتاوى القانونية ويستغل انعدام التجــربة النسبية لبيرتس، الذي يفضل عدم الانجرار إلى مواجهة جبهوية ضده للّيّ ذراع الوزير. وفي هذه الأثناء، يتبين أن رئيس الأركان الأسبق إيهود براك يؤيد، في أحاديــث خاصة تشكيل لجنة تحقيق رسمية. وبراك لا يقول ذلك علناً ولكنه يشير إلى تأيــيده في الأحاديث الخاصة التي يجريها، مع أعضاء في الحكومة أيضاً. ويعتبر براك، ولا سيما في محيط بيرتس وغيرها من الأماكن، المرشح الرئيس لمنصب وزير الــدفاع القــادم إذا ما وعندما يقرر إيهود براك إحداث تغيير في الحكومة أو في الائتلاف.

نفي مشترك

مــن مكــتب وزير الدفاع والناطق بلسان الجيش الإسرائيلي جاء على نحو مــشترك بأن الادعاءات عديمة الأساس، وشبكة العلاقات بين وزير الدفاع ورئيس الأركان سليمة تماماً إذ أن الرجلين يعملان معاً من أجل دولة إسرائيل، والرجلان يلتقيان بشكل دائم وموضوعي.

معاريف – من عمير ربابورت:

محافــل في الجيش الإسرائيلي تدعو إلى الخروج من لبنان بأسرع وقت ممكن ..2006/7/29

بعد أكثر من أسبوعين من نهاية الحرب تتصاعد الدعوات في الجيش الإسرائيلي "للخروج من لبنان بأسرع وقت ممكن"، وذلك خوفاً من حوادث محلية مع حزب الله تتدهور إلى اشتعال متجدد وإنهاء وقف النار. على خلفية التعزيز الكبير لقوات اليونيفيل في جنوب لبنان، والتي من المتوقع أن يصل إليها حتى نهاية الأسبوع 5 آلاف جندي، طرح أمس في الجيش الإسرائيلي تقدير بأن خروج القوات "قريب جداً". وقدّرت محافل في جهاز الأمن أيضاً بأن خروج الجنود ليس منوطاً بوصول كل الـ 15 ألف جندي الذين يفترض أن يشكلوا القوة متعددة الجنسيات، مثلما صرحت إسرائيل في البداية.

انسحاب 6 ألوية عسكرية إسرائيلية - 4 ألوية مشاة و2 ألوية مدرعات - من جنوب لبنان من المتوقع أن ينفذ في الأسبوع أو الأسبوعين القريبين. وقدرت محافل عسكرية بأن القوات ستعاد إلى الحدود الدولية في خطوة واحدة. وبالتوازي، اقترح أمس الجيش الإسرائيلي على الجيش اللبناني، بواسطة الأمم المتحدة، نشر مواقعه على الحدود الإسرائيلية. ورفض اللبنانيون المبادرة، ونقلوا رسالة تفيد بأنهم يفضّلون بأن يكون بين قواتهم والجيش الإسرائيلي قاطع ضيق ينتشر فيه رجال اليونيفيل فقط. وإلى ذلك يتبين أن قوات ألمانية ستوافق على أن تعقد مثابة "دورة" للجيش اللبناني في معابر الحدود مع سوريا، حيث يفترض أن تكون رقابة تمنع نقل السلاح من إيران وسوريا إلى حزب الله. وألمانيا غير مستعدة لأن ينفذ جنود ألمانيون بأنفسهم عملية الرقابة. ولكن إسرائيل نقلت رسالة بأن تشكيل جهاز لبناني ناجع للرقابة على معابر الحدود الرسمية هو شرط لرفع الحصار الجوي والبحري الذي يستمر على لبنان منذ بداية الحرب. ومع ذلك، بشكل غير رسمي تقدّر محافل في إسرائيل بأنه حتى لو أقام الجيش اللبناني معابر فحص ناجعة، تحت إشراف تدريبي ألماني، فإنه لن يمنع تهريب السلاح إلى حزب الله عبر عشرات معابر الحدود البرية غير المرتبة.

دروس الحرب
كل شيء كان مفتوحاً..

بقلم: زئيف شيف
هآرتس - 2006/7/31

أجرى رئيس الأركان الإسرائيلي هذا الأسبوع نقاشاً في موضوع استعدادات الجيش الإسرائيلي لحرب قادمة. وفي الاجتماع فوجئ المشتركون - وهم رئيس الأركان، ونائبه وعدد من الجنرالات الكبار - الاكتشاف أنه في شهر آذار من هذه السنة قدّم مراقب الجهاز الأمني تقريراً ذكر فيه بصورة واضحة وحادة أن الجيش ليس مستعداً للانتقال الفجائي من حالة الهدوء العادية إلى حالة طوارئ وحرب، وهذا كما كان عليه الحال في السنة الماضية أيضاً. وذكر في التقرير أيضاً، أن "الخطط العملية للجيش الإسرائيلي ليست معدّلة". وطالب التقرير السابق التقليص السريع لهذه الفوارق الموجودة. وقد دعي إلى اللقاء في هيئة الأركان مراقب الأجهزة الأمنية العميد احتياط يوسف باينهورن.

وكان باينهورن قد شغل سابقاً رئيس مكتب وزير الدفاع بنيامين بن أليعيزر. وتعيين مراقب للأجهزة الأمنية حظي بقبول الحكومة. وفي كل عام يقوم هذا المراقب بإعداد تقرير سنوي شبيه لتقارير المراقب العام للدولة. لكن هذه التقارير لا تحظى بالنشر، وهي تقدم لوزير الدفاع، ورئيس الأركان ولقسم الإعداد في الجيش الإسرائيلي. أما الذين توجه إليهم الانتقادات فيطلب منهم تقديم ردود تفصيلية حول ما قاموا بإصلاحه من خلل كان قد ذكر في التقرير، لأن طواقم تابعة لهذا المراقب في الأجهزة الأمنية يواصلون العمل في المناطق وهذا ما فعلوه أيضاً في الحرب الأخيرة. وذكر أيضاً على هامش تقرير المراقب لسنة 2005 والذي نشر فقط في شهر آذار من هذا العام. جاء فيه أن تقرير المراقب السابق لسنة 2004 والذي نشر في 2005 اشتمل على نقاط لم يتم تعديلها.

وفي التقريــر الذي قدم في شهر آذار 2006 توجد نقطتان محددتان بشكل واضــح أن "غالبــية الخطــط الفعلية للجيش الإسرائيلي لم تعدّل منذ سنوات عديدة". وبالنسبة لذلك جاء أيضاً بأن التعديلات لا تتم من وقت لاخر أيضاً، ولكــن هذا لا يحصل في جميع الاتجاهات وان بعض المستويات القيادية للمناطق كمــا هــو الحال في القيادة الشمالية لم تحظَ بهذه التعديلات، وذكر أيضاً بأن الخطــط الفعلية لم تعدل "في جميع الجبهات الخاصة بالحرب". وقول آخر ذكر بحدة ورد في تقرير المراقب هو ما له علاقة بـــ "الاستعداد" للجيش الإسرائيلي في أيام الحرب، وخصوصاً في موضوع التجهيزات والذخائر. وهذا ما تم كشفه في يــوم 12 تمــوز، حين هاجم رجال حزب الله وإسرائيل قررت أن ترد بقوة كــبيرة وعلــى نطاق واسع. وكتب في التقرير أيضاً، أنه يجب الفحص بشكل أساســي الاستعداد للانتقال الفجائي من "عادي إلى طوارئ" وكذلك الفوارق الــتي اكتشفت تشكل أساساً للشعور بالضعف، وثانية، أن هذا ما تم الكشف عــنه حــين انــدلعت الحــرب، كمــا ركّز عليه التقرير في الفوارق ما بين الاســتخبارات الحربية. هذا يعتبر تقريراً مؤثراً من ناحية الاستنتاجات وبوجه يــستطلع القــادم. كمــا أنه وجّه توصيات إلى لجنتي الفحص، التي من المقرر تشكيلهما لفحص ما حدث داخل الجيش الإسرائيلي وفي المجالات الأمنية، للنظر إليها جدياً: لجنة شاحك، التي شكّلت من قبل وزير الدفاع عمير بيرتس، ولجنة حلوتس، برئاسة رئيس الأركان السابق احتياط دان شومرون.

لا يوقفون النار هكذا

بقلم: ناحوم برنياع

يديعوت أحرنوت - 2006/8/1

في يــوم الأحد صباحاً كانت كونداليزا رايس تنوي أن تطير من القدس إلى بيروت لمواصلة المحادثات مع فؤاد السنيورة. غيّرت الكارثة في قانا خططها. "عملي هنا الآن"، أوضحت للمراسلين الذين يرافقونها، شخصت رايس عن هنا أمس مع وقــف إطلاق نار جزئي، غامض، مُحيّر، وقف لإطلاق النار مشبع بالنار. ستأتي الــولايات المــتحدة بهذا القليل في يوم الجمعة إلى مجلس الأمن لتواجه ائتلافاً دولياً آخذ في الانتقاد آملة أن القرار الذي سيُتخذ هناك سيفضي إلى إنهاء القتال.

رايــس هــي بطلة الفصل الأول في هذه القصة الداحضة. الفصل الثاني كله إسرائيلي، وكله تقريباً مُحرج. إن قرار المضي نحو رايس اتخذه أولمرت وحده. إن ما حدث بعد ذلك، في الليلة ما بين الأحد والاثنين، هو درس في كيفية عدم إدارة الحكومة.

يــوجد للمــشاركين حجة واحدة حسنة: الجميع مُتعب، والجميع مرهق، والجميع يقوم بأخطاء.

انتظــرت أكثر دول العالم أسبوعين، وفي ضمنها أكثر النظم العربية، انتصاراً إســرائيلياً لم يــأت، عيل الصبر من يوم إلى يوم. عملت صور التلفاز من بيروت المدمرة عملها. وأفضت الحادثة في قانا بالضغوط إلى الغليان. توجّه وزراء خارجية مــن جميع أطراف الجماعة الدولية إلى رايس وطلبوا إليها أن تفرض على إسرائيل وقف إطلاق نار فوري.

اشــتد غــضب رايــس. فقد كانت ستتغلب على القتلى الـــ 54 في قانا، ونصفهم من النساء والأولاد لأن القوات الأميركية في العراق قامت وتقوم بأخطاء ليست أقل فتكاً. لكن رفض حكومة إسرائيل عرضتها أمام العالم ضعيفة، مُتحينة، عاجزة. كانت مضغوطة، وكرهت ذلك.

في الخامسة والنصف بعد الظهر وصلت إلى لقائها أولمرت. "يوم صعب"، قال لها أحد مستشاريه. "أصعب؟ أكثر كثيراً من صعب"، قالت. "يجب علينا التوصل إلى قـــرار علـــى ما نفعل". عرض المستشار لأولمرت بأن محادثة غير سهلة تنتظره. فكوندي غاضبة.

حاول أولمرت تسكينها. "ما حدث فظيع حقاً"، قال لها. لقد ازدادت عناداً. "يجـــب عليكم أن تساعدوا أنفسكم، لا أن تساعدوني. إذا ما أردتم الحصول على وقت بعد، فعليكم التخلي شيئاً ما"، فحتى قانا كان للإسرائيليين سبب لافتراض أن الأميركيين يمنحوهم عشرة أيام على الأقل. لكن قانا شوشت على كل شيء.

بيّـــنت رايـــس الصعوبة التي تواجه الولايات المتحدة في مجلس الأمن. فهناك يوجد تسعة أعضاء على الأقل، كل واحد ومصالحه، يجب عليهم التوصل إلى اتفاق علـــى سلطة القوة المتعددة الجنسيات. فرنسا، التي كانت تساير لمدة سنة ونصف سنة الأميركيين في موضوع لبنان، تركت هذه الجبهة وطرحت في يوم السبت على المائدة اقتراحا منها (يزعم الفرنسيون أن رايس قد هجرتهم: فبدل العمل معهم، في تعـــاون، اختارت العمل وحدها وأن تتقبل إملاءات إسرائيل. بمقابلة ذلك انتهت قـــصة الحب بين فرنسا وإسرائيل."إذا لم تتوصلوا إلى تفاهم معي، فستضطرون إلى تعلم الفرنسية"، قالت رايس.

الطلب الرئيس الذي طرحته، في محادثتها الأولى لأولمرت مع خروج السبت، قبل ساعات من كارثة قانا، كان أن تشتمل الصفقة مع لبنان على تنازل عن مزارع شبعا. أجابها أولمرت بما أجاب به في الماضي الرئيس بوش، وشيراك وبلير: إذا ما طُبق القرار 1559 كـــاملاً، وإذا ما أقام جيش لبنان وقوة متعددة الجنسيات على الحدود وراقبوا المعابر، فسيكون مستعداً لوزن الفكرة. ويوجد سؤال آخر أيضاً: ما هي مزارع شبعا، ومـــا هي مساحة المنطقة المُتحدث عنها. تستطيع إسرائيل أن تتخلى عن المزارع عند سفوح جبل دوف، لكن بعض اللبنانيين يطمعون في جبل دوف كله.

أوضح أولمرت ورجاله لرايس: التخلي عن المزارع الآن، بعد أن سقط 2500 صاروخ على إسرائيل، ليس في الحسبان. لا يجوز إعطاء نصر الله هذه الجائزة. لن يقبل الرأي العام الإسرائيلي هذا. سيكون هذا انتحاراً من ناحية سياسية.

عندما ذهبت رايس جلس أولمرت ليتبيّن هل يمكن التفضل عليها بشيء، كزاد للطـــريق، تناضل الولايات المتحدة من أجل إسرائيل وتدفع أثماناً باهظة. يجب على إسرائيل أن تُكافئها.

اقتـــرح عمير بيرتس أن تعلن إسرائيل عن وقف القتال لــ 24 ساعة. كانت ميزة اقتراح بيرتس وضوحه. وكان هذا أيضاً النقص فيه: بعد 24 ساعة من الهدوء كان من الصعب جداً تجديد القتال. رفض أولمرت الفكرة رفضاً باتاً.

قرر الاستجابة إلى مطلبين من مطالبها. الأول، فتح ممر إنساني لسكان جنوب لبنان لــ 24 ساعة. والثاني، وقف هجمات سلاح الجو لــ 48 ساعة على البيوت التي يُرتاب في أنها قيادات لحزب الله. "كيف ستمنعون قانا ثانية حتى انعقاد مجلس الأمـــن"، تحدّت رايس، وأصغى هو. منذ أسبوعين يُجري أولمرت جدالاً هادئاً مع الجيش في معنى مفهوم "القيادات". أصبحت البيوت منذ وقت فارغة من المقاتلين، وتثير صور دمارها غضب الرأي العالمي وتزيد الضغط لوقف إطلاق النار.

قرر أولمرت - وتوجه إلى لقاء غاضب مع وزير الخارجية الإيطالي.

هـــنا ابتدأت كوميديا (أو، الأصح، تراجيديا) أخطاء. توقع أولمرت أن يُعلن ديـــوانه للإعلام أن يفصل قراراته. تخوّف مستشاره الإعلامي، آسي شريف، من خـــصومة مع ناطقة الجيش الإسرائيلي. "القرار عسكري"، قال. "فليصدر الجيش الإعلان".

لم يكن في القرار شيء من الفخر. لم يتطوع أحد لإذاعته.

في أثناء لقاء المبعوث الإيطالي هاتف المستشار العسكري لبيرتس، العقيد إيتان دانغوت، للمستشار العسكري لأولمرت، اللواء غادي شمني. "إلى ماذا انتهت الأمور مـــع كوندي"، سأل. "نتج اتفاق على وقف إطلاق النار لا يوجد له وزن كبير"، قال شمني. "تجب مساعدة الأميركيين". "لا في الهاتف"، قال دانغوت لشمني. "أريد أن أرى نصاً مكتوباً".

في الـــساعة 8:58 مساءً وصل الفاكس إلى مكتب وزير الدفاع. بعد التاسعة بقليل تفرّغ أولمرت لمحادثة هاتفية مع بيرتس. اقترح بيرتس أن يُسلم رايس القرار، في اللقـــاء بيـــنهما الذي حُدد موعده أمس صباحاً. رفض أولمرت. "دعني أعالج

ذلك"، قال. لم يعترض بيرتس على القرار. "إذا كنت قد قررت فليكن"، قال لأولمرت. اقترح تعديلاً ضئيلاً للنص. قال أولمرت إنه سيزن ذلك.

بعد ذلك فوراً دخل بيرتس لتقدير الوضع مع رؤساء الأذرع الأمنية. قرأ عليهم مسودة الإعلان. كان قادة ألوية الجيش غير راضين بوضوح. "أنا أتفهمكم"، قال لهم بيرتس، "ولكن لا يوجد ما نفعل. يجب أن نعطي كوندي شيئاً. ابدأوا الآن في ترجمة القرار إلى واقع".

سأل ألوية الجيش، من جملة ما سألوا، هل يعني القرار ألا تساعد طائرات سلاح الجو في العمليات البرية. اتصل دانغوت هاتفياً بشمني. "متأخر جداً"، قال له شمني. "نقلنا الإعلان إلى الأميركيين".

"صححوا على الأقل النص العبري"، اقترح دانغوت.

في العاشرة وعشرين دقيقة تلقى دانغوت فاكساً آخر من شمني. "هذا هو النص النهائي"، قيل له.

اهتم شمني بإذاعة القرار على الجيش. تحدث إلى ناطقة الجيش الإسرائيلي أو نائبها وإلى رئيس مكتب رئيس الأركان. يفترض أن ينقل ديوان رئيس الحكومة أوامر إلى الجيش عن طريق مكتب وزير الدفاع فقط. توجهت ناطقة الجيش الإسرائيلي ميري ريغف بسؤال إلى المستشار العسكري لوزير الدفاع. هل يجب عليها إصدار إعلان؟ بحسب أقوال دانغوت، في ذلك الوقت فقط، في الحادية عشرة و15 دقيقة ليلاً، علِم أن وزير الدفاع يفترض أن يصدر الإعلان. في تلك الساعة علم أيضاً أن النص قد غُيّر بضغط من الأميركيين. لم يُقل له الآن ما الذي سيواصل سلاح الجو فعله، بل ما الذي سيُحظر عليه فعله.

مضى دانغوت إلى بيرتس. قال له إن ديوان رئيس الحكومة يطلب أن يصدر هو الإعلان. ظن دانغوت أنه يجب أن يُلبي، لكن ريبة بيرتس قد ثارت. ربما يحاول أولمرت أن يلقي عليه ملفاً. "قال أولمرت إنه سيعالج الأمر"، قال بيرتس. "فليعالج ذلك".

عاد دانغوت إلى شمني مع الجواب. في تلك الأثناء علم من ناطقة الجيش الإسرائيلي ورئيس مكتب رئيس الأركان أنهما تلقيا توجهات مباشرة من اللواء شمني. غضب، وأشرك بيرتس في غضبه.

عندما قيل لمصاحبي رايس مضمون الإعلان الإسرائيلي قيل لهم إنه سينشر في إسـرائيل بـين العاشرة والحادية عشرة مساءً. سأل الأميركيون متى نستطيع نشر إعـلان صـادر عنا. بعد ساعة، قال الإسرائيليون. في منتصف الليل أصدر ناطق وزارة الخارجـية الأميركية إعلاناً بالقرار الإسرائيلي. بُث القرار في نشرة خاطفة خاصة، دراماتية جداً، في شبكة الـ سي. أن. أن. وبهذا علم به العالم.

(يزعم مكتب وزير الدفاع أن وكالة رويترز بشّرت بالقرار قبل ذلك بساعة على الأقل. الاستيضاح الذي تم أمس في رويترز لم يُبيّن إعلاناً في هذا التوقيت).

بـين منتصف الليل والواحدة قبيل الفجر تُغلق الصحف اليومية. الإعلان في الـ سي. أن. أن. جعلها تقفز إلى السماء. إذا كانت حكومة إسرائيل مضطرة إلى الاختباء وراء إعلان أميركي ففي هذا دلالة على أنه قد حدث شيء مُدوٍ ومقلق، وإشكالي. يستطيع نصر الله الاحتفال.

في أثـناء المـساء لم يُـصدر ديـوان رئيس الحكومة توجيهات إلى الجيش الإسرائيلي. كان دانغوت قلقاً: يجب على الضابط الذي يجلس في مقر سلاح الجو ويـوجّه الطـيارين أن يفهم إلى ما يُقصد بالضبط. لقد صاغ توجيهات من تلقاء نفسه. في الواحدة والنصف قبيل الفجر قرأها على شمني. لقد حظرت قصف مبانٍ بجـوار منصات إطلاق ومساكن لأفراد حزب الله، وأنصار غير نشطاء وبنى تحتية. قال شمني إن التوجيهات كاسحة جداً. يجب إعطاء الجيش الإسرائيلي حرية عمل. في الغـد صباحاً أصدر توضيحاً. يزعم دانغوت أن التوجيه وصله في الحادية عشرة صباحاً فقط.

في تلك الساعة كانت رايس وحاشيتها في الجو، في الطريق إلى واشنطن. ولما كانـوا ما يزالون في الجو سمعوا بعملية سلاح الجو. هاتفوا ديوان أولمرت واشتكوا أن الجيش الإسرائيلي ينقض الالتزامات التي أعطاها أولمرت.

ابـتدأت دورة جديـدة من الاستيضاحات بين المكاتب، ما الذي قصد إليه أولمرت، وما الذي قصد إليه بيرتس، وما الذي قصد إليه الجيش، وما الذي اعتقده الضابط في مقر سلاح الجو. وهكذا دواليك.

اتساع النقد ضد أداء
الجيش الإسرائيلي في الحرب

بقلم: عاموس هرئيل وآفي يسسخروف

2006/8/3

الخطـــاب السنوي في احتفال التخرج في كلية الأمن الوطني في غليلوت يعتبر فرصـــة يعـــرض فـــيها رؤساء الوزراء في إسرائيل مذاهبهم الاستراتيجية. وبفضل الظـــروف، كرّس إيهود أولمرت خطابه يوم أمس أساساً للحرب في لبنان وآثارها. ولكـــن أقوال رئيس الوزراء، في خطاب ألقاه ارتجالاً، بدت أمس فصولاً منقطعة بعـــض الشيء عما يجري على الحدود الشمالية. فعندما أعلن أولمرت بأنه تحقّق في الحرب منذ الآن "إنجازات لا سابق لها، غيّرت وجه الشرق الأوسط" تساءل ضباط كبار بين الجمهور: "هل يحتمل أن يكون يرى ذات الحرب مثلنا؟".

ضباط الجيش الإسرائيلي يعرفون بأن القصة في الشمال أكثر تركيباً مما تعرض في الخطابـــات الاحتفالـــية في وسط البلاد. فمع الأسبوع الرابع من القتال يتسع الانـــتقاد في الجـــيش على إدارة الحملة حتى الآن. وهو لا يتركز فقط على القيادة السياسية، والتي يعد دورها فيما يجري دوراً لا بأس به، ولا حتى على فرقة الجليل. بـــل جـــرى الادعـــاء بأن لهيئة الأركان دوراً فيما يجري. فمن يعتقد بأن وسائل الإعـــلام تـــدق مرة أخرى سكيناً في ظهر المجهود الحربي ينبغي له أن يسمع بأي مفاهـــيم يتحدث الضباط، من رتبة نقيب وحتى أعضاء في هيئة الأركان. وادعى هؤلاء الضباط لو أن "هذه الخطوات الإسرائيلية كانت عرضت كمناورة في كلية الأمن الوطني، لما حصلت على علامة تقدير ناجح". وآخرون يتحدثون عن خطيئة الغرور، عن التفكير بأن سلاح الجو سيتغلب على مشكلة الكاتيوشا وحده تقريباً وكـــأن بلبنان صيغة متكررة لهجوم ناتو في كوسوفو في العام 1999، وعن الإهمال المتواصل لتدريبات وحدات الاحتياط ومعداتها. وهناك ضباط يدعون أن التحقيق

في الحـــرب سيحدث هزة أرضية في الجيش الإسرائيلي. ولكن إلى جانب الانتقاد، ينـــشأ أيضاً أمل، يستند إلى التغيير في طبيعة العمليات العسكرية منذ يوم أمس. ما كان ينبغي أن يتم قبل أسبوعين يتم الآن: تقدم خمسة طواقم لوائية (وقريباً سيرتفع العـــدد) على طول معظم الجبهة، من المطلة وحتى زرعيت. وتدخل القوات بقوة أكـــبر، بعد قدر أكبر من الضجيج الجوي وفي حوزتهم دروساً أخرى ومعلومات اســـتخبارية تجمعت في أيام الانتظار. والهدف هو ضرب القوة الجنوبية لحزب الله، وحـــدة ناصر ولكن أيضاً السيطرة على قطاع بعمق 5 - 7 كيلو متر عن الحدود: وســـتكون هـــذه ورقة المساومة بيد إسرائيل حتى مرابطة قوة متعددة الجنسيات. الـــسيطرة على الأرض، والتي تقع في بعض منها على تلة عالية، ستسمح بتشويش بعـــض إطلاقات الصواريخ حتى من المناطق الشمالية من ذلك. وعملياً فُتحت هنا المعركة على الجنوب.

حقيقة أن وضعنا غير لامع، لا تعني أن وضع حزب الله أفضل. فالمعضلة أمام حسن نصر الله هي هل التمسك بقرى الجنوب - المنطقة التي أصبحت فيها منظمته رمزاً - ودفع الثمن لقاء ذلك بخسارة المزيد من المقاتلين، أم قطع الصلة، مع علمه أن الأمـــر ســـيعتبر هزيمة. وكقاعدة، فإن العصابات تفضل التملص من المواجهة المباشرة، وانتظار مرحلة ثبات الجيش على الأرض وعندها ضربه. ليس واضحاً إذا كـــان لحـــزب الله هذه المرة امتياز كهذا. ومن جهة أخرى فإن خسائره آخذة في التراكم. وبتقدير الجيش الإسرائيلي، فقد حزب الله نحو 300 من رجاله في معارك الجـــنوب، بيـــنهم نحو 50 من رجال الوحدة النخبة، القوة الخاصة. وكدرس من "حـــروب النار" الحملتين السابقتين للجيش الإسرائيلي في لبنان ("تصفية الحساب" في العـــام 1993 و"عناقـــيد الغضب" في العام 1996)، والتي اكتفت فيها إسرائيل بالقـــصف مـــن الجو وبإطلاق النار من بعيد، اختار حزب الله نشر قواته. فقد نشر المقاتلـــون ومنصات إطلاق الصواريخ بين القرى وفي المواقع الطبيعية وذلك كي لا يوفـــروا للجيش الإسرائيلي أهدافاً للضرب. أما الآن، ولا سيما حيال الهجوم على عـــرض الجبهة، فإن المنظمة كفيلة بأن تجد صعوبة في حشد الجهود، ولا سيما في ضوء الضربة الكثيفة للبنى التحتية للطرقات في الجنوب.

أحد أساليب حزب الله في التغلب على هذه المصاعب هو استخدام وحدات على الدراجات، تتحرك في المنطقة وتحاول التملص من العوائق التي وضعها الجيش الإسرائيلي، وتعدّ المنظمة مفاجآت خاصة بها: ليس فقط صواريخ مضادة للدروع بل حفر في الطرقات دفنت فيها عبوات بوزن مئات الكيلوغرامات، بعضها انفجر تحت الدبابات. ويعلّق حزب الله أملا بتهريب المزيد من السلاح من سوريا، الأمر الــذي يمكن الجيش الإسرائيلي حالياً من تشويش معظم هذه المحاولات. ولا تزال المنظمة قادرة على تحريك المقاتلين: فالمعارك في عيتا الشعب أمس وقعت في القرية علــى مسافة 2 كم عن الحدود، وهي المنطقة التي يفترض زعماً أن تكون اجتازت معالجة جذرية.

وفي هــذه الأثناء فإن الأنباء من العالم العربي لا تسر القلب، رغم الشرق الأوسط الجديد لأولمرت. فالرئيس اليمني علي عبد الله صالح، دعا أمس الدول العــربية إلى فتح الحرب مع إسرائيل، غير القادرة حتى على التغلب على حزب الله. أمــا في رام الله فقال هاني الحسن، من قادة فتح إن الفلسطينيين سيعملون "كــل مــا يطلــبه مــنا نصر الله". وفي البوتقة المتلظية في لبنان، يفكر الجيش الإسرائيلي الآن بإدخال قوات الاحتياط أيضاً. ومع أن التأخير في توسيع الحملة الــبرية أتاح تدريباً عاجلاً، ولكن لم تتمكن كل الوحدات من تغطية الفجوات الــتي نــشأت في السنوات الماضية. وأمس عندما زار وزير الدفاع عمير بيرتس الــشمال تــوجّه إليه جندي من وحدة نخبة احتياطية قائلاً: "جميعنا امتثلنا مع دوافع عالية. ولكن رجاء، استخدمونا بطريقة ذكية. رأينا الصور لبنت جبيل. ونحــن نعرف أي معدات وأي تأهيل تلقّينا. لا تدخلونا إلى مغامرات لا يمكننا التصدي لها".

نرى النهاية..

بقلم: أليكس فيشمان

يديعوت أحرنوت 2006/8/3

مـــن الصعب التصديق ولكننا بدأنا نرى النهاية. هناك احتمال معقول في أن يـــتخذ في نهاية الأسبوع قرار بوقف إطلاق النار. وفي هيئة الأركان باتوا منذ الآن يستعدون لليوم التالي.

ســـيكون هذا وقف للنار من النوع السائل والأكثر هشاشة. ووقف النار لا يبـــشّر بالضرورة بالهدوء في أسابيعه الأولى. سيكون هذا بقدر أكبر مثابة "تجميد وضع انعدام الاستقرار" مع إمكانية كامنة للاشتعال في كل لحظة معينة. فبعد ثلاثة أســـابيع من القتال كان يمكن التوقف بأن يكون أحد ما أكثر حزماً. ولكن هذا، كما يبدو هو الموجود.

يـــوم الاثنين نجحت الإدارة الأميركية في كسب المزيد من الوقت من أجلنا، بضعة أيام أخرى من القتال. وكان وزراء الخارجية الأوروبيون يوشكون على أن يـــرفعوا إلى مجلس الأمن مشروع قرار لوقف فوري لإطلاق النار، دون أي شرط. ومـــن ناحـــية إســـرائيل - فإن هذا هو الوضع الأسوأ. وجند الأميركيون الألمان والبريطانيين لإسقاط هذا القرار. وفي أحاديث خاصة مع أن أصدقاءنا في واشنطن غاضبون علينا، وخائبو الأمل منا، ولا سيما بسبب النتائج العسكرية المتحققة حتى الآن - إلا أنهم يقاتلون في سبيلنا بأسنانهم. فجاجتكم تقتلنا - هذا هو التعبير الذي يـــسمعه هـــذه الأيـــام الإسرائيليون ممن لهم علاقات عمل مع موظفين في البيت الأبيض، ومع ذلك فإننا لا نـــزال نعتبر في نظرهم أخيار نقاتل الأشرار.

ومـــع نهاية الأسبوع سيبحث مجلس الأمن في مشروع قرار آخر لوقف النار، تـــبلوره الآن وزيرة الخارجية الأميركية. وهنا يدور الحديث عن تطبيق وقف النار بالتوازي مع سلسلة طويلة من الشروط، في أساسها انتشار قوة متعددة الجنسيات

تكـــون ناجعة كفاصل بين إسرائيل وحزب الله. والمداولات في مجلس الأمن ستبدأ يوم الخميس. وزيرة الخارجية قد تنجح مرة أخرى في أن تشتري لنا يومين آخرين لاعتـــبارات إجرائية. وفي مسودة المشروع الأميركي توجد عناصر تحتاج إلى المزيد مـــن الدراســـة. فمـــثلاً: تعريف تفويض القوة متعددة الجنسيات والجدول الزمني لانتـــشارها. هذه المواضيع تفترض الحوار. والحوار يستغرق وقتاً عندها ربما يكون بوسعنا مواصلة القتال حتى يوم الأحد. وإذا ما أقرت بالفعل صيغة القرار الأميركي - فـــإن الـــنار ستتوقف. والوضع، كما أسلفنا سيتجمد. وماذا بعد؟ ماذا يحصل عندما تصل القوة متعددة الجنسيات؟ توجد هنا بضع إمكانيات تبحث الآن، بما في ذلك في الجيش الإسرائيلي. إحداها هي بقاء الجيش في مكانه. أي في ذات المواقع المـــشرفة في جـــنوب لبـــنان والتي تمكن من الوصول إليها. الثانية: خروج الجيش الإســـرائيلي مـــن جـــنوب لبنان وإشرافه على عدم تسلل حزب الله جنوباً بالنار المضادة: الطائرات، المدفعية، الدوريات والتوغلات المدرعة.

هاتـــان الإمكانيتان تستدعيان استمرار الاحتكاكات والاشتباكات النارية مع حزب الله، ناهيك عن أن الإيرانيين والسوريين يحاولون كل الوقت الزج بمزيد من المعـــدات العـــسكرية لحزب الله. الشاحنات السورية يهاجمها سلاح الجو. ولكن الإيـــرانيين يحاولون نقل المعدات القتالية من نطاقهم - كصواريخ بحر - بحر التي فاجـــأت الـــبارجة الإســـرائيلية - عبر الجو. وحسب مصادر عربية، فإن الأتراك والأردنيين يمنعون عبور طائرات نقل إيرانية في أراضيهم. كما أن الإيرانيين يحاولون نقل المعدات عبر البحر. حالياً صدّت هذه المحاولات.

كمـــا تـــوجد فكرة - لا تبدو معقولة - في أن يخرج الجيش الإسرائيلي من لبنان فينـــزل إلى الجنوب ويحتل مواقع على طول الحدود الإسرائيلية، حتى وصول القوة متعددة الجنسيات. فكرة أخرى تتدحرج في الأروقة الدبلوماسية وتبدو أكثر معقولـــية هـــي إرسال قوة عسكرية تنظيمية، من إحدى الدول الأعضاء في الناتو تنتشر في الجنوب حتى وصول القوة متعددة الجنسيات.

ودوماً توجد فرصة - وإن كان باحتمالية أدنى من ذلك - ألا يتخذ قرار في مجلس الأمن بوقف النار في نهاية الأسبوع، ولا يرفع مشروع قرار أميركي في المدى

المــنظور بسبب الخلاف مع الشركاء في مجلس الأمن. في مثل هذا الوضع سينتقل الجــيش الإســرائيلي إلى درجة أخرى في القتال البري ويستخدم قوات الاحتياط. وهذا الفصل هو الآخر ينقسم إلى قسمين. في المرحلة الأولى ستنفذ الخطة للسيطرة علــى مزيد من المناطق في جنوب لبنان، حتى الليطاني. وإذا لم يتخذ حتى في سياق هــذه العمليات قرار بوقف النار، فسنعود إلى "الصنوبر الكبير" المذكورة في حملة ســلامة الجليل: الجيش الإسرائيلي سينتقل إلى العمليات شمالي الليطاني. وكل هذه الطــبخة المؤدية إلى وقف النار تغلي الآن بالذات، في الوقت الذي يتحدثون فيه في الجــيش أخيراً عن الزخم. فالعمليات البرية بدأت تعطي ثمارها، وفجأة كل شيء ينــبض. والــيوم ستنضم إلى القتال البري قوات إضافية توسّع الضغط على معاقل حــزب الله في جــنوب لبنان. والجيش الإسرائيلي ينفّذ عمليات تمشيط وإبادة - ولــيس احــتلال للقرى. رجال حزب الله لم يغادروا المنطقة. وهم يتمترسون بين المباني في القرى والبلدات.

القــتال يجــري عندما يدخل مقاتلو الجيش الإسرائيلي إلى المنطقة المبنية. ولا توجد على الجيش أي قيود بالنار - كمساعدة للقوات - لا من الجو ولا من البر. عشرات القرى في الجنوب اللبناني تبدو اليوم وكأنها بعد هزة أرضية، خرائب.

وأمــس في الساعة الثانية بعد منتصف الليل انتهى القيد الذي فرضته إسرائيل على نفسها في مجال العمليات الجوية. ومن المعقول جداً الافتراض بأنه بالتوازي مع عــودة ســلاح الجــو إلى النــشاط الكامل - ستعود أيضاً الكاتيوشا. وقف نار الكاتيوشا في الأيام الأخيرة يدل على أنه لا يزال في حزب الله توجد قيادة، وأنه لا يزال هناك سيطرة.

حــزب الله، حــتى بعــد ثلاثة أسابيع من الضرب - يواصل كونه العنصر المركزي في كل سيناريو لوقف إطلاق النار.

فشل 2006

بقلم: عوزي بنــزيمان

هآرتس - 2006/8/2

بعد أن تسبب الصاروخ بثني جناح الطائرة في حرب يوم الغفران، كما كان قــد قال عيزر وايزمن، قامت القيادة العسكرية بتعيين ضابط كبير لصياغة أسلوب قــتالي جديد يُعيد لسلاح الجو قدرته على الحسم. النتيجة ظهرت في حرب لبنان الأولى: ســلاح الجو أباد المنظومات الصاروخية السورية وأسقط 80 طائرة سورية عندما حاولت التدخل في الحرب. كل طائراتنا عادت إلى قواعدها سالمة.

هذا لم يحدث بعد انسحاب الجيش الإسرائيلي من لبنان في عام 2000. خطأ إيهــود بــراك وأريئيل شارون، كرؤساء للوزراء، لم يكن في امتناعهما عن الرد العــسكري علــى اختطاف وقتل الجنود على يد حزب الله، وإنما في أنهما لم يُعدّا الجيش والدولة لمواجهة منظومة نصر الله الصاروخية. في نهاية المطاف نقول إنه ليس مــن البديهي أن تشن دولة على جارتها حرباً كبرى بعد حادثة حدودية محلية حتى وإن كانــت هذه الحادثة دموية ووقحة. من يحاسب براك وشارون الآن لأنهما لم يــشنا حرباً وقائية ضد صواريخ حزب الله، يشبه من يتهم كل حكومات إسرائيل مــنذ عام 1974 لأنها قبلت بالخطر الكامن في تسلح الجيش السوري. من الناحية الأخــرى كان خطأ شارون وبراك الذي لا يُغتفر هو عدم التخطيط للحرب التي نشهدها اليوم من حيث إعداد سلطات الدولة والجيش على كافة الأصعدة.

الفــشل الذي يلوح في الأفق في المجابهة مع حزب الله، ليس نابعاً من غياب الدافعــية والاستعدادية للتضحية أو التشكيك في عدالة الحرب. بل على العكس، هذه الأسس التي تعتبر شرطاً أساسياً لقيام الأمة بالدفاع عن نفسها، ملموسة جيداً في ســلوك المــستوى المقاتل وعزيمته القتالية، أضف إلى ذلك أن الانطباع هو أن الأجــواء المهيمــنة على القيادات التي تُدير الحرب موضوعية ومتمسكة بالهدف وخالــية مــن الاعتبارات المصلحية الغريبة. الجيش الذي خرج قبل ثلاثة أسابيع

لمــواجهة حزب الله مشبع بالإيمان بأنه يقاتل من أجل بيته: هو لم يتجاوز الحدود لتحقيق مصالح غربية أو دوافع تتعلق بالهوس والغطرسة. الجيش الإسرائيلي اجتاح تجمعــات حزب الله حتى يُزيل من هناك تهديداً حقيقياً، وتعليم من يرفع يده على إسرائيل درساً، واستعادة قوتها الردعية الضرورية في هذا المحيط الهائج الذي تسكن فــيه. الجيش الإسرائيلي هو جيش مسلح جيداً، ولديه قيادة مهنية وتناسب القوى محسوم لصالحه – ومع ذلك، لم يحقق النتائج المرجوة من المعركة.

الــتوقعات لا تتحقق لأن قادة الدولة لم يُعدّوها بصورة ملائمة لهذه اللحظة. شــارون عرف بأمر القوة التي يُراكمها حزب الله، والتهديد الذي تمثله، إلا أنه لم يستوعب المغزى كله على ما يبدو. هنا وهناك كانت ترد إليه وجهات نظر منبّهة للحاجة إلى إنشاء طرق دفاعية وهجومية جديدة إذا خصص لها الموارد المطلوبة من أجل الانتصار في الحرب ضد حزب الله، إلا أنه تردد في الاستجابة. ست سنوات مــرت مــنذ عام 2000 من دون أن يقوم الجيش والدولة بإعداد الجبهة الداخلية لمــواجهة الــصواريخ، وجمع معلومات استخبارية تفصيلية ودقيقة حول منظومة الصواريخ والتحصينات التي أقامها حزب الله، وكذلك شراء وتطوير سلاح مضاد للصواريخ وبناء نظرية قتالية في مواجهة التهديد الإرهابية. والأمر الذي لا يقل عن ذلــك أهمــية: الاستعداد كما يجب على الجبهة الإعلامية التي تجري فيها الحرب لكسب الرأي العام. الضائقة التي تُلمس في الأيام الأخيرة تُدلل على أن قيادة الدولة لم تنجح في هذه المهمة.

خطــأ إيهــود أولمرت المصيري كان أنه شن الحرب الشاملة من دون أن يتأكد من قدرة الجيش على تحقيق الغاية من ورائها. أولمرت دخل الباب الذي أحجم براك وشارون عن دخوله. الآن ها هو ينجرّ وراء الجيش الذي يسعى إلى تحسين مواقعه من خلال إرسال قوات برية كبيرة. حتى إذا كانت هذه الخطوات إيجابــية التأثير في نهاية المطاف، فسيكون على الحكومة والجيش أن يبدأوا بعد الحــرب مباشرة في الاستعداد الجدي للتهديدات الإرهابية (والنووية) التي تلوح في الأفق.

أكثر الحروب فشلاً

بقلم: زئيف شترنهال

هآرتس – 2006/8/2

لا يمكن لأي واقع كان أن يعيش لمدة طويلة من دون غطاء إيديولوجي. هذا ما يحدث عندما يتم رفع وتضخيم عملية عسكرية فاشلة إلى مستوى الحرب الوجودية. عندما أدرك الجميع أن عليهم أن يجدوا غطاءً أخلاقياً، سواء لأحجام الدمار الذي زرع في لبنان وتقتيل المدنيين هناك، أو القتلى والمصابين الإسرائيليين (لم يعودوا يتحدثون عن تعريض كل المنطقة الشمالية المدنية إلى ضربات العدو مع إبقاء ثلث السكان في الملاجئ في ظروف مشينة)، تم ابتداع حرب وجودية، التي من طبيعتها أن تكون طويلة ومرهقة.

هكذا تحولت حملة عقابية جماعية بدأت بتهور وتسرّع ومن دون دراسة، وبناء على تقديرات رديئة، بما في ذلك وعود عسكرية ليس بمقدور الجيش أن ينفّذها – إلى حرب حياة أو موت، وأشبه بحرب استقلال ثانية. في الصحف بدأت تظهر مقارنات مخزية بين مكافحة النازية وبين الحرب الحالية، الأمر الذي تسبب في تحويل دم ضحايا الكارثة من اليهود إلى مهزلة. مهندس هذه العملية الفاشلة سبق غيره في ذلك، إذ خرج علينا بخطاب تشرتشلي ووعد الناس بالدم والدموع حتى يغطي على إخفاقاته. صحيح أنه لا حدود للوقاحة. ويجب القول بأن الناطقين بلسان الحكومة، بما فيهم الوزير إسحق هيرتسوغ ونتنياهو والناطقة بلسان الجيش، أنهم لم يطلقوا مثل هذه الدعاية الرخيصة.

في المقابل تم تقليص أهداف العملية خلال الأسابيع الثلاثة الماضية، ومن استعادة قوتنا الردعية وتصفية حزب الله إلى هدفنا الحالي وهو إبعاد مواقعه الأمامية ونشر قوات دولية للدفاع عن شمالي إسرائيل من الهجمات المستقبلية.

في هذه النقطة أصبح المواطن العادي حائراً، وهل تُستعاد قوة الجيش الردعية بهذه الطريقة التي تعطي نتيجة معاكسة تماماً. لقد تبين أمام العالم كله

أن سلاح الجو "الجبار" لم ينجح خلال ثلاثة أسابيع في إيقاف الصواريخ، بل واحتاج إلى شحنات أسلحة طارئة أخرى مثلما حدث في يوم الغفران. كما ويسأل المواطن البسيط نفسه سؤالاً آخر: إذا كان بضعة مقاتلين من الفدائيين يشكّلون خطراً وجودياً على إسرائيل ذات القوة الساحقة والأسلحة التي لا يوجد لها مثيل في العالم، فكيف حدث أن قادته لم يسمعوا عن ذلك التهديد ولم يروه؟

نحن فعلاً لم نفكّر بأي شيء منذ عام 2000، إلا في المسألة الفلسطينية، حيث وجّهت إسرائيل كل جهودها الوطنية لفك الارتباط، ومن ثم لانشقاق الليكود وإقامة كديما كأداة تنظيمية لتنفيذ "الانطواء" من خلف الجدار الفاصل، بعد أن وقعنا تحت تأثير التنويم المغناطيسي "للخطر الفلسطيني". حددوا للعامين أو الأربعة القادمة جدول أعمال وطني لتجسيد "تركة شارون": ترسيم الحدود مع المناطق بصورة أحادية الجانب، وتحطيم المناطق إلى كانتونات والقضاء على إمكانية إقامة دولة فلسطينية فيها. من هنا أدرك المواطن أن هذه هي المسألة التي ستحسم مستقبل إسرائيل.

الدليل الأكثر وضوحاً لسلم الأولويات الوطني هو الوضع الذي وصلت إليه الوحدات القتالية في الجيش. لم يكن سراً أن الجيش قد توقف عن التدرب تقريباً في وحدات كبيرة وعلى عمليات معقدة، وغرق كله في الصراع ضد الانتفاضة الفلسطينية. عندما تتحول ألوية سلاح المشاة إلى قوة بوليسية متمرسة في حراسة الجدران واقتحام مخيمات اللاجئين أو ملاحقة الخلايا التخريبية بين أغراس الزيتون، وعندما يصبح عدد المطلوبين الذين يضبطون مقياساً لمدى نجاح الضابط المسؤول وليس رؤيته القتالية وقدرته على قيادة وحدات كبيرة، يبدأ الجيش في التعفن.

أنا لا أذكر أن فرق الاحتياط التي استُدعيت في حرب الغفران في عام 1973، أو الإسرائيليين الذين عادوا كأفراد من الخارج للانخراط في الحرب، كانوا بحاجة إلى تدريب وإنعاش. وبالرغم من ذلك أُقيمت لجنة تحقيق للتحقق من مستوى جهوزية القوات للقتال.

حــــرب حزيران وحرب الغفران كانتا حروباً وجودية، والجيش ظهر فيهما بكل عظمته وسموه. الحرب الحالية هي أكثر الحروب التي خضناها فشلاً، وبصورة تــــزيد عــــن حــــرب لبنان الأولى التي كانت قد أُعدت بصورة جيدة من الناحية العــــسكرية، حــــيث حقق فيها الجيش كل الأهداف التي وضعها شارون باستثناء السيطرة على شارع بيروت - دمشق.

مــــن المخــــيف أن يخطــــر في البال أن من قرر شن هذه الحرب لم يحلم حتى بنتائجها وآثارها المدمرة على كل مجال محتمل تقريباً، و لم يأخذ في الحسبان آثارها الــــسياسية والنفسية وتضرر مصداقية الجهاز السلطوي الحاكم في نظر المواطنين - وكذلك القتل المجاني للأطفال. الاستهزاء الذي يُبديه المتحدثون بلسان الحكومة بما فــــيهم بعض المراسلين العسكريين من النكبة التي حلت باللبنانيين، مذهل حتى لمن فقد براءة وأوهام الطفولة منذ زمن بعيد.

حرب يوم القصص

بقلم: يونتان شم أور
معاريف – 2006/8/2

خـــسرنا. لم يعـــد مهماً إذا كان الجيش الإسرائيلي سيصل إلى الليطاني، إلى الأولي أو إلى الفوجا. لم يعد مهماً حتى إذا كانوا سيجلبون هنا رأس نصر الله، بن لادن، وجثة هامان الشرير. فقد انتصروا، ونحن خسرنا.

في الشرق الأوسط لا تحسم الحروب. فلا يدخلون إلى العواصم ولا يحصلون علـــى كتب الاستسلام، ولا يقيمون أية أنظمة جديدة. ما يوجد هنا، منذ الدورية الأولى لحراس الحقول في ريشون لتسيون هو سلسلة مباريات بيننا وبين العرب. في المـــباراة الحالـــية، التي انتهت في وقف النار الأول، ببساطة أكلناها. لا يمكن لأي شـــيء أن يغيّر هذا. حرب يوم الغفران، والتي في نهايتها أشرف الجيش الإسرائيلي علـــى القاهرة وعلى دمشق أيضاً، احتفلوا بها كانتصار، وذلك لأن كل ما حصل لهم بعد أن اجتازوا القناة اعتبروه في نظرهم مباراة أخرى. وهم ليسوا مخطئين تماماً. فمرارة الهزيمة في تلك المرحلة لم تنته في أفواهنا بعد أيضاً.

خسرنا، وهذا سيحرقنا أكثر من تلك الحرب إياها. الآن، كل شيء كان في صـــالحنا. ريح من العالم هبّت علينا من ورائنا. شمس العرب المعتدلين، بما في ذلك الحكومة اللبنانية، أزاغت بصر العدو، ورغم كل شيء، تمكنّا من تعطيل كل هذا.

وبعد قليل، والقدم الثقيلة للوحدة اللزجة لن تنجح في إغلاق حقيبة الغضب، وكـــل الغـــسيل الوســـخ سينتـــشر في كل حدب وصوب. سيقولون إن الجيش الإسرائيلي بقيادة حلوتس باع لأولمرت خطة هاذية. سيقولون إنه ربما، في ظروف معيـــنة كان يمكن لإسرائيل أن تعيّن لها وزيراً للدفاع ليس لديه أي فكرة في هذا المجـــال، ولكـــن من المرغوب فيه في مثل هذا الوضع أن يكون رئيس الوزراء على الأقـــل ذا خلفـــية أوســـع من مجرد مراسل في مجلة "بمحنيه". سيقولون إن الجيش الإسرائيلي تشوّش على مدى أسبوعين ونصف الأسبوع في معركة غبية على قرية

نائية ما على مسافة كيلومترين اثنين من الحدود. سيقولون إنه محظور السماح بإدارة الحرب لأشخاص مثل تروبوبيتش، تل زلبرشتاين وكلمان جاير، الذين يحيطون برئيس الوزراء، يعزلونه، ويوجّهون له عقله.

سيقولون الكثير من الأمور وجميعها صحيحة، لكن الأمور التي لن تقال هي تلك التي ستقرر حقاً حياتنا في العقد القادم. مفهوم أنه لن يكون هناك بعد اليوم انطواء أحادي الجانب. واضح أنه لن يقوم ولن يبقى في أي مرحلة منظورة للعيان أي حزب أقيم على عجل. ويعرفون أنه لن يكون هنا في الأجيال القادمة رئيس أركان طائر. لا ريب أن إسرائيل ستدخل نفسها في تحصين عميق، وذلك لأن الردّ الوحيد على الإرهاب هو تحت الأرض. وبدون قطارات تحت أرضية في المراكز السكانية الكبرى لن نبقى على قيد الحياة، بعد أن فقدنا قوة الردع وكل واحد يمكنه أن يتغوّط علينا أي قدر من الصواريخ يروق له.

نحن لن ننتخب بعد اليوم مرشحين بالوزن الخفيف. فالمنصب لا يجعل أبداً الإنسان، بل يكشف فقط عن جوهره. في إسرائيل، لأسفنا الشديد، يوجد 3 – 4 أشخاص مع كتلة زعيم وطني. بيرس، إيهود براك، بيبي. وهذا هو. بعد قليل، تماماً مثلما بعد الفشل في حرب يوم الغفران، ستعقد انتخابات. وهؤلاء هم المرشحون. واحد منهم سيقودنا في المباراة التالية. وإلى أن يحصل هذا سيتمّ فعله كل ما يفعله الخاسرون. منذ الأزل يتحدثون، يبرّرون، يحاولون عرض الفشل كنجاح. وها هي الحرب التي بحثت لنفسها عن اسم تجده بسهولة بعد أن انتهت هكذا. حرب يوم القصص.

تناول الطعام مع الشيطان

بقلم: أفرايم هليفي

يديعوت - 2006/8/2

كـــان أفـــرايم هليفي رئيس الموساد 1989 - 2002 ومستشار الأمن القومي لرئيس الحكومة.

تُــبحث في هذه الأيام مقترحات تهدف إلى تطبيق وقف إطلاق نار فوري بـــين إسرائيل وحزب الله وتقديم عملية إرسال قوة دولية إلى لبنان، تحجز بين القـــوات المتحاربة وتمنع حزب الله من التقدم من مناطق إطلاق نار على دولة إسرائيل.

يفتـــرض أن تمنع هذه القوة "الفعّالة" انتقال السلاح عن طريق البر من سوريا إلى حزب الله، ومن أجل هذه الغاية ستنتشر في المناطق الحدودية بين لبنان وسوريا. يفترض أن تُمكّن هذه الترتيبات من نشر جيش لبنان على امتداد الحدود الجنوبية، وتجريد حزب الله من سلاحه وإزالة تهديد صواريخ الكاتيوشا والصواريخ السورية والإيرانية لإسرائيل.

بيد أن هذه الخطة يكمن فيها خطر كبير جداً على إسرائيل.

قـــبل أكثر من عشرين سنة أُجريت تجربة مشابهة. وصلت قوة دولية، ضمّت 1800 جـــندي من المارينـــز الأميركي، و1500 مظلي فرنسي من فيلق الأجانب، و1400 جـــندي إيطـــالي وغيرهم، إلى لبنان لمساعدة حكومته على جعل سلطته تـــستقر في الدولة. استقر رأي حزب الله على أن الوجود يعارض مصالح الثوار في طهران وفي بيروت. انفجرت شاحنات يقودها منتحرون في معسكر القوات، وقُتل في الانفجارات 241 جندي مارينـــز، و58 جندياً فرنسياً.

في غـــضون زمن قصير قرّر رئيس الولايات المتحدة وفرنسا ترك أرض لبنان: عـــدّ الأميركيون في المجموع العام 265 جندياً قتيلاً و159 جريحاً، وضحّت فرنسا

بـــ 89 جـــندياً و110 جرحى، وفقد الإيطاليون جندياً واحداً. بقيت إسرائيل وحـــدها في مـــواجهة حزب الله، بإزاء وحدات من الحرس الثوري وبإزاء الجيش الـــسوري على أرض لبنان. كان الإحساس الأولي لرئيس الحكومة أولمرت، عندما تحفـــظ من إقامة قوة دولية في جنوب لبنان صحيحاً: لا تستطيع أية قوة كهذه أن تضمن أمن إسرائيل. القوة متعددة الجنسيات التي تحجز بين مصر وإسرائيل، أو قوة الأمـــم المتحدة على امتداد خطوط وقف إطلاق النار بين إسرائيل وسوريا، تهدفان فقـــط إلى التعبير بوجودهما عن ميزان القوى والمصالح للجانبين. عندما تمّت محاولة لإقامـــة قوة - يونيفيل الأمم المتحدة - مع مهمة مغايرة، استُعملت مظلة لتقوي حزب الله في المناطق التي انتشرت فيها.

لا أمل في أن تُقام قوة دولية في لبنان مع صلاحيات فرض للسلطة. لقد أعلن الـــرئيس شيراك بأن القوة لن تُجرِّد حزب الله من سلاحه، وأعلن وزير الخارجية الفرنـــسي أول من أمس أن إيران عامل استقرار في المنطقة، ولهذا من الواضح أن الـــوحدة الفرنسية المفترض أن تكون العمود الفقري للقوة الدولية ستعمل بحسب فرض العمل هذا.

تعـــتمد سياسة إسرائيل على واحد من تصورين: الأول، أن المبادرة السياسية الحالـــية ســـتنتهي آخـــر الأمر إلى الفشل، ولهذا لا خطر من أن نشاركها العمل؛ والـــثاني، أن ماهية علاقاتنا بالولايات المتحدة تقضي علينا أن نوافق على إجراءاتها ونعاونها، لئلا نجد أنفسنا نُعرض للخطر أكبر مصالح إسرائيل الاستراتيجية. إذا كان الافتـــراض الأول صـــحيحاً، فلا مانع من المشاركة مؤقتاً في هذا التكتيك، الذي سيـــستمر في أثنائه الجهد العسكري الصعب والضروري لتحقيق غلبتنا على حزب الله. إذا كان للتصور الثاني أساس فإن الوضع مغاير تمام المغايرة.

إن دعـــوة قـــادة حـــزب الله وإيران إلى وقف لإطلاق النار فوراً تدل على الأزمـــات الآخذة في الازدياد. بنت إيران بجهد كبير داخل لبنان ذراعاً استراتيجية مـــثيرة للدهشة. أثبت حزب الله قدرته على المواجهة المباشرة مع الولايات المتحدة وفرنسا وطردهما عن لبنان. طورت إيران الذراع الدولية لحزب الله وتمتعت بطائفة مـــن العمليات الإرهابية نُفذت في الأرجنتين، وفي جنوب شرق آسيا، وفي تركيا

وفي أمـاكن أخرى. بُنيت بنى تحتية في أفريقيا وفي جزء من البلدان الأوروبية وأُمِّد حزب الله بسلاح صاروخي ذي مميزات استراتيجية.

في السنة الأخيرة ارتدت الحركة أيضاً معطفاً سياسياً، وأصبح ممثلوها أعضاء في البرلمان اللبناني ووزراء في الحكومة. إن تصوّر دولة تحاذي شاطئ البحر المتوسط وتخـضع لـسلطة طهـران ابتدأ يُصاغ. أساس قوة كهذه - تقابل جنوب شرق أوروبـا (شـبه جزيرة البلقان) وفيها سكان مسلمون كثيرون، وتتجه نحو غرب تركيا، وفي ضمن ذلك إسطنبول مع نحو من مليوني إيراني شيعي يسكنونها - كان في الإمكـان إنجازه. لهذا احتيج إلى وقت آخر لإنضاجه. عملية نصر الله عرقلت على كل شيء.

اعتـرف حـسن نصر الله على رؤوس الناس أنه لم يتوقّع رداً إسرائيلياً على عمليـته. وهذه جرّته إلى أن يردّ بقدر، وبتوقيت وبظروف غير مريحة له. توقيت العملية جعل الأمر صعباً جداً على إيران، التي تواجه جدولاً زمنياً يقضي عليها أن ترد على مطالب العالم لتجمّد برنامجها النووي، ويصحب ذلك تهديد بعقوبات. إذا كانـت إيـران قد بادرت أو شاركت في عملية حزب الله، آملة أن تصرف انتباه العـالم عن القضية الذرية فإنها قد أخطأت خطأً كبيراً. إن الذخر الاستراتيجي في صـورة حـزب الله، الذي بُني ونُمي، مهدد تهديداً جدياً، ولا ملاذ لإيران من أن تواجه فوراً الطلبات منها في الموضوع الذري.

إن طمـوح الـرئيس بوش إلى أن يصوغ تسوية قابلة للبقاء في لبنان يطابق حاجة إسرائيل الحيوية. كل نتيجة تخالف نجاحاً واضحاً لإسرائيل بإزاء حزب الله، ستكون لمصلحة المنظمة ولمصلحة طهران وأقل من ذلك لمصلحة دمشق. إن أحداثاً تـشبه الحادثـة الصعبة في كفر قانا تجعل من الصعب جداً على الولايات المتحدة وعلى القلة في أوروبا الذين يفهمون كامل معنى الأمور المُلحة.

"الـرزمة" التي قد تُطرح للنقاش في مجلس الأمن لن تجوز؛ وإذا أُجيزت فإنها غـير قابلـة للتنفيذ، كما تمّت البرهنة على أن قرار المجلس 1559، الذي يدعو من جملة ما يدعو إليه إلى تجريد حزب الله من سلاحه ليس قابلاً للتنفيذ. لا توجد قوة أجنبية تستطيع تجريد حزب الله من سلاحه.

مـــاذا بقـــي لنفعل؟ الإجراءات اثنان: أحدهما، تمكين الجيش الإسرائيلي من مواصلة العملية وإنجاز إنجاز استراتيجي في وجه حزب الله وفي وجه إيران. والثاني، دعوة إيران إلى الجلوس إلى طاولة المباحثات بجانب الولايات المتحدة وإسرائيل، في حين تضرب إسرائيل حزب الله بلا كف.

لن تريد إيران ذلك في البداية. إنها تريد أن تختفي إسرائيل عن خريطة العالم. ولكـــن كلما شعرت إيران بفشل استراتيجيتها، يمكن أن تفهم حدود قوتها. تبدو أزمـــة إيـــران ظاهرة للعيان؛ أنها تخاطر في هذه الأيام بتلقي ضربة حقيقية لمكانتها الإقليمية ولصورتها الدولية. إيران حساسة جداً بهذه الجوانب.

قبل شهرين نجحت إيران في التوصل إلى إنجاز سياسي ذي شأن: في 31 أيار أعلـــنت وزيـــرة الخارجية رايس عن تغيير كبير لسياسة قطيعة إيران لأكثر من 25 سنة. لقد عبّرت عن استعداد لأن تجلس مع إيران إلى مائدة التفاوض في الموضوع الذري، بجانب دول أوروبا، إذا ما علقت هذه برامج تخصيبها في المجال الذري. مـــا زال الموضـــوع عالقاً، ويفترض أن ترد إيران على هذا الاقتراح - المطلب حتى نهاية آب.

ما الداعي إلى أن تُباحث رايس رئيس الحكومة اللبناني فؤاد السنيورة وهو بلا قـــوة وبلا قدرة؟ أي قيمة حقيقية ستكون للاتفاق الذي توقّع عليه حكومة لبنان؟ عـــندما تكون إسرائيل بجانبها، فلماذا لا تجلس بإزاء الإيرانيين، الوكلاء الحقيقيين لحـــزب الله؟ ومـــا الذي سنتحدث إلى الإيرانيين عنه؟ عندما يجلس بعضنا بمحاذاة بعـــض سيضيق البرنامج عن استيعاب جميع الموضوعات المطروحة للنقاش. ولكن للوصول إلى هذه المرحلة، يُحتاج إلى نجاح الجيش الإسرائيلي في حومة القتال وإلى إبداع سياسي. هناك من سيقول إن هذا حلم هاذ لن يقترب من الواقع أبداً؛ ولكن من يعتقد أنه سيرى جندياً في القوة الدولية يُجردُ مقاتلاً من حزب الله من سلاحه فإنه يحلم أحلام اليقظة.

أرض الواقع

بقلم: أليكس فيشمان

يديعوت أحرنوت - 2006/8/4

خـــلال أكثـــر مـــن عشرين يوماً قام سلاح الجو والمدفعية التابعين للقيادة الشمالية، بضرب قرية عيتا الشعب، وهي تجمّع صغير يبلغ تعداده 4 آلاف نسمة. كان من المتوقع أن لا يبقى في هذه القرية حجر على حجر. ولكن ذلك لم يحدث إذ اتـــضح أن ذلك لم يؤدِّ إلى إزالة الحاجة للقتال البري من بيت إلى بيت. والآن أيضاً، في الأسبوع الرابع للحرب، ما زالت هناك كتيبة مظليين تقوم بتمشيط المباني المدمـــرة. لـــيس واضحاً كم كان عدد مقاتلي حزب الله فيها، إلا أنهم يُقدرونه بالعشرات.

في بلـــدة بنت جبيل الأكثر كِبراً - أحد معاقل حزب الله المركزية على خط المـــواجهة - كـــان هناك 200 عنصر من حزب الله، وفي عيتا الشعب كان بضعة عشرات. الاستخبارات لا تعرف تحديد العدد بالضبط. هم يعرفون أن هناك عدة خلايـــا مختبـــئة في القرية وسرعان ما تطل برأسها عندما تصبح القوات الإسرائيلية مكشوفة وعُرضة لنيران القناصة ومضادات الدروع. رغم القصف الثقيل لم يفروا، والآن لم يعد بمقدورهم أن يفعلوا ذلك، ذلك لأن كتيبة المظليين قد اجتازت القرية وتمركزت على "الخط الأحمر"، خط الشريط الأمني القديم - وقد بدأت بالتمشيط للـــوراء حـــتى تُنظف المنطقة بشكل كامل من عناصر الحزب، وهذا يتطلب وقتاً. كم؟ أياما طويلة - أسابيع.

بعـــد عملـــية التطهير الأولية سيدخل إلى هذه المنطقة جنود الاحتياط الذين سيـــضطرون إلى تطهـــير المكـــان. القوات النظامية ستتحرك شمالاً نحو خط تماس جديد. إذا تقرر مواصلة احتلال المنطقة حتى الليطاني - فستزداد المهمة الملقاة على عاتق جنود الاحتياط. لقد أصبح من الممكن منذ الآن إدخال فرقة احتياط إضافية مدربة بصورة ملائمة.

عيتا الشعب ما هي إلا قرية واحدة فقط، ومثلها العشرات. حزب الله بنى "قشرته الصلبة" في سلسلة قرى محصنة على طول الحدود مع إسرائيل. وعندما تُقشر هذه الطبقة تصبح الحركة نحو الشمال أكثر سرعة، حيث المقاومة أقل مستوى وشدة.

تحليل الرشقات الصاروخية الأكبر - 250 في يوم الأربعاء وحده - يُظهر أن أغلبية الصواريخ موجودة في مناطق لم يصل الجيش الإسرائيلي إليها. الرشقة الأكبر كانت على كريات شمونة - عشية الإعلان عن وقف إطلاق النار لمدة 48 ساعة - وقد أُطلقت من شمال الليطاني، من منطقة النبطية. الاستنتاج من ذلك هو أن الحل الصحيح للكاتيوشا قصيرة المدى يكمن في التواجد البري في مناطق الإطلاق، إلى أن تتم التسوية السياسية. ولكن الوصول إلى هذا التواجد البري يستوجب تحطيم التحصينات الحدودية التي بناها حزب الله في القرى الممتدة على الخط الأول. الجدول الزمني المتاح أمام إسرائيل قصير، وليس لديها عدة أشهر لذلك.

عيتا الشعب مثل بنت جبيل ومارون الراس، ما هي إلا علامات مميزة في تركة المظليين وغولاني الحربية. من المفترض أن تكون مؤشراً على النقطة الانعطافية، وأن تكون الكوابح الأولى في السباق الذي يخوضه الجيش الإسرائيلي خلال السنوات الأخيرة. هذا السباق الذي تكرست فيه نظريات "الجيش الرقمي" المعدّ لآلاف العمليات من آلاف الكيلومترات.

في بنت جبيل ومارون الراس عدنا إلى الشرق الأوسط القديم. هناك لم يتبين فقط أن المناورات البرية لم تُنه دورها - بل إن المعركة لا يمكن أن تتم من دونها، وأنه ليس من الممكن خوض المعركة من دون توسيخ الأيدي ومن دون النظر للعدو في عيونه. قادة كبار في سلاح البرية يشعرون الآن فجأة بالرضى. هم الذين صرخوا ضد تدمير جيش الاحتياط، وضد تآكل العناصر التقليدية في الجيش البري - يرفعون الآن قاماتهم لأن هذه الحرب جاءت لتبرهن على صحة أقوالهم.

حرب لبنان الثانية ضبطت الجيش الإسرائيلي وهو يوشك على اتخاذ قرارات غير قابلة للتغير بشأن تركيبته.

تعبير عن خلاف جوهري

الحرب في لبنان بدأت بضربة جوية امتدت لأسبوعين، وعندما كانت "الساق البرية" مشغولة بالدفاع عن نفسها، كانت لسلاح الجو إنجازات ممتازة. إلى جانب الاستخبارات العسكرية والموساد قام هذا السلاح ببذل جهود قوية خلال السنين في مجال القدرة الصاروخية طويلة المدى التي راكمها حزب الله. في اليوم الذي اندلعت فيه الحرب، وخلال 34 دقيقة، تمّ ضرب منظومة صواريخ "فجر" التي يبلغ مداها 90 - 120 كيلومتراً بصورة شديدة. أحد الأهداف التي وضعتها إسرائيل لهذه الحرب هو أن لا يعود حزب الله تهديداً استراتيجياً بالنسبة لها، وقد تحقق جزئياً خلال أقل من ساعة. 59 مبنى كانت مستخدمة لتخبئة هذه الصواريخ دُمرت بصورة دقيقة، ومن ثم أُصيب جزء من منظومة "زلزال" الإيرانية.

خلال أسابيع القتال الثلاثة أباد الجيش الإسرائيلي أكثر من 3600 هدفاً. أغلبيتها من الجو. 423 قاعدة صاروخية، 66 خط اتصالات و128 جسراً و1187 هدفاً إرهابياً مثل المخازن والوسائل القتالية. فماذا فعل ذلك لحزب الله؟ هل توقف عن أن يشكّل هدفاً مهدداً لسكان دولة إسرائيل؟ الجواب هو لا في الوقت الحالي. في الأسبوع الثاني فقط، وبعد تأجيل، قام الجيش بتحريك الساق البرية وأدرك المطلوب أخيراً.

الحرب في لبنان تُعبّر عن خلاف جوهري يلازم هيئة الأركان منذ عدة سنوات. ومن يريد فهم الخلاف بين دان حلوتس ومن نافسه على المنصب، غابي أشكنازي، عليه أن يعود إلى الاختلاف القائم في خلفية ذلك حول أفضلية وأهمية السلاح البري. اختيار دان حلوتس كان تفضيلاً للقوات الجوية في الجيش. وأفراد هذه القوات يحتلون مناصب مركزية في هيئة الأركان بصورة متزايدة. وهذا ليس صدفة. عودة أشكنازي إلى الساحة ستعيد النقاش والجدل من جديد، والحرب في لبنان ستفرض ذلك مرة أخرى.

لم يكن صدفة أن القيادة السياسية حددت لهذه الحرب أهدافاً بعيدة وطموحة جداً في البداية، لأن أولمرت اعتقد أن الضربات الجوية قادرة على أداء المهمة، وقدّر أنها ستنتهي خلال أسبوعين تقريباً. والسؤال هنا هو ما هي المعلومات الاستخبارية

الــتي بُنيت هذه التقديرات على أساسها؟ وبالمناسبة قام الجيش الأميركي باستنباط سياســة التركيــز على القوات الجوية في الحرب منا، لذلك لم يكن غريباً أن تُعبر بعــض أطــراف الإدارة الأميركية عن خيبة أملها العميقة من الإنجازات العسكرية الــتي جلبتها إسرائيل إلى طاولة المباحثات السياسية. هذه الإنجازات جيدة، ولكنها ليــست كافية لتحريك عملية سياسية قوية. الأميركيون أنفسهم استيقظوا من هذا التصور وزادوا من قوهم البرية في بغداد الكبرى بما فيها قوات الاحتياط ("الحرس الوطني").

في هــذه الحرب تمّ تحقيق إنجازات لا بأس بها، وقد تخلّلتها فصول مشرقة. إذا تمخــضت المساعي السياسية عن الثمار التي تسعى إليها إسرائيل، فسيكون للجهــود العــسكرية إسهام حاسم في ذلك. ولكن من المحظور أن تنتهي هذه المعــركة بقــيام الــضباط بالتربيت على ظهور بعضهم البعض. يتوجب على المــستوى السياسي أن يستخلص العِبر حول علاقة المجتمع بالجيش والتآكل في الميزانية الأمنية وقانون الاحتياط وتقصير الخدمة. علينا جميعا أن نستيقظ. حزب الله لن يختفي، والمناطق ما زالت من ورائنا، وما زلنا بعيدين عن الشرق الأوسط الجديد.

متعثرة ولكن مُحقة

بقلم: يوئيل ماركوس

هآرتس - 2006/8/4

التأيـــيد الشعبي القوي لعملية "تغيير الاتجاه" تُذكر بنكتة معروفة حول جمهور يجلس في الأوبرا ويصفّق طويلاً للمغنية إلى أن يصرخ أحد ما من صفوفه قائلاً: لن نـــسمح لـــك بالنــــزول عن المنصة إلى أن تتعلمي الغناء. أغلبية الجمهور أيّدت الحكـــومة والجيش رغم سقوط 100 - 200 من الصواريخ في كل يوم من المطلة وحتى حيفا. كابوس لم نكن نتخيله في أسوأ أحلامنا.

الــرأي العـــام عندنا هو في أساسه وطني، إلا أنه معروف أيضاً بتقلباته. في صـــبيحة أحـــد الأيام قد يسأل هذا الجمهور أسئلة مربكة حول قضية التكلفة - الجـــدوى. هـــل تستوجب نتائج العملية الحربية التي بادرت إليها الحكومة تحويل كريات شمونة إلى ساحة للوقوف؟ وأن تشتعل النار في الجليل الخلاب؟ وأن يكون ملـــيون ونـــصف مـــواطن كلاجـــئين محشورين في الملاجئ في بلادهم؟ المحللون الإعلامـــيون فقط هم الذين يتولون مهمة تحميض الوجه الآن. ولكن ليست هناك حاجـــة للكثير حتى تتحول الصرخات المتفرقة إلى انقلاب في الرأي العام. ليست للبنان سمعة طيبة في الذاكرة الوطنية.

كانت هناك رمزية معينة في حقيقة أن رئيس هيئة الأركان أُصيب في أصعب أيـــام هذه الحرب تكدراً بمغص في بطنه، الأمر الذي استوجب نقله إلى المستشفى. رئيس هيئة الأركان ليس الوحيد الذي يشعر بالمغص في بطنه في هذه الأيام. مسار المعركة وطريقة اتخاذ القرارات والصورة التي نُفذت فيها أثارت أسئلة مربكة حول الاعتـــبارات والأسس القتالية التي استند إليها المستويان السياسي والعسكري على حد سواء.

منذ أن غادرنا لبنان قبل ست سنوات بدأ حزب الله بالتسلح بصورة جنونية والـــتحول إلى خط أمامي لإيران وتهديد استراتيجي لإسرائيل. أفراده تدربوا على

خرائط دولة إسرائيل وهم يضعون نُصب أعينهم الشعار الإيراني القائل بأن إسرائيل مـــصيرها إلى الفـــناء. والسؤال هو ما الذي فعلته حكومات إسرائيل خلال هذه السنوات الست حتى تواجه هذا التهديد المتزايد الذي يُبنى أمام أعينها.

مجرد حقيقة أن أفراد حزب الله الذين كانوا منتشرين تماماً على حدودنا على مسافات قصيرة، قاموا بعمليات اختطاف واستفزاز أجبرت إسرائيل على الدخول في مفاوضـــات لإطـــلاق سراح الأسرى - فُهمت عندهم على أنها ضعف منا. إسرائيل تركتهم يكبرون ويتعاظمون ويتسلحون ويتمترسون.

حكـــومات إســـرائيل لم تُقدر بأننا سنكون في حرب مباشرة حول كل جـــنوب لبـــنان في صـــبيحة يـــوم من الأيام. والدليل على ذلك هو أن هذه الحكومات لم تُعد الجبهة الداخلية لمثل هذه الحرب. كيف حدث أنهم لم يعطوا تـــصميم مقاتلي حزب الله وعزيمتهم حق قدرها في المعركة؟ إذا لم أكن مخطئاً فهذه الحرب الوحيدة التي لم نرَ فيها أسرى عرباً مستسلمين وهم يسيرون بعيون معـــصوبة في ملابسهم الداخلية والقيود في أيديهم. نحن هنا أمام مقاتلين تدربوا علـــى القـــتال حتى الموت. ما الذي تخيّله بالفعل إيهود أولمرت بينه وبين نفسه عـــندما قـــال في خطاباتـــه التشرتـــشلية إنهم سيفكرون مرتين قبل أن يُطلقوا صواريخهم؟ أولمرت أجاب على سؤاله قائلاً سيفكرون مرتين. في صبيحة اليوم التالي لخطابه رشقونا بـــ 210 صواريخ.

هجمـــة حـــزب الله بررت الضربة. السؤال هو ما هي أهداف هذه الضربة عـــندما بـــدأت تتطور إلى حجم حرب شاملة. إما أن يكون المستوى السياسي لم يعـــرف كـــيف يحدد أهدافه أو أن الجيش لم يقم بالمهمة المنوطة به. عندما تتعلق المسألة بحرب شاملة واسعة النطاق، كما بدأ أولمرت يقود الأمور، لا يتوجب إلقاء نعـــل واحد في البداية ومن ثم التذكر أنه كان من المفروض إلقاء الفردة الثانية من هذا الحذاء.

الجـــيش الإسرائيلي استُخدم بصورة مجزوءة، ربما بسبب تردد وزير الدفاع، صاحب التوجهات اليسارية الذي تردد في إدخال قوات برية كبيرة الحجم، أو ربما لأن الجـــيش اعتقد أنه سينفّذ المهمة على يد سلاح الجو وتدمير نصف لبنان. مرّ

أكثـــر من أسبوعين إلى أن تمّ استدعاء الاحتياط، وإدخال قوة برية مكثفة بهدف إنـــشاء شـــريط عـــازل واسع استعداداً لوقف إطلاق النار ومجيء القوة متعددة الجنسيات بمشاركة الجيش اللبناني حتى يتمكن من أخذ الشعلة بيديه.

لا يـــتحدث أحـــد عن الانتصار. ولكن رغم الانتقادات في وسائل الإعلام، ومـــن قبل الخبراء والمحللين العسكريين، من الممكن أننا لا نُقدر حجم الضربة التي أُنـــزلت بحزب الله وتأثيرها بعيد المدى بصورة صحيحة. هذه الضربة التي ستؤدي إلى إضعاف الذراع الأمامية الإيرانية التي تملكها طهران ضد إسرائيل.

رغم مسار هذه الحرب المتعثر إلا أنها بالنسبة لنا حرباً عادلة. شريطة أن نخرج مـــنها بأســـرع وقت ممكن ومن دون أن نتورط في الوحل اللبناني الفتّاك وعندما تكون أيدينا ما زالت هي العليا.

الحذر من الغرق في الوحل

بقلم: زئيف شيف

هآرتس - 2006/8/4

بعد مهلة قصيرة استأنف حزب الله نار الصواريخ على شمالي البلاد. وتجتهد المنظمة لإطلاق أكبر قدر ممكن من الصواريخ، وبالفعل بلغ عدد الصواريخ هذا الأسبوع رقماً قياسياً بنحو 200 صاروخ في اليوم. ويدور الحديث أساساً عن صواريخ قصيرة المدى، كاتيوشا بقطر 122 ملم. وعدد الصواريخ على المدى المتوسط والبعيد التي أطلقت محدود إذ إنها تضررت جداً في هجمات سلاح الجو.

كل هذا يبرز القدرة المحدودة لسلاح الجو في التصدي للصواريخ الصغيرة، التي هي أهداف ضئيلة. ومثلما توجد صعوبة في وقف نار صواريخ القسام من قطاع غزة توجد أيضاً صعوبة في تصفية الصواريخ الصغيرة من جنوب لبنان. وحسب المعلومات عن حجم مخزون الصواريخ قصيرة المدى لدى حزب الله يمكن القول إن لديه قدرة على مواصلة حرب الاستنزاف على مدى نحو ثلاثة أشهر.

هذه حقائق تبرز الخطأ الذي ارتكبته إسرائيل في أنها لم تبدأ - بالتوازي مع الهجمات من الجو - بعمليات برية: خطوة واسعة للقوات البرية بمساعدة جوية بالطبع، من اتجاهات مختلفة على جنوب لبنان حيث تنصب الصواريخ قصيرة المدى. وبتعبير آخر، منذ البداية كانت هناك مشكلة في مجال استخدام القوة. وتبيّن أن لدى الجيش الإسرائيلي قوة لا تجد تعبيرها. والآن يبحثون عن التفسيرات، من قبيل المعاذير لماذا لم يتم الأمر. في مكتب رئيس الوزراء يقولون إن الجيش الإسرائيلي لم يقترح على الإطلاق القيام بعملية برية واسعة بالتوازي مع عمليات سلاح الجو. في الأهداف التي تقررت في الجيش الإسرائيلي في البداية جاء ضمن أمور أخرى وجوب "تنظيف" حزام من نحو كيلومتر حتى 2 كيلومتر على مقربة من الحدود وعدم السماح لحزب الله بالعودة إلى هناك. فقد قيل، إنه لما كانت القوات لن تبقى في لبنان، فإن إسرائيل ستحبط عودة حزب الله إلى الحدود بالهجوم من بعيد. والآن تقرر توسيع هذا الحزام

إلى نحـــو 6 كيلومتر وهذه هي العملية الجارية الآن. هذا مهم، ولكن ليس في هذا رد على منظومة الصواريخ قصيرة المدى في جنوب لبنان.

في المداولات التي أجريت مؤخراً لدى الحكومة عن عمليات القوات البرية لم يؤيد سوى وزير واحد عملية واسعة وفورية من اتجاهات مختلفة في الجنوب اللبناني – وزير الدفاع السابق بنيامين بن أليعيزر. الوزير حاييم رامون أيّده جزئياً واقترح بـــأن تتم العمليات البرية على مراحل: بداية في الحزام المحاذي للحدود وبعد ذلك يتقـــرر إذا كان ينبغي توسيعه. وكل ذلك على فرض كما يبدو بأن تحت تصرف الجيش الإسرائيلي زمن عملياتي كثير. وحسب ما أقرّ في الحكومة – تترك منظومة الصواريخ في جنوب لبنان تطلق النار دون عراقيل تقريباً. وهذا ما يحصل.

لنفتـــرض أن الحكـــومة أمـــرت الجيش الإسرائيلي بالانتقال إلى مرحلة أخرى والاستيلاء على مناطق أوسع في جنوب لبنان. حزب الله سيسحب في حينه بعض من صواريخه وسيتقلص مداها الناري في الأراضي الإسرائيلية. وحسب رئيس الوزراء، فإن إســـرائيل تعتزم الاحتفاظ بالمنطقة إلى أن تسلم إلى قوات دولية جديدة. والسؤال هو مـــتى ســـتكون مثل هذه القوة مستعدة للعمل وأي تفويض سيمنح لها. في حزب الله فكـــروا بهذه المرحلة. وفي نية المنظمة الشروع هناك بحرب عصابات لإلحاق الخسائر بالجيش الإسرائيلي بل والادعاء بأنها تقاتل مرة أخرى لطرد الاحتلال الإسرائيلي.

الاســـتنتاج مـــن ناحية الجيش الإسرائيلي هو أنه يتوجب عليه أن يعمل كل شـــيء كي لا يعلق في شكل العمل الذي اتخذه في أثناء بقائه الطويل في لبنان بعد حرب 1982. محظور الغرق في جنوب لبنان. محظور بناء الانتشار والعمليات على قوافل التوريد ونقل الجنود للإجازة وإعادتهم، ولا حتى على معسكرات دائمة حتى وإن كانـــت محصنة. فهذه أهداف مريحة لمقاتلي العصابات. وهذا ما يتوقعه حزب الله. ستنشأ مشكلة، إذا ما تبين أنه لا توجد قوة دولية يمكنها أن تتسلم المنطقة من الجـــيش الإسرائيلي. في مثل هذه الحالة سيطرح السؤال إذا كان ينبغي الاحتفاظ بجـــنوب لبنان أو الخروج منه، حتى وإن عاد حزب الله إلى الانتشار في المنطقة. إذا كـــان هذا هو السؤال – فمن الأفضل اختيار الخروج؛ وذلك بغية عدم الغرق مرة أخرى في الوحل اللبناني.

الرجاء أن تُعلنوا أننا قد انتصرنا

بقلم: سيما كدمون

يديعوت أحرنوت- 2006/8/4

في الساعة الثالثة و11 دقيقة فجراً اتصل السكرتير العسكري بمنزل رئيس الوزراء، ليعلمه أن المروحيات في طريقها للعودة. أولمرت معتاد على مثل هذه المكالمات الليلية التي تطلب الإذن بالقيام بعملية أو تعطي تقريراً عن عملية انتهت بنجاح أو بمصيبة. كل هذه الأمور لا تزعج روتينه الليلي أو نومه. ولكن في هذه المرة كان الأمر متعلقاً بعملية غير اعتيادية من حيث القوات التي استخدمت فيها وعدد المقاتلين والمسافة الكبيرة عن الحدود ومستوى الخطورة، الأمر الذي جعل أولمرت ينتظر انتهاءها وأن يبقى مستيقظاً.

أحد أسباب شن العملية على المستشفى في بعلبك كان الأمل في إيجاد معلومات تشير إلى الجنود المختطفين من خلال الاعتقاد أنهم موجودون هناك من أجل الحصول على العلاج الطبي. ولكن هذا لم يكن الهدف الوحيد، فقد كانت أيضاً محاولة للبرهنة لحزب الله أن يد الجيش الإسرائيلي قادرة على الوصول إلى أماكن بعيدة كنوع من العمل الاستعراضي. هذا إنجاز واحد من نجاحات هذه الحرب، كما يرونها في حاشية أولمرت: حزب الله تعلم من ذلك أن إسرائيل تردّ على المساس بأراضيها السيادية بصورة غير متناسبة، وهي تقول له لا تحاول التحرّش بنا. وإذا هاجمتم فليكن الله في عونكم. القوة الردعية عادت، كما يدعي أحد الوزراء، واليوم أصبح كل من يريد أن يعرف مدركاً لهذه الحقيقة.

أعوان أولمرت لم يخفوا تأثرهم وفرحتهم من العملية الناجحة في بعلبك. رغم سقوط أكثر من 200 كاتيوشا في ذلك اليوم على الشمال، لأنه ساد شعور لديهم بحدوث انقلاب وتغيير في الاتجاه. لأول مرة منذ أيام كثيرة يظهر الجيش الإسرائيلي

كطـــرف مبادر ومباغت. وبالرغم من ذلك في نفس الصباح تسلّم وزراء الحكومة وثـــيقة غير عادية. ورقة أرسلها سكرتير رئيس الحكومة، يسرائيل ميمون، تتضمن اقتـــراحاً من النوع الذي لا يمكن رفضه: سلسلة رسائل يُطلب من الوزراء التعبير عنها واستخدامها في تصريحاتهم العلنية.

لماذا نقول إنها وثيقة غير اعتيادية؟ لأنها المرة الأولى التي يرسل فيها أولمرت منذ دخـــوله لرئاسة الوزراء وثيقة تحدِّد لهم ما يقولونه في وسائل الإعلام. هذه الورقة تـــضمنت قضايا مأخوذة من خطاب رئيس الوزراء أمام هيئة رؤساء البلديات التي فصّل فيها إنجازات الجيش في القتال في مواجهة حزب الله.

ضـــمن قائمة الإنجازات المذكورة يمكن أن تجد بنوداً مثل: حزب الله لم يعد كمـــا كـــان قـــبل عشرين يوماً، خطيراً متغطرساً ومُهدداً. هو تلقى ضربة قاسية وســـيحتاج إلى مـــدة طويلة حتى يعيد بناء نفسه. أو: إبعاد حزب الله عن الحدود الإسرائيلية وتدمير تهديده المباشر لها. وأيضاً: نجحنا في ضرب منظومته الصاروخية بعـــيدة المدى الموجودة في عمق لبنان، ودمرنا قياداته ومراكز التحكم فيه. القواعد العسكرية والمنشآت التي تعود لحزب الله في بيروت وبعلبك وأماكن أخرى لم تعد كمـــا كانت. منظومة الكاتيوشا في جنوب لبنان تضرّرت بصورة ملموسة. قيادة التنظـــيم مختبـــئة وتعمـــل في الظلام وهي موجودة في حالة ضغط وتقوم بإطلاق الأكاذيب والمناورات الملفقة حتى تطمس الواقع.

من يبحث عن علامات تدلّ على نجاح أو عدم نجاح الحرب يمكنه أن يجدها في تلـــك الوثيقة التي وزّعها ديوان أولمرت على الوزراء. سيكون هناك من يقولون إن الإنجازات هامة بالفعل وأن القائمة تدل على أن الجيش الإسرائيلي قد حقّق، أو علـــى طريق تحقيق، الأهداف التي حدّدها المستوى السياسي لهذه الحرب. آخرون ســـيقولون إن هـــذه الوثيقة تبرهن على العكس، وأنها تشير إلى أن ديوان رئيس الوزراء يشعر أن هناك مشكلة في الرأي العام، وأن الأمور لا تسير كما يجب.

هـــذا يمكن أن يحدث في معركة انتخابية، أو في الأيام التي يكون فيها خوف من تـــدني الدعم الجماهيري. كل واحد يذكر مثلاً، الرسائل التي كانت تصدر عن ديوان إيهود براك في الأيام التي أصبحت فيها مكانته الجماهيرية في الحضيض. كما يمكن أن

تكـــون الوثيقة التي أصدرها ديوان أولمرت مؤشراً على أننا نوشك على الوصول إلى نهايـــة المعركة العسكرية، ولذلك هناك محاولة لتسويق إنجازاتها. الخطابان اللذان ألقاهما رئـــيس الوزراء في هذا الأسبوع، والرسائل التي ترددت في وسائل الإعلام، منذ أمس الأول، هـــي بمـــثابة موازنة مؤقتة لهذه الحرب. نوع من الإجمال قُبيل الحسم. أولمرت وأعوانه يقومون منذ الآن بإعداد الرأي العام في إسرائيل لمرحلة محاسبة النفس.

هو ليس قائد سرية

جلـــسة المجلـــس الوزاري في يوم الاثنين ليلاً كانت بمثابة علامة على انتهاء الحرب أيضاً. المؤشر على ذلك، كما قال أحد الوزراء، كان هيمنة وزيرة الخارجية وســـيطرتها بالمقارنة مع الجلسات السابقة. العامل السياسي في الحكومة يحتل موقعاً متزايداً في النقاشات والآثار. في غرفة المجلس الوزاري كانت هناك وحدة في الآراء وإجمـــاع علـــى وجوب إنهاء المعركة مع إنجازات تضمن عدم عودة الوضع إلى ما كان عليه. قالوا إن هناك حاجة لتحقيق ثلاثة أهداف على الأقل لإيقاف العمليات العـــسكرية: أن يتم إبعاد حزب الله عن الحدود، وأن تدخل قوة دولية إلى جنوب لبنان مع صلاحيات، وأن يعود الجنود المخطوفين إلى بيوتهم.

كـــان واضحاً للجميع أن من المحظور وقف إطلاق النار وأن تمر فترة أسابيع بعد ذلـــك حتى دخول القوة الدولية، وأن هناك حاجة إلى التوصل إلى تسوية حتى يكون وقف إطلاق النار ودخول القوات الدولية في آن واحد. الدخول البري الآن والخروج عندما تصل القوات سيُمكّن من بلورة شريط أمني بعرض 10 كيلومترات.

هذه الرواية التي يتحدث بها ديوان أولمرت. أما الرواية الأكثر عدوانية فتقول بـــأن المسوغ المنطقي من وراء دخول القوات البرية بسيط: هناك ضرورة لإحداث أزمـــة كـــبيرة حتى يتم تشكيل القوة الدولية وبناؤها بالصورة المطلوبة. شيء ما يـــستوجب اســـتدعاء مثل هذه القوات إلى جنوب لبنان. بكلمات أخرى: البديل الـــذي يواجهـــنا هو إما احتلال كل المنطقة ومن ثم تسليمها للقوة الدولية وهي نظيفة، وإما التسبب في وضع أزماتي يدفع العالم إلى إرسال قوة تدخل فورية.

الـــسؤال هـــو ألم يعرفوا ذلك من قبل. الدليل على عدم معرفتهم هو إهدار

أســابيع ثمينة. أوَلم يثبت التدخل البري في وقت لاحق أنه كانت هناك حاجة إلى القــيام بذلك منذ بداية الحرب، أوَلم يحول انعدام تجربة أولمرت وبيرتس العسكرية دون رؤيتهما للصورة الصحيحة.

مــا يمكــن أن يعتبر نقصاً، يعتبرونه في ديوان أولمرت أمراً إيجابياً بالتحديد: مــشكلة رؤساء الوزراء الذين كانوا جنرالات وقادة أركان هو أنهم في مثل هذه الأوضاع من الحرب يتحولون إلى قادة سرية في الميدان، ويديرون المعارك من خلال جهاز تحكم عن بُعد، فيضغطون الجميع. أعوان شارون يذكرون كيف جلس مع الخرائط في عملية "السور الواقي" مقدّماً النصائح ومُغيّراً الاتجاهات والعمليات. أما أولمرت فهو ليس رئيس هيئة أركان ولا قائد سرية، وهو يترك الجيش يقوم بعمله.

أولمــرت اتخذ قراراً دراماتيكياً عندما قرّر تغيير قواعد اللعبة. الشرق الأوسط لن يكون كما كان عليه بعد الآن. هذا لن يكون شرق أوسط جديد، ولكنه شرق أوسط آخر. كما يبدو ذلك الآن، الخطأ الأكبر الذي ارتكبه أولمرت كان في المجال السياسي تحديداً: مقولته بأن الحرب في لبنان ستضع الأسس لخطته السياسية. كل محــاولات ديــوانه لتقليص الضرر لم تُجدِ نفعاً. هذه العبارة تماثل فتح انسداد في زجاجة مشتعلة بعد خضها: ليس من الممكن إيقاف العملية. أولمرت كبا في الموقع الأكثــر حساسية وفي الفترة الأكثر حساسية. الخروج من ذلك سيحتاج إلى كل المزايا التي ينسبها مُعجبوه إليه، وأكثر من ذلك أيضاً.

هذه ليست سدروت

الامتناع عن الدخول البري في الأسابيع الأولى من القتال يُفسر في حاشية أولمرت علــى أنــه محاولة لتخفيف قدرة حزب الله على المقاومة. الرأي العام عانى من صدمة بكــل ما يتعلق بلبنان. لو كانت الحرب قد بدأت بعملية برية لأثارت معارضة كبيرة. رئيس الحكومة اعتقد أن من الواجب أولاً استغلال امتيازنا المطلق في الجو. الآن حيث يوجد لدى الجمهور استعداد لقبول ذلك، فقد أصبح الطريق نحو الشريط الأمني أكثر بــساطة. وفقاً لمسار الأمور الآن لا يبدو أن أولمرت رغب بتجهيز جنوب لبنان وإنما الرأي العام الإسرائيلي، ذلك لأن الجمهور هو الذي حدّد أهداف الحرب، ولن تؤدي

أيــة بهلوانية لفظية إلى تغيير هذه الأهداف. أيام الحرب تستطيل، وضبط النفس الذي تُــبديه الجــبهة الداخلية يدلّ على أن الجمهور لا يبحث عن إرضاء رغبات صغيرة وفورية. هذه ليست سدروت التي يمكن إهمال معالجتها.

الأمــر الأكثر أهمية في هذه الحرب هو ذلك الدمج بين الشمال وكل البلاد، وتــضامن الدولــة كلها مع هدف إزالة التهديد عن رأس الحدود الشمالية. هناك مطلــب جمــاهيري صارخ وصل إلى ذروته في هذا الأسبوع من خلال تصريحات رئيسة بلدية هرتسليا، عضو ميرتس ياعيل غيرمان. هي قالت إن من الواجب السير حتى النهاية، وأنه لا يتوجب وقف إطلاق النار بأي شكل من الأشكال.

في ديــوان أولمرت يقومون الآن بتقليص مستوى التوقعات العالي وتخفيضه. هم يدعــون أن أولمــرت لم يقل أبداً إن الهدف هو منع حزب الله من إطلاق الكاتيوشا، ووجــود صواريخ ذات مدى يبلغ 250 كم لدى حزب الله لا يعني أن علينا أن نحتل كل لبنان. ففي سوريا مثلاً توجد صواريخ مهددة لإسرائيل في هذه اللحظة، فهل يعني ذلك احتلال سوريا أيضاً؟ هم يقولون إن إسرائيل قد خلقت الآن معادلة جديدة تقول إن كل من يطلق الصواريخ على إسرائيل في أي وقت من الأوقات سيضطر إلى سؤال نفــسه إذا كان ذلك يعادل الثمن المترتب على ذلك من خلال رد فعلها. كما قامت إســرائيل بحــشد الأسرة الدولية وتشكيل تحالف عربي معارض لطرف عربي، تقوم إسرائيل بمقاتلته. حزب الله فقد ميّزته الاستراتيجية الوحيدة وهي القدرة على التسبب بالاحــتكاك حول كل شيء وفي كل لحظة يشاء. في السابق كانت عدة رصاصات تكفي لاشتعال كل الجبهة، أما الآن فسيضطرون إلى أخذ المخاطرة بمجابهة جيش دولي في هذه الحالة، وأن ثمن إطلاق الكاتيوشا هو تدمير لبنان.

الأمــر الواضــح الــيوم هــو أن الأهداف التي وضعت في بداية الحرب لم تكن متواضعة، و لم تكن واقعية، ومن هنا فإن الطريق نحو إلقاء المسؤولية على هذا الفشل على كاهل الجيش قصير. خلال عشرين يوماً أعطوا الجيش كل ما أراده، كما يقول مصدر سياســي بارز. كل ما طلبوه حصلوا عليه باستثناء قصف محطات الطاقة، كما وعدت إسرائيل الأميركيين (أي عدم قصفها)، 3500 طلعة جوية هجومية، جيش مع ميزانية 5 مليارات يقاتل قبالة بضعة آلاف من المقاتلين مع ميزانية 100 مليون دولار.

نفـــس المـــصدر يدّعـــي أن العملية البرية التي تتم الآن تجري بصورة مخالفة للـــرغبات. خلافاً للتوقعات التي غرسها الجيش والمستوى السياسي، حسب قوله. الجـــيش لم يعتقد أنه سيضطر إلى الوصول إلى الوضع الذي تدخل فيه قوات برية كـــبيرة في عمليات مكثفة. رئيس هيئة الأركان بنفسه ترك الحكومة تفهم أنه لن يكون هناك دخول بري. هو قال لهم كلمة لا قاطعة بالنسبة لدخول القوات البرية. في ديوان أولمرت ينفون هذه الرواية كلياً. لم يفكر أي أحد بإمكانية الانتصار من خـــلال الجـــو. هم يعترفون هناك أن من الصحيح أن الجيش لم يطلب في البداية شن عملية برية، ولكن هذا الطلب وصل في الوقت الذي كان من الواجب أن يصل فيه.

المستشارون الجدد

إذاً ليس من الغريب أن يُنقل رئيس هيئة الأركان إلى المستشفى ثلاث مرات. في الجهاز السياسي يتعاملون بارتياب مع البيانات الصادرة عن مستشفى إيخيلوف حول وجود تلوث جرثومي. كل من عانى ذات مرة من التوتر يعرف مغص البطن في الجزء الأعلى الذي يعاني منه حلوتس، يقول أحد كبار الجهاز السياسي. التوتر والضغط والقرحة، كائناً ما كان، كله مرتبط بالعبء الموضوع على كاهله. ذلك لأنـــه مع كل الاحترام والتقدير لذكاء بيرتس والسرعة التي يتعلم بها، إلا أنه شاهد ملـــف "سري جداً" للمرة الأولى عندما دخل إلى وزارة الدفاع. اليوم، وبعد أربعة أشهر من دخوله إلى المنصب، هو مضطر لمواجهة مثل هذه الحرب.

عـــندما كان موفاز وزيراً للدفاع عرف حلوتس أنه عندما يضع الأمور على الطاولة فإنها ستكون محطّ تحليل من شخص مجرّب ومطّلع قبل مرحلة وصولها إلى شارون. أي أن المشكلة هنا هي أن كتف حلوتس وحده هي التي تتحمل المسؤولية وتصد الصدمات.

في الجهـــاز السياسي يقولون إن أولمرت جدّد الصلة مع موفاز في الآونة الأخيرة وأنـــه يـــتحدث معه في أحيان متقاربة. ديوان أولمرت لا ينفي ذلك ويقول إن موفاز عـــضو في المجلس الوزاري الأمني، وعضو في تجمّع السبعة، ونائب لرئيس الوزراء. من الطبيعي في هذه الحالة أن يتشاور معه آخذاً بعين الاعتبار تجربته الهائلة. موفاز بالمناسبة

ليس الوحيد الذي يتحدث معه أولمرت في هذه الأيام، وهناك أيضاً إيهود براك. وهناك في نفس الوقت تفسير آخر لهذه العلاقة المتجددة: أولمرت يتحدث مع موفاز حتى يضمن عدم انتقاده له. إذا تحدث موفاز الآن ضد الحرب فذلك سيكون مصيبة، وأولمرت بحاجة إلى أي شخص حتى يدعمه وخصوصاً إذا كان وزير دفاع سابق.

الانتقادات ضد الجيش وداخله حول مسار الحرب تصل أيضاً إلى مسامع رئيس الوزراء. أعوانه يقولون إنه يعتقد أن الانتقادات غير نزيهة، وعديمة الأساس. هو معتاد على مقارنة عملية "السور الواقي" مع الحرب الجارية في الشمال. هناك يقول مقرّبوه، قاتل الجيش الفلسطينيين المبعثرين في مخيمات اللاجئين، أما هنا فهو يقاتل تنظيماً محكماً اجتاز عمليات تدريب طويلة في إيران وهو مزوّد بسلاح متطور وحديث.

في كل حروب إسرائيل كانت هناك حروب جنرالات، كما يقولون في ديوان أولمرت في معرض تفسيرهم للانتقادات داخل الجيش - بين الجنرالات الذين تسرّحوا وأولئك الذين لم يحصلوا على ما يرغبون به.

من المبكر قص الكوبونات

أعوان أولمرت يتحدثون عن أسبوع آخر من الحرب على الأقل حتى وقف إطلاق النار. القرار لن يُتخذ في الأمم المتحدة قبل يوم الاثنين وحتى الثلاثاء. وسيكون هناك يومان آخران إلى ثلاثة من موعد اتخاذ القرار إلى موعد الإيقاف المطلق.

أسبوع يكفي من أجل تحقيق كل الأهداف التي نرغب بها. طوال الوقت يتحدثون عن إطلاق الكاتيوشا باعتباره المقياس الوحيد لنجاح إسرائيل، ولكن لو قالوا لنصر الله قبل الحرب إنها ستنتهي بمثل هذا العدد من الخسائر ومئات الآلاف من المشردين اللبنانيين، وأنه سيصبح خارج الحلبة السياسية في لبنان، وأن العالم كله سيتضامن مع إسرائيل - لما بادر إلى هذه الحرب.

ديوان أولمرت يعتقد أن لحزب الله مصلحة في إطلاق سراح المخطوفين بدرجة لا تقل عن إسرائيل. نصر الله حي على ما يبدو، ولكن أحداً لا يراهن على طول

عمره. في هذه المرحلة من الحرب أصبح واضحاً أن حزب الله لم ينتصر. هو تلقّى ضـــربة لم يــتوقعها من قبل حكومة الأغرار المبتدئين. وتبيّن أنه وقع في خطأ كبير عـــندما اعتقد أنه يستطيع فرض الإرهاب على إسرائيل، وأنها ستضبط نفسها حتى الأبـــد. ضرب العمق الداخلي الذي كان أكبر تهديد من قبله على إسرائيل استُنفد وتبيّن أن هذا العمق أكثر قوة مما اعتقد. وبالرغم من ذلك، السقوط مثل الانتصار هـــو مسألة نسبية: بالنسبة لتنظيم مثل حزب الله يكفي صندوق خضار حتى يقف علـــيه في أية قرية بعيدة ويدعي أنه قد انتصر. مع التعصب والدعم الإيراني سيبقى حـــزب الله قائماً. مئات المقاتلين قُتلوا، ولكنهم سيكونون شهداء ولن تكون لديه مشكلة في الحفاظ على بقائه.

وإسرائيل؟ ما الذي سيحدّد عندنا إذا كانت هذه الحرب انتصاراً؟ الرأي العام على ما يبدو. هو الذي حدّد أهداف الحرب، وهو الذي حدّد طولها، وهو على ما يـــبدو الـــذي سيحسم إذا كانت قد حقّقت أهدافها. النقاش موجود الآن لدى المحللـــين والـــصحفيين. ليس هناك نقاش جماهيري حقيقي. هناك جنازات وجنود احتـــياط مجـــنّدين للمعركة، وما زال مئات الآلاف في الملاجئ. كل هذه الأمور تُكبت حتى الآن من خلف الدماغ كما اعتاد شارون القول.

الانتصار بالضربة القاضية على ما يبدو سيتحقق فقط إذا خرج نصر الله رافعاً يديـــه. أمـــا كل شيء آخر فسيستوجب مرور عدة أشهر من الاستيعاب والجدل الجمـــاهيري حـــول ما كان هنا وكيف تمّ تنفيذه وأين ارتُكبت الأخطاء. ما هو إسهام الجيش وما هو إسهام المستوى السياسي. الجمهور بذكائه الجماعي هو الذي ســـيحدّد المعـــايير والأحجـــام. الحدث أكبر من أن لا يكون له تأثير حاسم على الجمهور الإسرائيلي.

مـــاذا يعني كل ذلك؟ أن الأمر ما زال مبكراً. من المبكر جداً بالنسبة لأولئك الـــذين يـــسارعون إلى قص الكوبونات، ومبكر جداً الاعتقاد أن لجنة التحقيق لن تأتي.

الخطأ المزدوج

بقلم: دان مرغليت

معاريف – 2006/8/4

باستثناء قراره الخاطئ الذي اتخذه بالإعلان عن وقف الحرب الجوية لمدة 48 ساعة في جنوب لبنان، والذي أتاح الفرصة لعناصر حزب الله أن تتنفس وإلى إعادة التسلح الجزئي، فقد أدار رئيس الوزراء، إيهود أولمرت، هذه الحرب برؤية وتفكير جيدين (دخول تدريجي ومتأنٍ للعمليات البرية في لبنان)، وبشجاعة عالية (السماح بالعملـية التي جرت في بعلبك). صحيح أنه توجد خلافات فيما إذا كان قد أخذ علـى عاتقـه شروط البدء بنوع من القيود التي أخّرت كما يبدو قدوم علامات الـنجاح هـناك، ولكن هذه ستكون قضية للمؤرخين، لأنه لا أحد يعرف ماذا سـيتولد عنه هذا اليوم، مثلاً، ولكن حتى اليوم فقد وُلد كل الأداء الجيد والخلفية معقـدة: لقـد سبق لإيهود براك أن قرر، وبتعقل، أن تنسحب إسرائيل من لبنان باتفـاق مع الأمم المتحدة. وهناك كانت توجد أسماء 120 من القتلى على لوحات الذكرى، وهو رقم كبير للغاية بالنسبة لهؤلاء الذين قُتلوا حتى الآن في هذه الحرب. والمجـتمع الدولي لم يكن إلى جانب إسرائيل، بل لم يكن ليعطي إسرائيل مثل هذا التأييد الذي أعطاها إياه الآن، كما كان عليه الأمر عندما قررت إسرائيل في أحد الأيام الاحتفاظ بمنطقة أمنية كما تقرر أن تفعل الآن. ولكن براك، بدوره أيضاً قد أخطأ كثيراً عندما لم "يرد كما يجب" على اختطاف الجنود الإسرائيليين في تشرين الأول 2000، كمبرر لشن حرب، لأن ذلك ليس مجرد لعبة كلمات فقط.

فقط، عندما فقد براك السلطة في شهر كانون الثاني 2001، فقد أخطأ أريك شـارون وبنـيامين بـن أليعيزر وشاؤول موفاز على مدار السنين عندما غضّوا أبـصارهم وأغمضوا عيونهم عن تلك العملية التي تدور على خط الحدود الشمالية مـن عمليات تقوية وتعزيز مراكز وتحصينات حزب الله، وذلك حتى شاهدوا ما

شـــاهدوه وضُربوا من حيث لم يتوقعوا على أيدي حسن نصر الله كما نرى الآن. وحتى قبل أن يتضح ماذا حدث في هذه الأيام الـــ 21 من أيام المعارك التي دارت حـــتى الآن، ومـــا الذي حدث لسمعة وقدرة الردع الإسرائيلية هناك، فمن الحق القـــول بـــأن أولمرت، وعمير بيرتس، ودان حلوتس، أحسوا، ليس قليلاً، حجم الشعور بالخطر لوجود (حسب المعلومات) 13 ألف صاروخ لدى حزب الله. الذي نراه الآن هو أن نحواً من 2000 من هذه الصواريخ قد أُطلقت، وقتلت، حتى الآن، نحـــو عشرين من المواطنين. خسارة على كل نفس تموت، ولكن استمرار وجود تهديـــد لوجـــود الدولـــة أمر لا يُعقل أيضاً. وإلى أن جاء اليوم الذي سقطت فيه الصواريخ على مدن وقرى ومواقع الشمال أكثر من أي يوم آخر، فإن البورصة في تل أبيب انطلقت نحو الأعلى. لقد أيّدت الانسحاب من لبنان عام 2000، ولست نادمـــاً علـــى ذلك الموقف ولو للحظة واحدة. لكن الخطأ حدث بعد ذلك، ويتم إصـــلاحه الآن. وكـــذلك لست نادماً على تأييدي لقرار الانطواء (الانسحاب)، فإســـرائيل لا يمكـــنها الاحـــتفاظ بنحو ثلث أراضي قطاع غزة من أجل 7500 مـــستوطن. والادعاء بأن الانسحاب من هناك كان سبباً لجلب الإرهاب، يعتبر في نظري ادعاء فارغ لا أساس له، لأن الإرهاب كان موجوداً مع وجود غوش قطيف ومـــن غيره. المقدم أفيف كوخافي أُرسل لمحاربة الإرهاب، وفعل كل ما يستطيع، وبنجاح، لكن ذلك لم يكن ليغيّر مصير نتساريم، مثلاً، بأي حال من الأحوال.

مـــن الأجدر أن ننظر ونفكر بحقيقة واحدة فقط: أن الفلسطينيين وحزب الله فهموا وفسروا الخطوة الإسرائيلية أحادية الجانب على أنها علامة ضعف إسرائيلي، ولم ينظروا إليها على أنها خطوة تعني "المبادرة" وحُسن النوايا تجاههم، كما كانت إســـرائيل تقـــصد بذلك، وأنها تسعى من أجل السلام. ولأن ذلك لم يكن ضمن حساباتهم، فلا بد أن ينـــزل الكثير من العرق عن جبينهم لكي تعود إسرائيل وتثق بهـــم من جديد، وهذا جعل القرار القادم بتنفيذ الانطواء في حكم القرار الذي تمّ إرجاء تنفيذه إلى موعد مشروط بظروف أخرى.

يهودا والسامرة ليست مثل قطاع غزة، ومجالها وحدودها أيضاً ليسا مثل لبنان السيادية. لذلك، فإن عودة أولمرت للحديث عن الانطواء هي في نظري عبارة عن

خطـــأ آخر، بل خطأ مزدوج. لا يمكن الطلب من الشعب الإسرائيلي أن يتوحّد وراء الحكـــومة في الـــوقت الذي يقف فيه على رأسها رئيس وزراء يُعيد التفكير ويـــنوي تنفيذ خطة هي في الأصل كانت موضع خلاف، ولا يوجد اتفاق حولها. إن مـــن يمشي ويتجول بين الجنود والضباط، يفهم بأنه في أيام الإجماع الوطني لا ضـــرورة للـــبحث عن خلافات لا داعي لها. لقد وجّه إليه أحد الصحفيين الأجانب ســـؤالاً. حـــسناً جداً، كان يجب عليه القول بأنه طالما بقيت هذه الحرب دائرة، فإنه يرفض البحث في أية مشاريع سياسية ليست ذات علاقة بهذه الحرب. ولكن المشكلة أن هـــذه الخطة (الانطواء) لم تكن أيضاً مقبولة دون الموافقة عليها الآن، إذا فكّر بها، دون موافقة واضحة من الشعب. وكما يقولون ذلك في إحدى الإعلانات الكبيرة التي يرفعها البعض "زعماء كديما.. أدخلوا هذا إلى رؤوسكم جيداً.. جيداً".

الخُضر على الخارطة

المقـــدم ألون فريدمان، هو الموجّه للقيادة الشمالية في الجيش، الوجه الجميل للقيادة الشمالية الذي يعاني الانقسامات والتمزقات الداخلية، إضافة للخلافات بينه وبين رئيس هيئة الأركان. هو ابن 42 سنة، شمالي من مدينة هرتسليا، ومن طلائع غـــولاني، الـــذي عاد إلى الخدمة في الجيش الإسرائيلي في أعقاب مقتل المقدم أراز غرشتاين في لبنان.

تحـــرّكت وتابعـــت خطواته على طول خط القتال، فوجدت ضابطاً متّزناً، مُفكـــراً، ويتمتّع بقدر جيد من التفاؤل. فريدمان يعتقد، خلاف ما يفكر به قسم كـــبير من الجمهور الإسرائيلي، بأن جنود القوات البرية يقومون بخوض المعركة في الـــشمال ولأداء واجـــبهم، وأن أوسمة كثيرة ستوزّع في أعقاب هذه الحرب. وقد أثبت جنود الاحتياط في القطاع الغربي من الجبهة بأنهم لم ينسوا أبداً دروس وعِبر الحرب اللبنانية الأولى، رغم تدني مستوى تدريباتهم (حسب تقديري لأنهم جرّبوها أكثر من الجنود الشبان من خريجي محاربة الانتفاضة).

الـــسلطات المدنية هي التي ستقرر ما الذي سنقوم بالتحقيق فيه بعد انتهاء الحرب، لكن يتوجب على الجيش أن يقوم بواجبه أيضاً. ليس يوم وقوع عملية

الاختطاف فقط، ولا ضرب سفينة سلاح البحرية أيضاً، وسلسلة طويلة من الأحداث غير الطبيعية، بل هناك أيضاً مشاكل وأحداث خاصة جداً. فهل يجب على إسرائيل أن ترى بجنود الوحدات البرية مجرد "جيش إسناد" ومساعدة للقوات التي تعمل وتستغل القدرات التكنولوجية المتفوقة عند الجيش الإسرائيلي؟

لقد كشفت هذه الحرب الخطة الخاصة المُعدّة لكل عدة سنوات لدى الجيش الإسرائيلي، ولو لم تنشب هذه المعارك، فإن الميزة والطريقة المفضلة لتغليب القضية التكنولوجية القائمة على استثنائية سلاح الجو الإسرائيلي، كانت ستزداد. بمعنى، أن كل قطاعات الجيش كانت ستبقى على حالها باستثناء سلاح الجو الذي يحظى بالتطور المستمر. ولكن الآن، أصبح يوجد كمّ من المعلومات الاستراتيجية الذي يوجب التفكير بها من جديد. والذي نفهمه من ذلك أن فريدمان مثلاً، أن "الخُضر" عادوا مرة أخرى ليأخذوا مكانهم على الخارطة. هؤلاء هم نصيب مهم ووافر في الوضع العسكري المتبلور في هذه الأيام، يوم أمس كانوا يستعدون لإنهاء المرحلة الأولى من مراحل القتال البري الذي يدور في مناطق جنوب لبنان. هناك يدور قتال قاسي مع عناصر منظمة إرهابية مسلحة من النوع الذي يُطلق عليه اسم "حرب عصابات"، ومع ذلك، فإن هذه العناصر مستعدّة ومدرّبة للقيام بهجمات معاكسة، ولها خطط دفاعية وقدرة على القيام بعمليات هجوم منظمة، كما تفعل القوات النظامية. لذلك، على الحكومة، ومنذ ساعات الصباح الباكر، أن تقرر بالضبط ما الذي تريده، وما هي خططها القادمة.

هي تستطيع أن ترى وتكتفي بهذه المنطقة الضيقة التي أصبحت ضمن وتحت سيطرة الجيش الإسرائيلي، منطقة يمكن استعمالها كورقة للمفاوضات تلزمها من أجل تحقيق أهدافها السياسية وإتمام خطتها التي من المفترض أن تكون قد رسمتها في وقت سابق من هذه المراحل التي وصلت إليها الآن. والحكومة يمكنها المطالبة بتحسين وضع وحالة هذه المنطقة، وذلك بطلب فرض كامل السيطرة عليها وإيصالها حتى حدود نهر الليطاني لتكون منطقة متواصلة وممتدة، ولكن، ما هو الشيء المفضل في نظرها؟ لا يحق للضباط التحدث عن ذلك علناً وأثناء أداء

الخدمـــة. ولكـــن، وبعد انتهاء الحرب، سيأتي دور حرب الكلام التي ستدور بين الجيش والحكومة من جهة، وبين قيادات الجيش الداخلية من جهة أخرى.

يُهددون رافض الخدمة لحظة من هذه الحرب:

يـــوم أمـــس سافرت نحو الشمال لكي أودع هذه النار، اعتقدت بيني وبين نفـــسي بأنه هنا تدور هذه المعارك. قبل نحو 369 شهر عُدت من حرب بسيطة. بالنسبة لي هي حرب انتهت عند بلدة صغيرة اسمها "الطور" في شبه جزيرة سيناء. زرت صـــديقي إيـــلان جني، الذي كان يُعالج في مستشفى هداسا عين كارم في القـــدس، وذلـــك في أعقاب إصابته في المعركة التي دارت للاستيلاء على مدرسة الـــشرطة في القدس (منطقة الشيخ جراح)، وكان قد مضى شهر تقريباً على انتهاء حرب الأيام الستة في حزيران 1967.

تحدثنا حول مستقبله المدني (بعد الجيش)، وكل شيء كان يبدو في تلك الساعة عاديـــاً وطبيعـــياً، وأتذكّر أنني كتبت عنه في الصحيفة "ها هي الحرب تبتعد"، وفي ساعات الصباح، لدى توزيع صحيفة "هآرتس" في صناديق البريد عند مداخل البيوت والأماكن الأخرى، تلقيت مكالمة من والده تسفي، حيث أخبرني أن ابنه إيلان قد توفي أثناء الليل متأثرا بجراحه. وببساطة، فقد رفضت الحرب أن تبتعد وأن تنتهي.

في هذا الأسبوع أيضاً، اعتقدت لبعض الوقت أن الحرب ستنتهي، ومرة ثانية فإنهـــا ترفض ذلك. فقد وصلت إلى الشمال مع الإعلان المحتمل عن وقف إطلاق الـــنار، وعـــندما وصـــلت واجهت يوماً سقط فيه نحو 200 صاروخ على مناطق الشمال، وفي كريات شمونة وحدها سقطت صواريخ كثيرة، وواجهت الكثير من الـــضربات الصاروخية، كنت أشاهد الحرائق وأشم روائح كريهة تنبعث من تلك الانفجارات، إضافة لذلك الطقس الحار جداً. وهناك شاهدت المواطنة سيون بنش التي أحضرت زوجها إلى نقطة تجمع قوات الاحتياط التي جرى استدعاءها مؤخراً، شاهدتها وهي تقف هناك بلا حول ولا قوة. فبعد سقوط تلك الصواريخ، أغلقت أمامهـــا حـــتى طـــريق العودة إلى البيت، فهي من سكان بيت هيلل، وقد تركت الأولاد عند الجدة.. فإلى الشيطان هذا الوضع.

معـــتادون على أصوات الانفجارات، واصل جنود ومجندات الفرقة 7 تناول الطعـــام في الساحة الموجودة دون الالتفات كثيراً لسقوط صواريخ الكاتيوشا التي كانت ولا شك تقلق الآباء والأمهات في البيوت خوفاً على الأبناء، وأكثر ما فعلوه هـــو الاستجابة لمندوبي رجال الكنيس اليهودي "حفاتس حاييم" من حولون الذين وزّعوا عليهم كتاب أدعية، فكانوا يقرأون ويطلقون النار.

ســـقوط صواريخ الكاتيوشا بالقرب من كريات شمونة لم يُحرّك أحداً من المقهى هـــناك، وذكـــرني بيوم كان فيه دان مرغليت، متان شوحاط، وشاي ميرون، ثلاثتهم كانوا فوق عربة جيب واحدة، ويخدمون في قوات الاحتياط، قبل سنوات كثيرة عندما دوى الانفجار، واشتعل حريق وأخذوا يبحثون عن ملاذ آمن هناك، فيا لتلك الذكرى!

رجل الأعمال، الرائد "جرينبرغ كان قد تحدث مع عميت مشيح، من زعماء رافـــضي الخدمة في ذلك الوقت ومن اليساريين، فبالنسبة لعميت لا توجد مشكلة بـــأن يخـــدم في لبـــنان، فماذا كنت سأفعل لو رفض الخدمة والتجنيد في لبنان؟ جرينـــبرغ: "حكمـــوه بالـــسجن لمدة 28 يوم سجن دون رأفة ولا تردد". نعم، ولكنهم يحبونه "فهم يهودون رافض الخدمة شيئاً فشيئاً" هكذا ابتسم شوحط.

الجلـــيل كله يعاني من حالة طقس خماسيني، وفي الفندق القريب من كريات شمونه قابلت زملائي من قسم البث الذين لم أقابلهم منذ ثلاثة أسابيع. فهم اعتادوا كـــذلك على الأوضاع. اعتادوا على الحلاقة في السيارة، على سقوط الصواريخ، ورجـــال الاحتـــياط كانوا كما كانوا دوماً. صاحب محطة في القدس، وإلى جانبه آخر من زخرون يعقوب ومدرب من تل أبيب. فخيرة البناة العاملين في هذه البلاد مـــتواجدون هـــذه الأيام قريباً من خط الحدود بانتظار الأمر بالتقدم نحو الحدود ودخول المعركة والسير نحو مراكز إطلاق الكاتيوشا في العمق اللبناني لأن استمرار ذلك يعيق استمرار تواجدهم في الصحف، في تل أبيب.

مشاهدات من الحرب:

السيدة الحيفاوية "تمناع أحيلئه" شاهدت عضو الكنيست "زهافا جلئون" في التلفـــزيون وغضبت. فهي ابنة 85 سنة. فهي أمضت حتى الآن 71 سنة في البلاد

وهي مواطنة قديمة تقطن في مدينة الكرمل. وقد شاهدت النائبة من حزب ميرتس في التلفــزيون وسمعتها تقول بأنه "لا يوجد غير العجائز والمسنين، الذين لا يملكون شــيئاً، وكــذلك الأثيوبيين الذين ظلوا هناك دون قدرة على التغيير أو التصرف، هؤلاء فقط هم الذين بقوا في حيفا التي تتعرّض للقصف. لكنها (النائبة من ميرتس) لم تعــرف بــأن هــناك من عرض عليها الذهاب إلى تل أبيب وأنها رفضت تلك الدعوة، بل وزيادة على ذلك فهي تقوم بزيارة صديقتها ابنة 91 سنة، وأنها تساعد كــل من يحتاج إلى المساعدة بما في ذلك من يرغب في الاتصال الهاتفي ولا يملك هاتفــا فقالت لي "ربما تقول للسيدة جلئون أن تتحدث ببطء، لكي يكون عندها الــوقت الكافي لتفكير أكثر فيما تقول".* قرار للمحكمة العليا رفض طلباً لعضو الكنيست يوسي بيلين للإعلان عن حرب في لبنان. ولكن الحكومة تتصرف وكأن كل شيء يسير على نحو طبيعي. وذلك إلى أن تصيبها الأشياء وتتعلق بها. ففي يوم 6/14 القادم، سيستقيل القاضي "أهارون براك" من رئاسته للمحكمة العليا، ووفقاً للقانون يجب نشر اسم المرشح/5 لخلافته حتى موعد نهاية (8/23). والوزير حاييم رامــون لا يمكــنه تنظيم ذلك وترتيبه، وذلك لأن المستشار القانوني "ميني مازوز" وإلى أن تنتهــي التحقــيقات بخصوصه (حقيقة؟ يمكن الاتفاق في يومين) وبعدم وجــوده لا بــدّ من تقديم وزير من الاحتياط ليخلف مؤقتاً الوزير رامون كوزير للعدل. فلا يوجد نظام قضائي جيد وسليم دون قائد. فإذا لم تكن الحكومة قادرة للتصرف كما يجب، فمن الأنسب - ربما - طلب خطوة من المحكمة العليا، طلب فتح ملف أصلي، عنوانه يكون المحكمة العليا ضد حكومة إسرائيل.

أهوال القيامة بعد ذلك

بقلم: آري شبيط

هآرتس - 2006/8/4

منذ حرب الأيام الستة لم تنتصر إسرائيل في أية حرب. لكن إسرائيل في جميع حروبها في الجيل الأخير لم تُهزم. تحوّلت حرب يوم الغفران من شبه هزيمة إلى شبه نـصر عـندما عـبر الجيش الإسرائيلي قناة السويس في الجنوب وهدّد دمشق في الـشمال. وتعقّـدت حرب لبنان وعقّدت ولكنها مع كل ذلك أفضت إلى طرد عـرفات مـن بيروت وإلى نقض عُرى شبه دولة منظمة التحرير الفلسطينية التي أقامـتها. بلغـت الانتفاضة الأولى إلى الخمود قبل أن ترهق إسرائيل وصارت إلى أوسـلو. وقـضي على الانتفاضة الثانية قبل أن ترهق إسرائيل أيضاً وصارت إلى الانفصال.

وهكـذا في أربـع معـارك مخـتلفة - يمكن أن نضيف إليها أيضاً حرب الاسـتنـزاف وحربي الخليج - بلغت إسرائيل إلى التعادل على نحو ما، الذي لم يفـضِ إلى حسم لكنه مكّن من وجود استقرار ما حتى المعركة الآتية. على ذلك تخالف حرب لبنان الثانية كل سابقاتها. في حرب لبنان الثانية يوجد خطر أن تُهزم إسـرائيل. إذا لم تـنجح العملية البرية الكبيرة التي بادر إليها إيهود أولمرت بتأخر كبير، نجاحاً حسناً، فإن الواقع الذي قد نصحو عليه في نهاية الحرب هو واقع أولى الهزائم الإسرائيلية. ليست الهزيمة كارثة، وليست نهاية الأمر فقد هزم الفرنسيون في الهـند الـصينية وظلوا باقين، وهزم الأميركيون في فيتنام وتجاوزوا ذلك. وهزمت مـصر في 1967، واستخلـصت دروسها وعادت ووقفت على رجليها في 1970 وبعـد ذلك في 1973. ولكن من أجل منع حتى هزيمة إسرائيلية محدودة يجب أن نعـرف الوضع تعريفاً دقيقاً. إن محاولة خلق تصور انتصار زائف لا يخدم الهدف الـوطني والوجود الوطني. على العكس إنه ينيم الأمة ويمنعها من تجنيد كل قواها لمواجهة مصيرها المطلوبة. إذا كانت إسرائيل ترغب في الحياة، فإنها لا تستطيع أن

تواصل العيش داخل خيوط الحيلة الدعائية لمؤسسة عسكرية تحسن الدعاية. عليها أن تخرج من قاعة الواقع الوهمية في قنوات المشاهدة الوطنية وأن تنظر إلى الواقع كما هو. الواقع صعب، لكنه ليس بغير أمل.

في البدء يجب أن نحدّد المشكلة الشديدة الإلحاح: فشلت إسرائيل في المراحل الثلاث الأولى من حرب 2006. فشل الهجوم الجوي، وفشل الهجوم البري المحدود وفشلت أيام الإحجام والارتباك بعد بنت جبيل. ونتاج ذلك أن أصبحت إسرائيل تُرى عاجزة بازاء منظمة إرهابية ضمن دولة تضربها مرة تلو أخرى من غير أن تخضع. إسرائيل دولة يحيط بها الأعداء بالفعل والأعداء الكامنون. قوة هؤلاء الأعداء تزيد على قوة حزب الله بأضعاف مضاعفة. إذا لم تكن إسرائيل قادرة على الدفاع عن سيادتها وعن مواطنيها في وجه حزب الله لمدة ثلاثة أسابيع طويلة، فإن الانطباع الذي ينشأ هو أنها أصبحت دولة لا يمكن الدفاع عنها.

هذا الانطباع مخطوء تماماً. إسرائيل في الأساس دولة قوية. لكن نشوء تصوّر ضعف في الشرق الأوسط يعني الهزيمة. ومعنى هزيمة كهذه حرب قريبة. وهي حرب ستكون أصعب وأفظع من الحرب الحالية. وعلى ذلك، فإن محاولة قلب الطبق في اللحظة الأخيرة وإحراز الحسم المتأخر بثمن دموي باهظ هي محاولة صحيحة وضرورية. إن من يريد الحياة خاصة، والاستقرار بل السلام يجب أن يكون مستعداً لأن يدفع الثمن الفظيع المطلوب لكي لا تنتهي حرب لبنان الثانية إلى هزيمة إسرائيلية. بعد ذلك يجب تحديد الأسباب المباشرة للأزمة المباشرة. لماذا أصبح صيف ألعاب كأس العالم صيف حرب فاشلة؟ لماذا انتقلت إسرائيل لمرة واحدة من وضع اقتصادي نام عظيم إلى وضع عاجزة عسكرية؟

كانت حرب يوم الغفران وسماً في الوعي الإسرائيلي كإخفاق. وستَسِم حرب لبنان الثانية الوعي الإسرائيلي كإخفاق. حتى إذا هزم نصر الله آخر الأمر، على وجه ما، فإن حرب 2006 كشفت عن حقيقة أن إسرائيل في 2006 موجودة في وضع قصور في النظم. ولكي لا يصبح قصور النظم انهيار نظم يجب ملاحظته بدقة الآن، وإسرائيل ترسل أبناءها للنضال عن مستقبلها في حومة القتال الشمالية.

فشل الجهاز السياسي. فشل لأنه استسلم للإيمان المجرد بالانسحاب الأحادي المجرد من غير أن يفهم الأخطار التي تكمن فيه. وفشل لأنه لم يخلق ردعاً إسرائيلياً كاسحاً في وجه هجمات صواريخ القسام في الجنوب بعد الانسحاب الأحادي. وفشل لأنه خرج من الحرب متسرعاً من غير أن يزن كما ينبغي احتمالاتها ومن غير أن يحدّد كما ينبغي أهدافها. وفشل لأنه مضى مأسوراً خلف المستوى العسكري الذي لم يعرف كيف ينتقده، أو يكبح جماحه أو يضائل قدره. وفشل لأنه أدخل إسرائيل حومة قتال ملغومة يجب الانتصار فيها برغم أنه لا يمكن الانتصار. فشل النظام العسكري. فشل لأنه افترض أن سلاح الجو والسلاح الدقيق هما جواب المشكلات الأساسية للأمن الإسرائيلي. وفشل لأنه وعد بأنه يمكن حسم الحروب التقليدية بغير دم، وعرق ودموع. وفشل في توخيه الرفاهة. وفشل لعجرفته. وفشل لأنه لم يبنِ روحاً قتالياً ذا صلة و لم يهب روحاً قتالياً صارماً. وفشل لأنه استنفد أكثر موارده في إدارة الاحتلال من جهة وفي الإعداد للانفصال من جهة أخرى من غير أن يستعد للحرب الحقيقية كما ينبغي. إن تحدي أيام الحرب الأخيرة واليوم الطويل الذي سيلي الحرب هو إعادة جعل إسرائيل دولة ذات بقاء. من أجل فعل ذلك يجب الخوض في جميع الأسئلة الأساسية. ومن أجل فعل ذلك يجب القيام بفحص البيت لا في نظم الإدارة فقط، والجيش والمؤسسة بل في جميع نظم حياتنا. إسرائيل هي دولة الشعب اليهودي. إسرائيل دولة حرّة. ولكونها دولة يهودية ولكونها دولة حرّة، فإن التشدّد الإسلامي يريد القضاء على إسرائيل. منذ ثورة الخميني في إيران في 1979 والغلو الإسلامي في ازدياد. وعلى ذلك فإن التهديد الذي تتعرّض له إسرائيل حقيقي غير خفي. إنه وجودي لا جغرافي. التحدي الذي يواجهها هو كيف تنظّم نظم حياتها بحيث تستطيع الحفاظ على هويتها والدفاع عن حريتها في وجه الطوفان العظيم الذي يثور بها.

عرفت إسرائيل كيف تفعل ذلك لنصف قرن. بين منتصف الثلاثينيات إلى منتصف الثمانينيات، عندما واجهت القومية العربية العلمانية، عرفت إسرائيل في بدايتها وإسرائيل الشابة كيف تلائم قيمها، ومبادئها الداخلية وقوتها العسكرية للتحدي الوجود الذي تعيش في مواجهته. وجد التوازن بين الانتماء الحضاري إلى

الغـــرب وبـــين ما يقتضيه العيش في الشرق. ووجد التوازن بين الحرية والتجند. ووجد التوازن بين حب الحياة والاستعداد للموت.

اســـتطاعت إســـرائيل على نحو عجيب تقريباً أن تشق طريقها بين تناقضات وجـــودها الداخلية بل جعلت هذه التناقضات مصدر قوة. ولكونها عالمة بهشاشتها وضعفها الخاص، عرفت إسرائيل كيف تبني وجوداً قومياً فواراً خصباً يحصنه الأمن الوطني القوي الرادع.

في الـــسنين العـــشرين الأخـــيرة ضـــاع التوازن. الانقلاب، وحرب لبنان، والمستوطنات، والخصخصة، والانتفاضات، وما بعد الصهيونية، سبّبت نقض عُرى الـــنظام الإســـرائيلي القديم. لم ينشأ نظام إسرائيلي جديد. لم تُروَ رواية إسرائيلية جديـــدة. ولم تـــتم صياغة وعي معاصر يعقد جسراً فوق الهوة الفظيعة بين البيئة الإسرائيلية الداخلية والبيئة الخارجية التي تحيا إسرائيل داخلها.

إن نخبة المال الجديدة التي حلّت محل نخبة الخدمة القديمة لم تكن ذات قيم بل كانـــت انتهازية. لم تهتم بالمصلحة العامة بل بالمصلحة الشخصية والطبقية. وعلى ذلـــك لم تنـــشئ هـــنا جمهورية إسرائيلية ثانية تحلّ محل جمهورية الحصار الزاهدة المـــصممة الـــتي وجدت حتى الثمانينيات. بدل ذلك أنشأت واقع سوق حرة لا تربطها إدارة رسمية قوية. لقد أنشأت نظاماً رأسمالياً حاطماً وفردانية متشددة تنقض كـــل إحساس بالتكافل وتضعف جداً نظام المنعة الوطنية. لقد وعدت بالسلام ثم وعـــدت بالسلام وجعلت الوعد الفارغ بالسلام مثلاً يحتذى. لقد جعلت إسرائيل قـــارب لـــذات لا يلحظ ربابنته الذين تسكرهم العجرفة وأصحابه الذين يسقيهم الفساد العاصفة الكبيرة الآخذة في الاقتراب.

نحـــن الآن في العاصفة. تبدو حرب لبنان الثانية أحياناً كالعودة إلى الماضي. لكنها في حقيقة الأمر التماعة المستقبل. أقيمت على حدودنا الشمالية كوبا إيرانية. إذا لم تجـــرّد كـــوبا الإيرانية من سلاحها فستهددنا تهديداً متصلاً لا يحتمل. لكن محاولتـــنا الحالـــية تجرّد كوبا الإيرانية من سلاحها تشبه أكثر فأكثر إخفاق خليج الخنازيـــر. علـــى ذلك يجب أن نفترض أن ما نعالجه الآن ليس المعركة الأولى من المـــواجهة الـــتي ستكون لها أيضاً معركة ثانية وربما ثالثة. ليس الموضوع الملحّ هو

الجنود المختطفين. الموضوع هو محاولة إيران وضع حدّ للسيطرة الاستراتيجية الإسرائيلية في المنطقة. الموضوع هو محاولة قوة الشرّ الإيرانية صد الغرب عن الشرق الأوسط بتقويض إسرائيل.

ولما كان الأمر كذلك فإن علينا أن نرى حرب لبنان الثانية شبيهة بحرب إسبانيا التي تسبق المعركة الكبيرة وتمثّل لها حقل تجارب للأدوات. ينبغي أن نفهم أن السؤال الذي تتركه لنا حرب لبنان الثانية هو هل نحن تشيكوسلوفاكيا التي انهارت أمام الشر، أم أننا بريطانيا التي استطاعت بعد أيام صعبة جداً أن تهزم الشرّ وخلقت تحوّلاً مضاداً للشرّ. مهما كان الأمر، لن يكون لحرب لبنان الثانية نهاية حقيقية. الهدوء الهشّ الذي سيسود مع نهايتها لن يكون سوى هدنة على دَخَن.

ومن سيحدّد نتائج المواجهة التي ستأتي بعد نهاية الهدنة هو من سيستغل السنين القريبة لمصلحته. من سيفهم مصيريتها ومن سيستعملها استعمالاً ذكياً ليكون مستعداً لساعة الحسم التي ستأتي حتماً.

لقد تحدّانا حسن نصر الله في هذا الصيف أبلغ تحدٍّ. لقد جاء يجابهنا مستعيناً بجيش صغير من المؤمنين، مطيع ذي تصميم، وليقول إن ديمقراطيتنا فاسدة، وأن حرصنا الغربي على اللذة فاسد، وأنه لا قدرة لمجتمع حرّ محبّ للحياة في شرق أوسط متشدّد على البقاء، كما يقول نصر الله. الآن يواجهنا هذا التحدي لدى أبوابنا.

إسرائيل دولة تخيّب الظنون. عندما تكون على علم بضعفها الباطني تستطيع التغلب عليه لتصبح قوة كبيرة. وعندما تفترض أن قوتها وتفوّقها مفهومان ضمناً تضعف وتُضرب. الآن خاصة، وبسبب الضربة الشديدة التي تلقيناها في حرب خطيئة العجرفة خاصة، نستطيع أن ننهض من السقوط، وأن ننفض أنفسنا وأن نخرج منا القوى الكامنة فينا. ولكن من أجل أن نفعل ذلك علينا أن ننظر إلى أنفسنا وإلى مصيرنا. يجب علينا أن نبدأ من الفور بمناقشة الوضع الإسرائيلي وما يقتضيه. عرضت هذه اللائحة عرضاً خاطفاً عدداً من الطروحات الأولية. لكن النقاش الصائب الذي يتلو الحرب يجب أن يثير أسئلة كثيرة أخرى: هل يوجد

سـبيل للامتـناع من الحرب العالمية الثالثة بين الغرب والإسلام؟ هل كانت فكرة برنامج مدني وقيادة مدنية في إسرائيل صحيحة أو كانت هوىً فجا؟ أكان الهجوم على الحياة العسكرية الإسرائيلية محقاً أم خطراً؟ هل يجب أن يجري تقويم من جديد للنظـرة إلى الاحتلال وإلى الانطواء؟ هل الاحتلال هو الذي سبّب إرهاق الجيش الإسرائيلي وماذا كان نصيب الحرص المدني على اللذة من ذلك؟ هل يوجد سبيل لتحديد تصور قتالي لإسرائيل علمانية تمكن الإسرائيليين الشبان من الدفاع عن عالم حريتهم ولذهم في وجه غلاة مسلمين؟ أما تزال توجد سبيل سياسية لردع التهديد الإيراني - ربما باتفاق سلام مع سوريا؟ أين كان خطؤنا في فهم حدود القوة؟ هل اعـتمدنا أكثـر مما يجب على تفوقنا التكنولوجي والاستراتيجي؟ ما الذي تقوله الحـرب عـن طموحنا إلى أن نعد أمة متنوّرة؟ غربية؟ هل أخطأنا في توجهنا إلى أميركا وتنكّرنا للأوروبيين؟

نتعلم قيود القوة

بقلم: بن كسبيت

معاريف - 2006/8/6

25 يـــوماً من القتال، 3 آلاف صاروخ على إسرائيل، مئات أطنان القذائف علـــى لبنان، آلاف الغارات من سلاح الجو، مئات صواريخ مضادة للدبابات على قواتنا. 81 قتيلاً في إسرائيل (موزعين بالمناصفة بين الجنود والمدنيين)، نحو ألف قتيل لبناني (حوالى 400 مقاتل من حزب الله قتلى). حي كامل في بيروت مُحيَ، حيفا مقصوفة. عشرات آلاف رجال الاحتياط في جنوب لبنان، مئات رجال حزب الله متمترسون حيالهم. نصر الله يواصل إلقاء الخطب، وأولمرت كذلك.

إذن مـــن انتصر؟ الجميع. في الواقع، الأمر منوط بمن تسأل. المشكلة الرئيسة لرئيس الوزراء هي خطابه الأول، في الكنيست، والذي حدّد فيه أهدافاً في السماء. أولمـــرت ليس غبياً. فهو ما كان ليتبجّح لولا أخذ الإحساس من الجيش بأن هذا ممكـــن. وفي الـــنهاية، بعد أن يتبدّد غبار الجنرالات، سيتبيّن لنا أن هذا مستحيل. وكالمعتاد، فليس هذا ما ظنناه.

في نـــيويورك استكملت أمس المسودة الأميركية - الفرنسية لمشروع القرار الذي سيعاد في منتصف الأسبوع إلى مجلس الأمن. الأميركيون كممثلين لإسرائيل والفرنسيون كممثلين للبنان توصلوا إلى صيغة معقولة من ناحية إسرائيل. وفي هذه اللحظـــة لا تـــزال هناك خلافات. وفي النهاية، الجميع سيتفقون. أميركا، روسيا، الـــصين، بـــريطانيا، فرنسا، إسرائيل ولبنان أيضاً. الجميع، باستثناء نصر الله. وهو يمكـــنه أن يقـــوّض كل القصة. مهمة الجيش الإسرائيلي، في الأيام الثلاثة القريبة القادمة هو منحه الأسباب كي لا يقوضها. وصحيح حتى الآن، لا توجد له أسباب كهذه. وليس واضحاً إذا كانت له.

وفي هـــذه الأثـــناء، في ظل غياب نصر واضح حيال العرب، يتعارك اليهود. أولمـــرت ضد بيرتس، القيادة السياسية ضد العسكرية، الضباط الواحد ضد الآخر.

وحتى الفضل في العملية في بعلبك لم يعد مسلماً به. ولا يوجد ما يكفي من المجد للجميع. ولهذا فإنهم يتصارعون. بيرتس أمر الجيش الإسرائيلي يوم الخميس بالاستعداد للوصول إلى الليطاني. أولمرت وجد صعوبة في كبح النزعة وأفلت على وزير دفاعه الناطقين بلسانه. "أحبولة إعلامية جيدة لنهاية الأسبوع"، قالوا هناك. على أولمرت أن يبحث الآن أحبولة جيدة لنهاية الحرب. بيرتس، بين الجيش وأولمرت ونصر الله، يتجلّد الآن. والنار ستستأنف مع وقف إطلاق النار.

يمكن منذ الآن البدء بالخلاصات. إذا ما أنهى حزب الله هذه الحرب ما وراء الليطاني، فيما أن ترسانة صواريخه هزيلة، فإن لبنان مهدّم وحظر على إعادة التسلح، بما في ذلك التحرير المتبادل للسجناء (إسرائيليون مقابل لبنانيون)، سيكون هذا جيد، ولكنه لا يزال بعيداً.

من جهة أخرى، تعلّمت إسرائيل مرة أخرى، بخبطة، قيود القوة. فنحن مستعدون دوماً للحرب السابقة. مكافحة الإرهاب ضد الفلسطينيين في المناطق لا تشبه حرب العصابات ضد اللواء الإيراني المدرّب لحزب الله في الجبال. قدرات سلاح الجو مثيرة للانطباع، ولكنها لا تحسم. فهناك حاجة إلى خدمات برية أيضاً، أهملت في السنوات الأخيرة، والآن دفعنا الثمن. الوحدات الخاصة غير مرتبة. المعدات ناقصة والتدريبات أيضاً. مشكلة قيادية عسيرة من الضباط الكبار. دخول بري متأخر ومتردّد، انعدام الحزم، عدم المخاطرة، جهود لوائية عالقة.

كان ينبغي الدخول بقدر أسرع، أقوى، أشد. عندما كان ينبغي الدخول، خرجنا. وعندما كان ينبغي الخروج، دخلنا. بيروت قصفنا، وبعد ذلك تركناها لحالها. رئيس الأركان عرض بدائل، دوماً الكثير من البدائل، ولكنه لم يكن قاطعاً، لم يكن واضحاً و لم يوصي. هكذا يبدو الأمر عندما يصارع مجتمع غربي، مدلّل، يقدّس الحياة، مجتمعاً بربرياً، متعطشاً للدماء ومسارعاً نحو الموت.

شعاع النور: كالمعتاد. الجنود. غولاني، المظليون، المدرعات، المدفعيون والاحتياط. جميعهم مفعمون بالدوافع، متحمّسون وشجعان. في المعارك وجهاً لوجه أخذوا حزب الله بأسنانهم بما في ذلك الاحتياط. مع المشاكل، المعدات الناقصة، آلام الظهر والقيظ. هذا ما دوماً وقف معنا. الجنود.

إخفاقات صغيرة

مـــن حـــيث الوعي؟ ليس واضحاً. فمن جهة، حيفا قصفت، شمال إسرائيل شل. مليونا مواطن من المنارة حتى الخضيرة، نـــزلوا إلى الملاجئ. من جهة أخرى، الـــسماء لم تسقط. تهديد الصواريخ إشكالي، ولكن ليس وجودياً. لن يكون معلقاً فـــوق رؤوسنا بعد اليوم، كالسيف. يريدون إطلاقها؟ فليطلقوها، وسيعرفون بأن بيروت ستخرب. هذه هي القواعد الجديدة.

مـــا شـــوّش كل شيء كان القنبلة في كفر قانا. كنا على شفا ترتيب مريح، نـــصر الله لم يفهم سوى القوة، والسنيورة كان يوشك على إرسال رسالة موافقة والحـــياة بدت جميلة. وعندها، بقنبلتين ومبنى محطّم واحد، ألقي بكل العملية إلى الوراء وبدأ نصر الله يرى صوره في مظاهرات الشارع، والعالم غيّر الاتجاه وتبدّدت الـــريح في الأشـــرعة. هكذا هو الحال في الحياة، بل وأكثر في الحرب. الآن يجب اســـتغلال الأســـبوع الأخير للقتال قدر الإمكان، والخروج منه بشكل أفضل قدر الإمكان والنظر إلى الأمام.

هـــذه الحـــرب لن تنتج لجنة تحقيق، إذ إنه لا يوجد قصور. توجد إخفاقات صـــغيرة. وهي ستولّد صراعات، اتهامات، جدالات، معارك جنرالات وسياسيين والكـــثير جداً من التبريرات. وفي القيادات السياسية العليا هناك الكثير من التحامل على القيادات العسكرية العليا. وفي شيء واحد يكاد يكون الجميع موحدين. حان الوقت لوضع الخيار أمام النواب العرب.

رئيـــسة الكنيـــست دالـــيا إيتسيك، في رسالة حادّة للغاية للجنة الآداب في الكنيست، تطالب بإبعاد النائب جمال زحالقة عن عشر جلسات للكنيست. عقاب خفيف، لن يحل المشكلة الأساس: يوجد في العالم دول مع أقليات، ولكن لا توجد ســـابقة لدولة يختار فيها النواب الجانب الآخر، الذي قام بإبادتها. يوجد في إطار التشريع لدينا الآن جملة مشاريع قوانين مهمة، ولا سيما مشروع زبولون أورليف الـــذي سيرسم حدود جديدة. نهاية التسيّب، نهاية الازدواجية، نهاية الحياة الطيبة: العيش في إسرائيل، التمتع بالديمقراطية، الرضع من ثديها، والتآمر عليها. هذا يجب أن ينتهي، حتى قبل نصر الله، إذ إن هذا أهم.

حول مسألة الردع

بقلم: تسفي برئيل

هآرتس - 2006/8/6

مـــرة أخرى يُطرح السؤال المقلق: من الذي يحدّد القواعد، الجيش أم الدولة؟ أو بصياغة أخرى، هل الدولة هي جهاز تابع للجيش أم على العكس؟ على سبيل المـــثال نذكـــر في هـــذا السياق مسألة الردع. في الأسبوع الماضي عرضوا علينا استعراض بعلبك المثير تحت عنوان "سندخل إلى كل موقع نرغب فيه"، كما قال لنا رئيس هيئة الأركان. وعليه بدا "أهم" سيصابون بالذعر بعد ذلك.

ولكـــن الذاكرة تدلّنا على أننا قد شاهدنا هذا السحر من قبل: في عنتيبة وفي مـــصر إبان حرب الاستنـــزاف، وفي الأردن عندما حاولنا اغتيال مشعل، وفي ليلة البلور، وفي بيروت وفي مالطا وتونس. فما الذي يزيده إذاً دخولنا إلى مستشفى في بعلبك؟ الحقيقة هي أننا إذا عصرنا الذاكرة نتذكّر أننا قد كنا في السابق في لبنان، وأنه كانت لدينا هناك منطقة أمنية. فماذا عن مسألة الردع إذاً؟

هـــذه الحرب بدأت مع رزمة كاملة وواسعة من الشرعية. دولة لا يمكنها أن تـــتحمّل اختطاف جنودها. والأمر المثير أن هذه القاعدة قد حصلت على موافقة بعض الزعماء العرب، وكذلك عدداً كبيراً من المواطنين اللبنانيين الذين أدركوا بأن حزب الله قد وضعهم على مسار التصادم العنيف مع إسرائيل. بعد ثلاثة أسابيع من ذلـــك تبدّد هذا الإدراك وحلّت محله مشاعر المهانة والآلام والغضب العميق. لماذا ســـيبدأ اللبنانيون الذين يرون بيوهم مُدمرة إلى فتات وأبناء جيراهم الموتى بالمئات، واحتمالية عدم تمكنهم من التوجه إلى مقاعد الدراسة في السنة القادمة - بالخوف مـــن إسرائيل؟ هم على قناعة أن هذه الحرب ليست حرباً أخرى ضد حزب الله، كما يُدعى، وإنما هي حرب شاملة ضد لبنان كله. ضد المواطن اللبناني سواء كان مسيحياً أم درزياً أم شيعياً.

عندما بدأت الحرب كان المواطن اللبناني يعتقد أن الجيش الإسرائيلي الغاضب والمـــشبع بالرغبة في الانتقام سيساعده هو أيضاً في توجيه ضربة لحزب الله، إلا أنه وجـــد دولته تتحول أمام ناظريه إلى دولة لاجئين. فجأة أخذ يتعرف على أناس لم يقابلهم من قبل، ويفهم أموراً لم يكن يفهمها: الحرب في نهاية المطاف ليست ضد تنظيم أو جيش، وإنما هي ضد السكان. هذه المسألة يدركها أيضاً حسن نصر الله جيداً، وخلال ثلاثة أسابيع استطاع إحداث الانقلاب الذي كان ينشده: هو أصبح مرة أخرى بطل لبنان ورأس حربة الدولة. ذلك لأنه في المنافسة على قلب المواطنين اللبنانـــيين ســـتكون يد إسرائيل هي السفلى دائماً باعتبارها هي التي تقوم بإلقاء قذائفها على رؤوسهم دون تمييز في الأهداف.

مـــن يجد صعوبة في فهم هذه المعادلة يمكنه أن يعود إلى مواد تعليمية معروفة وأن يسأل نفسه لماذا لا يخشى الفلسطينيون الذين لا يملكون صواريخ بعيدة المدى، واليتامى من السلاح الثقيل، والذين لا يمتلكون قيادات عليا أو دبابات، من الجيش الإســـرائيلي الـــضخم. لماذا بعد أكثر من 150 قتيلاً خلال ثلاثة أسابيع يواصلون إطلاق صواريخ القسام والراجمات وما إلى ذلك من أمور متطايرة. لماذا لا يتأثرون بمـــنطق الجيش الإسرائيلي الذي يقيس قواته بكميات الفولاذ. الجواب على ذلك مماثـــل: عندما تدور الحرب بلا تمييز، يفقد الردع مغزاه، ولأن القوى الداخلية التي يفترض فيها أن تكبح الاشتعالات القادمة لا تتمكن من مواصلة العمل، ذلك لأنها هي أيضاً تكون عُرضة للهجمات مثل غيرها.

رئيس وزراء لبنان، فؤاد السنيورة، قد بدأ يطلق نغمات تؤيد المقاومة، ومواطنون لبنانـــيون كـــثيرون غيّروا اتجاههم وأصبح لديهم استعداد الآن لأن يواصل حزب الله القـــتال، وهـــم يرسلون له التبرعات، ومعاناة السكان في لبنان، مثلما هي في كريات شمـــونة أو كرمئيل، مُسخرة من أجل الحرب، مع فارق واحد - في لبنان لا يتحدثون عن أن الجيش الإسرائيلي سيُهزم، وإنما عن تطلع أكثر تواضعاً بكثير: أن يعاني الجيش الإســـرائيلي والمواطنون في دولة إسرائيل بدرجة تجعلهم لا يُقدمون على الهجوم مرة أخـــرى في المستقبل. في إسرائيل ما زال الهدف كبيراً جداً، وهو نـــزع سلاح حزب الله وابعاده عن الحدود، والتوصل إلى تسوية جديدة كذلك - الردع.

إلا أن الحـــرب في لبنان مثل شقيقتها التي تدور في فلسطين، لن تتمخض عن الردع، وإنما ستلد في أقصى الأحوال توازن رعب. تماماً مثل ذلك الذي كان قائماً عشية اندلاع الحرب. توازن رعب سيضطر الجيش فيه في كل مرة إلى إعادة التأكد ممـــا يُعبّـــر عنه مواطنو إسرائيل وهم في الملاجئ، ذلك لأنه بعد فترة قصيرة ستبدأ آلاف العـــائلات، وليس "أربع أمهات" فقط في اليأس والازدراء من هذا الردع. فهم يشعرون أن رقابهم قد أُمسكت.

لعنة بنت جبيل..

يوفال ليدور

معاريف 2006/8/5

القتال في بنت جبيل سبّب لنا ثمناً جديداً من الدماء. فثلاثة من جنود الجيش الإســـرائيلي قتلوا في القتال في هذه البلدة التي اعتبرت ملاذاً لحزب الله في جنوب لبـــنان. وبذلك، ارتفع عدد الجنود الإسرائيليين الذين قتلوا في هذه البلدة إلى ثلاثة عشر عسكرياً منذ بداية القتال في لبنان.

لقـــد سبق وأن ادّعى الجيش الإسرائيلي، ومنذ بداية المعارك، وخصوصاً في القـــيادة الشمالية، بأن بنت جبيل لن تسقط بسرعة وذلك لأن حزب الله يسيطر على محيطها بواسطة عشرات المجموعات المدربة جيداً وكميات السلاح والذخيرة التي لديها. ففي يوم القتال الأول في بنت جبيل، والذي دار قبل حوالى أسبوعين، قتل اثنان من طاقم الكتيبة المدرعة (52). وفي اليوم الثالث من القتال تلقت الكتيبة (51) من لواء غولاني ضربة قاضية حيث قتل هناك ثمانية من الجنود. ومنذ ذلك الحين، فـــإن الصدامات بين فرق المظليين في البلدة بتاريخ 7/28 انتهت بمقتل 26 من عناصر حزب الله على الأقل لم تقع مصادمات في المنطقة لغاية يوم أمس في ساعات الفجر.

الحادثـــة الأولى وقعـــت في الـــبلدة في الساعة الثانية والنصف فجراً، حيث حاولـــت قوة من الكتيبة (101) الاستيلاء على أحد البيوت في الجزء الشمالي من الـــبلدة فاصـــطدمت بقوة من المخربين. وخلال المصادمات جرح جندي واحد بجروح خفيفة. وعادت وتجدّدت الاشتباكات في البلدة مع بداية ساعات الصباح. فقـــد اصـــطدمت قوة تابعة للكتيبة (890) من قوات المظليين كانت تتحرك نحو أهـــداف تحاول من خلال الكشف عن مخازن ذخيرة تابعة لحزب الله، اصطدمت بمجموعة من عناصر حزب الله وواجهتهم بنيران مصوبة بدقة من عناصر حزب الله أطلقـــت من أسلحة خفيفة. وقد حدث في المكان تبادل كثيف للنار استمر لعدة دقائق حيث قتل خلالها العريف الأول "مَلَك أمباو".

عشرات المخربين

نحو الساعة العاشرة من الصباح اصطدمت مرة ثانية قوة من الجيش الإسرائيلي بإحدى مجموعات حزب الله، وكانت هذه المرة وحدة من الدبابات من قوات الاحتياط التي تحركت بالقرب من منطقة مستشفى بنت جبيل، حيث أطلق أحد المخربين صاروخاً مضاداً للدبابات وأصاب به دبابة، ونتيجة لهذه الإصابة المباشرة قتل اثنان من طاقم الدبابة، من بينهم كان الرائد (احتياط) يوتام لوتن، كما جرح اثنان آخران من طاقم هذه الدبابة المصابة بجروح خفيفة.

وقد صرّح ضابط كبير من القيادة الشمالية يوم أمس، أنه حسب تقديره أن القتال في بنت جبيل سيستمر أيضاً خلال الأيام القادمة، وقال: "حسب تقديراتنا فإنه لا زال يوجد في البلدة عدة مجموعات موزعة على خلايا هدفها مهاجمة القوات الإسرائيلية". وأضاف يقول: "لا توجد لدى الجيش الإسرائيلي نية باحتلال بلدة بنت جبيل وتطهيرها كما نفعل في القرى الأخرى في جنوب لبنان. ولكن، بالتأكيد توجد لنا نية أكيدة للسيطرة على مناطق في البلدة لكي نواصل العمل لتحقيق أهداف العملية".

وقد تطرّق الضابط إلى استئناف القتال في البلدة وأكد "لقد غادرت قواتنا بلدة بنت جبيل منذ عشرة أيام. واليوم، فإن هذه كانت المرة الأولى التي تتوغل قواتنا إلى هناك. وهذا لن يفاجئني أبداً إذا حدثت مواجهات في كل مرة ندخل فيها منطقة بنت جبيل". وإضافة إلى ما حدث يوم أمس في بنت جبيل فقد واصلت القوات الإسرائيلية يوم أمس الدخول في مواجهات عنيفة في كل الجبهات. ففي قرية "حولا" اصطدمت قوة من فرقة "الناحل" مع عناصر من المخربين داخل أحد البيوت، وخلال تبادل إطلاق النار أصيب ثلاثة جنود إسرائيليون إصابات متوسطة وقتل أربعة مخربين. وفي معارك أخرى في القرية قتل أربعة مخربين إضافيين: فقوة واحدة من فرقة الناحل سجلت لنفسها نجاحاً في قرية "بنت جبيل" حيث تمكنت من قتل ثمانية مخربين على الأقل.

تفجير القيادة

قــوة خاصة من سلاح الهندسة قامت يوم أمس بتفجير مقر قيادة حزب الله الــتي أقامهــا على أنقاض موقع كركوم في القطاع الغربي في جنوب لبنان. وقبل تفجــير مقــر القيادة بمئات الكيلوغرامات من المواد المتفجرة، عثرت القوات على كمــيات كبيرة من الذخيرة، بما في ذلك صواريخ مضادة للدبابات وقنابل مدفعية هاون، وقنابل يدوية ووسائل رؤية ليلية أخرى.

قتال مضرج بالدماء..

بقلم: من عاموس هرئيل وآفي يسسخروف

هآرتس - 2006/8/6

في لبنان، بعيداً عن حروب الجنرالات، تواصل أمس سقوط الجنود. الجرحى بقوا لساعات ينــزفون في الميدان لأن حزب الله أمطر نار لظى على قوات الإنقاذ. وفي أحـــد القطاعات بذل هذا الأسبوع جهد بطولي نجح في تخليص جثث الجنود. قائـــد اللـــواء اتصل بأبي القتيل للاعتذار على التأخير، فأجابه: "خذوا وقتكم. لا تعرضـــوا حـــياة الجنود للخطر من أجل الجثث". وبينما يستعد الجيش الإسرائيلي للمرحلة التالية، احتلال محتمل للقطاع جنوبي الليطاني، يجري قتال مضرج بالدماء في المنطقة التي سبق أن استولى عليها.

في بنت جبيل، أول أمس، قتل مظلي في أثناء تمشيط بيت. فقد تعرقل، فوقع عن الدرج فأطلقت عليه نيران رجال حزب الله الذين كانوا يختبئون في القبو. رفاقه أطلقـــوا الـــنار عليهم فأردوهم قتلى في معركة من مسافة صفر. في مارون الراس وجـــد المظلـــيون ضـــحايا العدو كانوا حلقوا ذقونهم قبل وقت قصير من موتهم، اســـتعداداً للمـــوت كشهداء. والمعارك تجري على بعد كيلومترات معدودات من الحدود الشمالية. الوتيرة البطيئة للتقدم تدل على الصعوبة القائمة إذا ما تقرر، كما يوصـــي وزير الدفاع ورئيس الأركان، توسيع العملية. ولكنها تشرح أيضاً الخلفية للقـــرار بإنـــزال نائب رئيس الأركان جواً على رأس قائد المنطقة الشمالية كـــ "ممثل رئيس الأركان في القيادة".

لا توجد أي صلة بين الجملتين في بيان رئيس الأركان عن التعيين. فلا يمكن، في آن واحد، تعيين موشيه كابلنسكي وفي نفس الوقت الإعراب عن "الثقة التامة" لأودي آدم. وفي عصر تتخذ فيه القرارات في محادثات فيديو، فإن حجج حلوتس غـــير مقـــنعة. رئيس الأركان يشعر بأنه مطلوب تغيير وكان عالماً بانعدام ارتياح أولمرت وبيرتس، ولا سيما بعد أن ألمح آدم بأن السياسيين قيدوا خطواته الهجومية.

لكابلنسكي ساعات لبنانية أكثر وتجربة في القتال البري أكثر من أي لواء آخر. وعلى مدى الحرب عمل بحذر، خلف الكواليس، للتهدئة ولتوجيه القادة علـى مـستوى المقـاتلين. ومـن الجهة الأخرى حافظ على البقاء في الظل والانكـشاف الأدنى علـى الإعـلام، وكأنه أمل في أن تنقضي العاصفة حول المعـركة المتلبـثة دون أن تـصمه هو أيضاً وتعرض آماله في أن يكون رئيس الأركـان القادم للخطر (لذات السبب لا يمكن اليوم إيجاد صورة في الأرشيف تـشهد على أن كابلنسكي كان نائباً لرئيس الأركان في فك الارتباط). يمكن الافتـراض أنـه على علم بالمخاطر التي ينطوي عليها التعيين. ولكنه قبل حكم الحـركة. فالـرجل الذي أصيب بجراح خطيرة في البوفور في 1982 وقاد فرقة الجلـيل في انـسحاب 2000، يعود إلى لبنان في محاولة أخيرة لاستقرار الجبهة. وأمـس كثـرت الأدلة على أن إسرائيل رغم التصريحات بنية المجلس الوزاري توسـيع العملـية، ترى بالإيجاب مبادرة رئيس الوزراء السنيورة نشر جيشه في الجنوب. ولكن الأفلام القصيرة الدعائية للجيش اللبناني والتي نشرت أمس تدل على عدم قدرته على مواجهة حزب الله.

حـزب الله يعـرف أن القـوة التي ستنتشر في الجنوب لا تهدّده وسارع إلى المـوافقة علـى اقتراح السنيورة، والذي هو أقل راحة لإسرائيل. ومع أن مطلب إسـرائيل عند شن الحرب يتطابق مع القرار اللبناني ولكن يبدو أن قلة شديدة في العـالم العربي لديها توقع في أن ينـزع سلاح حزب الله أيضاً، مثلما يطالب قرار 1559. وفي أوسـاط محللين في العالم العربي يسود الرأي بأنه يحتمل أن بعد انتشار الجيش اللبناني في الجنوب، وعرض نصر الله كمنتصر، سيوافق على ضم رجاله إلى الجـيش وأن يـتحول إلى حزب سياسي. كما أنه يمكن لحزب الله ألا يوافق على نـزع سلاحه لأن إيران - سوريا لا ترغبان في ذلك.

وقف إطلاق النار على أساس قرار السنيورة يسمح لنصر الله بالادعاء بالنصر لأنـه صـمد وأصاب إسرائيل بشدة. وهو يمكنه أن يحافظ على جزء من قدراته العسكرية استعداداً لمواجهة محتملة أخرى دون أن يخاطر بالهزيمة. ولكن بالنسبة له أيضاً توجد مخاطرة: إذا أعيد السجناء اللبنانيون ومزارع شبعا إلى لبنان، فإن بوسع

إسرائيل أن تطلب بالمقابل حل حزب الله. وعندها سيجد نصر الله صعوبة في رفض طلب يمنحه كل ما طلب.

وسواء اتسع القتال أم تقلص أم انتهى بسبب مبادرة السنيورة، فسيكون للواء كابلنـــسكي الكـــثير ممـــا يصلحه. فالجيش الإسرائيلي كما يقول ضباطه لا يزال يتـــصرف وكأن هذا نشاط أمني جار متعزز وليس حرباً. التنسيق بين القطاعات الفرقية يعاني من النقص والقادة، مثل الجنود، يجدون صعوبة في أن يروا الصلة بين المهمات الخطيرة وأهداف الحرب. ويعترف مصدر عسكري فيقول إنه "حتى الآن، الجبهة الداخلية تعطينا ثقة أكثر مما نستحق. يتعيّن علينا أن ننصت جداً كي نعرف متى تصل النقطة التي لا يكون فيها الجمهور صبوراً على امتصاص الخسائر في ضوء استمرار الجمود". ويحتمل أن أولمرت بات يشخّص منذ الآن هذه النقطة – ولكن في ذلك بالضبط سيبحث المجلس الوزاري هذا الصباح.

جيل كامل إلى الوراء

بقلم: ميرون بنفنستي

هآرتس - 2006/8/10

الآن أصبح واضحاً أن هدف الحرب هو - كم هو أصيل هذا القول - إحراز النصر! وليس مهماً في الواقع مغزى هذا الانتصار في المصطلحات الحقيقية مثل وقف إطلاق الكاتيوشا أو التسوية الأمنية. المهم فقط هو إشعار الناس في إسرائيل بأننا قد "أريناهم من نكون"!

الشعور بالانتصار هو مسألة ذاتية إسرائيلية داخلية تماماً مثل "القدرة الردعية" - التعريف الأقرب للعقلانية المنضبطة في سياق أهداف الحرب - هو مسألة إسرائيلية - داخلية لا علاقة لها بسلوك العدو وحكمته، ذلك لأنه في كل مرة خرجنا فيها للحرب تحت شعار "قدرة الردع" (ثلاث مرات على الأقل) كانت ذلك حافزاً للعدو حتى يتأهب لمجابهة أكثر حدة وضراوة. في المرة الأخيرة سموا ذلك "كي وعي الفلسطينيين"، فكانت نتيجته انتصار حماس والطريق المسدود النازف في غزة والضفة. وليس هناك دليل أفضل على ذاتية التعريف العشوائي الفوضوي وأحادي الجانب للعدو: "العالم العربي" الذي يتوجب "ردعه" وإخافته. أي عالم عربي مهدّد بقي بعد السلام مع مصر والأردن وبعد احتلال العراق وقطر؟ إلا إذا كانت العملية الإسرائيلية عبارة عن توقع يبرر ذاته وسبب لإعادة خلق "العالم العربي" المهدد بحيث يصبح من الممكن التصدي والانقضاض على الشيطان القديم والمعروف. صحيح أن هذا الشيطان مستعمل بعض الشيء، ولذلك يتوجب ضم إيران إليه، إلا أن ردعه قد أصبح مسألة أخرى، إلا إذا حولنا الحادثة الموقعية إلى "سراييفو 1914" في إطار "صراع الحضارات". وعندئذ سيسقط جنودنا على مذبح "حرب الرُسل" العالمية التي تطوعت إسرائيل للعب دور الجندي الطليعي فيها.

بما أن جوهر الحرب وأهدافها ونتائجها ستتحدد فقط فيما بعد، من الممكن الافتراض أنها ستُذكر كحدث غير متفق عليه، بدأ بالوحدة الوطنية وانتهى باختلافات عميقة وبتوسيع الفجوة الاجتماعية. النقاش السطحي (الملائم لجدول يانصيب التوتو) حول من انتصر ومن خسر، أو الاكتفاء بالتعادل، يتأثر فقط بجزء من نتائج الحرب الواقعية. ولكن الحرب نفسها ستترك أثراً عميقاً على ما يحدث في المنطقة، وفي داخل إسرائيل على وجه الخصوص - التأثير الذي لو كان صانعو الحرب قد انتبهوا إليه لكانوا فكروا مرتين قبل أن يقرروا تحويل حادثة حدودية إلى معركة يشارك فيها ملايين بني البشر.

ضمن القوانين المأساوية، كلما أظهر النقاش الشعبي انفتاحاً للبحث في جدول أعمال إسرائيلي جديد، جاءت الأحداث الأمنية لتُعيد إليه رؤية "التهديد الوجودي" الذي يخنق هذه المساعي والمحاولات. هذا ما حدث عشية حرب حزيران، وقُبيل حرب تشرين، وخلال حرب لبنان الأولى وفي حرب الخليج. الآن عندما أصبح الالتزام الاجتماعي في مركز الحملة الانتخابية وقام الائتلاف الحالي بخطواته الأولى على طريق إصلاح الأضرار التي ألحقتها السياسة الليبرالية الجديدة التي صاغها نتنياهو، فجاءتنا الحرب لتُعيد جدول الأعمال الأمني لسنوات كثيرة إلى الوراء.

كيف سيتحمّل المجتمع الإسرائيلي العبء الاقتصادي الإضافي الذي سيُلقى على كاهله نتيجة لهذه الحرب؟ عملية تحسين العلاقات بين إسرائيل والدول العربية المعتدلة التي تتقدم ببطء وتعثر، انقطعت وحلت محلها عملية تشدد راديكالية مخيفة بالدرجة الأولى، ومُهددة لزعماء الدول الذين وقعوا على اتفاق سلام مع إسرائيل. يتوجب فقط الإصغاء إلى قنوط الملك عبد الله الثاني حتى ندرك ما الذي تسببت به عملية الدمار في بيروت. وفي ظل حرف الأنظار إلى لبنان، قتل الجيش الإسرائيلي 200 فلسطيني في غزة تقريباً، وسجن عشرات أعضاء البرلمان الفلسطيني والوزراء في حكومة السلطة. في ظل هذا الوضع هل يمكن التحدث عن إخلاء البؤر الاستيطانية والانطواء وغيرها من المسائل التي كانت على رأس جدول الأعمال الوطني؟

الحـــرب والأجـــواء التي سادت نتيجة لها، أعادت إسرائيل جيلاً كاملاً إلى الوراء، وذلك ليس من الغريب أن ينظر الناس للتاريخ كعملية دائرية، وهذه الحرب (مـــثل سابقاتها) تعتبر "المرحلة الأخيرة في حرب الاستقلال الإسرائيلية". وفي أي درجـــة مـــن الغضب يتم التصدي لكل من يحاول لعب دور المتعقل وإبراز التطلع للوضـــع الطبيعـــي في ظل النـــزعة للحرب. من ابتدأ هذه الحرب المنفلتة يريد أن يُضخم قيمتها حتى يبرر الثمن الفظيع المترتب عليها، والآخذ في التزايد – فقط من أجل إحراز انتصار المقامرين. ربما كانت حقيقة أنهم يتبعون استراتيجية الخمسينيات مـــن القرن السابق مع مجتمع وثقافة الواحد والعشرين هي مصدر التفاؤل، إلا أن ذلك لا يمكن أن يتحقق.

حرب وجود

بقلم: بن كاسبيت

معاريف – 2006/8/10

مـــرّ شهر وأصبحنا نستطيع أن نجزم بيقين: أن هذه ليست "عملية"، وليست "عملـــية برية"، ولا يوجد "قتال" هنا. الحديث عن حرب وجود. حرب مصيرية كحرب التحرير. قاسية كحرب يوم الغفران. بيد أنه لم يكن تلفاز آنذاك، وكانت الـــصحف رسمـــية، و لم يكن للضحايا أسماء (وهي الأسماء التي نُشرت بعد ذلك)، وبكت العائلات بصمت وهدرت المدافع بارتياح. جلس المجلس الوزاري السياسي الأمني المصغر أمس ست ساعات في جو تعويق. كل ساعة مضت جبت طائفة من الجنود القتلى، وانكشف مع هذه الطائفة للوزراء، مصيرية الساعة بكامل قوتها.

علـــى رغم الألم، بين الدموع، لا يجوز أن ننسى: في حرب التحرير ضحت إســـرائيل بـــــ 1 في المائة من سكانها. وهو ما يقارب 70 ألف قتيل في أيامنا. في حرب يوم الغفران خسرنا، في فترة أقصر، نحواً من 3 آلاف جندي. حتى في حرب الأيـــام الستة قُتل أكثر من مائة مقاتل في اليوم، بعد ثلاثة أسابيع من انتظار مرهق للأعـــصاب. صحيح، ليس الحديث اليوم عن محاربة دولة منظمة أو جيش نظامي. ما هي الحقيقة؟ ابتدأنا نشتاق إلى دولة منظمة أو جيش نظامي. أين الفرق السورية عـــندما يُحـــتاج إليها. أين الجنود المصريون اللطفاء. يوجد لنا الآن شُغل مع تل ذخيرة كبير، ومع طائفة من المزارع الصينية لا تنتهي، ومع ثلاث معارك "المتلة" في اليوم الواحد.

تقـــوم هـــنا فرقة إيرانية مدربة متخندقة، مع مخزون من الصواريخ لا ينتهي، وتقنـــية إطلاق قذائف ممتازة، وصواريخ مضادة للدبابات (بإمداد سوري) تخترق كـــل دبابـــة أو مبنى والكثير من الدافعية الجهادية. وفيما حولنا، في الظلام، تحدّق العـــيون إليـــنا. عشرات ملايين العيون من العالم العربي كله، والإسلامي والكبير. تنتظـــر أن تـــرى الجيش الإسرائيلي الكبير، الذي لا يُقهر، الذي قد يكون أعظم

الجـــيوش في الشرق الأوسط، أو أعظمها على الإطلاق، أن يعترف بهزيمته ويترك بـــضعة آلاف من المجاهدين يجعلونه ينحني. رئيس الموساد، ورئيس "أمان" ورئيس "الـــشباك"، في النقاشـــات الضيقة التي أُجريت أمس وأول أمس، كرروا قولهم: ســـتنعكس نـــتائج هذه الحرب على مستقبل إسرائيل ومصيرها. إذا لم يكن حسم واضح، فإن الحديث عن تهديد وجودي حقيقي بمجتمع. رئيس الأركان، أول أمس، في تقديـــر للوضع، عندما أُسمع إمكانية وجود مئات القتلى في الجيش الإسرائيلي، قال بجفاف: "ما العجب. هذا مؤلم، وهذا فظيع، لكن البديل أسوأ".

لمـــاذا لا يهدمون بنت جبيل ويُسووها بالأرض؟ لماذا لا يُسوون بالأرض كل بـــيوت القـــرى في جـــنوب لبنان، التي أصبحت مقابر لجنود الجيش الإسرائيلي. وبالمناســـبة، لا بمعـــارك وجهاً إلى وجه. هنا، لا يجد حزب الله ما يبيعه. غولاني، والمظليون، ووحدات النُخب والاحتياط يتغلبون عليهم مرة تلو أخرى. يأتي الضرر مـــن قذائف فتاكة هي في الأساس صواريخ مضادة للدبابات (فصل مستقل للجنة التحقيق التي ستقوم في اليوم الذي يتلو).

يطرح هذه الأسئلة بقوة حاييم رامون. "إنني أؤدي دور غير السوي العقل في هـــذه اللعبة"، يقول لأولمرت في أحاديث خاصة، "أنت سوي العقل. لكنني أقول لك، خُذ في هذا الموضوع بمرضي العقلي".

بلـــغ الأمـــر أمس إلى قمم جديدة. يجلس بجانب رامون المستشار القضائي للحكـــومة، مـــيني مزوز. يسأله رامون من آن لآخر همساً "هل يجوز هدم هذا؟"، ويهـــز مزوز رأسه بصمت. لا يريد المستشار القضائي أن يُسمع قوله علناً في هذه الموضوعات الحساسة، لكن رامون يطلب، ويحصل على الإجازات واحدة واحدة. "يجـــوز الهدم، أقول لكم، يجوز هدم كل شيء"، يوجّه الكلام إلى الجيش. يسأل رئيس الأركان، ورئيس "أمان"، والجميع. "لماذا تدعون الجنود يدخلون هناك، لماذا لا تُـــسوون بـــالأرض كل مكان يطلقون النار منه؟"، يقول بعنف، "إنهم يجعلون أولادهم دروعاً، وأنا في الاختيار بين أبنائنا وأبنائهم، أختار أبناءنا".

لـــيس الجدل سهلاً. يخطون في الجيش الإسرائيلي شكلاً بيضوياً من كل بيت يطلقون النار منه أو الصواريخ. يشتمل الشكل البيضوي على البيت وما حوله، وما

يجـــوز قصفه. عندما يطلق عدد من البيوت من نفس الحي، يصبح الحي كله جائزاً قـــصفه. مـــن جهة ثانية، ما يزال هذا بعيداً عن القرية كلها. أجرى رامون أمس تـــبادل قـــصاصات ورق في هذا الشأن مع رئيس "أمان"، واللواء عاموس يادلين، الذي هو طيار متقاعد أيضاً. "لا نستطيع"، كتب إليه يادلين، "نحن رُحماء، لا نريد كفـــر قانا أخرى، لا يستطيع الطيارون إطلاق النار بلا تمييز، من غير أن يلاحظوا ناراً قبلُ، ولا يمكن إطلاق النار على نحو غير محصور". يشتاط رامون غضباً. "يجوز لنا صنع كفر قانا أخرى، توجد رخصة، يجوز هذا قضائياً، كيف يمكن أن ندعهم يقتلون جنودنا من غير أن نرد؟ ألا يمكن من الجو؟ فليكن بسلاح المدفعية. لا يرى مطلقو قذائف المدافع ما يطلقون النار عليه. فليطلقوا".

يعـــتقد رامون أن على وزير الدفاع عمير بيرتس أن يضرب بقبضته الطاولة وأن يفـــرض هـــذا الإطلاق على الجيش الإسرائيلي. عمير بيرتس، يقظ ولا يتأثر. "دعـــك من ذاك"، يقول في أحاديث مغلقة، "هل تعلم كم من البيوت دمرنا؟ في كل قرية دُمر أكثر من 10 في المائة من البيوت. هُدم في بنت جبيل مئات البيوت، لا يـــوجد ما يكفي من القذائف لهدم البيوت كلها. توجد آلاف البيوت في بنت جبيل، وإذا هدمناها كلها فماذا سيكون؟ إنهم سيطلقون النار من بين الأنقاض. لن يحل هذا أي شيء".

كـــان المجلس الوزاري المصغّر عاصفاً أمس. فؤاد، الذي يُقال بحقه إنه حثّ علـــى عملـــية بـــرية واسعة منذ اليوم الأول، غضب للإقالة الفعلية لقائد المنطقة الـــشمالية ووبّخ رئيس الأركان. سأل بيرتس لماذا لا يطورون شيئاً يُضاد صواريخ الكاتيوشـــا (مـــثل نظام سكاي غارد الذي كُشف النقاب عنه هنا). أما شاؤول موفاز، فقد عرض خطة تخصه.

في صـــبيحة أول أمس دعا رئيس الحكومة شاؤول موفاز إلى بيته. سأله رأيه. سحب موفاز خريطة وعرض خطة. إنها تخالف خطة الجيش الإسرائيلي مخالفة تامة (وقد أعدّها كرئيس أركان وكوزير دفاع). يعتقد موفاز أنه في الوضع الحالي، بعد شهر من القتال والخسائر، لا يوجد فراغ ولا يحسن المضي في الخطة الكبيرة. كان يجب القيام بذلك في البداية. أصبح الأمر متأخراً جداً الآن. من ناحيته، يُفضّل شيئاً

أكثر حصراً، وأكثر مباغتة، يمكن أن ينتهي سريعاً وعلى نحو أرخص. أمس في المجلس الوزاري المصغر توجّه أولمرت إليه وسأله رأيه. عرض موفاز خطته. ثار شجار مع عمير بيرتس. يعتقد وزير الدفاع الحالي أن سلفه يُعد نفسه للجنة التحقيق: "تغطية المؤخرة"، يقول بيرتس في أحاديث داخلية. موفاز، بمقابلة ذلك، يتصرف بأدب. "لا تحملن هذا على المحمل الشخصي"، طلب إلى بيرتس. لا داعي هنا للدخول إلى جميع هذه الرواسب. سيكون فراغ لهذا بعد ذلك. موفاز، الذي يعض على ناجذيه منذ بداية الحرب، يعرف أن كل شيء كان يمكن أن يبدو على وجه مغاير، لو لم يكونوا حاولوا تصفية حسابات صغيرة معه ولو لم يطردوه من وزارة الدفاع. وبرغم ذلك، يتصرف بنُبل نسبي. بيرتس أيضاً يعض على نواجذه. أراد أن يكون وزير المالية. فُرض عليه وزارة الدفاع. "من ذا حلم بما سيُطرح عليّ هنا"، قال لمقربيه. عليه الآن أن يبتلع العصيدة النتنة التي طُبخت في السنوات الست الأخيرة، وهذا ليس لذيذاً في الحقيقة. "بعد أن ينقضي كل شيء، سيكون لي كثير مما سأقول"، قال أمس لمقربيه. بيد أن كل شيء لم ينقض بعد. لم ينقض حتى جزء صغير. سيكون لنا بعدُ زمن للخصام.

إيهود أولمرت، الذي أصبح يُعدّ نفسه أيضاً للجنة التحقيق التي ستتلو، أنهى أمس جلسة المجلس الوزاري المصغر بأقوال لاذعة، واضحة حادة. لقد عنّف موفاز وبيرتس وقال: "سادتي، يجب علينا أن نكون يقظين لمعنى الأقوال ولصداها. نحن نشغل أنفسنا اليوم بقرارات حاسمة مصيرية ويجب أن نتصرف باتزان. يجب الامتناع عن الاختلافات الشخصية. لا تشغلوا أنفسكم بما كان. العالم كله ينظر إلى هذه الجلسة، وفي ضمنهم أعداؤنا الألداء. كفّوا عن وعظ غيركم. إن أمن الدولة هو المُلح. أريد أن أتوجه إلى الوزراء توجهاً شاذاً: هذه أيام شديدة، مع أثمان باهظة وحياة الناس المُلحة. يتوقع الجمهور أن يتصرف أولئك الذين يرأسون النظام تصرفاً مسؤولاً..".

"نحن الجيش الإسرائيلي"

توجّه رئيس الحكومة إلى رئيس الأركان وقال: "لا يوجد شيء نحبه ونُجله أكثر من الجيش الإسرائيلي. نحن الجيش الإسرائيلي، إنه رفاقنا، وعائلتنا،

وجيرانـــنا. فينا حب فقط، وإجلال وتوقير لا ينقضي للجيش الإسرائيلي. ليس هـــذا شـــعاراً. نحـــن نحبّكم ونعتمد عليكم. لا يوجد لهذه الدولة شيء سوى شـــجاعة جنودها وتصميمهم. التقيت هذا الأسبوع احتياطيين، كل ما يريدونه هو الانقضاض فقط. إنهم بالغون، وأصحاب عائلات، وكانوا في لبنان ويعرفون معـــنى ذلـــك، وما زالوا يريدون الانقضاض. يقوم الجيش بعمل براق. ثمنه أليم وفظيع. من الواضح أن ليس الحديث هنا عن نـــزهة بعد الظهر. توجد إنجازات عظيمة وستُنفذ المهمة. لا نطمس على حقيقة أنه يوجد مصابون كثيرون، لكن الـــضربات التي نوجّهها إلى حزب الله أليمة شديدة. أوصي بقبول توصية وزير الـــدفاع والجـــيش. إذا لم نـــبلغ الغايات التي نصبناها لأنفسنا بطريق سياسي، فسنمضي في الطريق العسكري وبكامل القوة. لدينا حساب لم نُصفه مع أولئك الذين أصابونا".

بـــرهن أولمرت مرة أخرى على أنه قوي في الخطب. ستوجد حاجة الآن إلى حـــصر الاهتمام في الأفعال. الأمر الصحيح في ليل أمس، أن ليس من الواضح هل ســـتنفذ العملـــية ومتى. إن خطاب نصر الله جاء بتوقعات من المسار السياسي من جهـــة، وتركت محادثات سياسية في اللحظة الأخيرة انطباعاً آخر، من جهة ثانية. ستكون الأيام القريبة حاسمة، لكننا قد قلنا هذا من قبل.

هل الجيش الإسرائيلي قادر؟

بقلم: عاموس هرئيل

هآرتس - 2006/8/10

في تلـــك الساعات التي أحدّوا فيها أمس في كيبوتس أشدوت يعقوب على الـــرقيب أول موران كوهين، من محاربي دورية المظليين الذي قُتل أول أمس من معركة بنت جبيل، أُجريت في المقبرة العسكرية في جبل هرتسل في القدس مراسم الذكرى السنوية لمقاتل آخر من الدورية، سقط في لبنان قبل أن يولد موران. قُتل الرقيب يوآف أيلون في الخامس عشر من آب، في عيد الحب، 1982 - قبل 24 ســـنة بالـــضبط. حدث ذلك في بيروت، في الوقت الذي بحث فيه وزير الدفاع أريئيل شارون عن "أوراق لعب" لتضييق الخناق على أناس م.ت.ف غربي المدينة. ابـــن أخ يوآف، وهو سمّيه، مضى على أثره إلى المظليين ووصل إلى يوم الذكرى مـــن لبنان، حيث شارك هذا الأسبوع في معارك بنت جبيل. وكما هي العادة، وُجـــد أيضاً عدد من الرفاق في الفريق من آب 1980 من الدورية. جُنّد بعضهم أيضاً للجولة الحالية، في أعمال هيئة قيادة في فرق الاحتياط. لا يتأثر جيل الضباط القديم، من الاحتياطيين الذين رأوا لبنان في الجولة الأولى كمحاربين شبان، بخطط العملـــيات الحالية. يوجد لبعضهم أبناء يخدمون اليوم في الجبهة. عندما يتحدثون عـــن صدمة 1982 يتحدثون عن هذا الجيل - وهم ليسوا على ثقة من أن جميع الدروس قد استُخلصت منذ ذلك الحين. تفاخر رئيس الحكومة ووزير الدفاع في الأسابيع الأخيرة، بأنهما شفيا إسرائيل من تلك الصدمة. سيتضح مقدار صدقهما في الأســـبوع الآتي، إذا نُفّذت الخطة الكبيرة لاحتلال المنطقة حتى الليطاني، كما أجازهـــا أمس أعضاء المجلس الوزاري المصغر. وصف المشاركون بجلسة المجلس الوزاري المصغر أمس الجلسة أنها كئيبة، ومصيرية تقريباً. واجهت الوزراء معضلة شديدة. هل يجوز تعريض حياة كثيرين جداً للخطر، وفيهم جنود احتياط لم يخطر في بـــالهم أن يقضوا الصيف تحت نيران مضادة للدبابات في لبنان بدل أن يقضوه

في عطلـــة خارج البلاد، باسم التخوف من أن التخلي الآن سيُعرّض إسرائيل إلى تـــورط أكبر بأضعاف مضاعفة في غضون سنين قليلة. إن الأنباء التي جاءت إلى الجلـــسة، عـــن سقوط جنود احتياط آخرين في سلسلة أحداث، لم تجعل الحسم أسهل.

لكـــن أكثـــر الوزراء اعتقدوا أن الحديث ليس عن صيغة مكررة لـــ 1982. خلافـــاً للمـــرة السابقة، لا يوجد في قلوبهم في هذه المرة شك في عدالة الحرب. الخـــوف مغاير: هل يمكن، بإزاء من كشف في الأسابيع الأخيرة عن قدرة الجيش، أن الجـــيش الإســـرائيلي لا يستطيع ببساطة أن يؤدي العمل؟ هل يوجد خطر أن تُخـــسر هنا حياة بشر كثيرين، من غير أن يُحرز الهدف آخر الأمر؟ شحب إيهود أولمـــرت قليلاً، عندما عرض عليه ضباط هيئة القيادة العامة هذا الأسبوع تقديرات المصابين. في الفرق التي يفترض أن تعمل في الميدان، يوجد ضباط يعتقدون أن هذا كان سيناريو متفائل. إنهم يطرحون أسئلة غير سهلة: هل وجهة العملية المخطط لها ستُعطل بالضرورة جميع منصات الإطلاق؟ هل يمكن حقاً إفشال إطلاق النار حتى اللـــيطاني، وحزب الله ينجح في هذه الأيام أيضاً، في إطلاق الصواريخ من المناطق التي أصبح الجيش الإسرائيلي قد احتلها؟

لا يتأثر الضباط بحملات بث الروح القتالية في صفوف الجيش، التي يقوم بها في هـــذه الأيـــام عدد من كبار هيئة القيادة العامة. إنهم يُنبهون إلى أنه يوجد هنا الكـــثير مـــن الناس يتوقعون أن يبنوا أنفسهم على القتال وآخرون، يوضع السيف على نحورهم، يأملون أن تنقذ عملية جريئة الحرب كإنقاذها مستقبلهم الشخصي. إن القنـــبلة الـــتي انفجـــرت أول أمس في قضية حلوتس - آدم هي طرف الجبل الجليدي فقط. في الأيام الأخيرة يلاحظ جو غير سهل. يُدير ضباط حملات قذف مـــوجهة إلى نظرائهم ويجمع آخرون مادة تبرئة استعداداً للجان التحقيق. وكذلك "الحـــيل الدعائية" التي ينتجها المستوى السياسي تُفسر أنها محاولة لطرح المسؤولية علـــى المـــستويات الميدانية. يمكن أن نسأل أيضاً ماذا يعني كل هذا بالنسبة لأداء الجـــيش عملـــه في حـــرب في المستقبل أكبر، بإزاء قوات نظامية لا بإزاء منظمة عصابات فقط، مهما كانت ذات خبرة.

ومـــع ذلك، قدّر أمس عدد من الضباط الأكثر وعياً وحكمة في هيئة القيادة العامـــة، أنـــه يوجد احتمال معقول لنجاح العملية. ونبّهوا أن الجمهور، وبخاصة الإعـــلام، يميلون إلى الانتقال بسهولة كبيرة من النقيض إلى النقيض: من الافتخار المـــبالغ فـــيه بالانتـــصارات إلى مشاهد انكسار وندب للخراب. يدرس الجيش الإســـرائيلي الميدان بالتدريج، ويستعمل قوات أكبر - ومع ما يكفي من التصميم، سينجح في اختراق مقاومة حزب الله. إن الصواريخ المضادة للدبابات، وهي أخطر مشكلة تعانيها القوات الآن (أكثر من ثلث القتلى في القتال)، سيصعب عليها أكثر إصـــابة الدبابات عندما تبدأ هذه السير بكثافة، بدل أن تكون عالقة ومكشوفة في المواقع، كتغطية لقوات المشاة. صحيح، يوجد لحزب الله بضعة آلاف من المقاتلين ينتـــشرون في "محمـــيات طبيعية" وفي القرى الخربة. لكنهم يقولون إن الاستعمال الـــصحيح للفرق وتحت القيادة الجديدة للواء موشيه كابلنسكي في الشمال، تمكّن الـــسيطرة علـــى المنطقة جنوبي الليطاني في غضون أسبوع. بعد ذلك، يجب البدء بإخلاء الحلبة للعملية السياسية.

عارض يوم الغفران

بقلم: يوئيل ماركوس

هآرتس - 2006/8/11

مع أنه مرّت 33 سنة منذ حرب يوم الغفران، مع أنه منذ أن عقدنا سلاماً مع مصر والأردن، ومع أن عدد السكان عندنا ازداد مليون ونصف المليون نسمة، ومع أن القوة العسكرية الإسرائيلية ازدادت وتطورت بلا قياس، ومع أن أغلبية الشعب قد نفضت عنها، بفضل أريئيل شارون حلم أرض إسرائيل الكاملة وهي تصحو من أوهـام الاحـتلال - إلا أن المراقب الواعي سيجد أوجه شبه بين ما حصل لنا في حينه وبين ما يحصل لنا الآن.

نبدأ أولاً بغرورنا ووقاحتنا اللذين سبقا الحرب. فقد هزئنا مثلاً من التصريح الدراماتيكـي لأنـور السادات في أنه مستعد لأن يضحي بمليون جندي كي يعيد الأراضي التي احتلتها إسرائيل. وقالوا في حينه إنه يقول هراء. وأن ليس لديه القوة لشن الحرب وحده. إذ إن أجهزة المخابرات الفاخرة لدينا لم تعرف، أنه بينما نحن هنا نلهو، فإن سوريا تعدّ في الخفاء مع مصر لهجوم انتقامي ضد إسرائيل. وبذات القـدر لم نتصوّر بأن حزب الله، الذي ليس سوى منظمة إرهابية تضم نحو ألفي مقاتـل، مستعد أكثر منا لمواجهة جبهوية، سيرد لنا الحربَ الصاع بالصاع بسلاح يعدّ كالقوس والسهم بالنسبة للترسانة التي لدينا.

في الحالتين ردّ رئيسا الأركان عندنا بالغرور وبالثقة المبالغة بالنفس. في اليوم الأول لحـرب يوم الغفران أعلن رئيس الأركان في حينه دافيد بن أليعيزر في مؤتمر صـحفي كـثير المشاركين: "نحن سنحطّم لهم عظامهم". أما رئيس الأركان دان حلـوتس فعقب على عملية الاختطاف التي نفّذها حزب الله بتهديد: "نحن سنعيد لبـنان عـشرين سـنة إلى الوراء". في الحالتين نجح المهاجمون بالتمثيل بإسرائيل. السوريون والمصريون قتلوا جنودنا في الجبهتين، وحزب الله أحدث دماراً شديداً في

جبهتنا الداخلية بصواريخه وكاتيوشاته؛ سلاح بدائي ولكن مدمر ضد النساء، الشيوخ والأطفال.

في الحالتين وقعت إسرائيل ضحية المفاجأة، التي سميت لاحقاً بضحية "المفهوم"، والذي أساسه الاعتقاد "إنهم لن يتجرأوا". في حينه افترضوا أن مصر تريد الاجتياح ولكنها لا تستطيع اجتياز قناة السويس والتغلب على "خط بارليف". ولكنها فعلت ذلك، بالمفاجأة وبقوة. الثقة في أننا سنصدهم ونهزمهم في الجانب الآخر من القناة تبدّدت. وبذات القدر أخطأ الآن رئيس الأركان في فتح حرب بدل الرد بأعمال رد فعل.

في نظرة إلى الوراء يبدو أن هذه هي الفرصة التي انتظرها حزب الله في زرعه فخاً للجيش الإسرائيلي أعطاه العذر لمهاجمة الجبهة الإسرائيلية الداخلية.

في الحالتين كان هناك إخفاق استخباري، ليس فقط بالنسبة لمخططات العدو الحربية، بل وأيضاً بالنسبة لقدراته.

المصريون فاجأوا إسرائيل بصواريخ ساغر، صواريخ كتف نكلت بدباباتنا، وبصواريخ أرض - جو أسقطت الكثير من طائراتنا وأضعفت قوة الصد لدى سلاح الجو. "الصاروخ الذي لوى ذيل الطائرة" على حدّ تعبير عيزر وايزمن في حينه.

حزب الله فاجأنا ليس فقط بكمية ونوعية الصواريخ بل بقدرته على إطلاق نحو 200 صاروخ في اليوم حتى جنوبي الخضيرة وتحويل ربع مليون من سكان الجبهة الداخلية إلى نازحين. كما أنه فاجأ بنوع السلاح المضاد للدروع الذي يخترق ميركافا وبانتشاره على طول وعرض لبنان في حالة هجوم بري.

في الحربين قائداً المنطقة أقصيا عملياً. حاييم بارليف حلّ محل شموئيل غوردش في الجنوب وموشيه كابلنسكي محل أودي آدم في الشمال. آدم بدا ثقيل الحركة وأخطأ أساساً عندما قال في مقابلة صحفية إن لديه الكثير من الخيارات؛ ولكنه لا يمكنه أن يوقف نار الكاتيوشا.

الفارق بين ذلك الوقت واليوم هو، أنه في مرحلة معينة، وبعد آلاف القتلى، صحا الجيش الإسرائيلي، اجتاز القناة وفرض حصاراً على الجيش الثالث.

هنري كيسنجر أقنع إسرائيل بعدم تصفية الجيش، وهكذا فتح مسيرة حوار، انتهت بعد نحو ثلاث سنوات باتفاق سلام.

نهاية سعيدة كهذه غير متوقعة في الجبهة الشمالية. فلا تسوية سياسية ولا حسماً عسكرياً سيغيران الوضع، طالما بقيت إيران هنا وهي تسيطر على مستوى اللهيب.

إصبعان من نيويورك

بقلم: سيما كدمون

يديعوت - 2006/8/11

أيـــضاً الأشـــخاص الذين كانوا قد شاركوا في جلسات المجلس الوزاري - الأمني المصغر الدراماتيكية في السابق، يجدون صعوبة في تذكّر جلسة مؤثرة إلى هذا الحـــد. التوتـــر تبدل بهم ثقيل وشعور بالضيق مع الأنباء الواردة حول عدد الجنود القتلـــى. من القسوة القول ذلك - يقول أحد المشاركين في الجلسة - ولكن من المحظور على الوزراء اتخاذ مثل هذه القرارات الحاسمة مع 15 قتيلاً على الرأس.

إيفـــي إيـــتام حدّث أولمرت قبل مدة أن الجنرالات جلسوا في حرب الغفران على شبكة اتصال وسمعوا صرخات الموت التي تخرج من حناجر الجنود. إيتام قال إن مـــن المحظـــور على القادة العسكريين أن يتخذوا القرارات على وقع أصوات الجنود. أولمرت قال له إن ما يقوله صحيح، ولكن ذلك مخالف لطبعه.

أحد المقربين من أولمرت قال إنه سيسارع إلى الاتصال بدان مريدور إذا ما قـــال له رئيس الوزراء إنه لا يريد أن يسمع شيئاً عن مواقع سقوط الكاتيوشا. لمـــاذا مـــريدور؟ لأنه يفهم شيئاً في نفسية رؤساء الوزراء بعد أن عاصرهم منذ عهد بيغن.

من غير الممكن القول بصورة قاطعة بأن الأنباء الصعبة الواردة من جنوب لبـــنان قـــد أثّرت على قرار المجلس الأمني المصغر، ولكن الانطباع هو أن هذا المجلـــس قد اتخذ القرار الذي أراد اتخاذه. تسيبي لفني عبّرت عن ذلك بوضوح: أنـــتم تـــتحدثون طوال الوقت عن القدرة الردعية، وأنتم تقولون إن كل العالم يراقب قرارنا، وأن قرار عدم الاجتياح البري سيمسّ بقدرة الجيش الردعية. فما الـــذي يـــتوجب علـــيّ فعله الآن؟ إذا صوّتت ضد القرار، فإنني أمسّ بالقدرة الردعية.

لفـــي عبّـــرت مـــن خلال ذلك عن شعور عدد غير قليل من الوزراء الذين يـــشعرون أن الجيش لم يترك لهم أي بديل، وأنه طرح عليهم رؤية أخروية وحوّل الحـــرب إلى حرب وجودية. إذا كان رئيس الموساد يقول إننا إذا لم ننتصر في هذه الحـــرب فإن ساعة الرمل لوجودنا ستنقلب رأساً على عقب. فكيف يمكن في مثل هذه الحالة أن يصوتوا ضد القرارات؟

المعلومات التي يوردها جهاز الدفاع كانت سوداوية. تحدثوا عن عملية عسكرية لمدة تمتد لأشهر وعن مئات القتلى. كل قادة الجهاز الأمني والعسكري، من رئيس هيئة الأركـــان وحتى رئيس الموساد ورئيس "الشباك"، كلهم كانوا مع المشروع في الهجوم البري. أولمرت كان متوتراً. كان من المهم له أن يضمن الهدوء في الغرفة وأن لا ينشب الجدل بين المشاركين. التوتر وصل إلى نقطة الانفجار عندما تهجّم بيرتس على موفاز، وعندئذ بذل أولمرت جهوده حتى يحول دون نشوب النـــزاعات داخل المجلس الوزاري المصغر، وهناك أمر واحد يمكنه أن يبلور أي إطار كهذا وهو: الجيش.

أولمرت شدّ على يد حلوتس، الرجل الكاريزماتي، الذي قدّم إلى الجيش كرئيس وزراء مـــستقبلي، وأصبح الآن في نظر الوزراء أشبه بدادو أليعيزر. رئيس الوزراء عزّز ودعم الجيش بصورة غير اعتيادية قائلاً: ليس لدينا سوى الجيش، وقوتنا هي قوته.

أولمـــرت يتذكّر لقاءه مع جنود الاحتياط الذين شجعوهم على السماح لهم بالتوجّه إلى لبنان دفاعاً عن البيت الذي يتعرّض للهجوم. نداءاتهم أثارت الانفعال في نفـــسه، ولكـــنها لم تكن مقنعة له. نفس الشعور كان بالنسبة لأغلبية الوزراء، والاعـــتقاد هو أنه إذا صدر عن مجلس الأمن قرار جيد فإن كل الوزراء سينقضّون علـــيه. خـــلال استراحة النصف ساعة، تحدّث أولمرت مع كونداليزا رايس على الهاتف، وأجمل قرارات المجلس الوزاري بجملة واحدة: نحن سنحقّق أهدافنا، إذا لم يكن بالطرق السياسية فبالطرق العسكرية وبمزيد من القوة.

ماذا يعني القول إننا لم ننتصر؟

هـــذه الجملة هي خلاصة موقف أولمرت الذي يعتقد أن أهداف هذه الحرب سياســية وليـــست عسكرية. انتشار 15 ألف جندي لبناني ومعهم 10 آلاف من

أوروبا، من الليطاني جنوباً هو أمر مدهش يتوجب التقاطه بكلتا اليدين.

الاتفــاق المتــبلور بقيادة واشنطن بدا في نظر أولمرت في يوم الأربعاء إنجازاً سياسياً كبيراً، وإسرائيل حسب وجهة نظره حصلت على كل ما أرادت. ولكن في نفس الوقت، يعتقد أولمرت أن توسيع العملية العسكرية هو ورطة، ذلك لأنه إذا لم يحدث وقف لإطلاق النار فسينجرّ الجيش إلى بيروت. مصادقته على الخطة الموسعة التي اقترحها الجيش كانت رمزية فقط، إلا أن عقله وقلبه يقولان شيئاً آخر.

يــتوجّب أن يكون الواحد بطلاً حتى يصادق على عملية موسعة كتلك التي يقتــرحها الجيش مع معرفة الثمن المترتب عليها. وفي نفس الوقت يجب أن تكون بطــلاً حتى ترفض المصادقة على عملية يُجمع عليها كل الجنرالات. أولمرت يرى مهمته في وضع حدود لاقتراحات الجيش ورؤيته العسكرية للأمور.

سوريا تدرك ما يحدث

لــيس من المؤكد أن اعتبار الجهاز الأمني بأن توسيع العملية هو مسألة وجودية، مقنع لأولمرت. في ديوانه يقولون إن الإمبراطورية الروسية الضخمة احتلت أفغانستان في عهد بريجنيف، وبعد ذلك فرّت وذيلها بين قدميها. وفي لبنان نواجه أناساً استعدوا لهذه الحرب طوال سنوات وحفروا الخنادق وأعدّوا العدة للمواجهة.

أيضاً التأثير الذي سيترتب على الحل السياسي - بدلاً من العسكري - على دول مــثل سوريا وإيران، لا يؤثر في أولمرت. سوريا تدرك جيداً أنها إذا أطلقت عليــنا صاروخاً واحداً فلن نتوقف إلى أن نخضعها، وفي سوريا لن تواجه إسرائيل مشكلة في تدمير كل محطات الطاقة وقيادة الأركان العامة.

كل الطرق من ديوان أولمرت تقود نحو الاتفاق السياسي. العيون شاخصة نحو واشــنطن ونــيويورك، وبداية احتمالية تبلور تسوية تقود إلى وقف إطلاق النار. بيرتــس أيــضاً، الــذي طرح مع الجيش الخطة العسكرية الموسعة، يأمل بوصول الإشــارة من الولايات المتحدة. الجيش، حسب رأيه، جلب للمجلس الوزاري ما أراده: خطــة لــشل الكاتيوشــا. ولكــن الخطة تظهر كيفية شل مناطق إطلاق الصواريخ، ولكنها لا تظهر كيفية احتلال الليطاني.

بيرتس لا يستبعد اختيار الحل السياسي، ولكنه يعتقد أن المراوحة تستوجب السعي للحسم العسكري في ظل وجود مليون ونصف مليون شخص في الملاجئ. حركة الجيش، حسب رأيه، ستؤثر على مجلس الأمن وما يحدث فيه. وكلما تحرك الجيش بسرعة أكبر كلما سارعوا في الأمم المتحدة لاتخاذ القرار.

ماذا حدث لرئيس هيئة الأركان؟

"ليس من الضروري أن تكون خروفاً حتى تقود القطيع"، هذا ما اعتاد حلوتس قوله في مقابلاته منذ أن أصبح رئيساً لهيئة الأركان. هذا كان ردّه الجاهز على كل من كانوا يستغربون كيف وصل قائد سلاح الجو إلى قيادة الجيش. وقد كان من الممكن أن يجتاز حلوتس كل فترته في رئاسة الجيش من دون أن تشوب ملابسه الزرقاء أية شائبة، إلا أن الحرب داهمته وكشفت عن النقطة التي كان يطرحها المعارضون ضده: إن رجلاً من سلاح الجو لا يمكن أن يكون رئيساً لهيئة الأركان العامة. جيناته ستقود حسب رأيهم إلى المعركة الجوية الطويلة، وهذا ما حدث فعلاً. ومع ذلك، كان من الممكن أن يجتاز حلوتس بسلام قضية الادعاء بأنه قد أطال المرحلة الجوية الأولى من الحرب وتريث في إرسال القوات البرية، لو كان لديه مستشارون جيدون، ولكن وجوده إلى جانب رئيس وزراء ووزير دفاع من دون خبرة عسكرية وظهور قائد المنطقة الشمالية في مظهر غير المتحمس للمعركة - استوجب قيامه بدراسة كل خطوة من قبل القفز إلى هذه المغامرة التي قد تورط الجيش في الوحل اللبناني مرة أخرى.

أين رئيس هيئة الأركان الذي نعرفه؟ أين اختفى دان حلوتس؟ هذا السؤال يطرح أكثر من مرة خلال الأسبوعين الأخيرين. من يعرفه يمكنه أن يدرك أن شيئاً ما غير جيد يمرّ عليه. رئيس هيئة الأركان الذي قاد خطة فك الارتباط بإصرار وحساسية بالغة، ليس نفس الشخص الذي يقود الحرب الآن. هناك كان حازماً، ذا حالة مزاجية جيدة وهادئاً بصورة غير عادية. أما في هذه الحرب فهو يجد صعوبة في إخفاء العبء الذي يرزح تحته متردداً وغير واثق من نفسه ولا تنبعث منه الثقة المطلوبة على من حوله. ليس من المستبعد أن يكون حلوتس مثل الجيش

كلـــه قـــد فوجـــئ مـــن ترسانة حزب الله الهائلة، ومن استعداداته غير المسبوقة للمـــواجهة. تماماً تحت أنف هذا الجيش ترعرع ونما تنظيم إرهابي ذو قدرة كبيرة، الأمـــر الذي يحتاج أكثر من قائد منطقة لطيف وشبه نائم من أجل دحره. يقولون عـــن أودي آدم إنـــه يفهم في الإمدادات والقوى البشرية، إلا أنه يفتقد إلى غريزة الانتـــصار المطلوبة في ساعات الحرب الضارية. هذا الوضع غير مريح لرئيس هيئة الأركان الذي يفضّل الارتكاز على جياد مندفعة، وليس على بغال كسولة.

قرار تعيين نائب حلوتس بدلاً من أودي آدم، لم يكن سهلاً بالنسبة لحلوتس، وقد أدرك بالتأكيد أنه سيثير ردود فعل وبلبلة، ومع ذلك هو يعتقد أن كابلنسكي سيكون أفضل من آدم في المنصب.

قـــرار إيقاف التوغل البري بسبب الاتصالات السياسية كان بالنسبة لحلوتس ســـيئاً جـــداً. إذا حـــدث ذلك فستطرح كل الأسئلة الصعبة - تلك التي تتعلق بالمعلـــومات الاستخبارية السيئة والإخلالات الكثيرة وعدم خبرته في أرض المعركة الـــبرية وحزمه في مواجهة المستوى السياسي وتردده. وربما يظهر أنه كان محقاً في مـــواقفه في نهاية المطاف، وأن تردده كان في محله. الآن وضع حلوتس على طاولة أولمرت ما لم يرغب في الوصول إليه: خطة موسعة، رغم الخسائر المترتبة عليها من أجـــل الحصول على ما يأمل به الجميع - إيقاف الكاتيوشا وتوجيه ضربة قاصمة لحـــزب الله. حلوتس توصل إلى القرار بعد أن أجرى محاسبة للنفس عندما قال في المجلس الوزاري إن هناك حاجة إلى اجتياح بري لإنهاء الحرب بصورة مختلفة. ولكن رغـــم تصويت المجلس الوزاري المصغر مع الخطة، إلا أنه يشك في أن يشاطره أحد مـــن الـــوزراء في هذه الخطة. الجيش الذي يُعدّ للدخول إلى لبنان بطريقة أخرى، يتعـــرّض لرياح مغايرة.ذلك لأننا في نهاية المطاف نعود دائماً إلى نفس النقطة: كل شيء موضوع على أكتاف المقاتلين.

الصفعة التي تلقيناها

بقلم: زئيف شيف

هآرتس - 2006/8/11

على الدولة أحياناً أن تتلقى صفعة حتى تستيقظ للواقع الذي تغيّر من حولها. هـذا حـدث لإسـرائيل في حرب الغفران التي كلفتها 2600 قتيل، وفي انتفاضة الأقـصى التي حصدت أكثر من ألف ضحية. والآن، ها هي تتلقى صفعة خاطفة علـى وجههـا في الحرب مع حزب الله. خسارة أن الوعي الإسرائيلي يستوجب سقوط الضحايا والدمار والآلام في كل مرة. في الدول العربية أيضاً يعتقد الكثيرون أن الحـرب قـد تمخضت عن واقع جديد. الجيش الإسرائيلي حسب رأيهم يجد صـعوبة في إخضاع حزب الله، وفي سوريا يسألون أما آن الأوان لتحرير الجولان بالقـوة. أنصار السلام مع إسرائيل في العالم العربي في حالة دفاع عن النفس. إذا كان هذا هو اتجاه الأمور، فالطريق مشرعة نحو جولة حربية جديدة.

المعركة بين إسرائيل وحزب الله هي بالنسبة للكثيرين في العالم العربي جزء من الصورة الأوسع التي تتضمن أيضاً عدم قدرة أميركا على إخضاع الثورة في العراق. هم يرون أن القوة العسكرية ليست ضمانة للنجاح. هناك أيضاً عرب يدركون أن إيران التي تعتبر أكبر مؤيد لحزب الله تنوي التدخل بصورة أكبر من أي وقت مضى في الشؤون العربية الداخلية. من حسن حظ إسرائيل أن هذه الحرب اندلعت عندما كانـت إيـران غير قادرة بعد على التهديد باستخدام سلاحها النووي. من هذه الناحـية يبدو أن الحرب قد بدأت بصورة مبكرة من وجهة نظر إيران، ومن الجيد أن ذلـك قـد حدث بهذه الصورة. طهران تدرك أن جزءاً من البنية التحتية التي شـيدتها لحـزب الله سـيُدمر في هذه الحرب، لذلك من المهم لها أن تبقي المعابر الحدودية اللبنانية مفتوحة حتى تتمكّن من إعادة تسليحه. القوة الدولية المنتشرة في الجـنوب لـن تكون ذات أهمية إذا لم تحرص على منع إيران وسوريا من إرسال الـسلاح والصواريخ لحزب الله. في كل الأحوال، من الواضح أن إيران ستواصل

التخطيط لتهديدات جديدة على إسرائيل، وهناك حاجة للاستعداد لذلك، وليس فقط من خلال الوسائل الدفاعية.

التدويل

إسرائيل عارضت على الدوام فكرة إرسال جنود أجانب لتنفيذ المهمة بدلاً منها، وعندما قبلت إسرائيل في السابق نشر قوة أممية كان ذلك بالإكراه تقريباً. الآن يتوجب على القوة الدولية أن تُزيل صواريخ حزب الله وأن تكون قوة عازلة وواقية لإسرائيل.

القسم القانوني في الجيش وقسم التخطيط العسكري يجدان صعوبة في بلورة موقف من اقتراح إرسال قوة دولية إلى لبنان وفقاً للبند السابع من وثيقة الأمم المتحدة. هذا البند يتيح استخدام القوة وفرض العقوبات على من يخرق وقف إطلاق النار. القوة الدولية – بقيادة فرنسا ربما – تستطيع أن تقرّر أن إسرائيل هي التي تخرق وقف إطلاق النار، ولذلك يتوجب فرض العقوبات عليها. البروفسورة آن بايفسكي، الخبيرة القانونية الأميركية المعروفة، تُحذّر من مثل هذا التطور.

تكتيك

لم تواجه أي دولة ديمقراطية حرب كتلك التي تخوضها إسرائيل اليوم في مواجهة تنظيم إرهابي اختطف دولة (لبنان). في السنوات الأخيرة كانت هناك حروب محدودة مختلفة كما حدث في أفغانستان والشيشان والصومال وكوسوفو والعراق وغيرها. عندما وقفت الدول العظمى، مثل روسيا أو أميركا، جانباً كانت تسمح لنفسها باستخدام القوة من دون قيود وبصورة وحشية جداً أحياناً. ليس هناك في منظومة حزب الله في جنوب لبنان أي شيء يماثل حرب 1982. حزب الله بنى منظومة أنفاق تحت الأرض تُذكر بتلك التي شيدها الفيتكونغ في فيتنام. إسرائيل وجدت نفسها مضطرة إلى استخدام القنابل الحارقة وغيرها من الوسائل المشابهة لإجبار مقاتلي حزب الله الذين يكمنون في هذه الأنفاق ويخرجون منها بين الحين والآخر لضرب قوات الجيش الإسرائيلي وإطلاق الصواريخ، على الخروج

مـــنها. المـــنظومة الموجودة في جنوب لبنان خُططت على يد مستشارين إيرانيين برئاسة المسؤول عن "قوة القدس" في حرس الثورة الإيراني، قاسم سليماني.

في هذه الحرب تتيح التكنولوجيا الإسرائيلية إلحاق إصابات أكثر دقة في النهار واللـــيل، ولكـــن وسائل الاتصالات الدولية تملك أيضاً أقماراً صناعية قادرة على التقاط الصور ونشر فوري لكل حركة تقريباً. حزب الله قادر بواسطتها على تقدير كل التحركات الإسرائيلية المتوقعة بكل سهولة.

وقاية

بعد فترة قصيرة من الانسحاب من لبنان اكتشفت إسرائيل أن إيران قد بدأت ترســـل كميات هائلة من الصواريخ والأسلحة لحزب الله، وتدريب عناصره. بعد ذلـــك اتـــضح أن ســـوريا تقوم بإمداد الحزب بالصواريخ الثقيلة. هذه المعلومات وضـــعت أمام رؤساء الوزراء، من إيهود براك مروراً بشارون، ولكنهم قرروا رغم ذلك عدم شن حرب وقائية. براك الذي قاد الانسحاب من لبنان، قبل ذلك بفترة قصيرة، لم يرغب في إعادة جنوده إلى هناك. بالإضافة إلى ذلك علقت إسرائيل في انتفاضة صعبة وأدرك شارون جيداً الواقع المتبلور في لبنان والمخاطر المحتملة منه، إلا أنه فضل رغم ذلك التركيز على الساحة الفلسطينية و لم يرغب في فتح جبهة ثانية.

هناك جدوى من طرح السؤال إذا كانت هناك حاجة لشن حرب وقائية ضد تنظـــيم إرهابي حيث من الواضح أنه يُعدّ العدة لقوات هجومية قادرة على تشكيل خطر على دولة إسرائيل.

إسرائيل لم تقم ولو بخطوة دفاعية واحدة ضد قوافل السلاح، وترسانة حزب الله الـــصاروخية. هـــذه السياسة اتبعت على الأغلب بسبب الخوف من أن تعتبر الأســـرة الدولـــية شن إسرائيل لعملية هجومية ضد المنظومة الصاروخية في لبنان كحـــرب وقائـــية غير مبررة. الاستنتاج من ذلك هو أن دولة ديمقراطية صغيرة لا يمكـــنها أن تسمح لنفسها بشن حرب وقائية ضد تنظيم إرهابي مهما كان خطيراً. هذا الحق محفوظ للدول العظمى فقط، وعلى الأغلب بعد أن يلحق بها الضرر. من الممكـــن في هـــذه المسألة التذكير بالجدل الذي دار بين الاستخبارات الإسرائيلية

ونظيرها الأميركية بصدد صواريخ حديثة بقطر 220 ملم كانت سوريا قد أمدّت بها حزب الله. الأميركيون رفضوا تصديق المعلومات التي أمدّهم بها إسرائيل إلى أن سقطت هذه الصواريخ هنا.

استعداد

إسرائيل لم تفاجأ من قدرات حزب الله العسكرية: شعبة الاستخبارات العسكرية والموساد علمتا بما يحدث في التنظيم. في 22 تموز 2005 كتبت في "هآرتس": "هناك شك إن كانت لدى إسرائيل اليوم قدرة كافية على التصدي لتهديد صواريخ حزب الله. وحتى إذا أبدنا 80 في المائة منها فسيبقى أكثر من مليون مواطن في الملاجئ". في الثالث من آذار 2006 كتبت: "لدى حزب الله وإيران في الواقع قدرة على ضرب أهداف جنوبي حيفا. هذه عبارة عن خطوة إيرانية محكمة تمّت بالتعاون مع سوريا وحزب الله. هناك من يدّعون أن هذا ليس تهديداً استراتيجياً لأن هذه الأهداف قابلة للضرب أيضاً من خلال عمليات إرهابية. هل يعتبر إدخال مليوني شخص إلى الملاجئ وإيقاف الدراسة والعمل ضربة غير استراتيجية؟!".

في التقرير الذي نشره دان مريدور قبل عدة أشهر من خلال اللجنة التي ترأسها، جاء أن "حزب الله هو تهديد أمني هام خصوصاً بسبب قدراته الصاروخية التي تهدد جزءاً هاماً من أراضي الدولة. تهديد حزب الله يستوجب الاستعداد الأمني الملائم لذلك سواء في مجال الإرهاب أو في المجال الصاروخي".

كانت هناك أيضاً آراء أخرى. على سبيل المثال قائد المنطقة الشمالية أودي آدم قدّر في خطاب ألقاه في شهر شباط أن حزب الله يزيد من قوته فعلاً، ولكنه يوجّه اهتمامه نحو الاتجاه السياسي. "حزب الله يتمترس، ولكن ليس من المخيف أنه يبني المواقع لأنها تعتبر أهدافاً جيدة بالنسبة لإسرائيل"، قال آدم في ذلك الحين.

ردع

الحسم العسكري للتنظيمات الإرهابية الكبيرة لا يشبه إخضاع الجيوش النظامية. رئيس هيئة الأركان السابق موشيه يعلون يعتقد أن من الممكن إخضاع

تنظيم عصابات في حرب استنزاف طويلة. هذا لن يكون انتصاراً بالضربة القاضية وإنما انتصاراً بالنقاط.

ليس من الصحيح القول إن مقاتلي العصابات قد أحرزوا الانتصارات دائماً. الثمن الذي يدفعونه في بعض الأحيان أكبر من أن يواصلوا تهديداتهم. المشكلة هي أن الثمن الذي يدفعونه يزيد من كراهية السكان الذين يعتمد عليهم تنظيم العصابات.

ليس من الممكن إقناع حسن نصر الله بالتخلي عن أفكاره الخلاصية التي يعتبر التطلع لتدمير إسرائيل نقطة مركزية فيها. الحرب الحالية ستكون بالتأكيد رادعة لنصر الله في المستقبل. ولكن في مواجهة أطراف عربية أخرى من المحتمل أن يتزعزع الردع الإسرائيلي بدرجة معينة. من جهة، تدرك هذه الأطراف أن إسرائيل قادرة على الرد بـ "جنون" وحشي إذا تجاوز الطرف الآخر خطوطاً حمراء معيّنة بالنسبة لها. ولكن من الناحية الأخرى قد يستنتجون أيضاً أن الطريقة لإيلام إسرائيل ودفعها إلى الانسحاب لا تكمن في حشد الطائرات والدبابات، وإنما بإطلاق آلاف الصواريخ نحو أراضيها.

لا يتوجّب الاستنتاج من ذلك أن القدرة الردعية الإسرائيلية قد فشلت في كل المجابهات المحدودة. في السابق نجحت إسرائيل في حربها ضد م.ت.ف رغم أنها كانت تطلق الكاتيوشا من لبنان. إسرائيل نجحت في هذه المجابهات عندما كان لدى الطرف الآخر ما يخسره. هذه المجابهات انتهت في العادة بحرب واسعة حققت فيها إسرائيل انتصاراً مؤقتاً إلى أن جاءت الجولة التالية. حسب استخلاصات دراسة قام بها يوفال كنعان من جامعة حيفا، إسرائيل حققت إنجازاتها عندما قصفت البنية التحتية في لبنان، ولكن هذه الإنجازات كانت محدودة في العادة.

انتصار

في إسرائيل ثار في السنوات الأخيرة جدل مثير بين قادة الأجهزة الاستخبارية وقادة سلاح الجو حول قدرة القوات الجوية على حسم تنظيم إرهابي والقضاء على التهديد الصاروخي. في نقاش استخبارات سلاح الجو قال رئيس شعبة

الاستخبارات العسكرية حينئذ اللواء أهارون زئيفي (فركش) أنه لا يتوجب تضليل المستوى السياسي وجعله يعتقد أن هناك حلاً كاملاً لمشكلة الصواريخ. في نقاش آخر في قيادة المنطقة الشمالية قال قائد تلك المنطقة في حينه، بيني غينتس، إنه إذا كان الأمر كذلك "فعليّ الاستعداد لعملية برية طويلة". يبدو أن مطلبه - اقتراحه لم يُستوعب في ذلك الحين.

المستقبل

يبدو أن الجيش الإسرائيلي سيحتاج إلى إعادة نظر للكثير من نظرياته الحربية. على الجيش أن يتحقق من نفسه بكل ما يتعلق بـ "النار المقابلة"، وأن يتدرّب على احتلال منطقة والاحتفاظ بها في آن واحد. ستكون هناك حاجة لبذل جهد إضافي في المجال الاستخباري كذلك.

بعد الفشل الأميركي ضد صواريخ سكاد في عام 1991، قامت بعض الدول العربية وإيران بتسريع تطوير صواريخ أرض - أرض. هذه العملية ستصبح أكثر تسارعاً بعد الضربة الصاروخية التي ألحقها حزب الله بإسرائيل. كما أن الفلسطينيين أيضاً سيسارعون إلى تطوير صواريخ القسام وتهريب الكاتيوشا إلى المناطق. على إسرائيل أن تمنع بالقوة استمرار مهرجان الصواريخ هذا ضد سكانها.

بعد حرب 1973 قامت إسرائيل بتدارس فشل المواجهة ضد الصواريخ المضادة للطائرات التي أصابت طائراتها وغيّرت الوضع. هذا ما يتوجب القيام به الآن ضد صواريخ أرض - أرض. هذا جهد صعب ومُكلف. بالإضافة إلى ذلك على إسرائيل أن تقرر أن من المحظور تجاهل ما نعرفه لمدة طويلة: قصور القوة خصوصاً عندما يتعلق الأمر بدولة صغيرة.

قيادة قصيرة الباع

بقلم: يوسي سريد

هآرتس - 2006/8/11

هذه الحرب كانت قبل كل شيء مأساة إسرائيلية، وهي مأساة لبنانية أيضاً، وفي الواقع - مأساة عالمية.

عندما قررت حكومة إسرائيل شن الحرب بسبب استفزاز عملية الاختطاف، لم تأخذ في الحسبان أنه لا يوجد من يوقف هذه الحرب. منذ اللحظة التي ستندلع فيها وتتدحرج وتتعقد، ليس في العالم اليوم طرف قادر أو جاهز لتحديد نقطة الانتهاء. عالم بداية القرن والواحد والعشرين هو عالم بلا قيادة وإرادة وانضباط.

في كل مرة أسمع فيها عن "الأسرة الدولية" وعن الأمم المتحدة ومجلس أمنها، أستبدل بكائي بضحك مرير. ليست هناك أسرة من دون قيادة ولا مجلس أمن من دون طرف يحدّد القرار فيه. الطرف الذي كان من المفترض به أن يلعب هذا الدور القيادي، أي الولايات المتحدة، هو قيادة خاوية غير حقيقية.

سقطت على العالم وعلى كل من فيه مصيبة فادحة عندما انتخب جورج بوش رئيساً للولايات المتحدة. العالم كبير كما نعرف، وهو كبير فعلاً على جورج بوش، فليس هو الشخص الذي يمكنه أن يخفف آلامه وأوجاعه. هذا شخص منذ أن "وُلد من جديد" وفُتحت عيونه كعيون الطفل الرضيع، وهو يرى العالم بصورة سطحية. وفقاً لتقاليد المسيحي الأصولي الممزوجة بتقاليد الكاوبوي القادم من تكساس، يقوم بوش بتقسيم العالم إلى أخيار وأشرار وإلى أبناء النور ضد أبناء الظلام. وتقسيمه هذا قاطع وحاد من دون تزويق أو تلوين. خسارة أن الرئيس الأميركي ورث الأرض من دون أن يرث السماء التي تنقسم بوضوح بين الجنة وجهنم، من دون أن يتلامس ملكوت الخلاص بملكوت الشر.

لــيس لدى هذا الرئيس الموعود المبشّر ولن يكون، حوار مع المنحرفين الذين حــادوا عن الصراط المستقيم، الذي يحدّده كهنة مسيحيون متعصبون في الكنيسة وأنبــياء "النظام العالمي الجديد" في البنتاغون. لذلك وجدنا الإمبراطورية الوحيدة فــوق المعمــورة متخاصــمة متنازعة مع نصف العالم. هي لا تتحدث مع كوريا الــشمالية ولا مع إيران ولا مع سوريا ولا حتى مع أتباعهم ومن يوالوهم - حزب الله، حماس، طالبان وأشباههم.

في رحلة الخلاص الكاملة يضيع بوش في طرق المعمورة وفي دروب الحماقة، مقــاتلاً طــواحين الهواء السيئة مثل دون كيشوت المتحمس ليحصد العاصفة. هو يــضع نصب أعينه قراره الحازم بنشر الديمقراطية في كل دولة وقطر حتى إن غرق مواطنو هذه الدولة بالدم. نحو مائة ألف عراقي صبّوا دماءهم كزيت على دواليب ثــورة بوش الخلاصية، وفي العراق يُقتل ألف شخص في كل أسبوع، هذا من دون أن نحصي ضحايا أفغانستان التي لا تجد من يعدها.

الأسرة الدولية ممزقة ومفرقة ومشتتة ومشرذمة، كما لم تكن في أي وقت مــن الأوقــات. هي ترفض السير في طريق بوش، ولكنها لا تملك طريقاً بديلاً خاصــاً بها. الاتحاد الأوروبي يبدو أحياناً أكثر صحوة، ولكنه مفزوع أكثر منه مــستيقظاً. الخــيار العالمي هو إذا خيار بائس. خيار بين ضعاف العقول وبين ضعاف القلوب.

في إسرائيل فقط ما زالوا ينفعلون ويعجبون من الرئيس وبطانته الكونداليزية. ربمــا يــوجد لديهم استعداد هناك في واشنطن لإنقاذ إسرائيل من أيدي أعدائها، وليس لديهم استعداد لإنقاذها من أيدي صديقتها الكبرى ومن نفسها. أما الأشرار فقــد توقفــوا عن التأثر ببوش منذ مدة طويلة. هم يواصلون مسيرهم وخططهم وكــأن أميركا غير موجودة وكأنها لا تملك ما تقوله. حتى إذا صرخ بوش بصوته المزمجر ألف مرة فإن كلمته ليست مسموعة. هم يقولون إذا كان بوش قد خاصمنا فهــذا جــيد، فــنحن لــسنا بحاجة إليه. مجانين كل العالم يتحدون ويتعاظمون ويــستخفون بتوبيخات بوش المصطنعة التي تشبه توبيخات المعلم المنعزل في زاويته داخل صف هائج.

الولايات المتحدة بزعامة بوش دمرت بكلتا يديها قدرتها الردعية وقدرة العالم الحرّ، ومن خلال ذلك أيضاً القدرة الردعية الإسرائيلية. إذا لم يكن الجني الأميركي الذي سيطر على العراق مخيفاً كما كانوا يتصورون، وقابلاً للإرهاق والاستنزاف، فلا سبب إذاً للخوف من المارد الإسرائيلي.

من كان يصدق: أحياناً يشتاق الإنسان الطبيعي إلى عالم المعسكرين الذي كان سائداً قبل سقوط الأسوار بين الشرق والغرب. صحيح أن مصير الإنسانية كان في تلك الأيام قائماً على كبح "توازن الرعب"، وفي كل توازن يفرض على القيام بخطوات محسوبة جيداً. وما أن زال خطر الحرب الباردة حتى زال معها ذلك التوازن، ولم تعد الزعامة الأميركية العظيمة والمقتدرة بقادرة بكل بساطة. العالم يسخن ويخرج عن نطاق السيطرة. والضحايا الدوريون في هذا العالم المنفلت من عقاله هم نحن.

لننتصر قبل كل شيء

بقلم: بن كاسبيت

هآرتس - 2006/8/11

مـــن بـــين كل هذه الضجة، ومقابل هذا الغضب الذي يُبديه رئيس جهاز الموساد، مئير دغان، وفي الوقت الذي كنا ما نـــزال فيه نربت على أكتاف بعضنا، ونفكّـــر في الـــرجوع إلى الـــوراء، جاء ضابط كبير من الجيش ووضع الأمور في نـــصابها. اللـــيلة ما بين الأربعاء والخميس، ليلة جاءت بعد يوم قاسي، بدأ الجيش الإســـرائيلي بتحريك قواته الضخمة باتجاه تنفيذ العملية التي أقرّها المجلس الوزاري المصغر، إلا أن رئيس الوزراء يعود ويوقف هذه القوات من أجل إتاحة المجال أمام الجهود الدبلوماسية. لذلك، فإن هذا الضابط يحاول أن يضع الأمور في نصابها.

هو محارب مُجرّب، ويؤدي وظيفة مركزية في هيئة الأركان العامة، متواضع، ويـــتحدث في الموضوع مباشرة. ويفهم، كذلك، الساحة السياسية. وقد شارك في اجتماع المجلس الوزاري المصغر، فشاهد الصور وسمع كل الكلام. هو يعرف أقوال مئير دغان حول قلب الساعة الرملية (العد العكسي) إذا لم نخرج منتصرين من هذه الحـــرب، وهو يقول: "خطر وجودي؟ هذا قول غير مسؤول مطلقاً. بل هو مبالغة كبيرة. لدولة إسرائيل توجد مقدرة واضحة على أن تضمن وجودها. فالآباء الذين بـــنوا الدولـــة وضعوا فيها قدرة على الوجود بحيث إن عملية تدمير دولة إسرائيل ليست ممكنة أو سهلة، وأن إسرائيل قوية عسكرياً ووجوديا، فأنا أقترح مزيداً من الهدوء".

هـــذا الـــضابط يعرف الوضع في الجبهة. أنه ليس سهلاً، من ناحية ثانية هو يعـــرف حقـــيقة الوضع، كذلك، على الجانب الثاني من الجبهة. "أنا أعتقد أن ما يحدث الآن يعمل لصالحنا"، هكذا يقول، "لقد قررت دولة إسرائيل في نهاية الأمر أن تنظر إلى الحقيقة المُرة بعينيها، وأن لا تسخر من حقيقة السجال مع هذا الوضع، فـــنحن لا نقف الآن ونتلقى إصابات من بيت جالا. طوال ستة أعوام كنا نعرف

حقـــيقة الوضع. وعرفنا القدرة الكبيرة التي تتجمع أمامنا عبر الحدود، وعرفنا عن تلـــك القوافل التي تأتي إلى الداخل (لبنان) من سوريا وإيران، وعن الطائرات التي تهـــبط وهي مثقلة بالسلاح والذخائر. كنا نعرف، وكنا نجمع التقارير المعلوماتية، وواصــــلنا فعلنا ذلك كالمعتاد. وكأنه لا شيء. والآن، فإن كل شيء يواجهنا، ولا بدّ من مواجهته، ونحن نواجهه الآن".

هـــو يعتقد ما يحدث، فشيء واحد مضمون: "القدرة الإيرانية التي تكدّست في لبنان لن تعود ثانية، هذه القدرة التي تجذّرت أمامنا بانتظار يوم النفير النووي، لم تعد الآن، فيوم بدء المعركة، وخلال 34 دقيقة، تمكن سلاح الجو من تدمير 59 من منـــصات إطــــلاق الصواريخ السرية بعيدة المدى التي بحوزة نصر الله. لذلك، فإن الأميركـــيين الكبار، في حرب الخليج، لم يتمكنوا من تدمير قاذف صواريخ واحد لــــصدام حسين. مع أننا نتحدث عن قاذفات صواريخ ثقيلة لها وجود أكثر ظهوراً من هذه.

"ســــلاح الجو كان قد طور هذه التكنولوجيا على أساس إمكانية التصفية المحــــددة، وأوصلها إلى حدّ الثقة التامة بها. وهكذا تمّ تدمير المنظومة التي كانت إيـــران قـــد بنـــتها في لبنان لكي تحاول تركيعنا على ركبنا استعداداً للتسلح الـــنووي. والآن، فإن الحرب باتت منحصرة لمواجهة صواريخ الكاتيوشا قصيرة المـــدى فقط، التي هي منظومة قوية وواسعة. فقد أقاموا في لبنان شبكة ضخمة ومـــنظمة مـــن الإرهاب الضخم المعادي. لا توجد هنا صواريخ تمّ إدخالها إلى القرى، بل توجد هنا قرى ومدن جرى بناءها حول منظومات الصواريخ. فكل ســـاحة، وكل مزرعة، وكل غابة صغيرة تخفي في داخلها فوهات إطلاق لهذه الصواريخ. هذه عبارة عن غابة كثيفة وكبيرة من الصواريخ التي زُرعت أمامنا. والحـــظ الجيد لدولة إسرائيل أن هذا قد حدث الآن وليس فيما بعد."إننا نقوم بـــتدمير المركز اللوجستي لهذا، تدمير البنى التحتية، ونضرب بقوة هذه العناصر المحاربـــة الـــتابعة لـــه. فجميع العائلات لكبار المسؤولين في حزب الله أصبحوا مـــشتتين في المـــدارس وفي الخيام التي أُقيمت في أرجاء لبنان. لحزب الله توجد منظومة وشبكة اقتصادية ضخمة جداً. فهو "المُشغّل" الأكبر في كل لبنان، بما في

ذلك البنوك، وشركات النقل، وشركات تجارية، ومصانع. كل ذلك تمّ تدميره الآن. فبنك المال التابع لحزب الله أصبح الآن عبارة عن خراب. آلاف الناس كانوا قد أودعوا أموالهم هناك. والقدرة الصاروخية للمدى البعيد أُصيبت جيداً، والقرى الجنوبية أصبحت فارغة، والآن فإننا نضرب مرتفعات النبطية، ونلاحظ هناك وجود حركة نزوح لمئات آلاف المواطنين اللبنانيين."المشكلة هي أننا لدى خروجنا إلى هذه العملية تمّ تحديد الكثير من الأهداف، لكنها لم تكن واضحة كما تكون لعبة كرة قدم في الجوار. نحن لا يُفترض بنا أن نقيس مدى ما فعلنا لهزيمة حزب الله، لأننا من أجل هزيمته لا بدّ لنا من احتلال لبنان والوصول إلى بعلبك. يجب علينا أن نتأكّد بأننا ضربنا القدرة الإيرانية التي كانت تقف على أعتابنا، وكيف نحافظ على قدرتنا بأن لا تعود هذه القدرة وتقوم من جديد"."توجد هنا"، حسب أقوال الضابط الكبير، "مصالح كبيرة جداً، وعلى المدى البعيد لهذه الدولة. لقد حققتم إنجازاً كبيراً ثمنه حتى الآن 120 قتيلاً، بهذا العدد غير المسبوق من قبل لهذه الصواريخ التي سقطت على المناطق الإسرائيلية السيادية، فالسيد نصر الله فقد قدرته على ردعنا هنا. وقد سبق له أن قال بأن مصير تل أبيب مثل مصير بيروت. وقبل أن يُنهي كلامه، أنزلنا ضرباتنا على العشرات من البنايات في مدينة بيروت. هو يفهم بأننا لم نعد نخاف أكثر، فهو مستعد لدفع كل شيء ليعود إلى اليوم الذي سبق بداية هذه الحرب، الأيام التي كان فيها ملك لبنان. وأولمرت، ليس من المؤكد أنه كان يرغب في العودة إلى اليوم الذي سبق تلك الحرب. ولكن، بعد أن فهم ماذا يوجد هناك. والآن، فإن السنيورة أصبح مستعداً لإرسال 15 ألف جندي لبناني إلى الجنوب، ونصر الله موافق على ذلك. فلو كانوا يقولون ذلك لنا قبل اندلاع الحرب، قبل شهر من الآن، لكنا نصفق لهم، أليس كذلك؟".

"لقد سقطت الأمطار علينا هذا الشهر"، يقول الضابط، "ولكن عليهم سقط البَرَد، نصر الله ضرب بقوة، قتل وخطف جنوداً لنا، جلس هناك في قاعة احتفالاته وبالغ في التفاخر. فهو لم يعتقد بأن دولة إسرائيل ستكون مستعدة لأن تدفع الثمن وأن تخرج لهذه الحرب، والآن، فإننا ندفع الثمن. ولكن من الذي يعاني من خطر

البقاء والوجود؟ هو. لقد شاهدت أول أمس خطابه على الشاشة، فهو يتحدث بضعف، وتظهر عليه علامات المشاكل الداخلية، وهو يحاول تجميع الصفوف وأن يُقلل الأضرار، وأن يمثل وجود الانتصار، هو يتحدث بلهجة الاعتذار، ويُبدي الاستعداد لوقف إطلاق النار. هذه هي الخيارات. وعندنا، توجد انتقادات، وستكون انتقادات أكثر، وهذا جيد، فهذا هو سرّ عظمتنا وتفوّقنا عليه، ولكن من المحظور جداً أن نتردّد أو نتشوّش". بنظرة إلى المدى البعيد والمتوسط، فإن ردع دولة إسرائيل الآن أثقل وأكبر بكثير من قوة ردعنا قبل نشوب الحرب. العرب يروون القصة حول ماذا يريدون، والآن، يجب علينا أن ننظر إلى ذلك بعيون مفتوحة. فمن ناحية، أخطأنا عندما فكرنا بأنه لا بدّ أن ننزل من الطائرات ونقوم بعمليات تفجير، وعندها، سيشعرون بالخوف والذعر ويعيدون الجنود المخطوفين. ومن ناحية أخرى، نحن نقتلع الآن تهديداً قاسياً وجدياً، ونوضح بتأكيد أن هذا التهديد لن يعود مرة ثانية. صحيح، لقد دفعنا ثمناً باهظاً في بنت جبيل، فهل فحص أحد الأشخاص ماذا حدث في بنت جبيل؟ حزب الله خسر هناك نحو 80 من خيرة مقاتليه. كل عملية قتالية تكون نتيجتها عدد من القتلى تبدو لنا وكأنها نهاية العملية الصهيونية. الأمر ليس هكذا.

"المجتمع الإسرائيلي قوي وصلب ومعتدل، وقد أثبت ذلك خلال الانتفاضة. فهناك 132 مواطن إسرائيلي قد قُتلوا خلال شهر واحد (آذار 2002) دون نتيجة، فأنا لا أنسى ذلك القناص الفلسطيني الذي قتل وحده 11 جندياً إسرائيلياً على الحواجز. فقد قالوا آنذاك بأن هذا قناص مُرتزق من الجيش الإيرلندي السرّي. وفي نهاية الأمر اعتقلنا ذلك القناص من قرية علوف القريبة من رام الله. ووجدناه صبياً يبلغ من العمر 17 عاماً تلقّى بندقية من نوع "كاربين" بأسلاك معدنية قديمة، وتمكّن بها من تصفية قوة عسكرية بأكملها. هذا مؤلم، ولكننا تعلمنا من ذلك وتجاوزنا ذلك أيضاً. وسنثبت ذلك في هذه المرة أيضاً. فالجيش الإسرائيلي سيكون مُلزماً بالردّ على تساؤلات وأسئلة كثيرة قاسية، وأن يقوم بعمليات حساب للنفس مؤلمة، ولكن لا بدّ من تأجيل ذلك لما بعد، لما بعد الحرب. يجب أن ننتصر أولاً".

قيادة من الأغرار

في اليوم القادم، سيتوجب علينا أن نفحص ما الذي جرى هنا. كيف نهضنا في صباح أحد الأيام واكتشفنا أن جميع مُتخذي القرارات الكبار، وفي المواقع الحساسة في الدولة الإسرائيلية، هم من الذين لا يملكون الخبرة في هذه المجالات التي هم مسؤولون عنها، ولن نقول أغراراً حقيقيون. فما الذي فكّر به أريئيل شارون وشاؤول موفاز عندما قاما بتعيين دان حلوتس رئيس للأركان؟ شارون حدّث نفسه قائلاً بأنه لا يوجد ما يقلق في هذه المسألة، وإذا حدث شيء ما، حسناً، فهو هناك. هو يعرف لبنان جيداً، إذاً ماذا، هو يعرف ماذا سيفعل (أي شارون). حسناً، وماذا عن موفاز؟ إنه نفس الشيء. هو أيضاً يعرف لبنان جيداً. هو يعرف ماذا يفعل إذا ما كانت هناك حاجة أو ضرورة لذلك. ولكن، عندما نام شارون (المريض) وعندما جرى "تنويم" موفاز، فإن حلوتس هو الذي بقي بمفرده. وهو عرف ماذا سيفعل! لقد عيّن الجنرال أودي آدم قائداً للمنطقة الشمالية. شخص ممتاز، وهذا كان من الناحية الأولى. أما من الناحية الثانية فقد غيّر الاسم من "قائد المنطقة" إلى "قائد للجبهة الشمالية". وهذا في غاية الأهمية. ولكن آدم لا يعرف لبنان، وهو ليس خبيراً في الحرب التي يخوضها سلاح المشاة. فهو لم يكن في سلوكي، ولم تحرق قدماه الوديان والسهول، ولم يعرف ويشاهد حزب الله عن قرب من قبل.

وعندما جاء إيهود أولمرت، جاء وفعل في هذا السياق فعلاً آخر. أضاف خطأ على خطأ. أخذ عمير بيرتس لأنه ليس لأي ذنب ارتكبه، وألقى عليه عبء وزارة الدفاع. عمير بيرتس أراد أن يكون وزيراً للمالية. بل كان يريد ذلك برغبة كبيرة جداً. فهو، وحسب تقديره، كان يعرف ما الذي سيفعله هناك في وزارة المالية. ولكن أولمرت عاند بذلك للغاية، فقد كان قد وعد أحد أفضل الأصدقاء عنده بأن يعطيه وزارة المالية. وزيادة على ذلك، فقد آذى موفاز عائلة شارون ولم ينضم إلى حزب كديما منذ اللحظة الأولى. فكانت هذه هي الفرصة المجيدة لإيذائه وتصغيره، وكان ذلك على حساب أجسادنا. وبعد ذلك، نهضنا ذات صباح، فوجدنا حلوتس الذي لا يعرف كيف يفتح خارطة عسكرية في موقع رئيس الأركان، وإلى

جانـــبه آدم الـــذي لا يعرف تلك المنطقة، وجدناه في موقع قائد الشمال، ورأينا بيرتـــس، الذي لم يكن في أي يوم من الأيام في هذا الفيلم وهذا الشريط، وجدناه وزيـــراً للـــدفاع، ووجدنا أولمرت، الذي كان في يوم مراسلاً عسكرياً، في موقع رئـــيس الوزراء، وإلى جانبه يورام توربوفيتش الذي يفهم في الصفقات الاقتصادية، لكـــنه لم يُجـــرّب في يـــوم من الأيام كيف تُدار الدولة، وجدناه في موقع رئيس الطاقم، وكذلك رعنان ديتور، الذي لم يكن في يوم من الأيام قد جرّب إدارة أي شـــيء، وكـــذلك تلك المقامرة التي لم تعرف في الماضي أكثر من جمع الشيكات الراجعة، وجدناها وزيرة للخارجية، والبقية كلها مجرد تاريخ، وإعلانات وفاة.

في اليوم الذي سيتلو هذه الحرب، فإن كثيراً من الناس سيكونون ملزمين بدفع الحـــساب. والتوضـــيح. في الأســـابيع الأولى من هذه المواجهة فكرت، وخلافاً للآخـــرين، بأنـــه لـــن تكون حاجة للجنة تحقيق. أنا أخطأت. فإسرائيل ستكون مضطرة لأن تفحص نفسها، وهذا الفحص سيكون مؤلماً وحاداً. كما أن المستوى السياسي سيكون مطالباً بدفع الثمن. وذلك قد يصل إلى القمة في البلاد. وهذا ما زال رهـــناً بالـــصورة التي ستنتهي عليها هذه المواجهة، ورهناً بالوضع السياسي، ورهناً بطبيعة الحال والمزاج.

ســـنكون مجـــبرين على فحص كيفية وصولنا إلى هذه النقطة البالغة السوء. فلماذا لم نعمل على تنفيذ الخطة الأساسية (الأصلية)، ولماذا لا توجد أشرطة تصوير للطائـــرات المقاتلة في المخازن، ولماذا لا يتم إلقاء قنابل الدخان، ولماذا لم يتم شراء وســـائل دفاعية حديثة ضد الصواريخ وضد الدبابات مثل التي طوّرتها الصناعات العـــسكرية الإســـرائيلية، ولماذا لم توضع عدسات تصويب خاصة على البنادق، وكيف تمكّن فتيان المالية من استغلال ميزانية الدفاع سنة بعد أخرى، وكنا جميعنا نـــصمت على ذلك، ولماذا كنا بحاجة إلى أموال كبيرة من أجل إقامة مدينة خيام هنا، ومن أين هبط علينا هذا الكم الضخم من قوات الاحتياط، ولماذا جرى إهمال جهـــاز المخابرات، ولماذا لم نطوّر أي شيء خاص بهذه الصواريخ، وكيف جرى إهمال كل الخطط الخاصة المضادة للكاتيوشا، ولماذا لم نهتم بالجبهة الداخلية، ولماذا لم يكـــن الجيش الإسرائيلي بقدرة جيدة، وكيف يقصفوننا لمدة شهر ونحو مليون

ونـــصف المليون داخل الملاجئ، ولماذا يتحمّل سكان الضواحي القسم الأكبر من العبء، مع أنهم هم الأفقر والأضعف، وأين التل أبيبين والهرتسليين والرعنانيين في هـــذه الخطوط الأمامية، وكل الاحترام لهؤلاء الناس. وقبل أن أجر أجوبة غاضبة علـــى المستعدين "أبناء الذوات" فمن الواضح أننا نتحدث بصورة عامة. ولكن إذا قمـــتم بفحـــص المعطيات وتنقلتم بين الأرقام، فإنكم ستجدون الاكتشافات غير المريحة. فهنا وُلدت دولتان، بل قد يكون هنا وُلد شعبان.

الإعـــلام يعتبر جزءاً مهماً في هذه العملية، وشريك لا يمكن اعتباره ثانوياً في ذلك، بما في ذلك كاتب هذه السطور، وذلك لأنه لا يوجد أحد كان قد حذّر من تعـــاظم حزب الله. ونسوا أنهم هم كانوا من بين الذين سخروا من الذين سبقوهم وحذروا من مستقبل حزب الله. فجميع رؤساء الصحف كانوا قد حذروا، وعلى ســـبيل المثال، عضو الكنيست أفرايم سنيه (العمل) الذي تجرح حلقه من كثرة ما حذر. ونحن؟ أغمضنا أعيننا وسرنا هكذا. اعتقدنا أن توسكانا هنا في إسرائيل، بل هـــي كما قلنا، سويسرا الشرق الأوسط. وعندما اعتقدنا أن هذه سويسرا، تلقينا الشيشان. والتعيينات، كيف استغلينا التعيينات، وكأننا نتحدث عن عضو آخر من أعضاء مركز الليكود تعيينه لمدير عام. هذا الرُخص غير المنظور لمزيد من التعيينات في سدة الحكم وبوظائف حساسة، دون فحص للقدرات والمؤهلات ودون فحص لما يناسب أو لا يناسب، هكذا كانوا يختارون الأعضاء (للمركز).

لننتصر ونهرب

لقـــد توجّه أولمرت إلى العملية البرية الواسعة مثله كمثل علاج جذري لأحد الأســـنان، ودون تخدير مسبق. فقد قرّر أن يواصل درب شارون، من الانسحاب إلى الانطواء. وبدلاً من ذلك، فهو يريد استمرار تقليد شارون في لبنان. فقد كان يرغب كثيراً بأن يوقفوه عن ذلك. هو يُجري اتصالات، ويتحدّث مع رايس على مـــدار الساعة، ويرسل الموفدين، وبينه وبين السنيورة تدور مفاوضات غير مباشرة بواســـطة مبعوثين وسفراء أجانب. هؤلاء الأشخاص يدور واحدهم حول الآخر، وكل واحد يحاول أن يخترق الحلقة، تسمح لكل واحد منهما بأن يعود إلى البيت،

وفي نفـــس الوقت أن يبقى على قيد الحياة. الوزيرة كونداليزا رايس تتحدّث الآن عـــن قـــوة أوروبية تقوم بدعم اليونيفيل في جنوب لبنان، وبذلك تسمح لرئيس الـــوزراء أولمـــرت ليقول "لقد انتصرنا" ويهرب على الفور. صحيح أن إمكانيات وفـــرص هذه المبادرة ما زالت غير واضحة، وأولمرت يحاول المحافظة على أعصاب هادئـــة، ولكنه ذكي ويفهم بأنه إذا لم يحدث تغيير واضح ومهم، فإنه سيضطر إلى ابتلاع "قبعته النتنة" على غرار نصر الله الذي لم يستحم منذ شهر، وهذا لن يكون ذا مذاق جيد على كل الأحوال.

الآن، فإن الجيش ما زال بانتظار الأوامر، وبعدم تنفيذ انتصار عملي، فإنهم ما زالـــوا يحاولون اختراق محاور الطرق، كنوع من التعويض، ويحاولون شق محورين هامين باتجاه الأمام على الجبهة. وزير الدفاع الحالي، وذلك الذي سبقه في المنصب، كانـــا قد واجها بعضهما بحدّة في اجتماع المجلس الوزاري الأخير. الوزير موفاز ما زال منذ عدة أشهر يُبدي الاعتراض وعدم القبول بقرار إبعاده عن الوزارة التي كان وزيرها، والآن تطور ذلك حول وضع الجيش، وعن الانتقامات الشخصية التي كان لها الأثر الأكبر على حالة الجيش، والتي أضرّت به كثيراً وبسمعته. أما بيرتس، فهو يعتقد بأن وقاحة موفاز غاضبة، وبدلاً من أن يدفع الثمن حول إهمال الجيش طوال ست سنوات لما يجري في جنوب لبنان، فإنه يحاول الآن أن يجد المبررات لما يحدث.

كوارث بيرتس

بيرتـــس ممزّق، نسبياً بسبب عدم الخبرة، للأحداث، فهو يحاول تسويق الحد الأعلى. الكوارث تحطّ حوله بكثافة، هو لم يعتقد أن هذا هو الوضع الذي سيجده في وزارة الـــدفاع، ولم يحلـــم بـــأن هذا سيكون السيناريو. الحظ السيئ يلاحقه ويلاحـــق الجـــيش الإسرائيلي. فكل قنبلة من هؤلاء الأوغاد تسقط علينا. هكذا يقولـــون عند بيرتس. يوجد هنا نحس متواصل. في وزارة الدفاع يقومون بإحصاء عدد الكوارث. طائرتان مروحيتان اصطدمتا مع بعضهما البعض وتحطمتا في الجو. وطائـــرة مـــروحية ثالثة تتحطّم بسبب ارتطامها بأسلاك كهرباء. كاتيوشا تسقط وتقتل 12 جندياً في ضربة واحدة. صاروخ مضاد للدبابات يقتل تسعة جنود مرة

واحدة ويهدم عليهم أحد البيوت. طاقم دبابة بأكمله يُقتل بعد أن تصيب دبابتهم قذيفـــة آر. بي. جي. نارنا تقتل جنودنا. من ناحية المعارك التي تجري ضد عناصر حزب الله، فإن الجيش الإسرائيلي في وضع جيد، فلماذا لا يقومون بإحصاء ذلك.

لقـــد ســـارعت هذه الحرب بالتقاط وفهم بيرتس لحقيقة وزارة الدفاع، وأن انـــضمام غـــابي أشكنازي يساعد في ذلك، فالمدير العام الجديد لا يتكلم، ويحاول بقدر الإمكان أن لا يثير المشاكل. هو يسير بحذر إلى كل الأماكن، ملاصق للوزير بيرتـــس، فهكذا في الحكومة وكذلك في جلسات السبعة. فقد مرّت على بيرتس حـــوالى أربعة أشهر في هذه الوظيفة، وها هو الآن يسيطر على المواد، ولا يسمح للجيش بأن يخدعه، يفهم الأمور ويشمّ رائحة ما يحدث، ويعمل على مدار الساعة، هـــناك حوله بعض الأشخاص الذين يعتقدون بضرورة التوقف، وأن يعطوا الفرصة للمـــساعي الدبلوماســـية أن تـــسير وتعمل، وبيرتس يبدو وكأنه ممزق بين هذين الموقفين، ولكنه مع ذلك يبدي العناد والقوة، فالحديث، يقول بأن هذا ليس وقت الأحاديث، بل العمل فقط وبعد ذلك سيكون عنده ما يقوله.

فالهدف الآن، حسب ما يقوله بيرتس، هو إعادة الكاتيوشا إلى أبعادها وقياساتها الأساسية البسيطة والصغيرة، أي إعادتها من سلاح استراتيجي وردعي إلى مجرّد سلاح تكتيكـــي ثانـــوي. وأن عملية عسكرية إسرائيلية (إذا أردنا ذلك) يمكنها أن تقضي علـــيها.. فهل لدى الجيش الإسرائيلي خططا لذلك؟ فإذا كان يملك ذلك فيها لنفعل ذلـــك ونقوم بها. لقد كان بيرتس أول من تحدّث في الأسبوع عن نهر الليطاني، وبعد ذلك، في جلسة السبعة الأسبوعية، عاد وتردّد في ذلك. لأن الوزير موفاز واجهه بكثير مـــن الادعاءات حول هذا الموضوع في الاجتماع الأمني - السياسي الأخير. ولذلك أوضـــح بيرتس بأنه قرر إعطاء الجهود السياسية فرصة أخرى، وهو الأمر الذي لاقى نتيجة فورية في نفس اليوم، فهو لم يرد أن يخرب على رئيس الوزراء أولمرت، ولذلك قرّر أن يظهر بأن كلاهما في جبهة واحدة وبموقف واحد.. والآن؟ فإن بيرتس يضغط باتجاه الأمام. يمكن أن يكون بداخله وفي نفسه يدعو بشيء آخر. لأن ما يمكن رؤيته مـــن فكـــرة إلى الأمام، هو المزيد من الجنازات والنعوش المغطاة بالأعلام البيضاء - الزرقاء. فهذا منظر صعب، حتى لأولئك الأكثر عناداً وتصلباً.

خطة شيبس

شمعون شيبس كان مدير عام مكتب رئيس الوزراء أثناء حكم رئيس الوزراء الأسبق إسحق رابين والآن فإن هذه الوظيفة يشغلها رعنان دينور، الذي أراد قبل أسابيع الاستعانة بآراء وخبرة شيبس، حيث استدعاه وطلب منه أن يقدم له نصائح حول الطرق الأكثر نجاعة ودقة في مواجهة الأوضاع الداخلية في حالة نشوب نزاع مسل على الحدود الشمالية. وشيبس الذي يمتلك الخبرة والتجربة الكبيرة في عمله السابق حاول أن يقدم النصائح للمدير الحالي لمكتب رئيس الوزراء، إلا أنه في نهاية الأمر سأل المدير الحالي: متى كانت آخر مرة زرت فيها الشمال؟ وكانت إجابة رعنان: قبل بضعة أسابيع. فقال له على الفور: أنصحك بأن تزور المنطقة الآن، وأن تطلع على الأوضاع، وأن تحاول بعد مدة أن تنقل مكتبك إلى الشمال لتكون قريباً جداً من الناس ومن الجبهة الداخلية حيث سيكون العبء الأكبر على المواطنين في حالة اندلاع حرب على الحدود مع لبنان. وكان يقول: إنه في حالة اندلاع حرب، ووقعت أعباء الحرب على المواطنين في الشمال، فإن الروح المعنوية من جهة، والعمل على إصلاح وتحسين شروط الحياة والبقاء في الشمال بالنسبة للأعداد الكبيرة من المواطنين، فلا بدّ من انتقال العديد من الوزراء والوزارات إلى الشمال ليعالجوا الأوضاع عن قرب، لأن رؤساء السلطات المحلية لا يمكنهم، وبقدراتهم الذاتية البسيطة أن يتعاملوا مع حالة حرب كبيرة، إذا كان ذلك ما سيكون، وعليه، فكلما تواجد عدد أكبر من كبار المسؤولين الحكوميين هناك، كلما كانت المعالجة أفضل وكلما حافظت الروح المعنوية على حالها دون أن تتأثر كثيراً، بل إنه وجّه نصيحة بهذا المضمون لوزير الدفاع عمير بيرتس. ويبدو الآن، وبعد مطالعة الأوضاع، التي بلغت فيها الذروة بقرار الحكومة بإخلاء جميع سكان كريات شمونة من بيوتهم، حيث إن هذه الخطوة تعتبر الأولى في تاريخ الدولة منذ قيامها، فإن ملاحظات ونصائح شيبس قد تكون جيدة، وكان يمكن بواسطتها الحفاظ على حدّ أفضل من المعنويات. ولكن: هل كانت هذه النصائح وهذه الخطوات، لو تمّت، ستمنع سقوط الصواريخ، وستقلّل من هذه الخسائر التي وقعت؟

مقابلة مع العميد يوسي كوبرفاسر
رئيس لواء البحث في أمان

بقلم: جيدي فايتس

هآرتس - 2006/8/11

"لم أفاجـــأ البتة"، يعلن العميد يوسي كوبرفاسر، الذي كان إلى ما قبل لحظة رئيس لواء البحث في أمان. "هذا بالضبط حزب الله الذي أعرفه. منظمة مع عامود فقــري صــلب، مدربــة جــداً، ومجهّزة جيداً ومصمّمة. عرفنا أنها تملك آلاف الصواريخ ومئات الصواريخ بعيدة المدى. لا يوجد هنا أي شيء من المفاجأة"

- **إذن لمــاذا يــوجد إحــساس قــوي لدى الجمهور بأن المستوى السياسي والعسكري قد فوجئا؟ لماذا كان يتوقّع أن تكون العملية قصيرة مباشرة إلى الغاية؟**

• أقتــرح أن تسأل الصحافة نفسها هذا الشيء. كل هذه الأشياء بيّنت لمن كان يجوز له النظر في المواد.

- **كنت سألتك قبل شهر: هل سنهاجم بعد اختطاف جنود وبعد شهر يواصل فــيه حزب الله إطلاق مئات الصواريخ على إسرائيل، أكنت ستقول لي أن هذا ما سيحدث؟**

• يقيــناً. كان افتراض العمل من ناحية عسكرية أن حزب الله سيملك قدرة على إدارة حرب لزمن طويل. لا يوجد هنا أي خطأ في التصور. عرفنا بالضبط ما هي قــدرات حزب الله، ومن جهة ثانية ما هي قدراتنا التي تسبّب الضرر لحزب الله وعرفنا ما هي الأشياء التي لا نعرفها من ناحية استخبارية، "لا يفهم الإسرائيليون ببساطة ما يحدث، لأنهم ينظرون فقط إلى الصواريخ التي تسقط عليهم".

- **كان عندنا إيلي زعيرا الذي تحدّث عن "احتمال منخفض" عشية حرب يوم الغفران. التواضع في الاستخبارات شيء مطلوب.**

- لم تخطئ الاستخبارات كثيراً في إسرائيل في السنين الأخيرة. كانت إسرائيل تملك استخبارات ممتازة في السنين الأخيرة. قلنا في بدء السنة في التقديرات الاستخبارية العسكرية إننا نرى في النظام اللبناني جهود حزب الله لاختطاف لا يمكن ضمان ألا ينجح.

– **ما الذي لم تعرفوه؟**

- لم نعرف أين يوجد كل صاروخ أو أين حفر كل نفق. عرفنا بالضبط أي ضرر سيصيبهم وأي قدرات ستبقى بعد الضرر. في سلم أوليات سجل المعلومات الحيوية الاستخبارية، كان الموضوع اللبناني في مكانة رفيعة جداً جداً. لهذا من المضحك أن يوجّهوا اللوم إلى الاستخبارات. لقد عرفنا كل هذا.

– **هل نسّقتم تقديراتكم مع قيادة الجبهة الداخلية؟**

- كان تنسيقاً وثيقاً.

– **وكانت الجبهة الداخلية هشة جداً: انعدام ملاجئ في مدن كثيرة، ومواد خطرة بقيت مكشوفة.**

- لا أعتقد أنك محق. لكنني لست مختصاً في الجبهة الداخلية. تلقت قيادة الجبهة الداخلية المعلومات ذات الصلة ويبدو لي أنها قامت بما يجب القيام به. توجد أسئلة، مثلاً ما الذي حدث لمشروع نيئوتيلوس (مشروع ضرب الصواريخ باستعمال أشعة ليزر) بعد أن قلنا وقلنا وقلنا، في النهاية يتقدمون إلى الحرب مع عدم وجود ذلك. يجب الفحص عن هذا.

نصر الله ارتبك

يوجد شيء ما مقلق قليلاً في الحديث إلى العميد كوبرفاسر. إذا كان يصعب في أيام السلم أحياناً التفريق بين الثقة بالنفس والثبات الصلب لأناس الجيش وبين العجرفة والكبر، فإن الشيء الأخير الذي نريد أن نسمعه في فترة الحرب من ضابط رفيع هو التبشير بنصر مبكر جداً. الروح المعنوية شيء حسن، بل قد يكون مهماً. لكن قراءة حذرة للواقع، تستطيع أيضاً أن تسكن الأوضاع بطريقتها. وبخاصة

عـــندما ينطق بذلك من كان إلى ما قبل لحظة مخ الجيش الإسرائيلي، ورئيس لواء الـــبحث في شـــعبة اســـتخباراته، والرجل الذي يقدّم تقديرات الوضع السنوية، والتقاريـــر الأكثـــر ســـرية لرئيس الحكومة ووزير الدفاع. وهذا الرجل، العميد كوبرفاسر ليس لم يفاجأ لثانية فقط بل إنه لا يتأثّر بالعرب في الحقيقة.

"جذر المشكلة هو كيف ينظر سكان الشرق الأوسط إلى العالم وإلى وضعهم"، يبسط كوبرفاسر نظريته عن جيراننا. "والتصور الذي يؤلف بين جميع الجهات المتشددة في الشرق الأوسط، والتي تحظى بقوة سياسية في الشرق الأوسط لأنها تتوجّه إلى غرائز الجمـــاهير، يقول إنهم ضحايا. إنهم غير مسؤولين عن مصيرهم. سبب كون وضعهم غـــير حسن أنه يوجد من يتعرّض لهم بالتنكيل. يرى حزب الله، وحماس، والقاعدة، وإيـــران وســـوريا وكثيراً في الجمهور العربي، وكثير من الناس في الشارع، أن هؤلاء الغرباء، الإسرائيليين والأميركيين، هم المسؤولون عن مصيرهم البائس بسبب طموحهم إلى اســـتغلالهم. هذا تصور فلسفي. ولهذا فإن إسرائيل تهديد لمجرد وجودها حتى لو لم تطلق النار. يوجد إحساس عميق بكونهم ضحايا".

- **ربما يكون شيء من الحقيقة في هذا الزعم.**

- هـــذا هـــراء لا يقـــوم على شيء. هذه طريقة جيدة جداً لإعفاء نفسك من المسؤولية عن مصيرك. وهل نخالفهم في ذلك.

- **أليست لنا رواية تاريخية عن كوننا ضحايا؟**

- لا في الحقـــيقة. لم تعرض إسرائيل قط نفسها كضحية. بل كشمشون دائماً. تصوّر الصهيونية هي أن نكون مسؤولين عن أقدارنا، لا أن نكون ضحايا.

- **أيوجد شيء سلبي في هؤلاء العرب الذي تتحدّث عنهم؟**

- جـــداً. أولـــئك الـــذين يقولون: ليست لنا مبادرة، ولم ننجح في قرن أنفسنا بالـــتقدم وأن أحداً آخر مسؤول عن هذا ويريد أن نتخلّف على عمد. يوجد آخرون يحاولون عرض توجه آخر، وهم أقل صخباً وأقل استعمالاً للقوة. كما حـــدث أن الكثـــرة في العراق ألحّت في المضي إلى صناديق الاقتراع وتواصل العـــيش فيه. عند الفلسطينيين واللبنانيين يوجد أيضاً مثل هؤلاء، لكنهم ليسوا شجعان بما يكفي.

- هل تجد زعيماً ما ذا شأن خطير في العالم العربي.

- أحد مشكلات العالم العربي اليوم هي انعدام زعيم ذي شأن خطير.

- **وماذا عن حسن نصر الله؟**

- نصر الله إنسان شديد العجُب. محبّ لنفسه. واثق لقدراته. وفي الواقع أنه إنسان ذو معلومات محدودة وربما لا تكون قدرته على التحليل سيئة، لكن الثقة بالنفس التي يجب عليه إظهارها نحو الخارج تسبّب له الإرباك. هذا ما حدث له في هذه المرة. لقد طوّر نظرية ونشب فيها من غير أن يستطيع الحكم على نفسه حكماً نقدياً. كان يجب عليه أن يسوغ وجوده ولهذا بيّن أنه يدافع عن لبنان ويحافظ على مصالحه. ألا يوجّهون إليه اللوم اليوم في العالم العربي ويسألونه: لماذا ذهبت لاختطاف الجنود من غير أن تسأل حكومة لبنان. ويجيب أنا؟! قرّرت حكومة لبنان أنه تحب إعادة الأسرى، ولهذا ذهبت وقمت بما يجب القيام به بتكليف من حكومة لبنان. يريد أيضاً الحصول على الغطاء الشرعي وعدم تمكين حكومة لبنان أيضاً من تحمل المسؤولية عن أفعاله. يريد الأمرين معاً.

مل هذا ستة سنين. جلس لبنان ناحية، وقام نصر الله بعمليات وحصرت إسرائيل عملياتها بإزاء أهداف لحزب الله فقط. لقد اعتقد أن إسرائيل لم تجرؤ على المسّ بلبنان لأنها لن تستطيع مواجهة عدم المسؤولية السياسية. قال لنفسه: "لن تجرؤ إسرائيل على القيام بأي شيء من الجو لأنني أملك الكثير من الصواريخ وأعلمكم يا سادتي إنكم لا تعرفون حتى كم يوجد لي، لن أقول لكم كم أملك. 12 ألف، 13 ألف، يوجد لي الكثير من الصواريخ، ولهذا لن تجرؤوا على مهاجمتي لأنني أستطيع مهاجمة الخضيرة، وحيفا وأماكن أخرى. وراء وراء حيفا. ولن تجرؤوا أيضاً على القيام بعملية برية. لأنني أعددت قوة كثيفة على الحدود وما زلتم تحملون معكم ذكرى الضربات التي تلقيتم في لبنان ولهذا فلن تدخلوا لأنكم ليس لديكم اهتمام جغرافي في لبنان وأستطيع أن أقوم بما أريد".

قد مضى في اقتناعه أن هذه النظرية صحيحة وباعها اللبنانيين. لم يفهم شيئاً أساسياً. إنه ليس ضابط استخبارات. لم يقدّر التغيير الاستراتيجي. اعتقد أن

إســرائيل ستقوم بعملية محلية في الجنوب وسينقضي الأمر بذلك. في خطبه في خــلال الحرب وجّه طول الوقت مزاعم إلى أولمرت: "أنت، تعال إلى هنا، ما الــذي تريده؟ هل تريد التصرف مثل شارون. شارون فاوضني على الأسرى. أنت أسوأ رئيس حكومة في إسرائيل".

- **لا يبدو نصر الله متفاجئاً حقاً.**

• إنه مستعد مادياً. أما في جهة الوعي فإنه غير مستعد. في المستوى السياسي، لا مفر له من خسارة هذه الحرب.

- **الخسارة؟ لا يبدو أنه يخسر.**

• لــن يخــسر بــأن يكفّ عن إطلاق الصواريخ. فصدّام أيضاً واصل إطلاق الــصواريخ في 1991. ستتغيّر الظروف السياسية في لبنان. سيكون لحزب الله بعــد الحرب مكانة سياسية أضعف أو أقوى، لكن مكانته العسكرية ستتغيّر تغــيراً تامــاً. لــن يكون على امتداد الحدود مع إسرائيل. ولن يبقى تهديداً لإسرائيل.

• **أنت تعلم أن الشعور العام هو شعور بالهزيمة وتتحدّث عن النصر. أليست هذه مفارقة كبيرة؟**

• أتعرف أحداً في إسرائيل ينظر إلى جنوب لبنان؟ في لبنان لا يفهمون ما يحدث في إســرائيل والعكس صحيح. في إسرائيل تسقط صواريخ، ولن ننتصر حتى يــنقطع إطلاقهــا. اعتقدوا هنا أن سلاح الجو سينهي المسألة في خلال ثلاث دقائــق، ولهذا فإن هذا إحساس بالعجز ينشئ خيبة الأمل. بالإضافة إلى ذلك، لا تــوجد عملية في هذه الحرب تعرض كصورة انتصار كما كانت الحال في حرب الأيام الستة، وذلك الشاب في القناة.

- **كانت حرب الأيام الستة انتصاراً من غير الصورة أيضاً.**

• أجــل، لكن كانت صور نصر أيضاً. الشاب في القناة وذلك الأشقر مع ديان عند حائط البراق. وهنا إعلامنا يشغل نفسه بأمور لا يفعلونها زمن الحرب. لا أقــول إنــه يحتاج إلى إعلام موجّه لكن لا يسألون رئيس الأركان عن لجنة

التحقـــيق كما فعلت إيلانا ديان، ويبدو لي هذا جنوناً. أتفهم ماذا يعني رئيس الأركان؟ تقول نعم، لكنك لا تفهم في الحقيقة ماذا يعني رئيس الأركان.

- **هذه ديمقراطية.**

- "ولكن توجد ديمقراطيات جنت، وابتدأت تضرّ بنفسها".

رى كوبرفاســـر، أن لجـــنة التحقيق الوحيدة التي ستقوم ستكون في الجانب اللبناني. لا يشك للحظة في نتائج هذه المواجهة. "سينـــزع سلاح حزب الله. حكومة لبنان ستنـــزع سلاح حزب الله، وإذا لم تفعل، ستضطر إسرائيل إلى فعل ذلك. ستصل إسرائيل آخر الأمر إلى بيروت إذا كانت حاجة. تسألني هل يمكـــن أن يكون هذا، وأقول نعم. يجب الوصول إلى وضع يفضي فيه الضغط الدولي والعسكري الإسرائيلي والضغط السياسي – اللبناني إلى أن يفهم حزب ا لله أنه لا يستطيع الاستمرار في عرض نفسه كمدافع عن لبنان".

- **ألا تخـــاف أن يدفع القصف واللاجئون في لبنان أناس معتدلين إلى أحضان حزب الله؟**

- "مـــاذا دهـــاك! لم ينـــضم أحد إلى حضن حزب الله. ربما نكون زدنا أناساً يكرهون إسرائيل لكننا لم نضفهم إلى حضن حزب الله. ليس اللبنانيون بلهاء، إنهم يعرفون لماذا يعانون".

أغلبية الجمهور تعتقد أن إسرائيل لا تنتصر في المعركة

- **لو انتهت الحرب اليوم فأي من العبارات التالية تجدها أكثر صواباً؟**

إسرائيل لم تنتصر في المعركة	30 في المائة
إسرائيل انتصرت في المعركة	20 في المائة
لا منتصر ولا مهزوم	43 في المائة
لا أدري	7 في المائة

- **هل أنت راضٍ أم غير راضٍ عن أداء رئيس الوزراء إيهود أولمرت؟**

راض	48 في المائة

غير راض 40 في المائة

لا أدري 12 في المائة

- **ما برأيك ينبغي لإسرائيل أن تفعله الآن؟**

توسيع القتال 39 في المائة

استمرار القتال والمسيرة السياسية 26 في المائة

وقف فوري للنار وتسوية سياسية 28 في المائة

لا أدري 7 في المائة

- **لـــو كان على رأس الدولة زعماء ذوي خبرة عسكرية وأمنية، فهل كانت الحرب ستدار بشكل أفضل؟**

أفضل 53 في المائة

أقل جودة 7 في المائة

ذات الشيء 24 في المائة

لا أدري 16 في المائة

- **هل أنت راضٍ أم غير راضٍ عن أداء وزير الدفاع عمير بيرتس؟**

راض 37 في المائة

غير راض 51 في المائة

لا أدري 11 في المائة

- **أي تقدير تمنحه للحكومة على الطريقة التي عالجت فيها أمر سكان الشمال؟**

راض 19 في المائة

غير راض 73 في المائة

لا أدري 8 في المائة

- **يديعوت/مينا تسيمح - استطلاع - 2006/8/11**

- كل الشعب جيش

- **كيف ستنتهي الحرب في لبنان؟ (بين قوسين النتيجة في أوساط اليهود فقط)**

إسرائيل ستنتصر: حزب الله سيبعد عن الحدود 37 في المائة (40 في المائة)

بالتعادل: حزب الله سيتضرّر ولكن لن يتحطّم 40 في المائة (42 في المائة)

إسرائيل ستخسر: الجيش الإسرائيلي سينسحب 17 في المائة (13 في المائة)

وحزب الله سيعود

- **هل ينبغي للجيش الإسرائيلي أن يدخل الأعماق اللبنانية حتى الليطاني بقوات كبيرة؟**

ينبغي الدخول 64 في المائة (71 في المائة)

لا ينبغي الدخول 28 في المائة (21 في المائة)

- **كيف تقدّر أداء الحكومة في معالجة أمور سكان الشمال؟**

جيد 25 في المائة (22 في المائة)

غير جيد 73 في المائة (76 في المائة)

- **هل تثق بقدرة الجيش الإسرائيلي على الدفاع عن إسرائيل؟**

أثق 90 في المائة (94 في المائة)

لا أثق 10 في المائة (6 في المائة)

- **هل تغيّرت ثقتك بالجيش الإسرائيلي في أعقاب الحرب في لبنان؟**

لم تتغيّر 57 في المائة (57 في المائة)

تعزّزت 23 في المائة (25 في المائة)

تضعضعت 19 في المائة (17 في المائة)

- **كيف تصف مزاجك هذه الأيام؟**

ممتاز 13 في المائة (12 في المائة)

جيد 32 في المائة (34 في المائة)

غير جيد 30 في المائة (35 في المائة)

سيئ جداً 25 في المائة (19 في المائة)

- **في نظرة إلى الوراء، هل قرار شنّ الحرب كان سليماً؟**

سليماً 75 في المائة (87 في المائة)

غير سليم 20 في المائة (9 في المائة)

- كيف يدار قتال الجيش الإسرائيلي في لبنان؟

جيد	48 في المائة (52 في المائة)
غير جيد	45 في المائة (41 في المائة)

- كيف تقدّر أداء أولمرت أثناء الحرب؟

جيد	66 في المائة (73 في المائة)
غير جيد	31 في المائة (23 في المائة)

- كيف تقدّر أداء بيرتس كوزير للدفاع أثناء الحرب؟

جيد	59 في المائة (64 في المائة)
غير جيد	38 في المائة (32 في المائة)

- كيف تقدّر أداء حلوتس أثناء الحرب؟

جيد	67 في المائة (74 في المائة)
غير جيد	21 في المائة (14 في المائة)

مركز الدراسات الفلسطينية

33 يوم حرب على لبنان

أطول الحروب وأكثرها فشلاً وتكلفة

«سيذكر التاريخ، العدوان الصهيوني الأخير على لبنان، أو الحرب الإسرائيلية السادسة كما سماها البعض، على أنها أطول الحرب وأكثرها فشلا وتكلفة في تاريخ الحروب الصهيونية على العرب، كما أنها الحرب الثانية بعد حرب تشرين عام 1973، وخاصة في الأسبوع الأول من تلك الحرب، الذي يظهر فيه «الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر» بأنه قابل للهزيمة. ويُظهر فيها المقاتل العربي شجاعة وعقلاً عسكريًا يبعث على الإعجاب بالرغم من الميزان العسكري المختل لصالح الآلة العسكرية الجهنمية الصهيونية، وتواضع الإمكانيات العسكرية التي استخدمها الطرف العربي في هذه الحرب خاصة وهو المقاومة الإسلامية اللبنانية. لكن ما ميز هذه الحرب أنها جرت وفق قواعد لعبة ميدانية فرضها الطرف الأضعف، من خلال استخدامه لقوانين حرب الشعب وأساليب الحرب العصابية الأمر الذي أفقد الآلة العسكرية الصهيونية قوتها وجبروتها ومرغ هيبتها في التراب. وحول دروعها وجنودها إلى أهداف صيد ثمينة في المعارك البرية، إلى جانب إسقاط مقولة الردع الإسرائيلية إلى الأبد، وانكشاف العمق الإسرائيلي وهو أمر يحدث للمرة الأولى في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي. بمعنى أن هذه الحرب، والمعارك البرية الطاحنة بين الآلة العسكرية الصهيونية ومقاتلي حزب الله، علاوة على إسقاط استراتيجية رئيس أركان هذا الجيش من وراء استخدام سلاح الجو بصورة وحشية ضد البنى التحتية المدنية اللبنانية وحجم الدمار الهائل الذي خلفه القصف المنهجي على المدن والقرى والبلدات اللبنانية، وهـ... المعركة عبر الضربات الجوية المنفلتة واللامحدودة والمجنونة كما وصفها بعض المحـ... الإسرائيليين أنفسهم، فقد أسقطت المقاومة اللبنانية الكثير من المعايير والمقاييس وحـ... سمي «بنظرية الأمن الإسرائيلي» أولها إسقاط مفهوم نقل المعركة إلى أرض العدو، ... والتمسك بها كورقة مساومة، وحسم المعركة بالسرعة الممكنة من خلال استخدام القوة ...

من ...

ISBN 9953-29-191-8

9789953291918

مكتبة مدبولي
Madbouli Bookshop
6 ميدان طلعت حرب – القاهرة
ت: 756421

توزيع
الدار العربية للعلوم ـ ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com
ص. ب. 13-5574 شوران 2050-1102 بيروت – لبنان
هاتف: 785107/8 (1-961+) فاكس: 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb